المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
شعبة الأدب والبلاغة والنقد

بلاغَةُ الخطَابِ الإقناعيّ
في كَوكَبة الخطبِ المُنِيفَة

رسالة مقدمة لكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى؛
لنيل درجة الدكتوراه تخصص (البلاغة و النقد)

إعداد الطالبة:
أسماء بنت عبدالله عبدالخالق الزهراني
الرقم الجامعي: ٤٣٦٧٠١٤٢

إشـراف:
أ.د/ هاني فراج علي أبو بكر
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى

العام الجامعي: ١٤٤٠/١٤٤١هـ - ٢٠١٩/٢٠٢٠م

طباعة القطاني

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: بَلاغَةُ الخِطَابِ الإقْنَاعي في كَوْكَبَةِ الخُطَبِ المُنِيفَة.

الدرجة: الدكتوراه

التخصص: البلاغة والنقد.

فكرة البحث:كشف طبيعة الخطاب الإقناعي وبيان السبل الإقناعية ومصاحباتها الإبلاغية والجمالية والتواصلية والأسلوبية، التي تشكلت في بناء الخطب المئِنِيفة، واستظهار طرق التأثير والإقناع التي تعددت وتنوعت وفقا للسياقات المختلفة.

محتوى الدراسة: شمل محتوى الدراسة ما يأتي:

مقدمة: عالجت فيها الباحثة أهمية الموضوع وأهدافه، وسبب اختياره وأسئلته، ومشكلته ومنهجه والدراسات السابقة، والخطة التي سارت عليها الدراسة.

التمهيد: وقد عالج الخطاب الإقناعي في المدونتين العربية والغربية، بدءًا من أرسطو والجاحظ، وانتهاء برواد الحجاج المعاصرين، وعلاقة الخطابة بالحجاج، وعلاقة البلاغة بالحجاج.

ثم انتظمت فصول الدراسة تباعًا، فجاء **الفصل الأول** بعنوان: **الخطاب الإقناعي وكفايات الخطيب**. وقد كان المسعى فيه تبيين الفرق بين كفايات الإنتاج اللغوية والأدبية، وكفيات الخطيب الإنجازية. وجاء **الفصل الثاني** بعنوان: **الخطاب الإقناعي وبلاغة النص. وسعى** لعلاج أهم الظواهر اللغوية **و**البلاغية الحجاجية في كوكبة الخطب**.** حيث اشتمل على أربعة مباحث. **المبحث الأول**: الاختيارات اللفظية ووظيفتها الإقناعية.**المبحث الثاني**: ترتيب أجزاء القول ووظائفه الإقناعية. **المبحث الثالث**: حجاجية النظم والوظائف الإقناعية. **المبحث الرابع**: الطاقات الحجاجية للصور البيانية وأبعادها الإقناعية. وجاء **الفصل الثالث** بعنوان: **الخطاب الإقناعي وطرق الاستدلال**. حيث عالج أهم وجوه الاستدلال التي حملتها هذه الخطب، وجاءت المعالجة في خمسة مباحث: **المبحث الأول**: القياس. **المبحث الثاني**: التقابل. **المبحث الثالث**: التناقض. **المبحث الرابع**: السبر والتقسيم. **المبحث الخامس**: التضمين والاقتباس. ثم جاءت **الخاتمة**: متضمنة أهم نتائج الدراسة، وتوصياتها، ثم ذُيل البحث بقائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

الباحثة: أسماء بنت عبدالله عبدالخالق الزهراني

المشرف: أ.د. هاني فراج أبو بكر

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

Summary

Thesis Title: The Rhetoric of Persuasive Discourse in the Collection of Exalted Sermons.

Degree: PhD.

Specialization: Rhetoric & Criticism.

Thesis Idea: This research reveals the nature of the persuasive discourse and exposing of persuasive ways and their theintimative, aesthetic, communicative and stylisti followers, which were formed in the construction of the exalted sermons, and appearing methods of influence and persuasion, which were varied and varied according to different contexts.

Content of Study: The study included the following:

I**ntroduction**: The researcher dealt in it the importance of the subject and its aims, reason of the selection,its questions, its problem, its methodology, the previous studies, and the followed plan for studying.

Preface: The researcher dealt in it the persuasive discourse in the Arabic and Western blogs, starting with Aristotle and Al-Jahiz,ending with the pioneers of contemporary argument, and the relationship between the argument oratory and rhetoric.

Chapters of Research: Then the chapters of the research were organized successively. The first chapter was entitled: The persuasive discourse and the competences of the orator. And the endeavor was to show the difference between the competences of language production and literary, and satisfactions orator achievement. The second chapter is entitled: The persuasive discourse and eloquence of the text. And sought to treat the most important linguistic phenomena and rhetorical argument in the constellation of speeches. It included four investigations. The first topic: verbal choices and their role in persuasion .. The second study: the order of parts of the word and argument its persuasive functions. The third topic: argument of systems and persuasive functions. The third chapter, entitled: The discourse of persuasion and methods of inference, dealt with the most important aspects of the reasoning carried by these speeches, and came the problem of five questions: the first topic: measurement. The second topic: Meeting. The third topic: contradiction. The fourth topic: sounding and division. The fifth topic: inclusion and quotation.

Conclusion:Then the conclusion: the most important results of the research, and recommendations, and then the list of references and index.

Researcher:
Asmaa Bint Abd-illah Abd-ilhaliq al-Zahrani

Supervisor:
Prof.Dr. Hany Faraj Abu Bakr

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

شكــر و تقديــر

عملا بالحديث الشريف في قوله ﷺ: **"لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُر النـاسَ"**(١). فإنـه من الواجب علي أن أتقدم بالشكر الجزيل لأهل الفضل بعد الله ﷻ في تأسيس قـوام هـذه الدراسة وخروجها على صورتها النهائية، وهم كثر، وعلى رأسهم:

مشرفي الجليل الأستاذ الدكتور/ هاني فـراج

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى.

فقد أمدني من فيض علمه، وسديد رأيه، مع لطـف معاملتـه وكـريم خلقـه، وسـعة أفقه، وجميـل صـبره. فكـان لـي نعـم العـون فـي إرشـادي ونصـحي وتـوجيهي، وكـان لإشرافه على الرسالة كل الأثر في إخراجها بأفضل صورة ممكنة.

إنه الأب والمشرف والأستاذ الذي تتسابقُ الكلماتُ وتتزاحمُ العباراتُ لتـنظِمَ عِقْـدَ الشّكرِ الذي لايستحقهُ إلا عالمٌ بهذا القدرِ الكبيرِ بما يقدمُـه مـن إبـداع للغـة الضـاد. ذلـكَ الغيثُ المنهمرُ علمًا وعطاءً، ننهلُ من فـيضِ علمـهِ ونسـتمتعُ بنفحاتِـه وإبداعاتِـه عنـدما يعـرضُ إشـكالية أو قضـية مـن قضـايا البلاغـة والنقـد. فيكشـف مـا فيهـا مـن جمـالٍ وخصـائص. نفعنَا اللهُ بعلمهِ وجزاهُ الله ﷻ جزاءَ مَنِ اختصَهمْ بفضلهِ وكرمه.

والشكر موصول للجنة المناقشة التي شرفتني بقراءة هذه الأطروحة المتواضـعة ومناقشـتها وتنقيحِهـا وتحسـينِها بـآرائهِم السـديدةِ وعطـائِهم السـخيّ؛ عِلمـا ومنهجـًا وأسلوبـًا، فجزاهم الله - جميعًا- عني كل خير.

(١) رواه أبو داود عن أبي هريرة في سننه، كتـاب الأدب، بـاب (فـي شـكر المعروف)، (٤٨١١)، ج٤، ص٢٥٥، ورواه ابن حنبل في مسنده، مسند أبـي هريـرة، حـديث رقم ٦٥٩٨، ج٢، ص٣٠٣. وقـال الترمذي في سننه: حديث حسن صحيح، كتاب البـر والصـلة، بـاب (مـا جـاء فـي الشـكر لمـن أحسـن إليك) حديث رقم ١٩٥٤، ج٤، ٣٣٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والشكر الجزيل إلى من علماني التفاؤل والمضي قدما، إلى من حافظا علي، إلى من وقفا إلى جانبي عندما تشاكل عليَّ الطريق، إلى من كانا نورا يضيء الظلمة، إلى الحبيبين الغاليين أمي وأبي، حفظهما الله فلولاهما ما كنتُ، وما كان لي هذا الموقف الطيب وهما ينتظران ثمرة، دأبا على رعايتها وحفظها.

وعظيم الامتنان وكلمات الشكر والعرفان أتوجه بها لزوجي الكريم الأستاذ سعيد، الذي ما حطَّ الونى لي رحلا إلا أسرجت معاليه جوادا أكمل، ولا مسّني لغوب إلا حثتني شمائله أن أنهض وأعاود المحاولة إصرارا على النجاح وتحقيق المنى.

كما أخص بالشكر والتقدير إخواني وأخواتي، الذين أعانوني في دراستي هذه، وقدموا لي المساعدة والتسهيل دعما وفكرا وعلما، فلهم مني كل الشكر. وكذلك إلى رفيقات دربي الوفيات اللواتي شدَّ الله ﷻ بهن أزري من بداية هذا الطريق حتى إتمام غايته المرجوة. ولا يفوتني أن أسجل رسالة شكر وامتنان، لكل من أسهم في إنجاز هذا العمل المتواضع على تلك الصورة، فأسأل الله -العلي العظيم- أن يجزل لهم جميعًا المثوبة والعطاء، ويجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة. إنه ﷻ على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

و الحمد لله رب العالمين

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المقدمـــــة

Ali Fattani ١٤٤١/٠٨/٠١ replY_W30xG

المقدمـــــة

الحمد لله الرحمن، الذي خلق الإنسان، اختصه بالعقل والبيان، وجعله وسيلته في خصامه وحجاجه، وسبيله إلى جداله واحتجاجه، والصلاة والسلام على النبي محمد، أفضل الخلق قاطبة وأبلغهم حجة، وأفصح الناس وأنصعهم محجة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فإن الدعوة إلى الإسلام تعمد إلى إمالة الإنسان إلى الخير وتنحيته عن الشر. والرسالات الإلهية عامة - التي بعث الله بها الرسل جميعًا- قامت على غاية عظيمة، تمثلت في بيان مراد الله ﷻ من خلقه في اعتقادهم وأحكامهم وأخلاقهم؛ لكي تنير للإنسان مسيرته في الدنيا، وتقدم له الحكمة من خلقه وإيجاده، ليكون ذلك جسرا إلى الدار الآخرة فيسعد برضوان الله وجنته.

ولما هدفت الخطب الدينية إلى الخير عامة وتقويم النفس وإصلاحها خاصة، فكان الأمر الذي جعلها تحمل طابعا حجاجيًّا، لأنها تضمن خطابا حواريًّا ضمنيا من مرسل لمتلق، برسالة وقصد محددين. وهو منطقة البحث والاستقصاء في هذه الدراسة؛ تبيانا لتلك الظاهرة اللسانية، التي تضمنتها البُنى اللغوية في خطاب الوعظ الديني وكشفا لخَصِيصَتها وأسرار جمالياتها.

ومن يطالع الدراسات الحجاجية في مجالاتها المعرفية المتنوعة يتبن له أن من أبرز وظائفها التركيز على الخطاب الإقناعي، الذي يروم التوجيه والتأثير في المخاطبين وفق أدوات وآليات، تتنوع بتنوع المقامات والمواقف التي يساق فيها الخطاب. ويتراوح بين مجاليْن أساسين في الشعر والخطابة هما التخييل والتداول- على حد قانون المراوحة بين المعاني الشعرية والخطابية عند حازم القرطاجني في المنهاج- لتحقيق الإمتاع والإقناع، وذلك في سياق حديثه عن قضية التماهي في الخطاب بين البعد الإقناعي والبعد الإمتاعي.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ولا ريب في أن قوة البلاغة - من جهة أولى- تكمن في ارتباطها بالإقناع، وأن الوعي بحقيقة البلاغة في معناها النسقي العام يفتح آفاقًا جديدة وخصبة أمام البحث العلمي، خاصة عندما يركز على منطقة التفاعل، الذي يحصل بين أطراف ثنائيات عديدة، نحو: المتكلم / المخاطب، والنص / المقام، والحجة / الصورة، والشكل / المضمون. وتتجلى قوة البلاغة من جهة ثانية في كونها تنزع إلى القراءة الفاحصة لمكونات النص الداخلية والعناصر الخارجية (المخاطب، المقام، السياق)؛ لتكشف المقاصد التداولية لهذه النصوص، وتنبه بشكل لافت إلى ما في الألفاظ والأصوات والتراكيب والصور من تعدد دلالي وثراء إيحائي، ومن قابلية للاستعمال في مقامات وسياقات مختلفة ومتعددة.

ويعد النموذج الخطابي أحد أهم أشكال الكلام التي تتعدد قوالبها وتتنوع أغراضها. وقد ارتبط الخطاب والخطابة منذ القدم بالمنطوق الشفاهي. ومع ظهور الإسلام اتخذ هذا الخطاب طابَعا خاصًّا، إذ ارتبط بمناسبات دينية كالجمعة والعيدين والاستسقاء وغيرها، وكانت خطب الجمعة تتمتع بخصوصية كبيرة؛ لتضمينها قيمًا دينية وسلوكية توجه للأمة عامة، والمجتمع الإسلامي خاصة بما يكفل لأفراده الرقي على مستوى الحياة الدينية والاجتماعية. ويندرج موضوع هذه الدراسة ضمن حجاجية الخطاب الديني وبلاغة إقناعه، والوجوه التي يستشفع بها فيما يروم إليه من مقاصد ومضامين ودلالات. ويعد الحجاج الخطابي ووسائله الإقناعية أعلى درجات البلاغة؛ إذ يؤكد أبو هلال العسكري ذلك المعنى بقوله: "فأعلى رُتَبِ البلاغة أن يُحتجَّ للمذموم حتى تخرجَه في معرض المحمود، وللمحمود حتى يُصيّرَهُ في صورة المذموم."(١)

والنموذج الخَطَابي يُبْنَى بممكنات الإقناع، وعلى أساس من القصد إليه. فكل خطاب يهدف إلى إقناع من يخاطبهم-كما لاحظ مايير وبيرلمان- وبقدر ما يتحقق له

(١) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ص٥٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

من هذا الهدف الوظيفي الأساس يتحقق لـه مـن التميـز والقيمـة الاعتباريـة. فالخطابـات تنجز وترسل بقصد استمالة المخاطبين لوجهـة نظرهـا واصـطفافهم إلـى جانبهـا. وهـذا الهـدف الإسـتراتيجي الإقنـاعي يسـتلزم ترتيبـات وأسـاليب وتقنيـات مقاليـة ومقاميـة مخصوصـة، وفقـًا لنـوع الخطـاب وموضـوعه وسـياق تلقيـه؛ لضـمان إنفـاذ إرسـاليته وإحداث أثرها في الذوات والأفعال. فكل خطـاب يبنـي حجاجيتـه القصـدية أو الضـمنية يحمل قيمًا وأفكـارًا وآراء وأهـواء ورغبـات، مرهونـة بمـؤثرات ومقتضـيات تعبيريـة متنوعة ومتباينة.

فالتفاعل بين الخطيب والخطاب سمة تميـز الحجـاج عـن الاسـتدلال، فـإذا كانـت وظيفة الخطيب تتقلص في لغـة تعتمـد الاسـتدلال، فإنـه يتعـاظم فـي لغـة تعتمـد السـياق والمقاصد، ومن يتصدى لوعظ الناس وتربيتهم يـدرك أن الـواعظ أو المربـي يـؤثر فـي الجمهور بشخصه قبل خطابه، وعلى أثر ذلك نظر بيرلمان إلى الخطاب بوصـفه عمـلاً من أعمال الخطيب أو تجلِّيًا مـن تجلياتـه، فالخطـاب يحـدد الشـخص، والشـخص يحـدد الخطاب؛ فالوظيفة التي يؤديها الخطيب والسمت الذي يقدمه يؤثران بـلا شـك فـي تلقـي المخاطب لكلامه.(١)

ولذلك كان البحث في بلاغة الخطاب الإقناعي فـي كوكبـة الخطـب المـُنِيفة، مـن المحاولات التي تكشف طبيعة الخطاب الإقناعي وتبيـان السـبل الإقناعيـة ومصـاحباتها الإبلاغية والجمالية والتواصلية والأسلوبية التي تشكلت في بناء تلك الخطب.

وبالنظر في نصوص الخطابـة العربيـة "يكـون الـنص الخطـابي نصـًّا إقناعيـًّا، ولكنه ليس نصـًّا حجاجيـًّا بالضرورة ؛لأنه قد لا يعبر - حتمـًا- عن قضية خلافية. وهـذا يعني أن كل نص حجاجي نص إقناعي، وليس كل نصٍّ إقناعي نصـًّا حجاجيـًّا، وبـذلك يـرتبط الإقنـاع بالحجـاج ارتبـاط الـنص بوظيفتـه الجوهريـة فـي محـيط أنـواع نصـية

(١) يُنظر: الحجاج بالآيتوس في الخطاب السياسي، كمال الزماني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م، ص٣٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أخرى"[١]. ويؤكد ذلك المعنى ما ذهب إليه صاحب الخطب المنيفة في قوله: "وإن المُستقرئ لتاريخ الخطابة عند العرب - أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان - يجد أنها تمثل قمة من قمم الإبداع، وذِروة الإفهام والإقناع، ولسان الصَّدِّ والدفاع، بها ينافحون ويتفاخرون، وبها يقارعون ويضارعون،...، وإبان النوائب والملمَّات يقف الخطيب حاضنًا على التجلُّد والثبات."[٢]

ولفن الخطابة هدف يتمثل في التأثير في الناس، وتحوير قناعاتهم. فهي كما يقول الشريف الجرجاني: "قياس مركب من مقدمات مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم."[٣] ولا ريب في أن مثل هذا التصور يعد هاجسًا معرفيًّا يدفع إلى استجلاء بلاغة الخطاب الإقناعي في نطاق المقاربة الحجاجية، التي يمكن أن تسعفنا في محاولة ملامسة ما يحمله هذا البناء من سمات ومقاصد هذه الخطب، التي تمثل خطابًا دعويًّا ووعظيًّا وإرشاديًّا، يعالج فيه الشيخ القضايا الشرعية والفقهية والاجتماعية، المتعلقة بأحوال الأمة. فهو خطاب موجه للمسلمين في كل مكان، منطلقًا من منبر بيت الله الحرام؛ ومن ثمَّ تحاول الدراسة استنباط دلالاته ومقاصده الشرعية والدعوية والوعظية، وفهمها على الوجه، الذي يتفق والمقام الخطابي الموجه لجمهور المستمعين والقُرَّاء لهذه الكوكبة المطبوعة. وإتماما لذلك جاءت الرغبة ملحَّة في أن تكون بلاغة الخطاب الإقناعي بوجوهه ووسائله وآلياته وأساليبه المتنوعة ومقاصده الجليلة مجالَ الدراسة، وعليه جاء عنوانها: (بلاغة الخطاب الإقناعي في كوكبة الخطب المُنِيفة)؛ رصدًا ووصفًا وتحليلاً.

---

(١) النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٢، ص٨-٩.

(٢) كوكبة الخطب المُنِيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ عبدالرحمن السديس: مكتبة إمام الدعوة العلمية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، السفر الأول، ص٩.

(٣) التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ص٩٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

متـن الدراسة:

جاء متن هذه الدراسة متخذا من"كوكبة الخطب المنيفة من منبـر الكعبـة الشـريفة لمعـالي الـرئيس العـام لشـؤون المسـجد الحـرام والمسـجد النبـوي الشـيخ الـدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس" مجـالا لتطبيـق بلاغـة الخطـاب الإقنـاعي وتحليـل آلياته ووسائله. وهذه الكوكبة توزعت في أربعة أسفار، دُرست الأسفار الثلاثة الأولـى، ويضـم كـل سـفر منهـا مجموعـة مختـارة مـن الخطـب، التـي تعـالج القضـايا الشـرعية والفقهية والاجتماعية والدعوية بما يجري فـي واقـع الأمـة والإشـكالات التـي تجابههـا، والحلول التي ينبغي التمسك بهـا فـي أسـلوب رصـين متماسـك، يفـيض ببلاغـة الإقنـاع والتوجيه والتـأثير فـي جمهـور المخـاطبين، وفـق تعـاليم الشـريعة الإسـلامية السـمحة، والمنهج الإسلامي الوسطي المعتدل.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الموضوع في أن بلاغـة الإقنـاع تمثـل منطلـق البلاغـة فـي وظيفتهـا التأثيريـة والتوجيهيـة، وأن هـذه الخطـب تجمـع بـين الـوظيفتين الإمتاعيـة والإقناعيـة للخطاب، ولكون بلاغة الإقناع ترتبط بكل مجالات الحياة اليومية. فنجدها تحاصرنا فـي الإعلام والسياسة والاقتصاد والثقافة، وتؤطر خطابات العصـر الـراهن بكـل مـا تحملـه من أفكار، وما تدعو إليه من قيم، وما تؤسس له من أنمـاط حيـاة، الأمـر الـذي اسـتطاع معه الشيخ أن يعالج عن طريقها جلَّ القضايا الكبرى، التي تحيط بالأمة من كـل جانـب، وذلك بربطها بالمنطلقات الشرعية والفقهية والدعويـة والإرشـادية وفـق خطـاب محكـم البنـاء، متعـدد الأشـكال، الأمـر الـذي يترتـب عليـه تنـوع المقاصـد بتنـوع مقاميـة هـذه الخطب.

وتتبدى أهمية هذه الدراسة ـ أيضا ـ في كون بلاغة الخطاب الإقناعي ينتمي إلـى حقـل معرفـي مهـم، يقـف علـى مسـألة التقنيـات الحجاجيـة ومتعلقاتهـا مـن مقتضـيات واستدلالات، ومدى نجاعتها في مقاربة مقاصـد الخطابـات ومضـامينها، والكشـف عـن

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أهم دلالاتها وقيمها التأثيرية والتوجيهية، ارتكازا على الأسس الحجاجية والوجوه الإقناعية، التي تجعل النظر البلاغي مؤشرا تأويليًّا لفحص كفايات هذه الخطب بمختلف خطاباتها، ومن ثمَّ تصبح تداولية الخطاب ببلاغاته الإقناعية مبدأ راسخًا في التفكير البلاغي، يحمل ضمن حمولاته قيمًا لغوية وثقافية واجتماعية، تشترك فيها عناصر تداولية متفاعلة هي: المتكلم، والمخاطب، والمقام. إضافة إلى عناصر شعرية، تتمثل في النص بشكله ولفظه وصوته ونظمه ومعناه وصوره وأساليبه. وبهذه الرؤية ووفق معطياتها يكون الخطاب الإقناعي في بنية هذه الخطب مهمًّا جدا، لغاية تسعى لتغيير سلوك أو موقف، وإضفاء سند لوجهة نظر ما، معضدة بالقياس أو الشاهد. وهذا ما تسعى هذه المحاولة للتحقق منه.

۞ دوافع اختيار الدراسة:

وقفت عدة أسباب وراء اختيار هذا الموضوع، من أهمها:

١- أهمية الخطاب الإقناعي وارتباط وظائفه بفن الخطابة عمومًا؛ فهو من أبرز قضايا الدرس البلاغي الوظيفي خاصة.

٢- القيمة المعرفية والعلمية التي تفيض بها مدونة الدراسة، وهي كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة لمعالي الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس.

٣- لا ينفصم اهتمام هذه الدراسة ببلاغة الإقناع عما يدور في الوقت الحالي من أحداث ومتغيرات على الأصعدة المختلفة: سواء الفكرية أو الدينية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية. إذ يمثل الإقناع أبرز إشكالية في الخطابات القائمة على المستوى الديني الوعظي أو الأدبي الإبداعي والثقافي والفلسفي، وكلها تدعو إلى مقاربة هذه المفاهيم ومدى علاقتها بمحيط البلاغة العربية في نظامها المعرفي والوظيفي.

٤- كفايات الخطيب الإنتاجية والإنجازية وفعالية النصوص، التي استوعبتها

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

كوكبة الخطب المنيفة، وأثره الإقناعي اللافت وغير المنكر في جمهور المستمعين والقراء.

٥- كون المناولة الحجاجية أضحت من أهم المداخل والمقاربات التي تسمح باستنطاق النصوص واستكناه مكنونها، كما أنها ذات فاعلية في بيان أسرار الخطاب وسبر أغواره، واستجلاء خباياه، وما تنتهجه من ترسيخ قيم التأثير والإقناع والإمتاع.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق جملة من الغايات البحثية، أهمها ما يأتي:

١- محاولة بيان الوسائل الإقناعية والآليات الحجاجية التي ترتكز عليها الخطب المنيفة.

٢- الكشف عن كفايات المتكلم / الخطيب اللغوية وغير اللغوية.

٣- الوقوف على أهمية المقام في مقاربة دلالات الخطاب التداولي للخطب.

٤- التمييز بين كفايات الإنتاج المرتبطة بالمقدرة اللغوية والأدبية والثقافية، والمعرفية، والانفعالية، وكفايات الإنجاز المتعلقة بمتطلبات الاستلزام الحواري ونشاط الخطيب الإشاري والرمزي والإيمائي، وما يتعلق بصفاته الشكلية والأخلاقية، وأدائه الصوتي والحركي، كونه أحد العناصر الأساسية المكونة للنسق البلاغي الذي يقوم عليه الخطاب.

٥- معرفة تدبير الكلام في الخطابة بين فعلي الإيجاز والإطناب.

٦- الوقوف على مواقع بلاغة الصمت والسكوت ومقتضياتها المتعلقة بالخطيب، متى يتكلم؟ ومتى يسكت؟، وكيف يحول الصمت نفسه إلى خطاب؟، وذلك كله وفق المقامات التي تستدعي المنطوق أو المسكوت.

٧- محاولة الكشف عن العلاقة القائمة بين البيان بطاقاته الدلالية الممنوحة من خصوصية اللغة وبلاغة الحجة في الخطب المنيفة.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة هذه الدراسة في افتراض أن بلاغة الخطاب الإقناعي تتأسس في البلاغة العربية -خاصة- على تصور نسقي متقدم، قابل لإعادة البناء في ضوء التطورات التي عرفتها علوم اللغة والبلاغة والخطاب في العصر الراهن، وأن الإشكال المتعلق بإنتاجه وإنجازه مرهون بالنظام الشفاهي للخطب من جانب، والبناء النصي الكتابي لها من جانب آخر، وبلاغته تستدعي المتكلم والنص والمخاطب والمقام. فكيف شكلت هذه العناصر في الخطب المنيفة بلاغة الخطاب الإقناعي؟

ولذلك فإن إشكالية قراءة هذا الخطاب الإقناعي في الخطب المنيفة تخضع لمستويين متداخلين متفاعلين من التحليل، هما: مستوى السياق المقامي والمقالي، الحاكم لمسارات المقاصد والمضامين الخطابية ودلالاتها، ومستوى البناء اللغوي والبلاغي والحجاجي، وما يتضمنه من طاقات التأثير والتوجيه والإقناع في المتلقي أو المخاطب، وكلامها في حاجة لفحص معرفي وتتبع إجرائي في نصوص الخطابات المتنوعة، التي تطرحها كوكبة الخطب المنيفة موضع التطبيق والتحليل في هذه الدراسة.

أسئلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما المقصود بالخطاب الإقناعي؟ وما مدى حضوره في المدونة البلاغية العربية؟ وما أهم الوسائل التعبيرية والأسلوبية التي يستشفع بها؟

٢- كيف تشكلت الأبعاد الحجاجية وطاقاتها التأثيرية في محيط الخطب المنيفة؟

٣- ما أهم وجوه الاستدلال التي حملتها هذه الخطب؟ وكيف تمثلت إجراءاتها الخطابية؟

٤- ما المراد بكفايات المتكلم؟ وما أنماطها؟

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

٥- ما أهم الأقيسة الخطابية في الخطب المنيفة؟

٦- كيف شكلت بلاغة اللفظ وظيفة مهمة في الإقناع؟

٧- كيف كان السجع والجناس مكونين إقناعيين في النص الخطابي؟

٨- ما الوظائف الإقناعية التي حققتها بلاغة النظم في الخطب المنيفة؟

٩- كيف تشكل الإقناع بالمجاز والاستعارة، وما الطاقات الحجاجية لكل منهما؟

١٠- ما الوظائف الإقناعية للمقام؟ وماذا عن مراعاة أحوال المخاطبين؟

الدراسات السابقة:

لم تقف الباحثة - في حدود استقصائها واطلاعها - على دراسة لبلاغة الخطاب الإقناعي في كوكبة الخطب المنيفة، وكل ما وجدته من دراسات لايتقاطع مع موضوع الدراسة بقدر ما يتوازى معها، ومن هذه الدراسات ما يأتي:

١- في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجًا:محمد العمري، أفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠٢م.

حيث تناولت هذه الدراسة مقام الخطاب في القرن الأول الهجري، وأشارت إلى مقامات الخطابات الدينية والسياسية والاجتماعية، كما تناولت صور الحجاج عن طريق الانسجام الداخلي والانسجام مع الخارج، وناقشت طبيعة الأساليب الخطابية في تلك الفترة، معرجة على أجزاء القول في البنية الخطابية، مع التطبيق على نصوص الخطب في القرن الأول الهجري، وهي بذلك تؤسس لبلاغة الخطاب الإقناعي عمومًا في الخطابة، مع التنويه على أهمية التركيز على تحديد مدى الإفادة من التنظيرات الأرسطية التي أسهمت في هذا المجال.

٢- بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية: عبد العالي قادا، دار كنوز المعرفة، الأردن - عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تناولت هذه الدراسة الحجاج في البلاغة الأرسطية، وبلاغة الإقناع في الثقافتين العربية والغربية، مستندة إلى المنطلق الأرسطي في التنظير. وفي جانب التطبيق جاء متنها عن رسالة ابن غرسية الشعوبية، ورد ابن منِّ الله القروي عليها، وهذا يعد بعيدا تمامًا عن نطاق هذه الدراسة المقدمة في الخطب المنيفة.

٣- بلاغة الخطاب الإقناعي: نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، حسن مودن، دار كنوز المعرفة، الأردن - عمان، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

وعالجت هذه الدراسة المباحث المتعلقة بوسائل الإقناع في الثقافة الغربية، وجعلتها منطلقا لتأصيل الخطاب الإقناعي، وما يناظرها أو يقاربها في الدراسات العربية المعاصرة، حيث سعت لكشف فاعلية النصوص وطاقاتها الإقناعية دون التطبيق على نصوص الخطابة، فهي تمثل تنظيرا لحركة الإقناع وتوظيفها في التأثير مثلما ذهب محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي المطبق على خطابة القرن الأول الهجري. وقد جاهدت الباحثة في تلك الدراسة مسعى وغاية إلى محاولة إخراج البلاغة العربية من وظيفتها العتيقة، وماهيتها التقليدية-دون تنكر لفضلها وجهود أهلها في مراحل تطور هذا العلم- لتنطلق بها إلى آفاق أشد رحابة وأوسع أفقا؛ لتتقاطع مع الأبعاد الاجتماعية والإنسانية.

۞ منهج الدراسة:

ترتكز هذه الدراسة - وصفا وتحليلا- في معالجة إشكالية "بَلاغَةُ الخِطَابِ الإقْنَاعي في كَوْكَبَةِ الخُطَبِ المُنِيفَة" على المنهج الاستدلالي وركائزه، القائم على طرح الأدلة وبيان الحجج التي تسهم في تحقيق الوظائف الإقناعية والإمتاعية والتوجيهية والتأثيرية لبلاغة الخطاب الإقناعي في كوكبة تلك الخطب.

۞ خطة الدراسة:

تأسيسًا على ما سبق من أهمية الدراسة وأهدافها ومشكلتها ومنهجها، اقتضى ذلك أن تأتي الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، ثم أردفت الدراسة بخاتمة

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تتضـمن أهـم نتائجهـا وتوصـياتها، متبوعـة بقائمـة المصـادر والمراجـع ثـم الفهـارس، وتفصيل ذلك جاء على النحو الآتي:

ـ **المقدمـة:** وتتنـاول فكـرة الدراسـة، وأهميتهـا، وأهـدافها، وحـدود الدراسـة، ومشكلتها، وأسئلته، ومنهجه، وتوصيف الدراسات السابقة، وخطة الدراسة المقترحة.

ـ **التمهيد:** وشمل الحديث في ثلاثة نقاط:

- الخطاب الإقناعي في المدونة البلاغية العربية والغربية.
- الإقناع والحجاج.الحجاج بين البلاغة والخطابة.

ـ **فصول الدراسة:** وشملت ما يأتي:

ـ **الفصل الأول**: الخطاب الإقناعي وكفايات الخطيب. وفيه مبحثان:

المبحث الأول:كفايات الإنتاج الموسوعية.

المبحث الثاني: كفايات الإنجاز.

الفصل الثاني: الخطاب الإقناعي وبلاغة النص. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الاختيارات اللفظية وتوظيفها الإقناعي.

المبحث الثاني: ترتيب أجزاء القول ووظائفه الإقناعية.

المبحث الثالث: حجاجية النظم والوظائف الإقناعية.

المبحث الرابع: الطاقات الحجاجية للصور البيانية وأبعادها الإقناعية.

الفصل الثالث: الخطاب الإقناعي وطرق الاستدلال. و فيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: القياس.

المبحث الثاني: التقابل.

المبحث الثالث: التناقض.

المبحث الرابع: السبر والتقسيم.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المبحث الخامس: التضمين والاقتباس.

الخاتـمة: وفيها رصد لأهم نتائج الدراسة، التي تـم التوصـل إليهـا عبـر فصــول الدراسة ومباحثها، وأردفت هذه النتائج بعدد مـن التوصـيات المقترحـة، التـي قـد يكـون فيها ما يمثل نقطة بحثية وانطلاقا معرفيا لدراسة جديدة مكملة أو مناظرة لما عُـولج فـي هذه الدراسة.

وإن من نِعمة الله ﷻ أن يسر لي أمر هذه الدراسة، وأعانني عليها، وفتح لي فهم قضاياها، ولما كان الكمال عزيزا، والنقص لازمة البشر؛ فلا أدعي أنني قلـت فـي هـذه الدراسة الكلمة الفصل، فما كـان فيهـا مـن خيـر حسـن فـي الـرأي فهـو مـن توفيـق الله وتسديده، وما كان من خطأ وزلل وتقصير فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم.

وصلى الله على نبينا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تمهيـــد

وفيـــــــــه:

۞ أولاً: الخطـاب الإقنـاعي فـي المدونـة البلاغيـة العربيـة والغربية.

۞ ثانيـًا: الإقناع والحجاج.

۞ ثالثـًا: الحجاج بين البلاغة والخطابة.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تمهيـــــــــــد

اشتمل التمهيد علـى ثلاثـة نقـاط رئيسـة، سـعت لعـرض البعـد التنظيـري لبلاغـة الخطاب الإقناعي وعلاقته بالحجاج، قبل الدخول في فلك عرض فعلية بلاغـة الخطـاب الإقناعي في الخطب المنيفة. وجاءت على النحو الآتي:

- **أولاً: الخطاب الإقناعي في المدونة البلاغية العربية والغربية.**
- **ثانيًا: الإقناع والحجاج.**
- **ثالثًا: الحجاج بين البلاغة والخطابة.**

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أولاً

الخطاب الإقناعي في المدونة البلاغية العربية والغربية

يهدف الإقناع إلى التأثير في المتلقين واستمالتهم فكريا ونفسيًّا بالبراهين والحجج، التي تدفعهم إلى اتخاذ موقف مغاير لما هو عليه أو الاقتناع بفكرة ما، لذلك لقي الإقناع عناية الباحثين والمفكرين على اختلاف أماكنهم وامتداد عصورهم.

ويُعدُّ فن الإقناع من الفنون التي تضرب بجذورها في التاريخ القديم. إذ تعود أصوله إلى ما قبل الميلاد في الحضارات القديمة، حيث تشكلت مبادئه، وتعددت منابعه، وتنوعت مفاهيمه، ومنها البلاغة والخطابة والحجاج. ولا يزال الخطاب الإقناعي يلازم مفاهيم عديدة حتى عصرنا الحاضر، منها الجدل والمناظرة، وغير ذلك من المفاهيم الشائعة في دراسات الحجاج في الفكرين العربي والغربي.

ومما يبدو واضحا أن الدراسات البلاغية القديمة (العربية والغربية) كانت منطلقا وأساسا معرفيًّا لكثير من النظريات البلاغية، خاصة النظرية الحجاجية. إذ كانت محط اهتمام فلاسفة اليونان، بوصفها آلية لطريقة إقناع المخاطب والتأثير فيه؛ لذلك اهتموا بالبرهان والحوار بوصفهما أهم أدوات تحقيق هذا التأثير في المتلقي الموجه له الخطاب. ولعل البداية الأولى كانت بينة عند الفلاسفة السُّفسطائيين. حيث كان اهتمامهم واضحًا في ممارسة الإقناع على اختلاف وسائله وطرائقه، وذلك من أجل الحصول على السلطة في المجتمع، لذلك اشتغلوا بالتعليم، وحرصوا على تعليم الشباب البلاغة والإلقاء، والقدرة على الجدل والخطابة، ليواجهوا ما يعترضهم من مسائل، وليهيؤهم به

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

على السلطة.(١)

ووفقا للإقناع الحجاجي السُّفسطائي فليس ضروريا أن تعلم شيئا حتى تجيب"، فهم يعلمون كيف يكسبون الخصم بشتى الوسائل، كاللعب بالألفاظ والاستعارات، والكنايات الجذابة بخداع المنطق وتمويه الحقيقة؛ ومن أجل ذلك سمي اللعب بالألفاظ والتهريج بالحجج سفسطة"(٢)؛ لذلك كان حجاجهم يقوم على الخداع وتزييف الحقائق، فهم لا يؤمنون بوجود حق أو باطل"و الحجاج السُفسطائي يزيف استعمال القول. القول بما هو قول الأشياء في الوجود... ويجعل بسلطة القول الأشياء الكبيرة تبدو صغيرة، والأشياء الصغيرة تبدو كبيرة"(٣)

وكان خطابهم الحجاجي"مبني على أغاليط دلالية متنوعة، يتم فيها التلاعب بمعاني المقدمات أو إحداها، كي يكون القياس مخالفا للمتوقع، وموافقًا لمآرب السُّفسطائي، الذي يعتمد بالأساس في حجاجه على التَّفنُّن في توجيه اللغة"(٤). فالحوارات كانت حوارات لغوية بالدرجة الأولى، لذا اهتموا بـ"بنية كل من الكلمة والجملة، وبحثوا في السُبل الممكنة، التي يتحقق بها الإقناع وتغيير مواقف الآخرين، واستعانوا في سبيل ذلك بخبرة بالغة في مقامات الناس وبآليات إجراء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية."(٥)

---

(١) يُنظر: الحجاج في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، حسن بو لوطة، رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، بانته، الجزائر، ٢٠١٠م، ص١١-١٢.

(٢) قصة الفلسفة اليونانية، أحمد أمين وزكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٦٦م، ص١٠٢.

(٣) الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين طلبة، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص٣٠.

(٤) المرجع السابق، ص٣٥.

(٥) الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، ⇦=

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وقد تم نقد التقنيات الإقناعية "التي يعتمدها السُّفسطائيون في خطاباتهم من قِبل أفلاطون وأرسطو، وأن ما يقدمونه لا يكون إلا ظنًّا نتيجة اللَّذَّة، لا علاقة لها بالقيم والأخلاق واليقين."(١)

أما **أفلاطون** فقد اختلف مع السُّفسطائيين عندما أجرى حواراته معهم. فهو يناقض مبادئهم، ففي مناظرة له مع أحد السُّفسطائيين يرد عليه بقوله: "العلم يقوم على مبادئ صادقة وثابتة، فالإقناع من هذه الوجهة يكون مفيدا، يكتسب الإنسان منه معرفة، في حين أن الظن يقوم على الممكن والمحتمل، فهو لا يكتسب معرفة، بل ينشئ اعتقادا."(٢)

وتمثل نقد أرسطو في" إنتاج الحجاج عندهم، وما يتعلق به من آليات، خاصة الشِّراك القولية، التي كانوا ينصبونها للإيقاع بخصومهم، فقد ذكر أن لحجاجهم خمسة أهداف: التبكيت، والإيقاع في الخطأ، والدفع إلى مخالفة المشهور، واستخدام صيغ لغوية غير مألوفة، وأخيرا دفع المجيب إلى الكلام الفارغ بجعله يكرر كلامه عديد المرات."(٣)

وإذا كانت التقنيات الحجاجية التي جاء بها السُّفسطائيون قد لاقت نقدا مباشرا فإن وجهة أخرى - مما قدمته أفكارهم- تكشف أن الحركة السُّفسطائية حركة حجاجية، تأسست عندهم من منطلقات فلسفية وأخرى منطقية، وكان لهم أسلوبهم الخاص، ونظرتهم المتميزة لاستمالة السامع وإقناعه وإفحامه، بما كانوا يرون أنه محقق ذلك.(٤)

= منوبة، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٥١.

(١) الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي، ص٦٢.

(٢) السابق نفس الصفحة.

(٣) الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين، ص٣٤.

(٤) يُنظر: خطاب الحجاج والتداولية - دراسة في نتاج بن باديس الأدبي، عباس حشاني، عالم الكتب =⇦

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ومما ميز الحركة السُّفسطائية وحجاجها في تاريخ الفلسفة ظهورها في وقت مبكر من الدراسات الغربية الحجاجية، حيث تجسدت فيها معظم مفاهيم الحجاج ودلالاته، وما يتعلق به من قضايا فلسفية.(١)

وقد تشكل الخطاب الإقناعي عند أفلاطون من محاوراته التي أقامها مع السُّفسطائيين، وكما ذُكر سابقا أن الإقناع القائم على الظن لا يُكسب الإنسان معرفة، بل ينشئ اعتقادا قد يكون خاطئًا في رأيه، إذ إن العلم يقوم على مبادئ صادقة وثابتة(٢) وهذا يعني أن الخطاب الإقناعي لدى أفلاطون كان"يعتمد على الحق والخير أساسا لكل حجاج أو بلاغة مُجدَّيْن ينفعان الفرد والمجتمع، وهما معيار يمكن التعبير عنه بأنه قيمي...و لذا اهتم -فقط- بالحجاج الأخلاقي، وهو حجاج يمكننا نعته بالمثالي."(٣)

ويعد كتاب (الخطابة) **لأرسطوطاليس** من أهم المؤلفات المبكرة التي أصَّلت للإقناع، والمصدر الرئيس لنظرية الحجاج إلى عصرنا الحديث. حيث تكلم أرسطوطاليس عن الإقناع ووسائله، و" تناول الحجاج من زاويتين متقابلتين: من زاوية بلاغية، ومن زاوية جدلية. فمن الزاوية البلاغية ربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع، أما من الزاوية الجدلية؛ فيعد الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية، وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة. فهاتان النظرتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يقدمه أرسطو لمفهوم الخطاب؛ إذ يبنه انطلاقا من أنواع الحضور، ومن الرغبة في الإقناع؛ ويحدده في ثلاثة أنواع: النوع الاستشاري، النوع

= الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م، ص٢٢.

(١) يُنظر: خطاب الحجاج والتداولية - دراسة في نتاج بن باديس الأدبي، عباس حشاني، ص٢٢.

(٢) يُنظر: الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي ص٦٣.

(٣) الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين ص٢٨-٣١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

القضـائي، النـوع القيمـي."[١] وقـد ميـز أرسـطو بـين الحجـاج الجـدلي والحجـاج الخطابي."فعدَّ مجال الأول فكري خالص، وعادة مـا يكـون بـين شخصـين، يحـاول كـل منهما إقناع صاحبه بوجهة نظر معينة، ومجال الثاني توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه، فهو حجاج موجه للجماهير."[٢] كمـا جعـل أرسـطو جـوهر الخطابـة وأساسـها الإقناع، حيث يعرف الخطابة بأنهـا: "قـوة تتكلـف الإقْنـاع الممكـن فـي كـل واحـدة مـن الأمور المفردة."[٣] فالخطيب يجتهد عن طريق الخطابة في إقناع المتلقي للخطاب. أمـا أُسس بناء الخطابة؛ فتأتي على ثلاث مراحل عند أرسطو، هي:

١. مرحلة البحث عن مواد الحجاج أو مصادر الأدلة.

٢. الترتيب، أو تنسيق أجزاء القول.

٣. الفصاحة، أو ما سُمي بعد ذلك بالأسلوب.[٤]

ويميز أرسطو بين نوعين من الأدلة أو الحجاج."فأما التصديقات فمنها بصـناعة، ومنها بغير صناعة. وقد اعتنى باللاتي بغير صناعة، تلـك اللاتـي لا تكـون بحيلـة منـا، لكن بأمور متقدمة، كالشهود والعذاب والكتب والصِّكاك، ومـا أشـبه ذلـك، وأمـا اللاتـي بالصناعة؛ فما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة وبأنفسنا."[٥]

فأرسطو عندما أسس للخطابة يرى أن جوهرهـا الإقنـاع فـي مسـائل الخـلاف أو

(١) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص١٥.

(٢) الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١١م، ص.٥٥.

(٣) كتاب الخَطَابة، أرسطو طاليس، تحقيق: عبدالحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ص٩.

(٤) يُنظر: الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي، ص١٧٣.

(٥) كتاب الخَطَابة، أرسطو، ص٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المحتمل التي تقبل المحاورة والنقاش، ثم يكشف لنا عن وسائل الإقناع. ويفرق بين نوعين من الأدلة أو (الحجج)، الأدلة غير المصنوعة، التي لا دخل للخطيب فيها، مثل: الشهود والاعترافات عن طريق التعذيب، والوثائق والإثباتات المكتوبة، والأدلة المصنوعة، التي هي من اختصاص الخطيب، وما يمكن جمعه عن الموضوع، أو الوسائل التي تؤثر في السامع. فهذه تصنع بحيلة وبمقدرة الخطيب، وبها يستطيع استمالة المتلقي وجذبه إليه، وهذا يعود إلى مدى فطنة الخطيب في جعل هذه الأدلة المصنوعة تخدم هدفه عندما يستخدمها في وقتها المناسب.

والأدلة المصنوعة هي جوهر الخطابة لديه، وهي ثلاثة أنواع: "فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسَمْتِهِ، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت."(١) ولِكي يتحقق الإقناع لابد أن يستعمل الخطيب حججا مقنعة مناسبة للموقف، وهو"الحجاج المنطقي، الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، ويرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي."(٢)

كما أن عنصر أخلاق الخطيب تعد حجة مقنعة، عندما يتميز بالثقة؛ لأن ذلك ينعكس حتمًا على الطاقة الإقناعية،كذلك تهيئة السامعين نفسيا من أجل استمالتهم والتأثير فيهم، وعلى هذه الأسس الثلاثة التي تتكاتف لتحقيق الإقناع في خطابة أرسطو. وبهذا يكون أرسطو قد حوَّل مسار الإقناع من كونه قائمًا على التأثير والخداع إلى كونه عملية برهانية واستدلالية. واستقل بمفهومه هذا عن السُّفسطائيين وأفلاطون؛ لأن أرسطو يبحث عن الإثبات، وما هو قابل للصواب.(٣)

(١) كتاب الخَطَابة، أرسطو، ص١٠.

(٢) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، ص١٨.

(٣) يُنظر: تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، وجيل جوتييه، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص.٢٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وأخيرا يمكننا القول: إن رفض أرسطو للعديد من الأساليب السُّفسطائية جعله ينظر إلى الحجاج نظرة شمولية متعمقة، "فقد سعى عن طريق كتابه هذا إلى بناء صرح حجاجي جديد، له علاقات شتى ومجالات عديدة. وتجسد ذلك في رفضه للأساليب السُّفسطائية، ودعوته لبلاغة قولية عمادها الحجاج، وقوامها عناصر العملية التواصلية: المتكلم، الخطاب، المستمع."(١) ولم يقتصر فن الإقناع بوسائله المتعددة على الحضارة اليونانية، بل كان للعرب القدامى مجال فيه، لا سيما ممارسته في خطبهم. فالخطابة العربية في عصر ما قبل الإسلام من أهم مجالات الإقناع. فكثرة المنافرات وتعدد الآراء ومحاولة الفصل في النزاعات كانت من أهم العوامل التي أدت إلى بلوغ اللسان العربي القمة في الفصاحة والبيان، التي كانت مجال الفخر والرفعة لكل قوم منهم. فإن "العملية التواصلية بين البشر بجميع أشكالها التعارفية، أو التنافسية الناتجة عن التدافع الفكري، أو المذهبي، أو الصراع بين المصالح أو الخلاف حول السلطة قاسم مشترك بين تلك الثقافات، وأداة منهجية لها قواعدها وأدبياتها وحدودها الأخلاقية واللغوية، التي لا يمكن الاستغناء عنها في الحوار والتناظر، بل يجب الالتزام بها."(٢)

أما على صعيد التنظير؛ فنجد أن مؤلفات التراث الإسلامي لا تخلو من مصطلحات الحجاج أو تؤدي معناه نحو "علم المناظرة، وعلم آداب البحث، وعلم آداب الحوار، وعلم صناعة التوجيه، والحجاج، وعلم الجدل أو الجدال؛ إلا أن مصطلح الجدل هو أكثر هذه المصطلحات تداولا وشهرة؛ لقيامه على نوع من التنافس والتنازع الرامي إلى الغلبة والإفحام، لإلزام الخصم وإفحامه مع التغلب عليه في مقام التدليل."(٣)

(١) خطاب الحجاج والتداولية - دراسة في نتاج بن باديس الأدبي، عباس حشاني، ص٢٩.

(٢) في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام، الرسالة الجوابية للحسن البصري على رسالة عبد الملك بن مروان نموذج، علي الإدريسي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته، ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م، ص٨٢.

(٣) الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسان الباهي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ⇦=

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وبعد ظهور الإسلام كان القرآن -ذاته-حجاجا قويًّا،بلغ مكانة رفيعة في البلاغة والإقناع بجوار السنة النبوية. فكان لهذين المصدرين -ولا يزال- أثرهما البلاغي في لسان كل متكلم بالعربية، في منهج بعيد عن الإكراه والعنف. وكان لعلماء الأصول من مفسرين، ومُحدِّثين، وفقهاء، وعلماء الكلام واللغة اجتهادات واضحة في البيان عن معنى الحجاج، وتوظيف هذا المفهوم في مؤلفاتهم المختلفة، ولكن "النصيب الأوفر للحجاج كان في البلاغة، التي تنقسم إلى قسمين: بلاغة إقناع (حجاج)، وبلاغة إمتاع (أسلوبية)."(١)

ولعل **الجاحظ** هو الاسم الأبرز، الذي يظهر لنا في بحوث الدارسين المهتمين ببلاغة الخطاب الإقناعي. حيث أجمعوا على بروز الجانب الحجاجي في مصنفاته(٢). فيجد الباحث في مؤلفات الجاحظ أنه اهتم اهتماما كبيرا بالإقناع عن طريق الحجة، كما اهتم بالمجادلة والمناظرة. والجاحظ "يكشف بكل وضوح في كتابه "البيان والتبيين" وضع نظرية لبلاغة الإقناع، مركزها الخطاب اللغوي الشفوي، وأساس الإقناع الخطابي مراعاة أحوال المخاطبين."(٣)

ولعل الأسباب التي تقف خلف اهتمام الجاحظ بالإقناع واهتمامه بالوظائف اللغوية للخطاب هو انتمائه للمذهب المعتزلي، وتصدره للدفاع عن أطروحاته، إضافة إلى عنايته بعلم الكلام، القائم على البرهنة العقلية في المسائل المتعلقة بالإلهيات

= ٢٠٠٤، ص١٧.

(١) نشأة الحجاج، حامد ناصر الظالمي وعايدة جدوع حنون، مجلة آداب البصرة، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد (٧٣) سنة ٢٠١٥م، ص١٣.

(٢) يُنظر: البلاغة العربية أصولها وامتدادتها، محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص١٩٦- ١٩٧، والحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث مقدم في بلاغة النقد المعاصر د. محمد سالم الأمين، ص٢١١.

(٣) المقام الشعري والمقام الخطابي، محمد العمري، مقال منشور في مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، الدار البيضاء، العدد (٥) سنة ١٩٩١م، ص١١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والعقائد، حيث يجب على المتكلم أن يؤسس مواقفه الكلامية على براهين عقلية تؤكد موقفه، وهذا كله يدفع القارئ منهم على التفطن وإطالة النظر في فهم نصوص الخصوم، ثم البحث عما يدحض هذه الأفكار.(١)

فالجاحظ قوي الحجة، قادر على الإقناع والتأثير، فالمتكلم "لا يهمه الجانب الجمالي الفني في الكلام بقدر ما يهمه مدى ما يمارسه الكلام من تأثير وسلطة في السامع... وهذا يكون بالقول الفصل أو فصل الخطاب، وهو نوع من القول تجتمع فيه الصنعة اللفظية والحجة المقنعة مع عدم الإثقال على السامع."(٢)

أما تلقيه لمبادئ الحجاج والمناظرة فالفضل يعود لشيخه إسحاق بن إبراهيم بن سيَّار النظّام، الذي أذكى في نفسه نوازع التطلع، والتمحيص، والنقد والاستدلال، والاستنباط، مما أثر فيه أثرا بالغًا، جعله قادرا على الولوج في كافة علوم عصره.(٣) وتتجلى أسس الإقناع عند الجاحظ في ربط البلاغة بأهداف إقناعية، وعنايته الخاصة بوظيفتي البلاغة: الإفهام والإقناع في القول، ثم التركيز على عنصري: المقام، والمتلقي.(٤) إذ إن مدار البيان ومقصده هو الفهم والإفهام، أي أن "مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع."(٥)

---

(١) ينظر: الحجاج السردي عند الجاحظ، بحث في المرجعيات والنصيات والآليات، هيثم سرحان، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، عدد (١١٥) سنة ٢٠١١م، ص٥٩-٦٠.

(٢) بنية العقل العربي - دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٩م، ص٣٠.

(٣) يُنظر: الحجاج السردي عند الجاحظ - بحث في المرجعيات والنصيات والأليات، هيثم سرحان، ص٥٨.

(٤) يُنظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، عبداللطيف عادل، منشورات ضفاف، دار الإيمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص.٦٢.

(٥) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ⇦=

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ومن نصوصه التي نقلها عن بشر بن المعتمر، التي يتضح لنا فيها اهتمامه بالمقام ومقتضياته نصه: "و المعنى ليس يشُرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقامٍ من مقال."[١] فهو ينبه أن المعاني لا يميزها بأن تكون غريبة وبعيدة، ولا معقدة، بل يكون الوسط والاعتدال بينهما، وقبل ذلك موافقة الحال، ومطابقة الكلام لأحوال المخاطبين.

كما نقل تعريفات البلاغة عند أمم مختلفة. أشار فيها إلى أهمية الإقناع، وأنه أساس البلاغة. كما يبين ذلك بقوله: "قال بعض أهل الهند: جِمَاع البلاغة البَصر بالحجة."[٢] إلى غير ذلك من النصوص الأدبية، التي يستشهد بها الجاحظ، تلك التي تبين "بكل وضوح أن الغاية القصوى عنده هي الخطاب الإقناعي الشفوي. وهو إقناع تُقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال."[٣]

وليس المقام بصدد عرض دراسات الجاحظ ومعالجته للبيان، وما يجب أن تكون عليه الخطبة والخطيب. ولكن يبدو جليًّا أن دراساته هذه أسهمت بشكل واضح في إثراء البحث الحجاجي ومصطلحاته.

فالحجاج إنْ لم يكن مذكورا بهذا المصطلح فهو (البيان) عند الجاحظ، ودليل ذلك تلك النصوص الحجاجية، التي ظهرت في كتابه المشهور" البيان والتبيين". ويمكن أنْ نقارن بين ما جاء به الجاحظ وما جاء به (بيرلمان). حيث تبيَّن الفارق الجوهري بين الخطابة التي يعنيها (بيرلمان) وتلك الخطابة التي يعنيها الجاحظ. فإذا كانت كلتا

= القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨ م، ج١، ص٧٦.

(١) المصدر السابق، ج١، ص١٣٦.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٨٨.

(٣) المقام الشعري والمقام الخطابي، محمد العمري، ص١١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الخطابتين تستهدف الاستمالة، فإن الأولى تستهدف استمالة العقول، بينما تستهدف الثانية -غالبا_ استمالة القلوب."[١]

وعلى الرغم من أن الحجاج وما يتصل به من مباحث وخصائص نصية ومقامية قد تم تناولها في مصنفات عربية عدة بعد الجاحظ، وكذلك تناوله للحجاج لم يكن متناسقا بل يغلب عليه التناثر ضمن البيان فإنه شمل معظم عناصر المقام ومحدداته الداخلية والخارجية التي نجد إشارات إليها وإلى توظيفاتها الحجاجية،خاصة عند النقاد.[٢]

ويربط **ابن وهب** الحجاج بالجدل والمجادلة، بقوله: "وأما الجدل والمجادلة فهما قول يُقصد به إقامة الحُجَّة فيما اختلف فيه المتجادلون، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات، والتنصل في الاعتذارات، ويدخل في الشعر والنثر."[٣] فالجدل عند ابن وهب: خطاب تعليلي إقناعي، وعلى كل من السائل والمسؤول أن تكون إجابته مقنعة يقبلها الطرف الآخر ويقتنع بها.[٤]

ويستند ابن وهب في الكشف عن البيان إلى الإقناع والاستدلال مستلهما المعايير المنطقية. فيرى وجوه البيان أربعة[٥]: بيان الأشياء بذواتها، ويسميه (بيان الاعتبار)، والبيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر، ويسميه (بيان الاعتقاد)، والبيان

(١) البلاغة والاتصال، جميل عبدالمجيد، دار غريب، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص١٥٠.

(٢) يُنظر: الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين، ص٢١٥.

(٣) البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن وهب، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ، ص.٢٢٢.

(٤) يُنظر: النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع، محمد السيد سليمان العبد، مجلة فصول، عدد (٦٠)، ٢٠٠٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٤٦.

(٥) بلاغة الإقناع في المناظرة، عبداللطيف عادل، ص٦٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

باللسان، ويسميه (بيان العبارة)، وبيان يسميه (البيـان بالكتـاب). بقولـه: "بيـان الأشـياء بذواتها وإنْ لم تبن بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللُّـب، ومنه البيان الذي هو نطق لسانه، ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعُد وغاب."(١)

وعند إمعان النظر في هذه الوجـوه الأربعـة للبيـان عنـد ابـن وهـب نجـدها أوجـه حجاجية خاصة عندما قسم البيان إلى ظاهر وباطن. فالظاهر عنده: "مـا أُدرك بـالحس، كتبيُّننا حرارة النـار وبـرودة الـثلج عنـد الملاقـاة لهمـا، ومـا أُدرك بفطـرة العقـل، التـي تتسـاوى العقـول فيهـا، مثـل: تبيُّننـا أنَّ الـزوج خـلاف الفـرد، وأن الكـل أكثـر مـن الجزء...والباطن ما غاب عن الحسِّ واختلفت العقول في إثباته."(٢). ووفقـًا لتعبيـر ابـن وهب فإنَّ البيان الظاهر" لا يحتاج إلى تفسير وتوضيح، وهذا حين توضـع الألفـاظ فـي معانيها الحقيقية، وهذا يتطـابق مـع مـا ورد فـي البلاغـة العربيـة عـن مطابقـة مقتضـى الكلام، ويقابله في البحث الحجاجي الاستدلال المنطقي الحقيقي."(٣)

أما البيان الباطن فهـو "الـمُحتاج إلـى تفسـير"(٤) وهـو إحتياجـه لـذلك لأنَّ اللفـظ خرج عما وُضع له حقيقة، أي خرج من معناه الأصلي إلى المعنى المجـازي، وهـذا مـا يُعرف في البيان البلاغي بحجاجية الاستعارة والتشبيه، وأنواع المجاز ويقابـل هـذا فـي الحجاج: الاستدلال التخييلي القائم على غير يقينية.(٥)

إذن فالبيان عند ابن وهب هو: إقامة الحجة على صـحة الخطـاب، وهـذا مـا يؤيـد وصفنا لأي خطاب بأنه حجاجي.

ويعرف ابن وهب القيـاس فـي اللغـة بأنـه: "التمثيـل والتشـبيه، وهمـا يقعـان بـين

(١) البرهان في وجوه البيان، لابن وهب، ص٥٦.

(٢) السابق نفس الصفحة.

(٣) خطاب الحجاج والتداولية - دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، ص٥٢.

(٤) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، ص٦٢.

(٥) يُنظر: خطاب الحجاج والتداولية - دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، ص٥٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الأشياء في بعض معانيها لافي سائرها، لأنَّه ليس يجوز أن يُشبه شيء شيئًا في جميع صفاته ويكون غيره"[١] ويؤكد أنَّ القياس في البيان الباطن هو من أنجح القياسات فهو: "الذي يتوصل إليه بالقياس والنظر والخبر."[٢]

واهتمام ابن وهب - أيضا - بالقياس، ويبدو أن الإفاضة فيه دليل على وعيه بالبعد الحجاجي للقياس، لأن البيان الباطن يقع في مواضع الالتباس والخلاف، أما الظاهر لا خلاف فيه لأنه استغنى بظهوره عن الدلالة عليه.[٣] وبالنظر الطويل لأعمال ابن وهب ودراساته في التراث العربي وما أشار إليه على جهة التصريح أو التضمين فهو يمكن أن يمثل مشروعه" أقرب إلى نظرية معرفيه، في حين أن عمل الجاحظ يندرج ضمن النظرية البلاغية، بلاغة الخطاب."[٤]

أما **عبد القاهر الجرجاني** فقد تعرض للحجاج عندما اعتنى بالمعاني ووظيفتها في النظم، وكذلك عندما تحدث عن أثر الاستعارة والقياس في نفوس المخاطبين، حيث أكد أنَّ نظم الكلام والاعتناء به يحقق الإقناع لدى المخاطبين، بقوله: "ينبغي لكل ذي عقل ودين أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه، ويستقصي التأمل لما أودعناه، فإن علم أنه الطريق إلى البيان والكشف عن الحجة والبرهان تَبعَ الحق وأخذ به، وإن رأى أن له طريقا غيره أومأ لنا إليه ودلنا عليه، وهيهات ذلك."[٥]

وفي حديثه- أيضا- عن المجاز وتوظيفه عنده فإنه يدور حول قضية مهمة وهي لُّب الاستدلال؛ لأن المتكلم إذا استعمل المجاز اضطر إلى دليل يدعم دعواه التي هو

(١) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، ص٦٧.

(٢) السابق، ص٩٢.

(٣) يُنظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، عبداللطيف عادل، ص٧٠-٧١.

(٤) البلاغة العربية - أصولها وامتداداتها، محمد العمري، ص٢١٣.

(٥) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤، ص٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

بصددها، وركز- بصفة خاصة -على الطاقة الحجاجية للاستعارة بوصفها أبرز صور المجاز وأكثرها تأثيرا؛لأن "الاستعارة ليست مجرد مجاز يحيل إلى فضاء تخييلي في اللغة، بل هي عملية استبدال وتحويل داخل الوعي نفسه، وأما البيان فسلوك انزياحي للغة عن طريق الاستعارة وداخل اللغة نفسها، مقصده الفهم والتبيان، فهو بذلك بلاغة لبلوغ مقاصد الإفهام والإبلاغ، ففيه شرح وتفسير وتأويل وفق نموذج الغموض من أجل الوضوح، والالتباس من أجل البيان، واللغز من أجل الحقيقة."(١)

ويحدد عبد القاهر الجرجاني مفهوم الاستعارة وأثرها عند ورودها من قبل مستخدمها أنها بعد يخرج بالمعنى من حالة المباشرة إلى حالة سياق خاص يحمل تأثيرا خاصا تباعا في النفس والعقل معا بقوله: "ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتُسْتَفتى فيه الأفهام والأذهان لا الأسماع والآذان."(٢)

ومن هنا تأتي حجاجية الاستعارة؛ لأن لها تأثيرا في الأذهان والأفهام. ويعد عبد القاهر الجرجاني ممن"استخدم آليات حجاجية لوصف الاستعارة، فقد أدخل مفهوم الادعاء بمقتضياته التداولية الثلاثة: التقرير، التحقيق، والتدليل، كما استفاد في ثنايا أبحاثه من مفهوم التعارض،(٣) من غير أن يطرحه طرحًا إجرائيًّا صريحًا.(٤)

---

(١) الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، عمارة ناصر، الدار العربية للعلوم، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص١٦٠.

(٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قراه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجده، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ص٢٠.

(٣) و هو ذلك التعارض الذي يكون بين ادعاء المطابقة بين المستعار له والمستعار منه، والذي يكون بين ادعاء المباينة بين المستعار له والمستعار منه، والذي يكون بين ادعاء المطابقة وادعاء المباينة..ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٣١٢.

(٤) يُنظر: المرجع السابق، ص٣١٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وفي حديثه عن التمثيل بوصفه أعمق من التشبيه، وأدق تصويرا، يؤكد أنَّ: "التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً وكَسَبها مَنْقبةً، ورفع من أقدارها... وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القُلوب إليها... وإنْ كان حجاجا، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبَيانه أبْهر."(١) فيؤكد أن للتمثيل بُعُد حجاجي إذا ما أعقبه بما يدل على صدقه، عندما يقيس الأمر الذي يدعيه المتكلم على أمر معروف ومسلم به لدى السامعين فـ" يقبلون الجديد لقبولهم القديم، وبذلك يغدو شرف القديم شرفًا للحديث."(٢)

فالصورة التمثيلية عند الجرجاني تحتاج إلى إعمال فكر وتأمل، باستحضار صورتين اثنتين، صورة معلومة لدى المتلقي، وصورة جديدة يدعيها المخاطب، فيحاول أن يوجد أطراف المشابهة بينهما.

وهكذا يتجلى الملمح الحجاجي عند عبدالقاهر الجرجاني في حديثه عن النظم، الذي يقرنه دائما بفكرة إعجاز القرآن، لذلك نلاحظ عنايته الخاصة في كتابيه (الدلائل والأسرار)، إذ يعرف النظم بقوله: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض."(٣) فالنظم مرتبط بالتركيب، والمزية لا تعود إلى اللفظ وحده وإنما تعود إلى حسن التآلف بين الكلمات وأداء المعاني بأفضل عبارة؛ ومن هذا المنطلق ذهب الجرجاني من هذه النظرية، التي شكلت عنده الكثير من المفاهيم، التي ارتبطت بطريقة تعليق الكلمات بعضها ببعض.ومن هذه المفاهيم تعريفه للاستعارة بقوله: "ففي الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم والوقوف

(١) أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، ص١١٥.

(٢) الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب. وضعه: محمد أبو زهرة، مطبعة العلوم، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٣هـ- ١٩٣٤م، ص٣٦.

(٣) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

على حقيقته."[١]

وارتبط البيان عند **السكاكي** بالحجاج بشكل واضح، حيث عالج مفهوم الحجاج بلفظ الاستدلال وربطه بالجانب البلاغي والمنطقي فـ"ما يعدُّ درسًا حجاجيًّا بامتياز، وبحثا راقيا في قوانين الخطاب فهي التكملة، التي عقدها السكاكي بعنوان: الحدُّ والاستدلال، وهو مبحث يخص المنطق، وهي تكملة لعملي: المعاني والبيان، يخصصها لتحليل خواص تركيب الكلام في الاستدلال، ويريد السكاكي أنْ يُبين مسألة أساسية واحدة، وهي أن آليات التفكير عند ممارسة القياس المنطقي هي نفسها آليات التفكير عند ممارسة أي أسلوب من أساليب البيان."[٢]

والاستدلال يستلزم شيئًا آخر، إما بالنفي أو الإثبات حيث يقول: "لا شبهة في أنَّ اللفظة متى كانت موضوعة لمفهوم أمكن أنْ تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع، وتسمى هذه دلالة المطابقة، ودلالة وضعية، ومتى كان لمفهومها ذلك ولنسمه أصليًّا تعلق بمفهوم آخر،أمكن أن تدل عليه بوساطة ذلك التعلق بحكم العقل، سواء كان ذلك المفهوم الآخر داخلاً في مفهومها الأصلي كالسقف مثلا في مفهوم البيت، ويسمى هذا دلالة التضمن، ودلالة عقلية أيضا، أو خارجا عنه كالحائط عن مفهوم السقف، وتسمى هذه دلالة الالتزام."[٣]

ويبين السكاكي أهمية المقام في الإقناع حيث قال: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم...ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار[٤].

(١) السابق، ص٧٢.

(٢) خطاب الحجاج والتداولية - دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حاشاني، ص٤٠.

(٣) مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٨ م، ١٤٠٧هـ، ص٣٢٩-٣٣٠.

(٤) يُنظر: مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص١٦٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وللمقام في الدرس البلاغي وظيفة كبيرة فـي الخطاب الإقناعي، الذي يتوقف على مبدأ لكل مقام مقال. ويضع السكاكي بعض الشروط الفنية والبلاغية التي من شأنها أن ترقى بالكلام إلى الفصاحة، وتتمحور هذه الشروط حول فكرة العناية بالمقامات والمقتضيات الخطابيـة للمتلقين، ويـذكر بعـض المقتضـيات التـي تبـين أن هنـاك مقامـات متعـددة ومتنوعة بحسب أحوال المخاطبين.(١)

ويربط السكاكي البيان بالاستدلال، لأن وجـوه البيـان المختلفـة تقـوم أساسـا علـى الانتقال من معنى إلى معنى آخر مع وجود علاقة تربط المعنيين إذ يتنقل "مـن الملـزوم إلى اللازم كما تقول: رعينا الغيث، والمراد لازمه وهو النبت... أما الجهة الثانيـة وهـي الانتقال من اللازم إلى الملزوم، كما تقـول: فـلان طويـل النجـاد، والمـراد طـول القامـة الذي هو ملزوم طول النجاد"(٢) فعملية استحضار اللازم والملزوم عملية عقلية تستلزم استدعاء عقلي للصورة مع الدليل المصاحب لها، ومن ثمَّ حصول الإقناع التام.

إن اهتمام السكاكي بأحوال المخاطبين ومقتضيات الخطاب يكشـف بكـل وضـوح بلاغة مقامية، ترتكز -أولا- على مقصد المتكلم، ثم ترتكز علـى حـال المخاطـب، وهـي بلاغة تقوم على التصور التداولي المقصدي هدفها الإقناع حتمـا.(٣) وهكـذا تتحـدد لـدى السكاكي ملامح إقناعية، يتتابع فيها الاستدلال والاستلزام، وعنصـر المقـام، وقبـل ذلـك الطبيعة الاستدلالية للصورة البيانية.

وميز **حازم القرطاجني** بين نوعين من الكلام، بـين الإخبـار والاقتصـاص وبـين الاحتجـاج والاستدلال، وهو يؤكد أن الحجاج وجه من أوجه الكلام "لما كـان كـل كـلام يحتمل الصدق والكذب، إما أنْ يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإمـا أنْ يـرد علـى جهة الاحتجاج والاستدلال. وكـان اعتمـاد الصـناعة الخطابيـة فـي أقاويلهـا علـى تقويـة

(١) ينظر: المرجع السابق، ص١٦٩.

(٢) مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص٣٣٠.

(٣) يُنظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، ص٧٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الظن لا على إيقاع اليقين."[١] إنَّ مفردتا (الاحتجاج والاستدلال) كمفردة (الإقناع) في مناهج الدراسة الأدبية عند حازم القرطاجني ركيزة للخطابة في مقابل التخييل في الشعر.[٢]

كما ميَّز بين طريقتين لإقناع الخصم، وهما: التمويهات، والاستدراجات، وهما من الإستراتيجيات المهمة في عملية الإقناع.وفي ذلك يقول القرطاجني: "التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع. والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنّه على غيره ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتذائها."[٣]

وفي تمييز حازم بين هاتين الإستراتيجيتين يقول: "التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريظه، وإحراجه على خصمه، حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول."[٤]

ويؤكد حازم القرطاجني أن كل كلام يحتمل الصدق قد يحتمل الكذب أيضا، والخطابة -عنده- تعتمد على تقوية الظن، فيبقى للشعر أساسه التخييلي، الذي لا يعني الكذب لأن ذلك التخييل لا يناقض اليقين فـ "كان اعتماد الصناعة الخطابية في أقاويلها على تقوية الظن لا على إيقاع اليقين، اللهم إلا أن يعدل الخطيب بأقاويله عن الإقناع إلى التصديق... واعتماد الصناعة الشعرية على تخييل الأشياء، التي يعبر عنها بالأقاويل وبإقامة صورها في الذهن بحسب المحاكاة. وكان التخييل لا ينافي اليقين كما

(١) مناهج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص٦٢.

(٢) يُنظر: اللغة والخطاب، عمر أوكان، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص١١٨.

(٣) مناهج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص٦٣.

(٤) مناهج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص٦٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

نفاه الظن...لذلك كان الرأي الصحيح في الشعر أن مقدماته تكون صادقة، وتكون كاذبة، وليس يُعد شعرا من حيث هو كذب، بل من حيث هو كلام مخيِّل[١] ويرى حازم أن الشعر لا يفارق البرهان والجدل والخطابة،إلا بما فيه من التخييل والمحاكاة، أما الخطابة فهي تقوم على الإقناع بالدرجة الأولى."[٢] ويعد حازم القرطاجني من أبرز العلماء الذين استثمروا الفكر اليوناني الفلسفي، وأفاد منه في النقد العربي.

وإذا كانت الدراسات القديمة العربية أوالغربية قد تناولت الحجاج بالدرس ومحاولة التحديد إلا أنها لم تتناول أبعاده كلها. فكل الدراسات القديمة لم تصل إلى قاعدة وملامح عامة يمكننا عن طريقها إطلاق مسمى نظرية على (الحجاج) كما هو حال الحجاج اليوم، ومع ذلك فقد شكلت هذه الدراسات القديمة - عربيًّا أو غربيًّا - نقطة انطلاق لكثير من الدراسات المعاصرة، التي تشكلت عن طريقها نظرية الحجاج بأصول وقواعد محددة على اختلاف حقول الدراسة والممارسة. وقد تعددت إسهامات الدارسين المعاصرين في الخطاب الإقناعي الحجاجي، حيثُ أصبح علما قائما بنفسه، يتعالق مع علوم أخرى كاللغة والفلسفة، وقد أعاد علماء العصر الحديث قراءة البلاغة اليونانية قراءة فاحصة، قام على أُساسها مفهوم أدق وأوضح للحجاج. والحقيقة أن الأسماء تعددت في هذا المجال، وسوف نقتصر في ذلك السياق على رأي أهم الباحثين من أمثال"بيرلمان وتيتكا" عند حديثهما عن البلاغة الجديدة، وكذلك "ديكرو وأنسكومبر " في التداوليات المدمجة، و"ميشال مايير" في نظرية المساءلة، و"تولمين" ومشروعه الحجاجي.

تعرف **البلاغة الجديدة** بأنها "نظرية الحجاج، التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عرض الحجج. كما تهتم البلاغة الجديدة -أيضا- بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثم يتطور،

(١) السابق، ص٦٢، ٦٣.

(٢) يُنظر: السابق، ص٧٠- ٧١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور... إنها تحتضن ما يسميه القدامى بفن الجدل؛ والبلاغة الجديدة على عكس الحديثة، لا تعنى بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيمة الجمالية، بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع."[١]

وظهركتاب (مصنف في الحجاج) وهو نتاج عمل مشترك بين (**شاييم بيرلمان وأولبريخت تيتكا**) ليعلن البداية الفعلية لاهتمام البلاغيين الجدد بقضايا الحجاج. إذ يُعد الكتاب من أهم مصنفات الحجاج واكثرها شهرة واكتمالاً وإلماما بقضاياه؛ وهدف الكاتب إلى إخراج الحجاج من تهمة المغالطة والمناورة، والتلاعب بعواطف الجمهور وعقله، وتلخيصه من صرامة الاستدلال الذي يجعل المتلقي في وضع الخضوع والاستسلام[٢]. وقد أعاد الباحثان صياغة مفهوم الحجاج، وحصراه في الحوار والحرية واستخدام العقل، فصورة الحجاج عندهما: "معقولية وحرية، هو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر، بعيدا عن الاعتباطية واللامعقول، اللذين يطبعان الخطابة عادة، وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل. ومعنى ذلك -كله- أن الحجاج عكس العنف بكل مظاهرة."[٣]

وهذا التعريف يضعنا في مركز التصور لدى كل من بيرلمان وتيتكا لموضوع الحجاج. فهو يدرس تلك التقنيات والآليات الخطابية الحجاجية التي تجعل ذهن المتلقي

(١) التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للنشر والدراسة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص١٥-١٦.

(٢) يُنظر: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مكتبة مسكلياني للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص١١.

(٣) الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف (في الحجاج - الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكا)، عبد الله صولة، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٢٩٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

في حالة من القبول والتسليم مقابل ما يعرض عليه من حجج تنفي او تثبت دعاوى معينة ؛ فالغاية من الحجاج عندهما " أن يجعل العقول تُذعن لما يُطرح عليها او يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو ما وُفِّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة."(١) ولقد عمد مؤلفا "مصنف في الحجاج" إلى حصر التقنيات أو الطرائق الحجاجية في ضربين: ضرب يقوم على الوصل والاتصال، وضرب يقوم على الفصل والانفصال.(٢)

فالمقصود **بالطرائق الاتصالية** تلك التي تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها، فتتيح بذلك قيام ضرب من التضامن فيما بينها؛ لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة، ولغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيا أو سلبيا.(٣) وطرائق الفصل أو الطرائق الانفصالية، هي تلك الطرائق التي تقوم على الفصل بين عناصر، تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها، ولها مفهوم واحد، وإنما وقع الفصل بينهما، وعُمد إلى كسر المفهوم الواحد، الذي يجمع بينها لأسباب دعا إليها الحجاج.(٤)

وتعد هذه النظرية التي تطورت على يدي "بيرلمان وتيتكا" من أبرز مباحث البلاغة الجديدة. وهي دراسة غير منعزلة عن باقي حقول اللغة والمعارف الأخرى. وقد تعمد رائدا هذه النظرية تفصيل نقطة انطلاق الحجاج. وهي المقدمات التي تتضمن كلا من: الوقائع والحقائق، والافتراضات، والقيم، والمواضع التي تتفرع إلى ضربين:

(١) في نظرية الحجاج - دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص١٣.

(٢) يُنظر: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا-، ص٣٢٤، ٣٢٥.

(٣) يُنظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧، ص٣٢.

(٤) يُنظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، ص٣٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أحدهما مداره الوقائع، وهو الخاص بالوقائع والحقائق والافتراضات، والآخر:مداره على المفضل، وهو المتعلق بالقيم ومراتبها بالمواضع.(١)

ويتبع مصنف "بيرلمان وتيتكا" مصنفا آخر، ينظر إلى الحجاج نظرة لسانية لغوية، وهو كتاب: (الحجاج في اللغة) **لأزفالد ديكرو وجون كلود أنسكومبر،** اللذين اهتما في نظرية الحجاج بدراسة الوسائل اللغوية وإمكانية اللغات الطبيعية، التي يستخدمها المتكلم بقصد توجيه خطابه إلى وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية.(٢)

فموضوع الحجاج في اللغة -إذن- "بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية، تمثل مكونا أساسيا، لا ينفصل عن معناه، ويجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما."(٣) وتنطلق الحجاج في اللغة من فكرة "مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وأن الوظيفة الأساسية للغة هي: الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية."(٤)

فالحجاج متأصل في اللغة، ولا يمكن فصل اللغة عن الحجاج، ولا فصل الحجاج عن اللغة، وذلك لأن "الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولا (ق١) أو مجموعة من الأقوال، يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق٢)، أو مجموعة من الأقوال. حيث (ق١) يمثل الحجة

(١) يُنظر: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الأمين الطلبة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ج(١) ص٥٠٥.

(٢) يُنظر: الحجاج والمعنى الحجاجي، أبو بكر العزاوي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الطبعة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٥٥.

(٣) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، ص٣٥٢.

(٤) إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص٤٥٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

التي ينبغي أن تؤدي إلى (ق٢)، ويكون (ق٢) قولا صريحا أو ضمنيًّا."[١]

كما أهتم المؤلفان بالبعد التداولي. فمجال البحث عندهما الدمج بين الدلالة والتداولية؛ لأن الدلالة المدمجة في الحجاج لا تهتم بالبحث عن الأبعاد التداولية خارج نطاق اللغة، وإنما تبحث عن هذه الأبعاد داخل بنية اللغة ذاتها؛ لذلك رفضا "التصور القائم على الفصل بين الدلالة- وموضوعها معنى الجملة- والتداولية، وموضوعها استعمال الجملة في المقام من جهة، والسعي إلى سبْر كل ماله صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال التداولي المحتمل من جهة أخرى. فيكون مجال الباحث -عندهما- هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية)، المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن)."[٢] وبناء على ذلك فإن الجملة ليست بالمعنى الحرفي، وإنما بدلالتها التي تظهر لنا في سياقات التلفظ ودمج حجاجها باللغة. فالحجاج- عندهما- مرتبط بالاستعمال، ومن ثم التركيز على عمليات التخاطب ومقامات الخطاب.

وقد لاحظ ديكرو وأنسكونبر أن الحجاج ليس بدرجة واحدة في القوة، بل تتفاوت درجته ضعفا وقوة. وينعكس ذلك على المتلقين. فـ"استنتاج النتيجة من الحجة الأكثر قوة يقصي إمكانية اللجوء إلى الحجة الأقل قوة. بهذا المعنى تنتظم الفئة الحجاجية بواسطة علاقة سليمة، أطلق عليها ديكرو (السلم الحجاجي)."[٣]

وعلى ذلك نجد "نظرية الحجاج في اللغة" عند ديكرو وأنسكومبر قد تضمنت مجموعة من القضايا التي أسهمت في تطوير نظرية الحجاج بشكل كبير. فقد فتحت المجال للبحث اللغوي - خاصة- بعدِّه أحد أهم مكونات القول الحجاجي. ووظفت هذه

(١) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، ص٣٣.

(٢) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، ص٣٥١.

(٣) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية واللسانية والمنطقية، محمد طروس، ص٩٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

النظريـة مجموعـة مـن المفـاهيم والمصـطلحات الحجاجيـة، التـي تعتمـد علـى الـدرس اللساني من ذلك مثلاً: الروابط الحجاجية، وهي تلك التي "تـربط بـين قـولين أو حجتـين على الأصح أو أكثـر، وتسـند لكـل قـول وظيفـة محـددة داخـل الإسـتراتيجية الحجاجيـة عامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات الآتية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن..."(١).

والعوامل الحجاجيـة، فهي"عناصـر لغويـة، تنتظمهـا غايـة واحـدة. وهـي تحقيـق الخطاب للإقناع في عملية التواصل."(٢) كما درست نظريتهما ضمان الربط بين الحجة والنتيجـة؛ لأن وجـود الـروابط والعوامـل الحجاجيـة لا يكفـي لضـمان صـحة العمليـة الحجاجية، فلابد من وجود ضامن يضمن الـربط بينهمـا. كـان هـذا الضـامن مـا يعـرف بـ(المباديء الحجاجية)، التـي تتمثـل فـي: "الأفكـار المشـتركة، والعموميـة، والتدرجيـة والنسبية."(٣)

يتحدد الحجاج عند **تولمين** في كتابه (استعمالات الحجاج) في أنه حجاج منطقـي. فيجعل من الوظيفة التعليلية أساسًا للحجاج، مستندا فـي ذلـك علـى المنطـق فـي تنظـيم الحجج وفق وظيفة التعليل" وهو الوظيفة الأساسية للحجـج، ومـا عـداه مـن اسـتعمالات ووظائف، ثانوي ومشوش."(٤) و يمكن تحديد مفهوم الحجاج عند "تولمين" عـن طريـق الرسوم التي صاغها عبدالله صوله. إذ نجد "الرسم الحجـاجي ذا ثلاثـة أركـان أساسـية، هي: المعطى (م)، والنتيجة (ن)، والضمان (ض):

(١) الحجاج والمعنى الحجاجي، أبـو بكـر العـزاوي، ضـمن كتـاب: التحـاجج طبيعتـه ومجالاتـه ووظائفـه، ص٦٤.

(٢) العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين، تونس، الطبعـة الأولـى، ٢٠١، ص٢١.

(٣) الحجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، ضمن كتاب: الحجاج مفهومـه ومجالاتـه، عـالم الكتـب الحـديث، الأردن ن الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ج(١) ص٦٥.

(٤) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية واللسانية والمنطقية، محمد طروس، ص٦١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

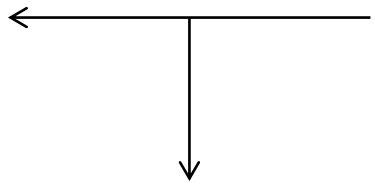

م إذن: (ن)

نظرا إلى أن: (ض)

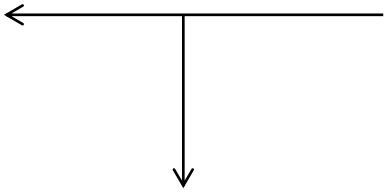

م: (علي تونسي) إذن: (ن) هو ليس شيعيا

نظرا إلى أن: (ض): أغلبية التونسيين المطلقة ليسوا شيعة[١]

إن مفهوم الحجاج عند "تولمين" يقوم أساسه على البرهان المنطقي فـ"الحجاج والمنطق -عنده- ليسا في حالة تصادم، وهو لم يلقِ بالحجاج خارج المنطق، وإنما قام بعتق المنطق من تشكيله الرياضي ودفعه باتجاه الحجاج."[٢] غير أن عبد الله صولة لا يطمئن لنظرية تولمين الحجاجية، لأنه يرى" أن أركان تولمين الثلاثة (م، ن، ض) يذكرنا عدده، ونهج الاستدلال المتوخى فيها بنهج الاستدلال الأرسطي في بناء الأقيسة المنطقية على طريقة (صغرى، كبرى، نتيجة)، وهو بناء يشير تولمين إليه صراحة، ملاحظًا بساطته وعدم قدرته على استيعاب كافة الحجج."[٣]

ويعرف **ميشال مايير** الحجاج بأنه "دراسة العلاقة بين ظاهر الكلام وضمنيه."[٤] وعلى ذلك فالحجاج - عنده- يقوم على الصريح والضمني. فالحجاج الضمني هو الذي يوجد في معنى الجملة الحرفي إشارة حجاجية تؤدي إلى ظهوره وفق

(١) يُنظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، ص٢٢-٢٣.

(٢) تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، وجيل جوتييه، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، ص٥٩.

(٣) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، ص٢٥.

(٤) يُنظر: المرجع السابق، ص٣٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ما يمليه المقام، وتلوح بنتيجة إما تكون مقنعة أو غير مقنعة.(١) وارتبط الحجاج عنده بالكلام أو لغة التخاطب لأن "الكلام وما يتضمنه يدفع إلى الحجاج، وليست توظيفة الحجاج سوى استغلال ما في الكلام من طاقة وثراء."(٢)

كما يرى أن طبيعة الكلام تُبنى على السؤال والجواب وهي التي تنتج الحجاج. فالسؤال والجواب يحدثان النقاش بين المتحاورين. فيرتبط الحجاج عند مايير بنظرية (المساءلة)؛ لأن كل الكلام -عنده- قائم على التساؤل، الذي ينتهي في الأخير بعملية الاستنتاج.(٣) فالحجاج -عنده- يتشكل في ثلاثة أركان رئيسة، هي:

أولًا: المساءلة

ثانيًا: الكلام أو اللغة

ثالثًا: البلاغة.

وهذه النظرة وليدة انفتاح تصورات "مايير" عن الفلسفة اللغة، ويلاحظ أن ما يميز تلك التصورات أن كل آرائه جاءت مُغلفة في إطار فلسفي يغلب على منهجه.(٤)

ومن "نظرية المساءلة" نجد مايير يكمل جهود المنظرين للحجاج، ويجعل لها بُعْدا فلسفيًّا. وهي "جهود تبقى متينة الاتصال بنظرية المعنى، المرتبطة بالسؤال أشدَّ الارتباط، وبالسؤال المنفتح على الأجوبة المتعددة، التي تتضافر المقاصد التداولية (ظروف إنجاز الخطاب) والتأويلية (علاقة السؤال بالجواب) والبلاغية الحجاجية

(١) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، ص٣٧.

(٢) معاني ألفاظ القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة - السور السبع الطوال أنموذجا - دراسة دلالية معجمية، سعيد فاهم، رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، ص٢٠.

(٣) يُنظر: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير، محمد علي القارصي ص٣٩٤.

(٤) يُنظر: معاني ألفاظ القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة - السور السبع الطوال أنموذجا، سعيد فاهم، ص٢٠- ٢١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أساسًا في تحقيقه."[١]

وتعد "نظرية المساءلة" واحدة من أهم النظريات المعاصرة، التي قامت بمعالجة الخطاب، الذي يتم داخل عمليات التخاطب خاصة، سواء أكان تواصلا عاديًّا أم حجاجًا، يهدف إلى الإقناع.[٢]

إن المتتبع للدراسات العربية المعاصرة في مجال الخطاب الإقناعي يلحظ عناية فائقة به. وقد واكب الباحثون العرب من المحدثين والمعاصرين هذه النظرية، فبذلوا الجهد في قراءة التراث الغربي والعربي، محاولين بذلك بناء نظرة جديدة في الدرس الحجاجي على ضوء المقولات النقدية المعاصرة، حيث يمكن القول إنهم جعلوا من الحجاج علمًا قائما بذاته، فصنفوا مؤلفات عديدة تهتم بدراسة هذا النوع من الخطابات، إضافة إلى محاولة حصر الحجاج نظريًّا، وتتبع تاريخ الدارسين العرب في هذا المجال. ومن بين الذي أسهموا في ثراء هذا الدرس الحجاجي **طه عبدالرحمن**، الذي يُعدُّ واحدا من أبرز الدارسين العرب، الذي عالجوا مسائل الحجاج، بعدِّه أبرز آليات اللغة المستخدمة للإقناع. إذ ينطلق الحجاج عنده من كونه صفة للخطابة لأن "الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المدَّعي، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المعترض."[٣]

والحجاج عنده يُبنى على قصدين، الأول: قصد الادعاء، والآخر: قصد الاعتراض، والادعاء هو" الاعتقاد الصريح للخطاب لما يقول من نفسه وتمام

(١) البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير، محمد علي القارصي، ص٤٠١.

(٢) يُنظر: عندما نتواصل نغير - مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبدالسلام عشير إفريقيا الشرق الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، ص١٩٦.

(٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص٢١٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة. إذن فالمدعي هو عبارة عن المخاطب، الذي ينهض بواجب الاستدلال على قوله."[١] أما قصد الاعتراض يكون من المُخاطَب أو المنطوق له. "وهو عبارة عن المخاطَب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدعي."[٢] وعلى ذلك يصح أن المنطوق يكون خطابا بتوافر(الادعاء والاعتراض). فحد الحجاج "كل منطوق به، موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها."[٣] وهو بهذا التعريف يهتم بالجانب الشكلي، الذي يظهر به الحجاج. بداية بالتلفظ ثم الإفهام، لكنه لا يتجاوز إلى أن يصل به إلى الغرض التداولي للحجاج، وهو الإقناع.[٤] فالحجاج - وفق هذه الرؤية العامة- وسيلة من وسائل الإقناع، التي يتوسل بها المرسل أو المخاطِب ليأثر في المتلقي، أو دحض آراءه ليغير من سلوكه. فيجب في عملية التخطاب بين المتخاطبين أن يكون بينهما علاقة استدلالية.

ويتوسع طه عبدالرحمن في كتابه (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام) في مفهوم الحجاج عندما يقارنه بالبرهان، فالبرهان ينبني على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق والعمل بالمقاصد. فهو"فعالية تداولية استدلالية خطابية. مبناها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض، أو ببطلان المعترض عليه استنادا إلى مواضعات البحث عن الحقيقة الفلسفية، مما يجعل الحجاج الفلسفي التداولي بناءً مثنويًّا تقابليًّا، يتواجه فيه (عارض ومعترض)، ويتوجه كل منهما بآليات إقناعية خاصة وحقوق وواجبات محددة."[٥]

---

(١) السابق، ٢٢٥.

(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، ص٢٢٦.

(٣) السابق، ص٢٢٥.

(٤) يُنظر: إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، ص٤٥٦.

(٥) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ⇦=

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وقد أعطى الحجاج صفتين رئيستين وهما: التداول، والإقناع. فهو تداولي؛ لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي. فهو يراعي مقتضيات الحال من المعارف المشتركة. وهدفه إشراك الجميع في إنشاء معرفة عملية[١]. وهو بهذه الصفة يسمح للجميع بالاشتراك في الحجاج دون استثناء. وهو جدلي كذلك؛ لأن هدفه الإقناع. يُلتزم فيه بصور استدلالية أوسع من البنيات البرهانية، فلا يُبنى على صدور القضايا - وحدها- كما في البرهان، بل يُبنى على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها، ويُبنى على كثير من المقدمات، وكثير من النتائج. فيفهم المخاطب أكثر من المنطوق؛ بناء على قدرة المخاطب إلى استحضارها[٢]. لذا فالحجاج أوسع من البرهان؛ لأن البرهان منحصر في قواعد معروفة، فهو كآلة تُعيد هذه القواعد على عكس الحجاج، الذي يتصف ببنيات واسعة، ويُتيح مقدمات كثيرة للحصول على نتائج كثيرة.[٣]

ونجد أن الحجاج عند طه عبد الرحمن ذو طابع فلسفي، يعتمد فيه على أصول منطقية. فصنف الحجاج على اعتبارات مختلفة، كما ركز على السلم الحجاجي بوصفه عمدة في الحجاج. وذهب إلى دراسة الاستعارة من وجهة النظر الحجاجية.[٤]

أما **محمد العمري**؛ فقد تنبه مبكرا إلى تأثير الحجاج في قراءة النصوص الخطابية، فتناول الحجاج من منظور بلاغي إقناعي في كتابه الذي عنوانه:(الخطاب الإقناعي)، وكان متأثرا فيه بفلاسفة اليونان، ومعتمدا على بلاغة الخطاب الأرسطية، التي ربطها -أيضًا- بالإقناع، يقول: "وبدأ الحنين من جديد إلى ريطورية أرسطو، التي

= بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠م، ص٦٦.

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، ص٦٥.

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، ص٦٥.

(٣) يُنظر: الحجاج في كتاب (المثل السائر) لابن الأثير، نعيمة يعمرانن، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، الجزائر ٢٠١٢، ص١١.

(٤) يُنظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن ٢٧- ٢٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال."[١]

ويربط الخطاب التداولي الإقناعي بالبلاغة ربطا قويا، حيث يجعله الوجه الأول للبلاغة. أما الوجه الثاني؛ فهو التخييل، "فالبلاغة تضم في جانبٍ منها كل الخطابات التخييلية من شعر وسرد وغيرهما، كما تضم في جانبها الثاني كل مكونات الخطاب التداولي... فبلاغة الخطاب الإقناعي تقابل بلاغة الخطاب التخييلي وتتداخل معها."[٢] وحاول العمري تتبع الخطاب الإقناعي في خطب العرب في القرن الأول الهجري، وكان معتمدا في هذه الدراسة على أسس الحجج والبراهين الخطابية، وركز خلال هذه الدراسة على عنصرين: المقام وصور الحجاج المختلفة من قياس ومثل وشاهد. وتوصل في دراسته إلى أن الخطابة العربية هي خطابة منافرة ومفاخرة، وميالة إلى المدح والهجاء، ولم تعتمد الحوار الهادئ القائم على الحجة إلا في مناسبات محدودة، لذلك ينظر إلى كون الحجاج والبرهان أضعف عناصر بنائها.[٣]

كما اهتم العمري بدراسة مفهوم البيان عند الجاحظ في كتابه (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) فعاد إلى تسمية المصطلحات الحجاجية إلى أصولها البلاغية القديمة، إذ جعل قوام البيان عند الجاحظ الفهم والإفهام.فالفهم -عنده- معرفي، وفيه إيضاح المعنى وتوصيل المعرفة، أي الاستمالة، والإفهام إقناعي، وفيه التأثير بالحجة، أي الاحتجاج. فالبيان عند الجاحظ تتنازعه وظائف ثلاثة، هي: الوظيفة الإخبارية- ويمكننا تسميتها بالمعرفية؛ لأنها تُظهر الأمر على وجه الإخبار بقصد الإفهام-والوظيفة التأثيرية، ويكون فيها الاستمالة وخلب القلوب،أما الوظيفة الحجاجية؛ فتكون في حالة

(١) في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م ص١٣.

(٢) في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، محمد العمري، ، محمد العمري، ص٦.

(٣) يُنظر: السابق: ص٢٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الخصام،فيبرز فيها وجه الاحتجاج.(١)

إن انكباب الدارسين العرب على الموروث البلاغي القديم أسهم بشكل كبير في المقاربة بين النتاج الفكري للقدماء، لا سيما بين الجاحظ وبين النظريات الحجاجية الحديثة، التي جاءت واضحة المعالم في نظريات التواصل والإقناع.

ويربط **أبو بكر العزاوي** الحجاج باللغة ارتباطا وثيقا، وحاول التعريف بكل المفاهيم الحجاجية، فعرف الحجاج بأنه "تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب. وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من القوال، بعضها يمثل الحجج اللغوية، بعضها الآخر يمثل النتائج، التي تستنتج منها. إنَّ كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضًا، وأساسًا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية، التي تم توظيفها وتشغيلها.(٢) كما تحدث عن السلم الحجاجي وأهم قوانينه، كما انتقل إلى بيان الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية ومدى ارتباطها بالمبادئ الحجاجية. كما نبه إلى أن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية.(٣)

كما فرق العزاوي بين الحجاج والبرهان أو الاستدلال المنطقي. "فالخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيًّا بالمعنى الدقيق للكلمة. فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي. فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية"(٤). ويمكن

(١) يُنظر: البلاغة العربية أصولها وامتدادتها، محمد العمري، ص٢١٢- ٢١٣.

(٢) يُنظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطباعة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص١٦-١٧.

(٣) يُنظر: السابق، ص٢٤-٣٤.

(٤) السابق، ص١٥- ١٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الاستعانة بالرسم البياني الآتي للأمثلة، التي ضربها العزاوي في التفريق بين الحجاج والبرهان:

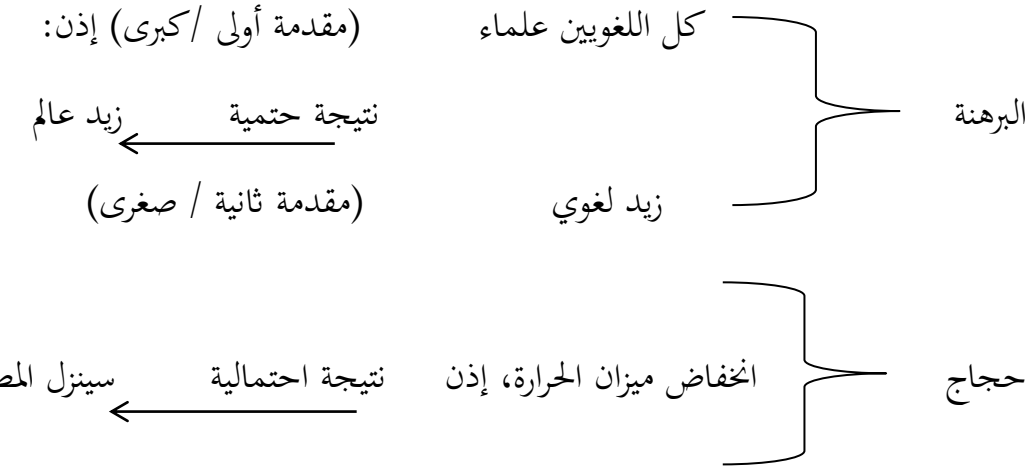

فالنتيجة في المثال الأول حتمية وضرورية؛ لوجود أسباب منطقية؛ لأن مضمون النتيجة في إحدى المقدمتين، أما استنتاج نزول المطر في المثال الثاني فهي احتمالية نسبية. فشرط حدوث النتيجة تحتاج إلى معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول. فليس كل انخفاض في درجة الحرارة تؤدي إلى نزول المطر.(١)

وقد أسهم **حمادي صمود** بشكل كبير في بناء الدرس الحجاجي. إذ نظر إلى الحجاج على أنه "علاقة بين طرفين، أو عدة أطراف تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يُوجه به فعله، أو يثبت لديه اعتقادا، أو يُميْله عنه، أو يصنعه له صنعًا."(٢)

ويرى صمود أن ظروف نشأة الخطابة اليونانية والحاجة إليها تختلف اختلافًا كليا عن ظروف نشأة البلاغة العربية.فالخطابة اليونانية في نظر أرسطو تتوسط بين قولين (جدلي،شعري) ؛ أي أن مجالها الخلاف والاختلاف؛ لأنها مبنية على الحجاج،

(١) يُنظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص١٥.

(٢) من تجليات الخطاب البلاغي، حمادي صمود، دار قرطاج للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

فالغلبة فيها للمتمكنين في اللغة والسلطة. أما البلاغة العربية فقد ظهرت في أحضان الشعر، والمتفوق فيها لابد أن يكون قادرا على إجادة القول والتعبير بالصور وحسن الإيقاع.(١)

ومن هذا العرض السريع، لأهم رواد الحجاج المعاصرين يمكن القول إن: الدرس البلاغي العربي عرف محاولات عديدة منذ ثلاثينيات القرن الماضي، لتطوير الدرس الحجاجي وإعادة صياغته في شكل جديد، وكانت تلك المحاولات تدور بداية حول تصنيف المواد البلاغية، لكن مع دخول الدرس اللساني الحديث بدأ هذا الدرس يشهد نوعا جديدا عن طريق الاستعانة بالمفاهيم التداولية الحديثة،كما ظهرت دراسات توظف كلا من البلاغة القديمة واللسانيات المعاصرة في تحليل بعض الأجناس.(٢) وهو صورة شائعة في عدد من الحقول المعرفية التي تنزع في تطورها إلى التداخل فيما بينها.

ولذلك يلاحظ أن الباحثين العرب حاولوا التجديد،كما حاولوا الموائمة بين ماجاء به التراث العربي من مفاهيم وما جاءت به الدراسات الغربية الحديثة، لكن غلب على البحوث العربية أنها لم تكن إلا تفسيرا وشرحا لما جاء في البحوث الغربية.

(١) يُنظر: الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين طلبة، **ص**٢٧٧.

(٢) يُنظر: الحجاج في النص القرآني - سورة الأنبياء نموذجا، إيمان دردوني، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحجاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٣م، ص٢٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ثانيًا

الإقنـــــاع والحجـــاج

إن ارتباط الحجاج بالإقناع أمر لا يُشك فيه، فهو الوجه الآخر للحجاج فالإقناع لُبّ العملية الحجاجية، حيث تكمن أهمية الحجاج فيما يولده من اقتناع لدى المرسل إليه، فإذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل، أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج كما ذكر بيرلمان وتيتيكا، ومن ثم كانت أنجع حجة عندهما هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الإذعان عند من يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل، أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما يحقق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة.(١) إن نجاح الحجاج يتوقف على تحقيق الإقناع من قبل المتلقي في المستقبل بعد التلفظ بالخطاب، سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه أو الرغبة في تطبيق ما يلقى إليه من قبل الطرف المحاجج، فنتيجة الحجاج إذن مستقبلية.

ولما كان الإقناع يتحقق بطرح الحجج كان الحجاج هو وسيلة الإقناع، ومن ثم فإن الحجاج والإقناع جزءان من عملية واحدة ولا اختلاف بينهما إلا في التوكيد بحسب ما يراه أوستين فريلي، حيث يولي الحجاج عنده الدعاوى المنطقية أهمية خاصة، ولكنه يجعل من اختصاصه أيضا الدعاوى الأخلاقية والعاطفية، أما الإقناع فإنه ينعكس على التوكيد الذي يبطل ضده.(٢)

ولكي يتولد الإقناع عند المرسل إليه بالحجاج لابد أن يختار المرسل من الحجج

(١) يُنظر: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ص٤٥٦، ٤٥٧.

(٢) يُنظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠١٤م، ص١٤٩.

reply_W30xG ١٤٤١/٠٨/٠١ Ali Fattani

ما يناسب السياق، ثم يصوغها في قالب لغوي مناسب ليخاطب بها عقل المرسل إليه، وعليه فالحجاج عرضة للتغيير والتحوير في بنائه وأنساقه التي يقوم عليها، وذلك تبعا لتغير المقام وتغير ظروف المحاجج حتى وإن ظل موضوع النقاش هو ذاته.(١)

وليس الهدف من الخطاب الحجاجي إبراز قوة المخاطِب اللغوية، أو حتى استعراض مهارته بل لأنه خطاب "غايته القصوى إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار وما يعرضه من مواقف أو إغرائه بهذه الأفكار وتلك المواقف، ليحدث في نهاية المطاف أثرا واضحًا في المتلقي لا من حيث أفكاره فحسب، بل من حيث مواقفه وما قد يكون له من سلوك واقعي ملموس."(٢)

كما أنه ليس بالضرورة أن يكون كل نص إقناعي نصا حجاجيا؛ لأنه لا يعبر بالضرورة عن قضية خلافية، في المقابل نجد أن كل نص حجاجي نص إقناعي، وعليه فإن ما ذكره بعضهم من أن كل اتصال هدفه الإقناع ؛ وذلك بالبحث عن تحصيل رد فعل أفكار القائم بالاتصال فالمقصود بالإقناع -هنا- معناه العام، وليس الإقناع الحجاجي الذي يصدر عن وسائل منطقية ولغوية خاصة، ويُبنى على فرضية خلافية.(٣)

نستنتج من ذلك أن الإقناع يحمل معنى الحجاج ؛لأن الإقناع غاية كل حجاج، والحجاج وسيلة الإقناع كما أن الحجاج أعم من الإقناع، إذ له وسائله اللغوية واللسانية والبلاغية المتعددة، ويعد إنشاء الخطاب الحجاجي من الممارسات العملية التي تؤدي إلى الإقناع، بل إن الحجاج هو البديل عن العنف في نظرية الحجاج،إذ يمكن وفق كل من بيرلمان وتيتيكاه أن نسعى إلى تحقيق النتيجة -نفسها- باعتماد إحدى وسيلتين،

(١) يُنظر: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ص٤٥٧.

(٢) الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص٣٥.

(٣) يُنظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، ص١٤٩، ١٥٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وهما: العنف أو الخطاب.(١)

والحجاج أداة فعالة للتواصل مع الآخرين،أو بناء جسر لحوار تفاعلي.والخطاب الحجاجي الديني ينطوي على أبعاد تداولية عملية،تتميز بالتفاعل لتحقيق النفع ودفع كل مضار، وهو خطاب يُمارس بالقول الطبيعي، تحكمه سياقات مختلفة، ومعانٍ متعددة، وبما أن التراكيب اللغوية للخطاب منفتحة على معانٍ لا تحصى فهو مزية لها؛ إذ لا يحد من قيمتها التبليغية والإقناعية ؛لأن ذلك "يكسبها الطواعية الكافية لجعلها تستجيب لأغراض التبليغ التي لا تحصى."(٢)

(١) يُنظر: الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، مقاربة تداولية، عبدالهادي الشهري، الانتشار العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص٣٩.

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، ص٩٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ثالثًا

الحجاج بين البلاغة والخطابة

الخطابة من الأجناس النثرية الحجاجية، وهي أحد أهم أشكال الكلام الذي يحمل رسائل مباشرة للمتلقين على اختلاف توجهاتهم وميولهم، هدفها استمالتهم والتأثير فيهم ثم التغيير في سلوكياتهم، وذلك عن طريق التقنيات الحجاجية والبراهين والأدلة، فالخطابة هي: "فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته"[١] والخطابة هي فعل منجز يتوسل بتقنيات وإستراتيجيات بين الخطيب والمتلقين، ومن هنا تبدو علاقة الحجاج بالخطابة، علاقة ظاهرة بينة لاشتراكهما في جانبي التأثير وقوة العبارة ونجاعة الكلام.[٢] فالخطابة من أهم الفنون التي تُبنى على الإقناع.

وقد ميز أرسطو النص الخطابي عن النص الشعري، وجعل عناصر بناء الخطابة ثلاثة: وسائل الإقناع أو البراهين، والبناء اللغوي أو الأسلوب، وترتيب أجزاء القول، وهذه العناصر تنطبق على الخطابة العربية إلا أن جمال الأسلوب يكون المقدم على الإقناع؛ لأن الثقافة العربية تهتم بالبيان واللغة[٣] ثم إن البلاغة الجمالية بكل ما تحمله من أساليب ذات بعد أصيل في الإقناع، فـ"مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم؛ لأنه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة ولا المعاني

(١) فن الخطابة، أحمد محمد الحوفي، دار النهضة للطابعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ص٥.

(٢) يُنظر: الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، علي الشعبان، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص١٤-١٥.

(٣) في بلاغة الخطاب الإقناعي - مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، محمد العمري ص٢٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب لها."[١] في هذا التعريف للبلاغة نجد (الخطابة، الحجاج، البلاغة) قد جمعها ابن الأثير ضمنا في هذا التعريف. وإن التداخل كبير جدا بين هذه الثلاثية سواء في تحديد المفهوم أو في تحديد الوظيفة. وقد تناول القدماء الحجاج في إطار الخطابة؛ إذ إنه لا خطابة بدون مقام معين وجمهور معين يعمل الخطاب على إقناعه، وتلك هي الغاية من التقريب بين الحجاج والخطابة[٢]

كذلك فإن البلاغة منذ نشأتها - في اليونان - قد اقترنت بالحجاج في خطابة أرسطو، إذ ينطلق من أن البلاغة هي: "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان."[٣] فقصر البلاغة على الإقناع، والميدان الذي يتلائم، والإقناع هو ميدان الخطابة بالدرجة الأولى، والخطابة صناعة مدارها إنتاج قول يعني به الإقناع في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش، بمعنى أنها علاقة بين طرفين، تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا[٤] ، وهذا هو عين الحجاج.

وإذا كان أرسطو ينظر للبلاغة على أنها هي ذات الخطابة فإننا نجد في التراث العربي فرقا واضحا بين كل من:الخطابة والبلاغة ؛لأن البلاغة أعم وأشمل من الخطابة التي ما هي إلا جنس من أجناس الأدب. فالخطاب الإقناعي احتل مركز الصدارة في التراث البياني العربي، والجاحظ " أول من أفاض الحديث عن الخطبة،

(١) المثل السائر، ابن الأثير، ج٢ ص٦٤.

(٢) يُنظر: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص٢١.

(٣) الخطابة، أرسطو، ص٢٩.

(٤) يُنظر: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح من كتاب"أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم": حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص١٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وسياق الخطبة، والتوسع في وظيفة كل طرف من أطراف العملية الحجاجية: المتكلم، والسامع، والنص، في جعل النص بليغا مؤثرا مقنعًا."(١)

والمتتبع لكتاب (البيان والتبيين) يجد أن الجاحظ قد ركز الاهتمام على الوظيفة الإفهامية والوظيفة الإقناعية ثم الوظيفة الإمتاعية للخطاب كما رأينا في تحديده لمفهوم البيان،كما يرى أن البلاغة: "إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز، ومعرفة الفصل والوصل"(٢) كما يعرِّف البلاغة على لسان العربي بقوله: "البلاغة: التقرب من المعنى البعيد، والتباعد من حشو الكلام، وقرب المأخذ، وإيجاز في صواب، وقصد إلى الحجة وحسن الاستعارة."(٣) ثم يعرض لنا تعريفا للبلاغة عند أهل الهند، وهو: "جماع البلاغة البصُر بالحجة، والمعرفة بمواقع الحجة"(٤) وهذا يعني أن المتكلم لا يكون همه السعي خلف الجانب الجمالي الفني في الخطابة بقدر ما يكون همه الأول من هذا الخطاب التأثير والسلطة على المتلقي، ثم تحقيق مقاصد الخطيب عن طريق خطابه فـ "الاقتدار على الكشف عما في النفس من غير فضول أو سلاطة أو هذر, ومن غير حبسة ولا عي، أي أنه الحد الأوسط المحمود بين الثرثرة التي لا جدوى منها، والإفهام الذي هو بمنزلة البكم."(٥)

هذه التعريفات الواسعة والشاملة للبلاغة عند القدماء وغيرها دفعت إلى قول بعض الباحثين المحدثين: "والمتأمل في مسرد تعريفات البلاغة التي أوردها الجاحظ

(١) السابق، ص٢١.

(٢) رسائل الجاحظ، الفصول المختارة من كتب الجاحظ اختيار الإمام: عبيد الله بن حسان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، شرح وتعليق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٣ م، ج٢، ص١١٣.

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ، ج١، ص٤٧.

(٤) السابق، ج١، ص٨٨.

(٥) السابق، ج١، ص٥٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

في البيان والتبيين يقطع في غير شك أنَّ البلاغة هي الحجاج، وذلك أن كل حد من هذه الحدود التي عرض لها الجاحظ تتناول قضية من قضايا الحجاج الكبرى، وآلية من آليات اشتغاله في الخطاب، فالفصل والوصل، وتصحيح الأقسام، والبصر بالحجة، والتماس حسن الموقع، ومعرفة ساعات القول إلى غير ذلك من القضايا. فهي إما أن تدخل مباشرة في مسائل الحجاج وإما أن تكون من المسائل الحافة به."[١]

والبلاغة عند أبي هلال العسكري: قول مفقه في لطف،" فالمفقه: المُفهِم واللطيف من الكلام: ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس به القلوب المستوحشة وتلين به العريكة الأبية المستعصية ويبلغ به الحاجة وتُقام به الحجة."[٢] فالأهداف الحجاجية تكمن خلف اللطيف من الكلام التي تستلطفه القلوب فيحصل الإفهام للمتلقين، والبلاغة " كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن."[٣] نلاحظ أن جمال العبارة واللطف في القول وظهور الحسن من الكلمات التي تُقام به الحجة كانت من أولويات أبي هلال العسكري، وهذا يؤكد أن البلاغة على مر الزمن تركزت على جانبين: الامتاع والإقناع، وهما حدا البلاغة وركنيها الأساسيين.

إذن لم تكن البلاغة في العصور القديمة مرادفة في دلالتها لنظرية (الأسلوب) أو ما يرتبط بتحسين الألفاظ. وقد أشار (بول ريكور) إلى المجالات التي كانت تشغلها بلاغة أرسطو، وهي نظرية الحجاج التي تمثل المحور الأساس، ونظرية الأسلوب ونظرية تأليف الخطاب[٤] فالبلاغة بمعناها الشامل والكامل يشمل المضمون والشكل

(١) كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، علي محمد علي سلمان، ديموبرس للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص٥٢.

(٢) الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص٤٩.

(٣) السابق، ص٨.

(٤) يُنظر: الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي: الحجاج بن يوسف الثقفي نموذجا، عمارية حاكم، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة أبي بكر بلقايد - =⇦

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

فهي: "ملكة يُؤثر بها صاحبها في عقول الناس وقلوبهم عن طريق الكتابة والكلام، فالتأثير في العقول عمل الموهبة المعلّمة المفسرة، والتأثير في القلوب عمل الموهبة الجاذبة المؤثرة، ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكمل صورة."(١)

نستشف من تأملنا لمفاهيم البلاغة عند علماء العرب أن هناك ربطا قويا بين الحجاج والبلاغة ؛ لأنه في نظرهم كلما كان القول بليغا مقنعا يؤثر في سلوكيات المخاطبين ويدفعهم إلى تغيير مواقفهم أو آرائهم أو معتقداتهم كان ذلك لبُّ البلاغة وأساسها، وحُكم على قائله بالبلاغة والفصاحة.وللبلاغة أهمية كبيرة في عملية الإقناع،إذ تعدُّ أهم وسيلة يعتمدها الخطباء والشعراء للتأثير في السامعين عاطفيا وعقليا. فالبلاغة بأقسامها المعروفة من معاني وبيان وبديع تؤثر في التذوق الفني والوجداني للمتلقي، ويحدث تبعا لذلك التأثير العقلي الذي به يحدث الإقناع.

وقد برز الاهتمام بالحجاج في الدرس البلاغي المعاصر عن طريق الحقلين: النقدي خاصة واللساني عامة، وفي مجالي: المشافهة والكتابة. فالثورة التي عرفها الدرس اللغوي حديثا ألقت بظلالها وآثارها على مجمل آليات التحليل والتأويل، وتم بموجبها التعرف على خصوصيات التراث البلاغي، وما فيه من جماليات شكلية ومضمونية.(٢)

فنجد أن اهتمام البلاغيين المحدثين من الغرب توجه إلى ما يُعرف بالبلاغة الجديدة، التي أثارت الحجاج عن طريق "مصنف في الحجاج والبلاغة الجديدة "لبيرلمان وتيتكا"، التي يمكن تعريفها بأنها: "نظرية عامة للمحاججة بكل أشكالها

= تلمسان، ص٤٤-٤٥.

(١) دفاع عن البلاغة، ، أحمد حسن الزيات، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م، ص٣٤.

(٢) يُنظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين طلبة ص٧-٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الشرعية والسياسية والأخلاقية والجمالية والفلسفية."[١] فالبلاغة الجديدة هي نظرية عامة، تناولت كيف يكون الإقناع في اللغة، ونظرية البلاغة الجديدة أضفت بعدا عقليا، حيث أخرج بيرلمان الحجاج من تهمة التلاعب بالجمهور، كما اخرجه من قيود المنطق وقربه من استعمالات اللغة. فالفعل المترتب على الحجاج ليس موصلا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، وإنما هو فعل هيأ له العقل والتدبر والنظر.[٢] كما أن البلاغة الجديدة عند بيرلمان ليس مجالها العناية "بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيم الجمالية؛ بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع خاصة، ووسيلة للإبداع أي الحضور"[٣] عامة. وهكذا نلاحظ أن دراسة الحجاج وطرق الإقناع هي محور البلاغة وأساسها الذي يرتكز عليها المحدثون الغربيون. فميشال مايير يعرف البلاغة بأنها "جهد إقناعي وبعد جوهري في اللغة ؛لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه."[٤]

هذه النظرية الحجاجية التي وسمها بيرلمان بالجديدة جعلته يعتبر أن البلاغة مطابقة لنظرية الحجاج ويحصر الأولى في الثانية، لأن البلاغة الجديدة تهتم بوسائل الإقناع والحجاج، كما تدرس تقنيات الإقناع في الخطاب، سواء أكانت هذه التقنيات فنية أم لغوية، فهي لابد أنها تؤدي وظيفة حجاجية.[٥]

---

(١) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزوالد ديكرو، جان ماري سشفاير، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، ص١٦٣.

(٢) يُنظر: الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف (في الحجاج: الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكا)، عبدالله صولة، ص٣٠١.

(٣) التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر دمشق، ٢٠٠٨، ص١٦.

(٤) الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين طلبة، ص١٠٣.

(٥) يُنظر: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم محمد الأمين، مجلة ⇦=

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والبلاغة عند ديكرو: "فن ابتكار الاختيار والتعبير المُزيّن بشكل ملائم، الذي يمكن استخدامه في الإقناع."[١] فجمالية العرض في الخطابة ليست الوظيفة الأساسية للبلاغة ولا الهدف الأسمى الذي تسعى البلاغة إلى تحقيقه كما ذكر الجاحظ. فالغاية القصوى عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، هي الخطاب الإقناعي الشفوي، وهو إقناع تقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال[٢].

هذه الدراسات سواء العربية أو الغربية منها أعادت الألق والتميز للبلاغة العربية، ونفضت عنها غبار الزمن، في الوقت الذي ظن كثير من الدارسين أن هذه البلاغة قد أصابها الجمود والركود. عندما اتجه كثير منهم إلى القول إن البلاغة العربية جمالية تهتم بالزخارف اللفظية والمعنوية، لكن بالعودة إلى ذلك التراث وجد الدارسون أن ما بها لم يكن جماليًّا امتاعيًّا تُزين به الألفاظ وتُنقش به المعاني، إنما جمعت بين الجمال والإقناع على نحو لا مثيل له. ويعد التراث العربي حلقة أساسية لفهم كل ما جاء الألسنيات الحديثة، وأكثر ما جاءت به إنما هو امتداد لهذا التراث.

وعلى هذا فإن هدف البلاغة هو: الإفهام وتحقيق الإقناع، وهذا الهدف هو ذاته الذي تسعى إلى تحقيقه الخطابة التي ظلت لصيقة للبلاغة لفترة من الزمن، ولعل هذا الارتباط الشديد بين البلاغة والحجاج جاء نتيجة لأن البلاغة علم عام، يشمل جوانب الإبداع عند المتكلم، كما يشمل جوانب التداول عند المتلقي و"يتبين لنا أن حدي البلاغة (الإمتاع والإقناع) تفرقا في تنظيرات عديدة -كل من وجهته -أديا إلى تضييق أُفق

= عالم الفكر، الكويت مجلد ٢٨، عدد ٣ يناير- مارس، ٢٠٠٠م، ص٥٦.

(١) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزوالد ديكرو، جان ماري سشفاير، ترجمة: منذر عياشي، ص١٦١.

(٢) يُنظر: المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، محمد العمري، ع٥، مجلة دراسات سيميائية أدبية، ١٩٩١م، ص١١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

البلاغة بما رحبت، فقد عمل بعضها على تأصيل البلاغة في اللغة، محيلا مكوني الأهواء والقيم إلى الظل، وتمحور بعضها الآخر حول فكرة الفن الخطابي والقدرة التأثيرية للخطيب على مخاطبيه، مما أدى إلى تقديم منظورات مبتورة تفصل بين المكونات الأساسية الثلاثة، هذا الفصل أدى إلى قطيعة فعلية بين البلاغة والحجاج، تبنتها مختلف النظريات البلاغية المعاصرة"[1]. الحجاج -إذن- هو القاسم المشترك بين البلاغة والخطابة، فالخطابة تستخدم الوسائل والآليات البلاغية،التي بها يستطيع الخطيب التأثير على المتلقين وإقناعهم.

إن الخطاب الديني الوعظي خطاب إنساني،له مدلولاته، ومعطياته وحدوده، ومرجعياته، وهو خطاب مرتبط بالسياق، ينطوي على قيم أخلاقية وتوجيهية، يثير نشاطا فكريا وذهنيا في المتلقي بهدف البحث عن علامات اهتداء إقناعية مستقبلية، لرسم مسار ديني وتوعوي بناء على معطيات حجاجية.

والخطاب الديني الوعظي، وخاصة (خطب الجمعة) إلى جانب الخطابات الأخرى له نصيب من الحجاج؛ لأن له بعدا سياقيًّا ولغويًّا يقوم على الدعوى ودحضها، أو إثباتها. وهنا يظهر العنصر الفاعل في هذا الخطاب وهو المتكلم أو المخاطِب، الذي يعرض دعواه مدعومة بتبريرات، ومجموعة من الأقوال، التي ترتبط ارتباطا منطقيا تستهدف إقناعالمخاطَب، والتأثير في سلوكه أو موقفه تجاه تلك الدعوى، وكلما ازدادت كفاءة المخاطِب أو الخطيب الحجاجية في العملية التواصلية ظهرت المبررات والحجج أكثر إقناعا، وأقوى دعما للنتيجة المرجوة.

ويسعى الخطاب الديني الإقناعي إلى الاستعانة بالحجاج؛ باعتباره بديلا فاعلا عن العنف، إذ يعتمد في صياغة منهجه الإقناعي على مبادئ منتظمة، تتأسس على القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية، كما أن الخطيب يروم التأثير ويقصد إليه فيتوجه

(١) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠١١م، ص٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

بخطابه لأصناف متعددة من المخاطبين. وتقتضي هذه الدراسة للحجاج نمطين مختلفين من أنماط التحليل، إذ يقوم الأول على: دراسة الحجة دراسة تجريبية من أجل الحكم على أثرها الذي تنتجه، أو الذي يجب عليها أن تنتجه عند المتلقي.(١) و هي الدراسة التي تتبع عمل هذه الحجاج وتأثيرها في على المخاطِب. أما النمط الثاني؛ فهو اتجاه منطقي يعمل على تصنيف الحجة ضمن نوع خاص، بناء على تقييمها انطلاقا من تصويبات معيارية نمطية يحتمل أن تنتمي إليها الحجة.(٢)

و عليه فإن ما ستقدمه هذه الدراسة لا يعدو أن يكون دراسة تحليلية للخطاب الديني عن طريق تصنيف الحجاج فيه سعيا إلى تعريفها، ومدى الأثر الذي أحدثته، ولن تخرج لغة خطب الكوكبة المُنيفة من دائرة المنجز اللغوي الحجاجي؛ لوجود الملامح الخمسة للحجاج، حسب (بيرلمان، وتيكتيكا)، وهي:

١. كونه موجه إلى مستمع.

٢. يعبر عنه بلغة طبيعية.

٣. مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

٤. لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

٥. ليست نتائجه ملزمة.(٣)

(١) يُنظر: حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، فضيلة قوتال، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ، ص٤٣.

(٢) السابق، نفس الصفحة.

(٣) يُنظر: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الأمين الطلبة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج (١) ص٤٩٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الفصل الأول

الخطاب الإقناعي وكفايات الخطيب

واشتمل على مدخل ومبحثين، جاءا على النحو الآتي:

- المبحث الأول: كفايات الإنتاج الموسوعية.
- المبحث الثاني: كفايات الإنجاز.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مدخـــــــل

يعد المخاطِب أو المرسل أهم العناصر السياقية التي تتشكل منها عملية إنتاج الخطاب،كونه "الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ به؛ من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد ذاته عن طريق بناء خطابه، باعتماد إستراتيجية خطابية، تمتد من مرحلة السياق ذهنيا والاستعداد له، بما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة، وبما يضمن تحقق منفعته الذاتية، بتوظيف كفاءته للنجاح في نقل أفكاره بتنوعات مناسبة."(١) وهو المسؤول الأول في العملية التخاطبية، إذ لا يوجد أي لغة طبيعية يمكنها أن تمارس نشاطها التواصلي إلا عن طريق المُرسِل الذي يفعل هذا التواصل ويحققه في الواقع، فبفضل التلفظ الذي يقوم به المخاطِب ينقل اللغة من المستوى الصوري الرمزي إلى المستوى التداولي "ويغدو الخطاب عندها مؤشرا على كفاءته بالقدرة على التكيف مع محيطه ؛ لأن الخطاب وفق مقول الكاتب، أو أقاويله بتعبير الفلاسفة العرب القدماء هو بناء من الأفكار. فالخطاب من هذه الزاوية إذا كان يعبر عن فكرة صاحبه؛ فهو يعكس -أيضا- مدى قدرته على البناء."(٢)

إن كل ما يصدر من المرسل أثناء إلقاء رسالته "خطابه" من إشارات ورموز وتغيرات في مستوى الصوت...أدلة تبين مُراد المتكلم وتظهر قصده من كلامه "فمن المسلم به أن حركة المتكلم، وأخلاقه، وعاداته، وأفعاله، وتغير لونه، وتقطيب وجهه، وجبينه وحركة رأسه، وتقليب عينيه تابع للفظه؛ بل هي أدلة مستقلة تفيد اقتران جملة

(١) إستراتيجيات الخطاب - مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص٤٥.

(٢) الخطاب العربي المعاصر- دراسة تحليلية نقدية، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٤م، ص١٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

منها ذات علوم ضرورية."[١]

إن هذه الوظيفة الفاعلة التي يحققها الخطيب في الخطاب تفترض مجموعة من الكفايات الخطابية التي يجب أن يتمتع بها الخطيب حتى يحقق الخطاب هدفه، وهناك كثير من الكفايات التواصلية التي يجب أن تتوافر في العملية الخطابية حتى يتحقق هدفها الاتصالي العام من الحجية والإقناع. فالتداولية المعاصرة تشترط تخطي معرفة القواعد الصوتية والصرفية والدلالية...إلى معرفة أعمق بالقواعد التداولية التي تكفل الفهم في مختلف مقامات التواصل، التي تختلف باختلاف مقاصد المتكلمين.[٢]

ويتأسس الإقناع في خطاب الوعظ على علاقة تفاعلية تربط بين أطراف التواصل المختلفة ؛ فلا يمكن الحديث عن تواصل ناجح في هذا النمط من الخطابات بالاقتصار فقط على المكونات البنيوية النسقية لخطاب الرسالة الموجهة للمتلقي.[٣] لذلك كان من التمام الحديث عن أهم الكفايات التي يجب أن يتحلى بها المتكلم من أجل إظهار الخفي وتوضيحه للسامعين، وذلك بالاستعانة بكل الوسائل اللسانية والإشارية لتحقيق الفهم والإفهام والإقناع، متكئا على الكفايات الأساسية للخطاب. وقد ميزت كاثرين أوريكوني بين أربع من هذه الكفايات: اللسانية، والموسوعية، والمنطقية، والبلاغة التداولية.[٤]

والمقصود بـ(كفايات الخطيب): هي تلك الإمكانيات اللغوية وجميع ما يسمح

(١) المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ج١، ص٢٢٨.

(٢) يُنظر: المحاورة - مقاربة تداولية، حسن بدوح، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص١٢٢.

(٣) يُنظر: بلاغة الإقناع في خطاب الوعظ، سعيد جبار، ضمن كتاب "بلاغة الخطاب الديني "، إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ، ص٢٢٥.

(٤) يُنظر: فعل القول من الذاتية في اللغة، كاثرين أوريكوني، ترجمة: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٢٤.

reply_W30xG ١٤٤١/٠٨/٠١ Ali Fattani

للمتلفظ بالإنتاج. فالمخاطِب تلزمه كفايات ليست لغوية فحسب، بل لابد له كذلك من كفايات أخرى غير تلك الكفايات اللغوية، نحو كفايات نفسية وثقافية وتداولية.ومن ثم فالكلام الذي ينتجه المتكلم هو تحويل نوعي للغة إلى خطاب تحكمه عناصر أخرى غير لغوية تفرض أن ننظر إلى اللغة بوصفها فعلا تواصليا اجتماعيا، كما تفرض أن لا ننظر إلى المتكلم على أنه شيء مجرد مصدر للعمليات، كما هو مفهوم العديد من نظريات اللسان والتواصل الحديثة، ولا ينظر إليه على أنه مجرد ذات لسانية، بل ينبغي لنا أن ننظر إليه انطلاقا من هذا التصور، بعدَّه فاعلا اجتماعيا يفعل داخل مقامات ووضعيات اجتماعية ملموسة ومحددة.(١)

وبالعودة إلى محاولة التصنيف التي قام بها الجاحظ، فكما يبدو أن المقياس الأساسي الذي اعتمده في تصنيفه للخطباء والبلغاء هو الكفايات الموسوعية. فهي كفايات عديدة ومتنوعة وضرورية من أجل إنتاج الخطاب، تتعلق بميادين لغوية، وأدبية، ومعرفية، وثقافية عديدة تجعل الخطاب مؤهلا ليكون ذا قيمة لغوية وأدبية.(٢)

(١) يُنظر: الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية: نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، حسن المودن، كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ه، ص٤٠.

(٢) يُنظر: السابق، ص٤٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المبحث الأول

كفايات الإنتاج الموسوعية

تتمثل وظيفة الكفاية الموسوعية في تمكين مستعمل اللغة الطبيعية من تكوين مخزون معرفي منظم والاحتفاظ به وتوظيفه عند الحاجة، كما تمكنه كذلك من اشتقاق معارف من عبارات لغوية واختزانها ثم استعمالها في تأويل عبارات أخرى.(١) والكفايات الموسوعية "لا تعني الكفايات اللغوية والأدبية فحسب، بل إنها تشمل كفايات معرفية وثقافية تتصل بعلوم اللغة والأدب والتاريخ والاجتماع والدين، وكل ما يسهم في تقوية الإنتاج وتدعيمه."(٢)

فالموسوعية تشمل المخزون الذهني المعرفي من معتقدات وأنساق وقيم مستقاة من التجارب والخبرات، وتشكل هذه الكفاية خزانا كبيرا ومتناميا باستمرار، يضم عددا هائلا من المعلومات المتواجدة خارج الملفوظ، إنها مستقاة بالأساس من المقام والتجارب السابقة، ولذلك تعد معلومات خارج تلفظية، ويضم هذا الخزان مجموعة من المعارف والمعتقدات ونسقا من التمثلات والتخمينات التي يمتلكها الأفراد حول محيطهم المرجعي، ففي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، وتُشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل.(٣) و يمكن تقسيم الكفاية الموسوعية إلى ثلاث كفايات أساسية:

---

(١) يُنظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص٣٦.

(٢) الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، حسن المودن، ص٤٦.

(٣) يُنظر: المحاورة: مقاربة تداولية، حسن بدوح، ص١٢٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

- الكفايات اللغوية الأدبية.
- الكفايات الثقافية التداولية.
- الكفايات النفسية الانفعالية.

❖ أ. الكفايات اللغوية الأدبية:

إن أول ما يحتاجه مؤلف الخطاب هو معرفة اللغة، وتعني الكفايات اللغوية أولا: القدرة على الإنتاج في لغة العرب وفق الأصول والقواعد التي وضعتها علوم اللغة، وتعني ثانيا: أن الكفايات اللغوية التي يحتاجها الخطيب أو الكاتب أو الشاعر غير التي يحتاجها المتكلم العادي. فاللغة التي يتكلمها أحد هؤلاء ليست باللغة العادية التي تستعمل في التخاطب اليومي، التي لا ينظر إلى شكلها ونحوها ولفظها وسلامتها وخلوها من الخطأ قدر ما يكتفي بمضمونها ومقصودها، بل هي شرطها الجوهري أن يحيط صاحبها بكل العلوم اللغوية الضرورية، وأن يمتلك القدرة على التصرف السليم من الخطأ في اللغة، فالمعرفة الواسعة والدقيقة باللغة العربية من الشروط الأساسية والضرورية لكل من يؤلف خطابا أو يكتب نصا.(١)

ومن أهم مناهل اللغة وزادها "زاد القرآن وتفسيره، والسنة وعلومها، واللغة وبلاغتها، ففيها ما ينقع الغُلة ويكفي النهمة، ويذرب به اللسان ويقوى به الجنان؛ فإنها إذا تدربت ذلقت وإذا سكنت خارت."(٢) و تقتضي الكفايات اللغوية: التوسع في معرفة العربية، ووجوه الاستعمال لها، والعلم بفاخر الألفاظ وساقطها ومتخيرها.(٣) ولابد للخطيب أن ينهل من التراث اللغوي والأدبي، وإنتاج الخطابة وفق أصول اللغة، والقدرة على الإبداع والابتكار.

---

(١) يُنظر: الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، حسن المودن، ص٤٩.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، مكتبة إمام الدعوة العلمية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، السفر الأول، ص٢٤.

(٣) يُنظر: الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص٢١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

لقد استطاع الشيخ عبد الرحمن السديس بناء خطبته استنادا إلى خطة لغوية بديعة تستثمر العملية التواصلية بعدِّها إستراتيجية حجاجية إقناعية، حيث تمكن من توصيل رسالته إلى المتلقي والتأثير فيه مستثمرا معرفته بمواصفات المتلقي العام، الذي يتوجه إليه بخطابه، فالمعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب "عامل مؤثر في إنجاح عملية التواصل إذ ينطلق المرسل من عناصرها السياقية في إنتاج خطابه، كما يعول عليها المرسل إليه في تأويله وذلك حتى يتمكنا من الإفهام والفهم أو الاقتناع والإقناع."(١)

ولقد توخى السديس في خطابه تحقيق جملة من المقاصد تتوزع ما بين التعليم والإفهام والتأثير والإقناع، فاستوجب عنايته الفائقة بالخطاب الموجه إلى متلقيه من أجل ضمان تواصل ناجح وفاعل، من ذلك نحو قوله في الحث على صدرف الصدقات في أماكنها الموثوقة: **"ولستم -يا بغاة الخير والمعروف- الذين تَفُلُّ في هممكم وعزائمكم الأراجيف، والافتراءات، والأكاذيب والمثبطات، ولا ينافي هذا ضبط الموارد والمصارف وترشيدها، وإننا لنحمد الله أن الهيئات الموثوقة كثيرة والمؤسسات الأمنية عديدة، فلا تمسك - يا محب- الكفَّ، لعلك عن النار تُذاد وتُكفُّ، بمن الله وكرمه."**(٢)

إن تعمد تخصيص (بغاة الخير والمعروف) بالنداء لفت لانتباههم لأمر مهم يتمثل في عدم الالتفات إلى الأكاذيب والأراجيف التي تثبط من أداء الصدقات، خاصة للدول الإسلامية الفقيرة. فهناك المؤسسات الموثوقة التي تؤدي الصدقات إلى أهلها، ثم يختم فقرته بالنهي ناصحا لكل محب للمال بالإنفاق في سبيل الله.

ولقد راعى السديس في الفقرة السابقة أمر النظم، وطريقة بناء العبارات على نحو يجعلها تعبر عن معانيها وتؤديها خير أداء، وذلك لما لهذا من أثر ينعكس على

(١) إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، ص٤٩.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ عبد الرحمن السديس، دار الصميعي للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ، السفر الثاني، ص٢٣٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الغرض الذي من أجله تم بناء الخطاب، حيث اهتم بدلالات الألفاظ داخل التراكيب، كما نجد القصد والإيجاز في هذا المقطوعة التي حقق الإقناع بأيسر الطرق وأوجزها، وإعلام المخاطبين بوجود هيئات ومؤسسات لا يغفل عنها باغي الخير والمعروف.

❖ ب. الكفايات الثقافية التداولية:

الكفايات الثقافية التداولية تعني إحاطة مؤلف الخطاب بالثقافة، التي تحكم العالم الخارجي الذي يريد أن يتدخل ويؤثر فيه، وأن يعرف كيف يوظف عناصر هذه الثقافة لصالح الغايات التداولية لخطابه. والثقافة -هنا- مأخوذة من معناها العام، فلا يمكن تصور الخطيب أو الكاتب لا يحيط بعلوم العرب وآدابها وتاريخها وعادتها وتقاليدها ودينها وقيمها وأخلاقها وطبائعها، فالخطيب عند الجاحظ يكون كثير العلم والأثر، والشاعر عند ابن سنان الخفاجي يحتاج إلى معرفة المشهور من أخبار العرب وأحاديثها وأنسابها وأمثالها ومنازلها وسيرها وحروبها وقصصها، كما أن الكاتب -عند ابن قتيبة- يحتاج إلى معارف عديدة: رياضية، وجغرافية، وميدانية، وفقهية، وتاريخية، واجتماعية، وأدبية، وأخلاقية، ولغوية.(١)

إن أول ما يلفت النظر في خطب الشيخ السديس هو انفتاحها على الكثير من الحقول المعرفية المجاورة، خاصة التاريخ. إذ تحوي الخطبة على قدر من المعارف المختلفة الذي يستحضر منها ما يوافق موضوع الخطبة وقضيتها. وهذا الاستدعاء لا يكون عبثا، بل عن وعي وحضور من الخطيب. فالخطبة تخضع لموهبة الخطيب. وإذا كانت الموهبة تتجلى في الشعر والنصوص السردية فإن الخطاب الديني الوعظي -لاسيما خطب الشيخ السديس- لا تخلو من تلك الموهبة، كما أن هذه الخطب لها القدرة على التكيف مع الأحداث الجارية، إذ إن كثيرا ما نجد تفاعلا مع الأحداث الإسلامية والعالمية، التي تنم عن ثقافة موسوعية يمتلكها الخطيب مثل: خطبة (مؤامرات لا

(١) يُنظر: الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، حسن المودن، ص٥٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مؤتمرات، بمناسبة عقد مؤتمر السكان والتنمية)[١]، وخطبة (وماذا بعد الأحداث، أحداث الرياض؟)[٢]، وخطبة (الأحداث العالمية: رؤية شرعية، ولفتة إصلاحية).[٣]

لقد تناول الخطيب في كل موضوعات خطبه قضايا تمس حياة المخاطب السياسي والاجتماعي البسيط، إنه خطاب مباشر يلبي احتياجات الفئات المتنوعة للمخاطبين، يهدف إلى التأثير فيهم ووعظهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة التي يراها الخطيب. ولعل أبرز القضايا التي بذل فيها السديس جهده، وغايته فيها إظهار الحق وإزهاق الباطل والانتصار للدين والأمة قضية الأقصى. فيذهب كاشفا خفاياها في قوله:

"ولم يبرز التاريخ قضية تجلت فيها الثوابت الشرعية، والحقوق التاريخية، والأمجاد الحضارية، كما برز لها الأحقاد العالمية، وتجلت فيها المتناقضات الدولية، وانكشفت فيها حرب المصطلحات، وتعرى فيها بريق الشعارات، وتجلى فيها التلاعب بالوثائق والقرارات، كقضية المسلمين الأولى؛ قضية فلسطين المسلمة المجاهدة، والقدس الصامدة... إخوة الإيمان: لقد خيل لمن توالت عليهم مطارق الانهزامية، أن القضية غامضة ملتوية، وشائكة مستعصية، والحقيقة أنها أوضح من ذُكَاء، فماذا جنت أمتنا من غياب التأصيل العقدي والشرعي لهذه القضية؟ أولسنا أمة لها مصادرها الشرعية، وثوابتها العقدية، وحقوقها التأريخية، ماذا يؤكد قرآننا وسنة نبينا ﷺ؟ماذا تقرر عقيدتنا؟ وماذا يسجل تاريخنا عن القضية وأطرافها؟ مما يؤكد بجلاء أن الصراع بيننا وبين اليهود، ليس صراع حدث وأرض وحدود، بل صراع

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٦١٩.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، مكتبة إمام الدعوة العلمية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ ه، ٢٠١٥م، ص٣٧٣.

(٣) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٥٠٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

عقيدة وهوية ووجود. ألم نقرأ قول الحق ﷻ: (ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ)[1]، **وقوله ﷻ:** (ٱ ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ)[2]؟

اقرأوا التاريخ لتدركوا أن يهود الأمس واليوم، سلف سيئ، وخلف أسوأ. هؤلاء هم اليهود، سلسلة متصلة من البغي، والعناد، والفساد،شبكات وخلايا من الغدر والكيد، والخسة والدناءة. واليوم تواجه الأمة الصراع على أشده، مع أعداء الأمس واليوم والغد، مع أحفاد بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة!! فهل يعي بنو قومنا حقيقة أمة الغضب والضلال، بعد أن تفاقم شرهم وتطاير شررهم."[3]

إن الشيخ حين يبين تاريخ هؤلاء اليهود ويعود بالمستمعين إلى يهود بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع، وتذكَر الأحداث التاريخية المتصلة بهم، عندها يدرك المخاطبون الحقيقة المشرقة، وتتبين الأطماع اليهودية المستخفين بالعرب والمسلمين. هذا الخطاب الحجاجي يجمع عددا من الملفوظات المتفاعلة فيما بينها، جاءت مبنية وفق إستراتيجيات كفيلة بالتأثير في المخاطب، استعان الشيخ فيها بالاستفهام الحجاجي، والشواهد القرآنية الدامغة على دعواه المتمثلة في أن القضية مع اليهود قضية عقدية وقضية هوية، ثم يعضد مساره الحجاجي بأمر المخاطبين بقراءة التاريخ والعودة إلى الوراء للنظر في أسلافهم. كل هذه الملفوظات الثقافية لها توظيفها التداولي الذي يحقق التأثير ومن ثم الاقتناع.

إن أهمية الكفايات الثقافية لا تخفى عندما ننظر إلى الخطاب من منظور تداولي، فلا يمكن أن يكون للخطاب أثر ما في المقام الذي يستهدف التواصل معه والتأثير فيه

(١) سورة المائدة: آية ٨٢.

(٢) سورة البقرة: آية ١٢٠.

(٣) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٥٣٠-٥٣٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مالم يأخذ بعين الاعتبار الخصائص اللغوية والثقافية لهذا المقام، ومالم يكن قادرا على التصرف في ما تفرضه مختلف المقامات. وهنا يتعلق الأمر في الواقع بكفايات ثقافية تداولية، أي تلك الكفايات التي تستطيع أن تحول مادة ثقافية في مختلف أوجهها إلى مادة يعرف الخطاب كيف يوظفها لصالح غاياته التداولية."[١] و قصارى القول في ذلك: أن يسيح الخطيب بنظره، ويجول بفكره، في شتى العلوم التي تسنده، ويتخير أهم ما أُلف فيها مركزا على ما سطرته يراع أئمة السلف، وكبار المحققين، وليكن له مطالعات في تحقيقات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم، وأئمة الدعوة."[٢]

وتدخل خطابات الشيخ السديس ضمن الخطابات الموسوعية الثقافية الأدبية؛ لأن هذه الخطب لا تخرج في جوهرها عن كونها صياغة جديدة للمعارف الغزيرة والمتنوعة التي تحصلها الشيخ من بيئته الثقافية والتعليمية. هذا التكوين البلاغي لهذا النص الموسوعي يعد ملمحا من ملامح الصنعة فيه، حيث يصادف القارئ في مقدمة السفر الأول تفصيلا للطريقة التي حصل بها الشيخ نقوله وشواهده، وإخراجها نصا مؤلفا في كتاب أخرجه على منهج البحث العلمي، يقول فيها:

"ولقد اجتهدت في إخراج هذه الكوكبة على مقتضيات البحث العلمي؛ فعزوت الآيات، وخرجت الأحاديث،مع التزامي بالصحيح قدر الطاقة، وعزوت الآثار، ووضحت الغريب، ونحو ذلك؛ حتى تكون متكاملة -بإذن الله- وسلكت فيها مسلك الترتيب والتقسيم إلى اثني عشر قسما على النحو الآتي:

١. القرآن الكريم. **٢. العلم والعلماء.**

٣. العقيدة. **٤. السنة والسيرة.**

٥. العبادات. **٦. المعاملات.**

---

(١) الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، حسن المودن، ص٥٦.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

٧. الأخلاق والسلوك. **٨. القضايا الاجتماعية.**

٩. مآسي المسلمين. **١٠. الرقائق.**

١١. موضوعات متنوعة. **١٢. خطب المناسبات.**

وتحت كل قسم عدد من الخطب المناسبة كما وكيفا؛ وهكذا ليكون الكتاب مبوبا ومقسما بشكل يقرب الموضوع للمطلع الكريم، ويسهل تناوله له، ويحقق مزيد الانتفاع به، بإذن الله."[١]

لقد أراد الشيخ من حديثه عن المصادر التي أخذ عنها نصوصه أن يبرهن للمتلقي على موسوعيته، وسعة مداركه، حيث بين لنا تعدد المظان، التي نهل منها مروياته ومنقولاته، وهذا ما يستلزم صبرا على مطاردة الشواهد والنقول في مواضعها الصحيحة، وجهدا في اصطفاء النصوص الدالة والمناسبة واختيارها، ثم تنظيمها وترتيبها ترتيبا يتفق مع تسلسل الأفكار.

وتقسيم الموضوعات بهذا الشكل الذي عرض،يسهل على الطالب والمتلقي عامة الوصول إلى الموضوعات المبتغاة دون جهد وعناء، وكل هذا فيه إشارة إلى الكفاية الموسوعية، التي تحصلت للشيخ عبد الرحمن السديس في مجالي البحث والتأليف، وهي كفاية يسخرها الشيخ لإفادة المستمع والقارئ على نحو سواء، ولزيادة معلومات المتلقين مع إراحتهم من عناء البحث والتحري.

إن هذا الحديث الموسوعي الذي صاغه الشيخ عبد الرحمن السديس خطابا، ثم صاغ من هذا الخطاب نصا مؤلفا في كتب يُرجع إليها، ويُستقى منها يكشف عن مؤلف واع تمام الوعي بحاجات المتلقين وتوقعاتهم، ومن ثم جرد نفسه لملء هذه التوقعات والحاجات. كما وسع دائرة النفع العلمي من التلقي سماعا إلى القراءة والتعلم والتحليل للقاري والدارس معا.

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

❖ جـ. الكفايات النفسية الانفعالية:

وتعني كفايات الإنتاج النفسية حسن اختيار اللحظات النفسية الانفعالية الأكثر ملاءمة لولادة الإبداع، وقد أولى البلاغيون والنقاد هذا النوع من الكفايات كثيرا من الاهتمام، وربطوها بنوع من الظروف الداخلية والخارجية التي تحيط بالإبداع.(١)

حيث نجد في مؤلفات البلاغة والنقد كثيرا من الوصايا والتوجيهات التي تهم المرحلة الزمانية والظروف النفسية التي تعتبر أكثر ملاءمة لكتابة النصوص الإبداعية، مركزة على الشروط النفسية، التي ينبغي لها أن تتوفر قبل مرحلة الإبداع. وأهم هذه الشروط أن لا يكون الإبداع خاضعا لولادة قهرية أو عسيرة ؛فلا يستحسن إكراه النفس على الإنتاج،بل يستحب الانتظار لحظة استجابة النفس وتجاوبها؛ ذلك لأن الإنتاج يصدر عن لحظة نفسية انفعالية تتمتع فيها الذات المبدعة بالنشاط النفسي والتركيز الذهني، وتتمتع فيها بقبول النفس للاستجابة والعطاء والإبداع.(٢)

والكفايات النفسية الانفعالية نوعان: يهتم النوع الأول بالحالة النفسية الانفعالية التي يستحسن أن يكون عليها الخطيب عندما يقبل على الإنتاج والتأليف، ويتعلق النوع الثاني بتلك الكفايات التي يوصى بها عندما يقبل أحدهم على إنجاز خطابه وأدائه أمام سامعيه.(٣)

ومما يهم في هذا المقام هو النوع الثاني من الكفايات. فلقد اهتم الشيخ السديس بكل ما من شأنه التأثير في المتلقي والدفع به إلى الإيمان والتصديق بالأفكار والأحكام التي يصدرها، خدمة للدين والعقيدة.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ الخطابة مقصودها الأعظم هو الإقناع عن طريق الاستدلال المنطقي والعقلي وتحريك العواطف والمشاعر نحوَ الموضوع المراد قبوله، وهذا

(١) الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، حسن المودن، ص٥٧.

(٢) الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، حسن المودن، ص٥٧-٦٧.

(٣) السابق، ص٥٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

يتطلَّب من الخطيب أن تكون له مهاراتٌ معيَّنة في الأداء والأسلوب والاختيار الأمثل للأسلوب وطريقة الإلقاء القادرة على جذب انتباه السامعين، وإيقاظ هِمَمِهم، وتحريك عزائمهم، بما يسوقه مِن أمثلة ووقائعَ وأحداث، وأن تتناسب انفعالاتُه مِن حبٍّ، وغضب، وتألُّم وفرح، وتوجُّع، وتأسُّف...، وفق مقتضى الحال وما يلاءم الظَّرْف.

من أمثلة ذلك تعليقه على بعض النصوص القرآنية والحديثية والأقوال المأثورة، حيث نجد فيها انفعالا واضحا بمضمون حكمها مثل قوله في حكم الاجتهاد:

"أما أصل مشروعية الاجتهاد والعذر فيه بالخطأ فيه، فيقول المجتبى ﷺ {إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجرٌ }[1].

الله أكبر! ومع كونه أقره على الخطأ أثبت له الأجر، أجر في الاجتهاد دون معاقبته، بل حتى معاتبته! وتلك وايم الحق من الكلم الهوامع، والقواعد الجوامع التي وعت جوهر التيسير والإرفاق وحقيقة الرحمة والإشفاق."[2]

هذا التفاعل الواضح والتأييد للاجتهاد الذي أظهره الشيخ عبدالرحمن السديس- بما يملكه من تأثير وتصديق من قبل جمهور كبير في العالم الإسلامي- بشكل لافت في هذا التعليق له أثر كبير في إقناع المخاطب بمشروعيته، وسعة الأمر فيه، حتى إن الرسول ﷺ لم يُعاتب أو يعاقب ذلك المجتهد على خطأه كما يُعتقد، بل آجره على فعله، وأثبت له الحسنة، فكان للتعجب الظاهر من الشيخ والانفعال النفسي الواضح بالحكم له أثر كبير في حصول الاقتناع لدى المتلقي.

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٥١) ومسلم برقم(١٧١٦).

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص٤١٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المبحث الثاني

كفايـــــات الإنجـــــاز

وهي الكفايات التي تسمح للخطاب، بما هو شفوي، بأن يوظف عناصر أخرى، صوتية وحركية وجسدية، فيتحول بذلك من خطاب لفظي لغوي إلى خطاب تتعدد لغاته وتختلف وهي في مجموعها ما يشكل الخطاب.(١)

ويعني الإنجاز في الخطابة أن الخطاب ينتقل من نص مكتوب إلى ما يسمى بالعمل، والعمل هو هذا التواصل الخطابي الذي يجري، ويشمل كل عناصر الإنجاز: نص لغوي، صوت، عناصر مرئية. فالأمر لا يتعلق بنص يُنقل من الفم إلى الأذن، بل يتعلق بعمل يتمكن من تشكيل موقف حسي انفعالي، في قلبه يصير النص المنطوق به فنا، ومنه تصدر الطاقات التي تمنح الحياة لهذا العمل.(٢)

إن روح الخطابة هي طريقة إنجازها وأدائها صوتا وحركة وانفعالا بها. ولقد اهتم الجاحظ بالكفايات الخاصة بالمتكلم، التي تمكنه من التأثير في متلقيه، محددا بذلك خصائص الإرسال الشفهي من حيث هو نطق أو إشارة بنان، ومركزا على الصورة أو المظهر الخارجي الذي ترسل فيه الرسالة؛ ذلك أن هذه الأخيرة كانت مشافهة في حضور حشد من الجمهور، الذي كان في غالب الأمر من الأتباع الذين لا ينكرون ما يقوله الخطيب، ومن ثم لم يكن الخطيب في حاجة لوسائل لسانية وإشارية لتحقيق الفهم والإفهام متكئا على الكفايات القبلية والبعدية للخطابات، إلى الاستدلال والتعليل قدر

(١) يُنظر: الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، حسن المودن، ص٤٢.

(٢) يُنظر: السابق، ص٧٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

احتياجه إلى المبالغة والتنغيم.(١)

إن الأداء الصوتي وتنويعه ومناسبته لانفعالات الخطيب بوصفه حجة له أثر بالغ الأهمية في عملية الإقناع؛ لأن هذا التنوع بالأداء الصوتي ناتج عن اختلاف طبيعة المنطوق في ظل علاقته بمنطوقات أخرى، كما أن المخاطبين ليسوا على مستوى واحد في التأثُّر، فمنهم مَن تكفيه أدنى إشارة، ومنهم مَن لا يتَّعظ إلاَّ برْفع الصوت والإنذار بالقول.

إن الصوت هو جانب مهم من جوانب الأداء المتعلقة بمقصود تحقيق المتكلم قوى إنجازية متغيرة متعددة بحسب طريقة الأداء الصوتي للخطاب، وبالعودة إلى دلالة السمات شبه اللفظية التي تصاحب الملفوظ نجد أن لها وظيفة فاعلة في تشكيل أو إعادة صياغة المحتوى الدلالي للملفوظ من جانب ولقوته الإنجازية من جانب آخر ؛وذلك للترابط الوثيق بين المحتوى الدلالي للخطاب وقوته الإنجازية(٢)

لقد أجاد الشيخ السديس هذا الأداء الصوتي واستثمره أحسن استثمار، وذلك بمعرفته الجيدة بمواضع رفع الصوت وخفضه، والتوسط بينهما والاعتدال فيه، كما مكنه من معرفة نفسية المتلقي وما يمكن أن يؤثر فيه، ليكون ذلك التنغيم ملائما لعقليته. فنجده يتعمد القوة والترهيب والوعيد تارة، وتارة أخرى يتعمد الهدوء والترغيب في ما عند الله. فعند الاستفتاح نجد في خطب الشيخ الهدوء والسكينة، ثم تتصاعد حدة الصوت ويرتفع الأداء النغمي عند عرض القضية، وتزداد حدته وشدته عند النداء والاستفهامات التعجبية، ويكون الاعتدال والتوسط عند عرض الأدلة القرآنية والنبوية، ليظهر الأداء الصوتي مرتفعا مرة أخرى بعد عرض الأدلة والنصوص التي تعضد

(١) يُنظر: البلاغة والاتصال، جميل عبدالمجيد، دار غريب، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٧٤-٧٥.

(٢) يُنظر: الأداء الحجاجي وبلاغته في كتاب الخطابة لابن سيناء، منتصر أمين عبدالرحيم، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجده، المملكة العربية السعودية، عدد (٣٥) محرم ١٤٣٥، ص٢٩٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

دعواه، حتى نجد تفاعلا قويًا من الذات المتكلمة مع ما يقوله، فتارة مستبشرا وتارة أخرى باكيا، وتارة ثالثة متعجبا... وهكذا نجد انفعالاته وطريقة أدائه تمثل حجاجا قائما بذاته، تؤدي بالمستمع إلى الاقتناع على الأقل في فترة تلقي ذلك الخطاب. ومن أمثلة ذلك قوله:

"إخوة الإسلام: المجازفة بالتكفير شر عظيم، وخطر جسيم،كم أذاق الأمة من الويلات ووبيل العواقب والنهايات...إخوة الإيمان:ولهول هذه القاصمة، جاءت النصوص الزاجرة عن هذا المرتع الوخيم، والمسلك المشين، يقول -سبحانه-: (ﮪ ے ے ۓ ۓ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ)[1] **وفي الصحيحين من حديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»**[2] **... وعلى هذا المسلك المشرق اللَّألاء، سار السلف الصالح ﷺ فوضعوا لهذا الحكم أصولا وشروطا وضوابط... ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ «فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ إذ الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله»**[3]**... الله أكبر! ذلكم هو ورع السلف في هذا الباب، فكيف يسوغ بعد هذه النقول كلها لمن لم يبلغ مقدار علمهم وفضلهم نقيرا ولا قطميرا، وكان همه التدليس والتلبيس،أن يتجاسر بإطلاق الحكم بالكفر الصراح في حق إخوانه المسلمين، جملة وتفصيلا- عياذا بالله عياذا!"**[4]

يكشف لنا هذا المقطع الخطابي كغيره من النصوص الأخرى ثراء صوتيا

(١) سورة النساء: آية ٩٤.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٤) ومسلم (٦٠) واللفظ له.

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دراسة وتحقيق: عبد الله بن دجين السهلي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ص٢٥٢.

(٤) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٤٥٣-٤٥٧.

reply_W30xG ١٤٤١/٠٨/٠١ Ali Fattani

إيقاعيا، يعود هذا الثراء إلى الأداء الصوتي بنسب متفاوتة، حيث قدم القضية بصوت متوسط ثم دعم هذه القضية بالأدلة من القرآن ثم من السنة وأخيرا من أقوال السلف الصالح، الذي يعتد بهم،ثم ترتفع حدة الصوت عند الانتهاء من هذه الأدلة،للدلالة على عظم أمر التكفير، ثم يتعجب مستفهما عن قدرة هؤلاء المتجاسرين بإطلاق هذا الحكم الصريح على إخوانهم المسلمين، لينجم عن هذا الاستفهام طاقة صوتية إيقاعية لها أثرها البالغ في نفس المتلقي، كما كان لتكرار الاستعاذة نغما ينبئ عن فظاعة هذا الأمر لتزيد من الطاقة الحجاجية التي من شأنها زيادة الأثر ومن ثم حدوث الاقتناع المطلوب.

كما أن التشاكل الصوتي الذي يصدر عن تواتر أصوات بعينها له أثر حجاجي، فالسجع له أثر في توكيد الفكرة، وتدعيم القضية، كما أنه يزيد التعبير قوة وتأثيرا ووضوحا، ويكون أكثر وضوحا عند إنجاز هذه الكلمات لفظا، وهذا ما قصده بيرلمان في قوله: "أن المزينات الجمالية روداف لغوية ودعامات تسعى إلى بعث الإقناع والفعل، لا إلى الاستمتاع الجمالي غير العابئ بالتأثير وتعديل الرأي والسلوك."(١)

ومن أمثلة ذلك الأثر للسجع في حديث الشيخ السديس عن النميمة والغيبة ووصفه للسان جاء قوله الآتي: **"إنه عضو مسموم؛ يُحدث القطيعة والجفاء، ويتكلم في الخفاء، يتلون كالحرباء، وينفث سمومه كالحية الرقطاء، ديدنه الإفساد والهمز، وعادته الخبث والغمز، وسلوكه الشر واللمز، لا يحب إلا الإثارة والتهويش، ولا يتلذذ إلا بالشائعة والتحريش، ولا يرتاح إلا بالتقول والادعاء، ولا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال؛حتى يفسد بين الأحبة، ويفرق بين الإخوة، وكم حصل من جناية على الأكفاء المؤهلين بسبب وشاية دعي مأفون"**(٢)

حين أراد الشيخ أن يبين خطر هذا اللسان، وكيف أنه يفرق بين الناس استخدم

(١) مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، محمد الولي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد٤٠، ع (٢)، ٢٠١١م، ص٣٣.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٤١٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

السجع - فضلا عن الأسلوب التصويري المتمثل في الاستعارة والتشبيهات - وسيلة حجاجية لبلوغ مقصده وبلوغ مراميه، وقد أغتنى التركيب الصوتي في هذا الخطاب بمقومات إيقاعية أهمها: التواتر الصوتي للمد (الجفاء /الخفاء/ الحرباء / الرقطاء)، وكذلك تواتر حرف الزاي (الهمز/ الغمز /اللمز)، كذلك تواتر حرف الشين (التهويش / التحريش). ولنا أن نستمع إلى هذه الأصوات المتشاكلة والتركيز على حرف الشين بالذات؛ لأنه من الحروف التي يتوقف عليها، فكأن الصوت الصادر دالا على تفشي الشائعة وسريانها،كما نجد ترتيبا بين العناصر اللغوية. فالإفساد بين الناس بالهمز واللمز تكوون نتيجته التفريق بين الإخوة والأقارب بسبب هذا العضو المسوم. هذه المقومات الصوتية الإيقاعية في هذا المقطع الخطابي، الذي تعضد بمسار حجاجي من أهم وسائله التصوير البياني الذي جسد صورة حية له تأثيره القوي على وجدان المخاطب، ومن ثم حصول الاقتناع لديه.

وكثيرا ما يتأرجح خطاب الشيخ بين البوح والصمت، وللصمت بلاغة لايبلغها بعض الكلام أحيانا."فالصمت- في موضعه- ربما كان أنفع من الإبلاغ بالمنطق في موضعه وعند إصابة فرصته، وذاك صمتك عند من يعلم انك لم تصمت عنه عيا ولا رهبة."(١) لقد أبان الجاحظ أن للصمت طاقة دلالية مقارنة مع طاقات الكلام الإبلاغية التي عبر عنها بصيغة التفضيل (أنفع من الإبلاغ بالمنطق). والمقصود بالصمت "السكوت" في الخطاب هو ذلك الصمت الإجرائي عند إلقاء، والوقف على بعض أجزاء الكلام؛ ليتم جذب انتباه السامع للقول، ومن ثم بلوغ المعنى المراد غاية التأثير في المتلقين، ولقد قصد الشيخ إلى الصمت الخطابي لمقاصد إقناعية بالدرجة الأولى، ثم إلى مقاصد جمالية تعبيرية، فهو ذو وظيفة حجاجية، يُستدعى لغاية الإقناع والتأثير.

إن من يستمع إلى خطب الشيخ السديس اليوم، يجد فيه استثمارا لكل أدوات

(١) رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤، ج١/ ص١١٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الإلقاء المتميزة. واعتمد الخطيب في كثير من خطبه إلى استغلال بلاغة الصمت والسجع والأصوات.(١) التي أداها الشيخ أفضل أداء على منبر الكعبة الشريفة؛ نظرا لما تنطوي عليه من طاقة صوتية وإيقاعية تكفل لها التأثير في المتلقي وحمله على الانتباه والتفاعل مع المضمون والتوجيهات التي تُلقى إليه."فالسجع إذ ينشأ في مقام الإقناع لا يكون مجرد زخرفة صوتية، ولكن الخطباء يستخدمونه بشكل وظيفي من أجل دعم مقاصدهم الإقناعية، فهو يمثل العصب الذي يشد الخطبة، ويضمن تماسك أجزاءها وتجاوب عناصرها الصوتية."(٢)

إن إنجاز خطاب بليغ إقناعي، يتطلب من المتكلم استعمال صوته وجسده ولباسه بالشكل الذي يسمح بالحديث عن بلاغات أخرى غير لفظية، يستغل المتكلم إمكانياتها في التأثير والإقناع. ذلك أن الخطاب الإقناعي الشفوي لا يتحدد فيما يسمعه السامع فقط، بل فيما يراه أيضا، كأن الأمر يتعلق بعرض مسرحي، إنجازه يقتضي القدرة على تحويل الجسد إلى جسد متكلم، يقول ويعبر ويرمز ويؤثر.(٣)

إن أهم أنواع الدلات وأكثرها صلة باللغة هي ما يسميها الجاحظ بالإشارة، حتى أن حديثه كاد يقتصر عليها، وهي ما يبدو على المتكلم وقسماته أو ما يقوم به من حركات تلمحها عين الناظر(٤) يمكننا أن نتنبه إلى أن الإنجاز الحركي يفوق البيان عن المقصود باللغة، لأن المخاطَب لا يسمع فحسب بل يسمع ويرى، وعليه سيحصل الإقناع بوسائل عديدة.

(١) سيتم تفصيل وظيفة الأصوات حجاجيا في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

(٢) بلاغة الخطبة خطب "عيون الأخبار" أنموذجا، مصطفى الغرافي، ضمن كتاب (بلاغة النص التراثي، مقاربات بلاغية حجاجية) إشراف: محمد مشبال، دار العين للنشر، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص٦٥.

(٣) يُنظر: الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، حسن المودن، ص٧٠-٧١-٧٢.

(٤) يُنظر: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية١٩١٨م ص١٧٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

إن طغيان المقصدية الإقناعية في خطب الكوكبة المُنيفة يكشف البعد التداولي؛ لأنه موجه إلى متلق شكَّلَ هدفا رئيسا للخطاب، ومن هنا يمكن القول إن خطب الكوكبة المُنيفة نص موسوعي يندرج في سياق تواصلي منتظم ثقافيا، ينعكس بناءه البلاغي لخدمة المقاصد الفكرية والعقدية، والاهتمام بقضايا المجتمع الإسلامي من تربية وتعليم وزواج وغيرها. لقد قصد نص خطب الكوكبة المُنيفة الإنسان المسلم ووجهه الوجهة الأولى نحو نصرة العقيدة، والحفاظ على أصولها وصفائها، كما كان من مقاصد هذا الخطاب الموسوعي توجيهه إلى الوجهة الثانية بالحفاظ على القيم الاجتماعية والخلقية، والنأي بها عن كل شوائب دخيلة.

إن قراءة كتب الكوكبة المُنيفة يكشف لنا بجلاء انتماءها للكتب الأدبية من جهة حسن الصياغة، وبراعة السبك.حيث أودع فيها الشيخ السديس نظرياته التربوية والأخلاقية بأسلوب أدبي راق، فضلا عن القواعد والأصول الدينية والفقهية، التي يستدل عليها بوافر نصوص القرآن والسنة النبوية ومأثور الكلام. كما يكشف دلالات حضارية وثقافية. حيث يناقش قضايا تهم أبناء المجتمع العربي والإسلامي،أبان عن حقيقة الكثير من القضايا السياسية والاقتصادية.

ويعد خطاب الشيخ السديس محصلة لملكاته المعرفية. تبين لنا من نصوصه أنه واسع الاطلاع، غزير المعرفة، لا في علوم الدين والفقه فحسب بل له معرفة أدبية وشعرية واسعة، ويستند كثيرا إلى القرآن الكريم والحديث الشريف استشهادا واستدلالا، كما أن لديه ذخيرة كبيرة من الحكم والأمثال. ولا يكتفي بالاستدلال على القضية أو الحكم بقول أو اثنين فقط، بل يعدد فيها من القرآن والحديث والشعر والأقوال عن الشخصيات المؤثرة ما أمكنه ذلك؛ لأن جذب انتباه السامع بالتنوع في الاستدلالات يشجع القارئ والمستمع على المتابعة والاستمرار.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الفصل الثاني

الخطاب الإقناعي وبلاغة النص

وفيه مدخل ومباحث أربعة:

- المبحث الأول: الاختيارات اللفظية ووظيفتها الإقناعية.
- المبحث الثاني: ترتيب أجزاء القول ووظائفه الإقناعية.
- المبحث الثالث: حجاجية النظم والوظائف الإقناعية.
- المبحث الرابع: الطاقات الحجاجية للصور البيانية وأبعادها الإقناعية.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مدخـــــــل

إن اهتمام هذا الفصل ينصب على عرض الأساليب الحجاجية بشقيها: اللغوي، والبلاغي تلك الأساليب التي اتخذها الخطيب للتأثير في المستمعين، خاصة أن الشيخ السديس يهتم بأفانين الإقناع، والإلحاح في تصوير أفكاره. وما انفك الشيخ عارضا خطورة الانسلاخ عن العقيدة الصحيحة، واتباع الهوى، والانحلال الأخلاقي، كما يستمر دأبه في عرض تجاربه ورؤيته الخاصة في التصدي للمشكلات المجتمعية، واستحضار عوارضها لنفثِ همومه فيها بوساطة الحُجج التي تتطلب من المستمع والقارئ التفكير بعمق والتأمل في أبعادها، ومن ثم الوصول إلى الإقناع وتباعا تحقق الاقتناع.

إن موضوع البحث لايهتم بالمباحث الحجاجية بوصفها مضمونا بلاغيا للخطابة فحسب، بل إن التركيز فيه قائم على الحجاج بوصفه تقنية لغوية أيضا، فـ"اللغة أداة من أقوى الأدوات التي يستخدمها المتكلم لتبليغ مقاصده إلى المخاطب وللتأثير فيه وفق هذه المقاصد. وبقدر ما تكون هذه الأساليب مألوفة للمخاطَب وموصولة بزادة من الممارسة اللغوية، فهما وعملا، يكون التبليغ أفيد، والتأثير أشد، وقد تفطن مفكرو الإسلام إلى ضرورة العمل بهذه الحقيقة التخاطبية؛ لكي يبلغوا مرادهم في الإفادة والإقناع."(١)

إن طبيعة خطب الجمعة مرتكزة على نماذج من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، تضمنت كثيرا من الموضوعات لمختلف جوانب الحياة الدينية والدنيوية،جعلت من الحجاج حاضرا كحضور اللغة ذاتها، لاسيما أن الشيخ السديس يعتمد أقوالا أخرى غير الكتاب والسنة، مثل النصوص الأدبية من أشعار وحكم وأقوال لعلماء وأدباء، كما تنوعت استخداماته للأساليب البلاغية واللغوية من أجل تحقيق

(١) تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، دون تاريخ، ص٢٤٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

التأثير في المخاطب.

وتكون أي منجز لغوي- أيًّا كان طوله- من مكونات ذات قيمة دلالية، وهي: الصوت، والكلمة، والجملة، والموقف. فترتبط فيما بينها بعلاقات دلالية وسياقية، فالأصوات تتآلف فيما بينها لتكون كلمة، والكلمة هي المكون الرئيس للجملة، ولتحليل الجملة لابد من النظر للكلمات المشكلة لها، وعلاقاتها في الجملة، حتى يتم الوصول إلى الرؤية الكاملة الشاملة للمنجز اللغوي.(١)

لذا فاللغة والبلاغة مدار البحث في هذا الفصل؛ لما لهما من وظيفة فاعلة ومؤثرة في المتلقي. وبما أن الشيخ السديس يعرض موضوعات عقدية وفكرية وأخلاقية واجتماعية، فقد استند على لغة أدبية راقية، جمع فيها بين (الإمتاع والإقناع)، إذ عالج هذه القضايا بصورة جميلة، وحاول نقلها بأسلوب إقناعي بسيط يسهل الاقتناع به، ولا يُشك في قدرة الشيخ على إلمامه الكثير بالجوانب الإبداعية والجمالية، وتطويع اللغة لخدمة هدفه الديني السامي فـ"جوهر الخطبة وقيمتها ينبثق من مكانة الكلمة في هذا الدين، وعظم منزلتها، وبعد مغزاها، وعظيم مرماها، فالكلام البديع، والأسلوب الرفيع، واللفظ العاطر، والمعنى الآسر، والتركيب الجذاب، والقول المُنساب يأخذ بالألباب، ويؤدي الأثر العجاب؛ حيث يهز القلوب هزا، ويأسر الضمائر أسرا؛ لروعة مورده، وصفاء مصدره."(٢)

وعلى هذا سيركز البحث في هذا الفصل على الأساليب اللغوية، سواء على مستوى المفرد أو على مستوى التركيب، وعلى الأساليب البلاغية، والوظيفة الإقناعية التي قامت عليها هذه الأدوات التي استند عليها السديس للوصول إلى غايته من إلقاء الخطب، وكذا تحقيقا للهدف الذي رسمه عند جمعه للخطب.

---

(١) يُنظر: دلالة السياق، ردة الله الطلحي، مطابع جامعة أم القرى، (سلسة الرسائل العلمية ٣٣)، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ص٢٦٢.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص١٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

إن مبدأ القصدية هي كل ما يدور في ذهن المخاطِب أثناء فعل التلفظ، ويقوم المقصد بوظيفة مركزية في تأويل الملفوظات والنصوص، فهي "من السمات الأساسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار في الاستدلال الحجاجي ذي الطبيعة الخطابية؛ لأن معنى قول ما في سياق تواصلي معين، لا يمكن وصفه دون الإحالة على بعض قصود التلفظ."(١)

والبحث عن الاختيارات اللفظية ومقتضايتها الحجاجية في خطب الشيخ السديس نابعٌ من القيمة الحجاجية للقصد إلى الإقناع، الذي بثه الشيخ داخل خطبه، ومحاولة تقويم السلوك الإنساني لدى المسلمين عامة، ولكل خطاب لغوي معجمه الخاص، ومن تلك الخطابات: الخطاب الحجاجي الذي يشحنه قائله بمفردات تساعده على وظيفته التواصلية مع المتلقين، هذه المفردات التي تتنوع سياقاتها في الخطاب حسب ما يقتضيه المقام. ومن هذا المنطلق سيكون المبحث الأول خاصـًّا بالاختيارات اللفظية التي توخاها الشيخ لأداء وظيفة إقناعية مع ما يردفها من وسائل وأساليب تحقق تلك الوظيفة.

(١) الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد (٣٤)، المجلد (١)، ٢٠٠٥، ص٨٠-٨١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المبحث الأول

الاختيارات اللفظية وتوظيفها الإقناعي

إن أهم ما يمكن ملاحظته على الخطيب آلية اختياره للألفاظ في الخطبة، إذ يمكن أنْ تُؤدَّى هذه العملية بأساليب عدِّة، اعتمادا على الثروة اللغويَّة للمُنشئ، وقدرته على الاختيار من النظام اللغويّ، وتأدية الخبر الواحد بطرائق عدِّة.(١)

إن المقام مدار كل خطاب حجاجي يهدف إلى الإقناع، وهو أساس اختيار اللفظ المفرد وتركيبه بما يليه من الألفاظ "فالخطاب الحجاجي لا يختصر -فقط- في سلسلة عمليات منطقية وسياق التفكير، بل إنه يُركَّب انطلاقا من المعطيات التي يمنحها التعبير على مستوى الاختيارات المعجمية التي تكتسي وجهة حجاجية."(٢) فالاختيار المعجمي في اللغة الأدبية العالية لا يكون اعتباطيًّا إنما يكون موجهة توجيها حجاجيا مقصودا في ظاهره وباطنه.

والخطاب عندما يتكئ على مبدأ الاختيار في استعمال بدائل لغوية إنما لأجل دلالته الإقناعية العميقة إذ إن "للكلمة خصائص في ذاتها تستمدها من اللغة ومن التداول، تجعلها مؤهلة بطبيعتها؛ لتكون ذات صبغة حجاجية، وترشحها لتكون من معجم الخطاب الحجاجي وقوام جداوله اللغوية. وإن لها في الخطاب -بناء على تلك الخصائص- حركة تُقصي فيها غيرها وتعوضه وتحل محله؛ ليكون الخطاب أوغل في

(١) يُنظر: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى ربابعة، دار الكندي، إربد الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص٢٩.

(٢) البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، للباحث: أمحمد عرابي، إشراف: عبد الخالق رشيد رضا، رسالة ماجستير غير منشورة ٢٠٠٩م، الجزائر، جامعة اللسانية - وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية، ص٢٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجاج وأذهب في الإقناع."[١] فالكلمة تتفاعل مع المقام الذي ترد فيه، بما لها من دلالة تراكمية وثقافية، تلك التي أُستعملت فيها، وتتفاعل -أيضا- بمقتضاها التداولي، وما علق بهذه الكلمة من دلالات اكتسبتها من الاستعمالات السابقة[٢]، ثم يوجهها الخطيب وجهة خاصة تخدم سياقه الإقناعي.

إن عملية الاختيار تنطلق من حركة الألفاظ داخل الخطاب، إذ تقوم الكلمة بإبعاد أختها وتحل محلها، بناء على خصوصية تميزها، ومن ثَمَّ تبرز طاقتها الحجاجية هذه (حركة الكلمة الحجاجية) كما يسميها الباحث عبد الله صولة، حيث بيَّن مقصود هذا المصطلح بقوله: "مزاحمتها غيرها من الكلمات اللاتي هن من جدولها المعجمي (مرادفاتها مثلاً إن صحت مقولة الترادف)، أو هن من غير جدولها المعجمي،... ينشأ بينهن تنافس وتدب في صفوفهن حركة من أجل أن تظفر إحداهن بمكان لها في الملفوظ عوضا عن سائرهن، تتحقق فيه وتستبد به وتقصيهن عنه."[٣]

لقد شكلت هذه الحركة على المستوى اللفظي ظاهرة أسلوبية تبرز كثيرا في كوكبة الخطب المُنيفة، إذ نلاحظ انتقاء الشيخ عبد الرحمن السديس لكلمات خطابه، فحرص على اختيار الألفاظ ذات الأثر البالغ في نفوس المتلقين، ووجهها توجيها حجاجيا يخدم هدفه الإقناعي. فاللفظة المفردة - في حد ذاتها- قد تكون من وسائل الحجاج في كوكبة الخطب المُنيفة، تتمظهر حجاجيتها من السياق المقامي والإيقاعي الذي تحققه بوجودها دون لفظة أخرى، فهي: "الوحدة المعجمية - الصرفية- الإعرابية معًا، القابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سمات دلالية إضافية عن طريق علاقتها بالمقال الذي ترد فيه، وبالمقام الذي تستعمل فيه. وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في ذلك المقال والمقام بفضل مالها من قيم دلالية مختلفة، بعضها، مستمد

(١) الحجاج في القرآن من خلال أهم أساليبه، عبد الله صولة، ص٧٤.

(٢) يُنظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم أساليبه، عبد الله صولة، ص٧٤.

(٣) السابق، ص١٦٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

من اللغة نفسها، وبعضها مُتأتٍّ من الاستعمال والتداول"[١]

ولما كانت الدراسات اللغوية الحديثة تنظر إلى اللغة بوصفها أصوات لغوية في المقام الأول تألفت ضمن نسق معين. هذه الأصوات تظهر بقالب تحمل في طياتها وظيفة دلالية للمتلقي، لهذا كل كلمة تعد دليلاً لغويًّا. ولهذا الدليل اللغوي وجهان: وجه صوتي يسمى الدال، وآخر قيمي وهو المدلول، وغير الدال أو جزء منه يستتبع بالضرورة تغير المدلول. فالفرق مثلاً بين (كتَبَ) و(كاتِب) ليس فرقًا في الصورة الكتابة فقط، بل هو فرق صوتي في المقام الأول، اختلف فيه الدال في الأولى عن الدال في الثانية.[٢] ولما كان الأمر كذلك،فإن التحليل اللساني للنصوص اللغوية يبدأ بالأصوات؛ لأنها من العناصر الأولى التي تكوّن الكلمات أو الوحدات الدالة، ثم يُنظر في بناء الكلمة من حيث شكل الوظيفة، ثم يُنتقل إلى التركيب، ثم إلى المعنى المعجمي أو السياقي.[٣]

وعلى ذلك سيتم تقسيم هذا المبحث على هذا الترتيب اللغوي للفظة، فيبدأ بالبحث في حجاجية اللفظة المفردة صوتيًّا ثم صرفيًّا ثم معجميًّا.

❖ ١. حجاجية اللفظة على المستوى الصوتي:

يُعَرِّف ابن جني الصوت لغويا بقوله: "عَرَض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيُسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف

(١) الحجاج في القرآن من خلال أهم أساليبه، عبد الله صولة، ص٦٨.

(٢) يُنظر: دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، عبد المقصود محمد عبد المقصود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص٢٢-٢٣.

(٣) يُنظر: مدخل إلى علم اللغة، د.محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دون طبعة وتاريخ، ص ١٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مقاطعها."[١] أي أن لكل حرف معجمي في اللغة جرسًا صوتيًّا مختلفًا تمامًا عن الآخر بحسب اختلاف مقاطع الأصوات. فاللغة ماهي إلا " أصوات يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم."[٢] ومن ثم فهي أداة ووسيلة تضطلع بمهمة تواصلية تداولية بين البشر، يعبر بها كل إنسان عما يدور في ذهنه، وبها يتواصل مع بني جنسه.

وإذا كان الصوت مظهرا من مظاهر الانفعال النفسي، فثمة وجود لعلاقة وطيدة بين الصوت والدلالة[٣] ، وكذلك وجود توافق بين طبيعة الصوت وطبيعة الحدث المقام الذي ورد فيه، حيث إن عددا كبيرا من الدارسين أكدوا وجود علاقة وطيدة بين الصوت وما يدل عليه، ومنهم مثلا سُفسطائي القرن الخامس قبل الميلاد (أفلاطون)[٤]. ومنذ ذلك الوقت أُلفت العديد من الكتب لإثبات صحة هذا الرأي، حتى ظهر مجموعة من الباحثين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قالوا بوجود علاقة بين الأصوات وخصائصها[٥] ومنهم همبلت (Humbolt) الذي يقول: "أتخذت اللغة للتعبير عن الأشياء طريق الأصوات التي توحي إلى الأذان بنفسها، أو بمقارنتها بغيرها أثرا مماثلا لذلك الذي توحيه تلك الأشياء إلى العقول."[٦]

---

(١) سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م، ص٦٧.

(٢) الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الرابعة، ص٣٤.

(٣) يُنظر: تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م ص٩.

(٤) يُنظر: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، دون طبعة، ص٣١٩.

(٥) يُنظر: تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢، ص٣٣.

(٦) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد بني دومي، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٦ ⇦=

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وفيما يتعلق بالمعجم اللغوي الحجاجي في كوكبة الخطب المُنيفة نستظهر البعد التداولي الاستعمالي للفظة ودلالاتها التي تغيرت بعوامل ثقافية وفكرية كل ذلك في سياق الخطبة؛ لأن السياق -وحده- هو القادر على أن يمنح اللفظة المفردة دلالتها المحددة، ويعطيها القيمة الحضورية؛ لذلك كان شعار أصحاب نظرية السياق المرفوع هو "أعطني السياق الذي تجد فيه الكلمة وسأخبرك بمعناها."(١)

وقد تميزت لغة الشيخ السديس بالفصاحة والبلاغة، ولاغرو، فهو الفقيه المتمتع بشخصية الأديب،حيث يوظف الكلمة في سياقها توظيفًا شاملا، مستثمرا كل الأبعاد الصوتية والصرفية والمعجمية للفظة المفردة. وبمطالعة خطبة من خطبه التي يمكن الوقوف على عديد من نماذج تلك الألفاظ التأثيرية فيها، نجد - على سبيل التمثيل- استخدام لفظة (**مُجَلْجِلَةٍ**) والجَلْجَلَة: شِدَّةُ الصَّوْتِ(٢) في قوله: **"كما كان الأمر بالقراءة أول صيحة مجلجلة أطلقها الإسلام؛ تنويها بقيمة العلم وسموا بقدره..."**(٣) فيُلاحظ اختيار اللفظ (مجلجلة) الذي يُوحي بالنداء الطويل لكل أبناء الأمة؛ ليقابل بوصفه تلك الدعوة، التي أطلقها الإسلام وحثهم على القراءة وطلب العلم.

إن الذي يبحث في البنيات الصوتية الصغرى والمقطعية لهذا اللفظ يجد دلالات تصب في عمق المعنى. فالتركيب الصوتي لهذا اللفظ يتكون من خمسة مقاطع صوتية، تكرر فيها صوت الجيم، ذلك الحرف الجهوري الانفجاري، كما تكرر بعده اللام الذي ينطق بطرف اللسان، بعد حرف ينطق من آخره، لينبثق الصوت معبرا عن دعوة

= ص٥٠.

(١) محاضرات في اللسانيات، فوزي الشايب، منشورات وزارة الثقافة الاردنية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص٤٦١.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ه، مادة (جلجل) ج١١، ص١٢١.

(٣) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٦٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

القرآن - المعلم الأول للإنسان - للقراءة في قوله -تعالى-: (چ چ چ چ ڇ ڇ)[١].

فالخطيب أراد أن يلفت الانتباه إلى دعوة الإسلام الأولى للقراءة عندما وصف الصيحة بأنها مجلجلة؛ أي عمت كل أرجاء المكان، ثم كرر هذه الصحية التي جاءت مع نزول القرآن بصيحته هو؛ ليتنبه كل غافل عن القراءة التي هي أساس كل علم، ومطلب كل حضارة.

فالحجة:إدراك أهمية القراءة في طلب العلم والمعرفة، وأن الإسلام يحث عليها، فهي أول دعوة وجهها القرآن الكريم إلى الرسول (ﷺ) وإلى كافة من يؤمن به.

النتيجة: الترغيب في القراءة، والعمل على تحصيل العلم والمعرفة.

كما تطالعنا في هذه الخطبة لفظة **(مأفون)** في وصفه لكل رجل يدَّعي العلم، إذ نجد أنها تلفت النظر إليها لاختلافها عن جارتها، حيث تسعى الأذهان إلى تفسيرها ومحاولة فهمها، يقول الشيخ السديس:

"إن الجرأة على الفتوى جرأة على النار...و أصبح الحديث في علوم الشريعة بضاعة كل متعالم مأْفُون، حتى ساموا باعة البقول عددا."[٢]

والرجل الأفين والمأفون أي: ناقص العقل، وَ رَجُلٌ مأْفونٌ: ضعيفُ العقلِ والرأْيِ[٣]. إن وجود صوت (الفاء) وتركيبها مع ما يجاورها من أصوات في قوله (مأفون) فيه سخرية بذلك المتعالم الذي يدعي العلم والمعرفة. ولعل الذي أضفى على هذا اللفظ نغمًا ساخرا مُهينا في الدلالة وقدرة على التصوير هو صوتي: (الفاء والواو). فالفاء من الأصوات المهموسة المرققة. ولعل الهمس والترقيق والرخاوة التي تتمتع بها هذه الأصوات جاءت متفقة مع دلالة اللفظ. وعليه جعلته أكثر سخرية وأمعن

(١) سورة العلق، آية (١).

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٧٩.

(٣) لسان العرب مادة (أفن)ج ١٣، ص١٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

في حط منزلة ذلك الرجل المتعالم في سياقه هذا الذي لا يصعب للفظ آخر أن يحلَّ محله ويقوم بوظيفته ودلالته تلك، لما فيه من قيمة جمالية دلالية، وما كثرتهم إلا للدلالة على عجزهم إذ فاق عددهم عدد بائعي البقول، كما تكلم (الرويبضة) العاجز عن طلب المعالي المتراخي في طلب المعرفة في أمور لا يفقهها، ومما يدعم انحطاط منزلة هذه الفئة من الناس هو شدة اللهجة وقوة العبارات التي استخدمها الشيخ، إذ يقول في ذات الفقرة:

"و استطالوا على منازل العلماء، ومقامات العظماء والفقهاء، وعمدوا إلى أمور من الثوابت والمبادئ، وجعلوها عرضة للتغيير والتبديل، بدعوى تغيُّر الفتوى بتغيُّر الزمان، ووجد من يتنصل من الفتوى بأمور جاء تحريمها مما عُلِم من الدين بالضرورة، وكثر التحايل على الشريعة."(١)

فكل ألفاظ الفقرة جعلت النص أكثر اتساقا لشد الأذهان؛ لاستكمال استيعاب الأفكار من البداية إلى الختام ؛ لتبيان حال أولئك القائلين بغير علم كيف هي أحوالهم؟ ومن هم؟ وكيف تجرأوا على اتخاذ مكانة العلماء ومنزلة الفقهاء؟.

ويمكننا تبيان الحجة فيها على النحو الآتي:

الحجة: نقص عقل المدعي للعلم، والقائل على الله بغير علم.

النتيجة: إقناع المستمعين بأن للفتوى الشرعية أهلها، ولها علماؤها المنوطون بها، ومن ثم يجب اقتصارها عليهم.

ويلفت انتباهنا ويجذب اسماعنا تكرار حرف الغين في قوله (**غدا غُرَّة**). والغُرَّة بِالضَّمِّ: بَيَاضٌ فِي الْجَبْهَةِ(٢) في قوله: **"يا إخوة الإسلام، أمة الصيام والقيام في هذه العشر المباركة تحقق في تاريخ هذه الأمة حدث عظيم، وحصل فتح مبين،حدث غير**

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٧٩.

(٢) لسان العرب، مادة (غرة)، ج٥، ص١٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مجرى التاريخ، وغدا غرة في جبين أمة الإسلام، وشامة في دنيا ماضيها وحاضرها... إنه يوم الفرقان الذي فرق فيه بين الحق والباطل في غزوة بدر الكبرى، حين انتصر المسلمون وهم قلة في العدد."(١)

إن جرس اللفظ ووقع تكرار صوت (الغين) كان من أهم المنبهات المثيرة للانفعال النفسي عند المتلقي؛ ومن ثم تحفيز مخيلته كي ترسُم صورة معبرة لذلك النصر الكبير، الذي صار بياضا في مقدمة الرأس، يراه كل البشر، ثم دعم المعنى المقصود بقوله **(شامة)**، التي تكتسي لون السواد الحالك ليقنع السامع بأن هذا الحدث العظيم يقع في المقدمة،فأول ما تلوح انتصارات المسلمين تظهر لنا غزوة بدر التي حدثت في شهر رمضان المبارك، ثم يتصور المخاطب ذلك الإنجاز العظيم الذي لا يُقتصر في عظمته على ذلك العصر بل هو عزٌ لأبناء أمة الإسلام في حاضرهم وماضيهم.

ويمكننا تبيان الحجة فيها على النحو الآتي :

الحجة: ارتباط شهر رمضان المبارك بأحداث تاريخية، وانتصارات إسلامية.

النتيجة: استشعار انتصارات المسلمين، وتعظيم شهر رمضان، واستذكار الأحداث العظيمة التي حدثت فيه.

إن الخطيب يقرع آذان مخاطبيه بعدد من الحروف المكررة باستمرار والحاملة لصفات معينة، يسعى لاستمالتهم للموضوع المتحدث عنه، وكذلك إقناعهم بما يُعرض عليهم من قضايا وأفكار.

ومن أمثلة التكرار الصوتي الذي يؤدي وظيفة إيحائية للمعنى المراد في حديثه عن الأم وتحملها فترة الحمل والإرضاع يقول: **"تقاسي الأسقام والآلام ما لله به عليم،**

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٤١-٢٤٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

بل إنها لتشاهد الموت وهي تُعالج آلام الطلق والإنجاب، ثم متاعب الرضاعة حولين كاملين، تقوم بها مُثقلة، وتقعد بها مُـتَمَلْمِلَةً."(١)

والشاهد في قوله: **مُـتَمَلْمِلَةً**، إذ نجد تكرار حرفي اللام والميم، وحرف اللام منحرف بسبب اتصال طرف اللسان باللثة، وارتفاع الطبق الذي يؤدي إلى إغلاق مجرى الأنف عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق.(٢) وهو بصفته هذه يوحي في لفظة (**مُـتَمَلْمِلَةً**) بالتثاقل، والتثاقل - هنا - على كل وجه فهي مثقلة في القيام والقعود، والطباق -هنا- بين (القيام والقعود) يزيد في تخيل الصورة التي رسمها لنا الشيخ، فنتخيل صورة الأم المُتعبة التي تقوم وتقعد، وكلها آلام ومتاعب، وهذا أدعى للإقناع وأمعن في تحقيق النتيجة، التي يصبو إليها الخطيب، وهي البر والإحسان إلى الوالدة.

ومما سبق نبين الحجة على النحو الآتي:

الحجة: أن الأم تعاني آلام الحمل والولادة، وتقاسي أوجاعهما، كذلك تعاني مصاعب ومتاعب الرضاعة سنتين كاملتين.

النتيجة: وجوب بر الوالدين، خاصة الأم، والإحسان إليهما، وطاعتهما.

ومن الأمثلة الصوتية التي تؤدي وظيفة حجاجية، قوله:

" إن كل متكبر - دون الله- فهو صغير، وكل غني - سواه- فقير، وكل متعاظم - بعده - حقير؛ كل ذلك لأنه لايخاف إلا الله، ولا يرجو إلا إياه، ولا يطلب المدد والنصر إلا من عنده سبحانه؛ فلا يطأطيء رأسه لمخلوق، ولا يتضعضع لبشر، ولا يكون جبانا مستباحًا غرضا لكل المطامع...وأُخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين؛

---

(١) كوكبة الخطب المئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٥٨.

(٢) يُنظر: في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطية، دار الجاحظ للنشر، بغداد ١٩٨٣م، ص٦٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وردع المعتدي، وكف الظالم."[١]

إن سياق الخطبة كما ورد في العرض السابق يتحدث عن قوة الإسلام وعزته، فالإسلام دين يعتز به من يدين به، فلا يذل نفسه إلا لله، ولا يخضع لأي بشر. جاء هذا الحديث في سياق حديثه عن أولئك المسلمين المستضعفين في(البوسنة والهرسك)، وطأطأ الشيء: خفضِه، طَأْطَأَ عن الشيء: خَفَض رأْسَه عَنْه[٢]، والضَّعْضَعةُ: الخُضُوعُ والتذلُّلُ، وقد ضَعْضَعه الأَمر فَتَضَعْضَعَ. قال أَبو ذؤيب: وتَجَلُّدِي للشامِتِينَ أُرِيهِمُ أَنّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَع .[٣]

ويسوق الشيخ هذه العبارات لبيان حال ما وصل إليه إخواننا في (البوسنة والهرسك). فهو ينفي عن المسلمين ضعفهم واستكانتهم. وهذا الحال من الذل والإهانة قد وصل إليها إخواننا هناك، ويريد أن يصل بنا إلى نتيجة حتمية صرح بها نهاية الفقرة، وهي: أن يهُبَّ المسلمون لنصرة إخوانهم ورفع الظلم عنهم. فالدين الإسلامي يرفع أمته من الإهانة. إنه دين العزة والإباء. فليس لمسلم أن يخضع لأحد غير الله، وتكرار حروف الإطباق.[٤] (الطاء، والضاد) زاد من صورة الذل والاستكانة، التي وصل إليها المسلم هناك.

كذلك فإن اختيار اللفظتين في سياق واحد يوحي إلى المخاطبين بأن هذه هي حال المسلمين الراهنة في تلك البلاد، وهو بهذه الأصوات حقق وظيفتين حجاجيتين، تتمثل الأولى في تصور حال المسلمين هناك، وإدراك الفتنة التي حلت بهم، والثانية في

(١) كوكبة الخطب المئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٥٢٠.

(٢) لسان العرب، مادة (طأطأ) ج١، ص١١٣.

(٣) لسان العرب، مادة (ضعع) ج٨، ص٢٢٤.

(٤) ينتج الإطباق من مجاورة أصوات أحرف (الصاد والضاد والطاء والظاء)، يُنظر: في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطية، ص٧٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

إدراكهم للحياة الإسلامية الصحيحة، التي رفعت عنهم الظلم والإهانة.

ومما سبق نتبين الحجاج على النحو الآتي:

الحجة: إن دين الإسلام دين رفعة وعزة وشرف وكرامـه. فالمسلم لا يُهـان، ولا يخضع لبشر، ولا يُذل، ولا يُستباح عرضه وماله لكائن من البشر.

النتيجة: أن رابطة الدين تفرض التناصر بين المسلمين، إذ يجب علـى كـل مسـلم أن يَهُبّ لنصرة أخيه، ويحق له الحق، ويرفع الظلم والباطل عنه.

و من أمثلة التكرار الحرفي قول الشيخ:

"إن المعاناة التي يعيشها كثير من المسلمين اليوم، لا مخلـص منهـا إلا الإيمـان بـالله، والتوكـل عليـه سـبحان، مـع الأخـذ بالأسـباب: مـن تنميـة المـوارد، وترشـيد الإنفـاق....ولو أن المليـارات التـي تُنْفـق فـي سـباق التسـلح، وشـن الحـروب علـى المستضـعفين حُلـت إلـى مشـاريع إغاثيـة وإنمائيـة، واسـتُثمرت لصـالح البشـرية،لمـا حصَل ما طَنْطَنُوا حوله."(١)

أشتمل تركيب هـذه الفقـرة مـن الخطبـة علـى أسـاليب عـدة، أسـهمت فـي توجيـه الخطاب إلى وجهة حجاجية. إذ بـدأها بالتأكيـد بحـرف (إن) ثـم بـالنفي والاسـتثناء (**إنَّ** المعاناة التي يعيشها كثير من المسلمين اليوم،**لا** مخلص منها **إلا** الإيمـان بـالله، والتوكـل عليه سبحانه) ثم بدأ بذكر عديد من الحلـول التـي تسـاعد فـي التنميـة الاقتصـادية. وفـي نهاية الفقرة يأتي بأسلوب الشرط: (و لو أن المليارات التي تُنْفق في سباق التسلح، وشن الحروب على المستضعفين حُوِّلـت إلـى مشـاريع إغاثيـة وإنمائيـة، واسـتُثمرت لصـالح البشرية،**(لما حصَل ما طَنْطَنُوا حوله)**.

وهذه الأساليب تخدم نتيجة حجاجية واحدة، هي:استثمار خيرات بـلاد المسـلمين،

(١) كوكبـة الخطـب المـُنيفة مـن منبـر الكعبـة الشـريفة، الشـيخ: عبـد الـرحمن السـديس، السـفر الأول، ص٦٢٨.

reply_W30xG ١٤٤١/٠٨/٠١ Ali Fattani

والحذر من المؤتمرات الفاسدة التي تُحاك ضد الإسلام والمسلمين. وما يهم تناوله حجاجيا في هذا الموضع هو كلمة (طنطنوا له)، والطَّنْطَنة:كَثْرَةُ الكلام والتصويت به[1]

ونلاحظ هذا التعبير الخطابي له بعد حجاجي، يعكس موقف المخاطِب من هذه الدعوات التي ينادي بها أعداء الإسلام. إذ يتجلى موقف الشيخ السديس من المؤتمر الذي عقد بمناسبة السكان والتنمية، الذي نادى بتحديد النسل. فالحالة الشعورية للخطيب - المراد تبليغها- تنعكس في الحروف الموظفة. وأحرف (طنطن) تدل على أنها أصوات لا فائدة منها،بل هي طنطنة، وكلام لا طائل منه. وهذا نوع من التأثير يريد الشيخ إثارته في نفوس المخاطبين، يدعم النتيجة التي يريد الوصول إليها، وهي: الحذر من هذه المؤتمرات والانتباه لمخططاتهم، والحرص على تكثير نسل الأمة الإسلامية.

ومما سبق يمكن تبيين الحجة، والنتيجة على النحو الآتي:

الحجة: إن هناك كثيرا من الحلول للمشكلات الاقتصادية التي يعانيها المسلمون، منها تنمية الموارد، وترشيد الاستهلاك، واستثمار المال في مشاريع إنمائية تخدم الناس بدلا من استثمارها في الأسلحة والدمار.

النتيجة: فساد ما نادى به مؤتمر السكان والتنمية، والحرص على التكثير من نسل الأمة الإسلامية، والحذر من مخططات أعداء الإسلام.

ومن أمثلة المفردات التي تؤدي وظيفة صوتية حجاجية قول الشيخ عندما يتحدث عن قضية (التكفير) وأخطارها: **"فلا جرم بعد ذلك كله، أن يقف الشرع منه موقفا صارما يسد الطريق على أحفاد ذي الخويصرة: وحرقوص بن زهير، ومن خرج من ضئضئة ممن يكفرون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، بل يوزعون صكوك جهنم**

(١) لسان العرب، مادة (طنن) ج١٣، ص٢٦٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

على الخليقة، وهم لا يشعرون، والله المستعان."[١]

في هذا السياق الحجاجي البديع تتكثف الحجج بشكل لافت. إذ يصوغها بأسلوب لا يخفى علينا قوته وصرامته. منها استحضار شخصية تاريخية، واستدعاء الرابط الحجاجي (بل). ونلاحظ في هذا المسار الحجاجي تدرجًا واضحًا للحجج بشكل يدمغ الحجة التي لا يماري فيها إنسان، وسنتبينها لاحقًا. وما يجذبنا - أولا- هو لفظ (**ضِئْضِئِهِ**)، الذي تكرر فيه حرفي (الهمزة والضاد). والضأْضاءُ صَوْتُ الناسِ، وهو الضَّوْضاءُ.[٢] ولا شك أن الشدة والحبس الناتجين من اجتماع حرفي (الهمزة والضاد) تبرز المعنى المراد بصورة واضحة وجلية. إذ يكشف لنا الخطيب أن هذه ضئضة وأصوات يتفوه بها أناس لا علم لهم بالدين ولا بالعقيدة، مما يدل على أن من يكفر المسلمين هكذا دون ضوابط لا يُعتد بقوله.

إن استدعاء شخصية"**ذي الخويصرة:حرقوص بن زهير**[٣] - وهي الشخصية التي ترمز إلى التكفير، وتعود إلى مذهب الخوارج المكفرة، التي تكفر المسلمين بالكبائر التي دون الشرك.[٤] - يُعد انتقاء ذكيا لبناء الخطاب الحجاجي. حيث وظف هذا الرمز توظيفا يحمل على الإقناع، وقد أحسن المخاطِب اختيار الرمز الذي يعبر عن التكفير، الذي يعد رأسا من رؤوس الخوارج. وباستحضاره يؤدي إلى تحريك الأذهان والعودة بالذاكرة إلى الوراء، وتصور الحروب وكثرة القتل الذي وقع على يد هؤلاء

(١) كوكبة الخطب المئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٤٥٨.

(٢) لسان العرب مادة (ضأضأ) ج١، ص١١٠.

(٣) هو ذو الخويصرة التميمي رأس الخوارج المقتول بالنهروان. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، ج٢، ص٤٤.

(٤) يُنظر: الخوارج: أسماؤهم وأوصافهم، نجيب جلواح، مجلة الإصلاح، المجلد التاسع، عدد (٤٦) رجب/شعبان ١٤٣٦ه، ص٥٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الخوارج، وكان منهم (حرقوص) مما يجعل المخاطبين أكثر ارتداعا عن فعل (التكفير).

وتتأسس حجة الرمز على الانتماء الاجتماعي أو بعد ثقافي خالص. وتختلف البيئات الثقافية، التي ينتمي إليها الرمز. فالوطن والمعتقد، مما يكوّن تلك الشخصية، وعلى هذا النحو تعبر الرموز عن انتماء الفرد إلى المجموعة، انتماء وجدانيا، بل مقدسا في أغلب الأحيان.(١)

ومن هنا استطاع الخطيب النفاذ إلى ذهن المتلقي بطريقة ذكية تحمله على الاقتناع بشناعة هذا الفعل، ومن ثم تتغير مواقفه وأراءه إزاء هذه القضية إن كان ممن يتبناها، والعمل على تثقيف الناس إن كان غير ذلك، ثم إن الشيخ ابتدأ ببيان موقف الشرع الإسلامي من هذه القضية؛ حيث وقف الإسلام منها موقفا صارما، سد الطريق أمام هؤلاء المكفرين وأمثالهم ممن حملوا هذا اللواء، بل من يوزعون صكوك جهنم!!

ومما سبق يمكننا إجراء الحجاج على النحو الآتي :

الحجة الأولى: وقف الإسلام أمام قضية التكفير موقفا صارما. فهو يرفض هذا الفعل بكل أشكاله.

الحجة الثانية: هذا الموقف سد الطريق أمام حرقوص بن زهير وأمثاله، وكل من يكفر أهل الإسلام.

النتيجة: أن المسلم لا يُكفَّر بقول أو فعل أو اعتقاد إلا بعد أن تقام عليه الحجة، وتُزال عنه الشبهة.

فيما سبق من دراسة تحليلية لبعض ألفاظ خطب الشيخ السديس، نلاحظ ما توحيه أصواتها من معاني، ويمكن القول: إن من أبرز ملامح جمالية تلك الألفاظ هو مناسبة

(١) يُنظر: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني - بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص٢٣٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أصواتها لمعانيها. إذ لا يمكن أن نجد هذه المناسبة العجيبة بين نطق اللفظ ومعناه في نصوص راقية بعد القرآن الكريم والحديث النبوي إلا في أعمال خاصة، كخطب الشيخ السديس، ولا عجب بمن يتمثل خطابه بأساليب القرآن الكريم وأساليب الحديث النبوي. ومن عجيب ما رأيناه هو التصرف بالأصوات بطريقة، انتزع فيها المبدع قيمًا جمالية ومطابقتها مع ما قبلها وبما بعدها؛ لتكون عاملا مهما من عوامل الإقناع المؤثر في السياق فـ" الأصوات ليست محض أجراس معزولة عن الدلالة"[١] ، بل هي عامل من عوامل تمكين الكلام بمعناه في نفس السامع وإيقاعه في ذهنه؛ ليستقر في عقله، ثم ليعمل بما يمليه عليه ذلك التأثير إيجابًا، ومن ثمَّ فالأجراس الصوتية جزء من إستراتيجيات الإقناع، التي تتجه إلى الأذن -أولا- ثم إلى العقل ثانيا؛ لذلك كانت ملاحقة المسار الصوتي نابعة من الإيمان بطاقته الحجاجية في لغة المخاطِب الأدبية.

❖ ٢. حجاجية اللفظة على المستوى الصرفي:

إن اتِّباع منهج تصريف القول في الخطب يوضح بجلاء الفروق الدقيقة بين الألفاظ والصيغ والأساليب، عن طريق معرفة سبب إيثار لفظ في موضع على غيره في موضع آخر. ولأن ذلك التنوع والاختيار تكمن وراءه أسرار يقوم فهمها على التبصر بالمقام وخصيصة السياق. فكل تغيير في الكلام يؤدي حتما إلى تغيير في المعاني وتنوع في المقاصد.

ويعرف ابن عصفور "التصريف"بأنه: تغيير في أصل الكلمة، وجعلها في صيغ مختلفة لضروب من المعاني.[٢]و هو تغيير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي. فأول: تغيير المفرد إلى التثنية والجمع، وتغيير المصدر إلى الفعل والوصف، والثاني

(١) قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ٧هـ، أحمد الودرني، دار العرب الإسلامي بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ج١، ص١٥٣.

(٢) يُنظر: الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ج١، ص٣٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

كتغيير قَوْلٍ وغَزْوٍ إلى قَال وغَزا، ولهذين التغييرين أحكام كالصحة والاعتلال، وتسمى تلك الأحكام علم التصريف.(١) فالصرف- بالمعنى العَمليّ- تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها، كاسمي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل، والتثنية والجمع إلى غير ذلك. وفي الاصطلاح في أبسط تصور له هو "علم بأصول يعرف أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء".(٢)

وتعد الصيغة الصرفية للكلمة "أداة من أدوات التأثير في الخطاب الحجاجي،بما تختزنه من معانٍ تُضاف إلى معناها المعجمي، فالمتكلم يختار صيغة صرفية دون غيرها؛ لتعبر عن موقفه تجاه موضوع الخطاب، والرسالة التي يريد إيصالها للمتلقي، مراعيا في ذلك اختيار الصيغة الأنسب للسياق"(٣) والصيغ الصرفية المتعددة بخصائصها التركيبة النظمية "تعكس إلى حد بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة التواصل، بحيث يمكن عدُّ بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض التواصلية والحجاجية، التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في طبقات من المقامات معينة."(٤)

فأبنية الكلمات المختلفة يمكن أن تتحول إلى رافد حجاجي إقناعي إذا ما تنبه الخطيب إلى الملائمة بين هذه الأبنية اللغوية، بعدِّها جزءا من كل، وبين الحجج

(١) يُنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله جمال الدين بن هاشم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ج٤، ص٣٦٠.

(٢) يُنظر: شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ ص٢٣.

(٣) الحجاج في الحديث النبوي -دراسة تداولية -، آمال المغامسي، الدار المتوسطية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م ص: ١٧٩.

(٤) اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م، ص١٠٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الاستدلالية غير اللغوية في الخطاب.(١)

ومن أمثلة الصيغ الصرفية التي تنهض بوظيفة الإقناع في بعض السياقات ما يلي:

أ - اسم الفاعل:

هو اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، وهو"ما دل على الحدث والحدوث وفاعله، ويُشتق اسم الفاعل من الفعل الثلاثي على زنة فاعل(٢)، و من غير الثلاثي على زنة مضارعه، مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، وكسر ما قبل الآخر مطلقا، سواء أكان مكسورا في المضارع أم مفتوحًا.(٣)

أما دلالة اسم الفاعل من حيث الثبوت أو التجدد؛ فهو يقع موقعا وسطا بين الفعل والصفة المشبهة؛ لأن الفعل يدل على التجدد والحدوث مرة بعد مرة، فإذا كان ماضيًا دل على أن حدثه تم في الماضي، وإن كان حالاً أو استقبالاً دل على ذلك، أما اسم الفاعل؛فهو أدوم وأثبت من الفعل، لكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة، فكلمة (قائم) أدوم وأثبت من (قام أو يقوم)، ولكن ثبوتها ليس كثبوت (طويل أو دميم أو قصير) وغيرها من الصفات المشبهة، لأنه يمكن الانفكاك عن القيام إلى الجلوس أو غيره، ولكن لا يمكن الانفكاك عن الطول أو الدمامة أو القصر.(٤)

ومن الأمثلة التي وُظِف فيها اسم الفاعل بوصفه حجة لغوية دالة على الثبات ما جاء في قول الشيخ السديس: **"و ليتق الله المُعْطِي والآخِذُ، فلا يجوز لمن ليس من**

(١) يُنظر: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص١٠٦.

(٢) يُنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج٣، ص٢٣٤.

(٣) يُنظر: السابق، ص٢٤٥.

(٤) يُنظر: معاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي، دار عمار، عمّان، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ص٤١، ٤٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أهلها أن يأخذ منها شيئا، ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مُكتسب"(١)

فقد جاء اسم الفاعل في ثلاث صيغ (المُعطِي، الآخذ، مُكتسب). فالدعوة - هنا- بالأمر بتقوى الله -تعالى- في مصارف الزكاة، وأنها لا تحل لمن كان غنيًّا، وعلى المعطي أن يتحرى الدقة في صرفها على الوجه الصحيح؛ حتى يحصل بها الثواب من الله، وتتحقق بها الفائدة المرجوة. وهي محرمة على القادر الذي يستطيع الكسب والعمل.

فالحجة اللغوية في هذه العبارة برزت عن طريق استيعابه جهة الصرف وجهة المصروف فيه. وقد تآكدت هذه الحجة عن طريق المطابقة بينهما؛ لأن هذه المطابقة جعلتنا نتصور المعطي، وهو يعطي المال وآخذ يأخذ المال من يده، وهذا أدعى وأمعن في الإقناع، كما أن الاختلاف بين صيغتي اسم الفاعل الصرفيتين (مُفعِل وفاعل) أدى إلى اختلاف في المعنين، إذ نجد دلالة (معطي) تدل على التجدد والحدوث ودلالة (آخذ) تدل على الثبات والديمومة، أما دلالة (مفتعل) في قوله: (مكتسب) فهي -أيضا- دالة على الثبات والدوام، والهدف - هنا - من هذه الحجة: هو بيان عدم جواز صرف الزكاة لغير مستحقيها، والمسؤولية في ذلك تقع على المعطي كما تقع على الآخذ، إذ لا يجوز له أخذ ما لا يستحقه، فهو قادر على الكسب.

ومما سبق يمكننا بيان الحجج والنتائج على النحو الآتي:

الحجة: على المعطي للزكاة والآخذ لها تقوى الله، وعدم جواز أخذها لمن ليس من أهلها.

النتيجة:وجوب تحري الدقة في صرف الزكاة لمستحقيها، ووجوب التنزه والتعفف منها لمن كان غنيا.

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٢٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ومن السياقات التي وردت فيها صيغة اسم الفاعل مع تكرار الصيغة- نفسها- قول الشيخ السديس:

"إن أمة الإسلام بحاجة ماسة إلى أن يستدعي أبناؤها معاني المحاسبة والتدبر، والتقويم والتفكر، التي يبرزها هذا الشهر الكريم، الذي يمثل جامعة للخير والبر، ومدرسة للحلم والصبر، ومنارة للإيمان والتقوى، وحصنا من الفتن والأدواء، وغذاء للأرواح، وبلسما للجراح، وكابحًا للشهوات والغرائز، وشاحذا للهمم والعزائم، وجاليًا لسخائم النفوس وامراض القلوب."(١)

فتكرر اسم الفاعل في هذه الفقرة (كابحا، شاحذا، جاليًا) جاء دالا على الثبوت والمداومة في كل رمضان، وجيء بصيغة اسم الفاعل في السياق الحجاجي لترغيب المسلمين، لاسيما الناشئة منهم في الإقبال على شهر رمضان، واستغلال كل لحظة فيه. ومما يسهم في دعم الحجة -هنا- هو تصديره بتمثيل شهر رمضان بالجامعة التي تجمع بين الخير والبر، والمدرسة التي تعلم طلابها الحلم والصبر، والمنارة التي يهتدي بها المؤمن ثم يعرض الشيخ خلال الفقرة فضائل رمضان وكيف أنه يغذي الروح ويخلص القلوب من الأضغان والأحقاد، بل أنه طريق لتلاحم المسلمين وفرصة لكل مذنب وعاصي...وهو ما كان أبلغ في الإقناع والدلالة على عظمة هذا الشهر الفضيل.

والشيخ السديس لم يوظف اسم الفاعل لمجرد الإخبار أو الوصف، وإنما أراد إقناع المتلقي بما يتولد عن اسم الفاعل في هذا السياق من معانٍ تؤكد أفضلية هذا الشهر عن بقية شهور السنة، ومما يرفد السياق الحجاجي -هنا- ما نجده في نهاية الفقرة، إذ يعود ليتساءل على لسان المسلم الغافل محاسبًا نفسه: **"هل تنبه في هذا الشهر الكريم من غفلته، واستيقظ من رقدته، أو أن حاله في هذا الشهر كحاله في غيره؟!"**(٢)

---

(١) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٢) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ⇦=

reply_W30xG ١٤٤١/٠٨/٠١ Ali Fattani

ومما سبق يمكننا بيان الحجة على النحو الآتي:

الحجة: شهر رمضان شهر يتضاعف في الأجر والثواب،يكبح الشهوات والغرائز منارة للإيمان والتقوى، وفرصة للتائبين...

النتيجة:استثمار شهر رمضان على أفضل وجه، واستغلال الوقت فيه بالطاعات والفضائل، والتنبه من الغفلة فيه، أو أن يمر هذا الشهر كغيره من الشهور.

ومن الأمثلة على صيغة اسم الفاعل (شامل،كامل) في قوله: **"يجب أن يعي المسلمون أن مواسم الخير تغيير كامِل، وتبديل شامل، في كل جليل وصغير، من حياة الغفلة عن الله إلى التوبة والاستقامة والانقياد لله، وإن من إضلال الشيطان وخداع النفوس الأمارة بالسوء: أن ينكص كثير من الناس على أعقابهم، ويحوروا إلى معاصيهم."**(١)

هنا ينبه الشيخ إلى أن الحج من المواسم التي يجب أن تُحدِث تغيير كلي في حياة المسلم بعد أدائه لهذه الفريضة، فالحج يغير في الإنسان تغييرا يستغرق كافة أفعاله وأقواله، ودقائق تصرفاته؛ كما يشمل هذا التغير صغائر الأمور وعظيمها، فيبدل غفلته ولهوه إلى طاعة، وتنبه لأمر الله -تعالى- واجتناب لنواهيه، ومما يزيد من وجوب الشمولية والتكامل في التغيير وجود التضاد بين (جليل وصغير)، فقد أضاف قوة حجاجية توصل السامع إلى الإقناع؛ لأن هذا التغيير لا يقتصر - فقط- على صغائر أمور المسلم الدينية، بل حتى عظائمها، ليصل بنا إلى نتيجة مؤكدة، وهي أن الحج حد فاصل يغير فيه المسلم ما كان عليه سابقا؛ لأنه يعود كيوم ولدته أمه، فيجب انتهاز الفرصة وعدم اقتراف الذنوب، كما تتضافر مع الحجة السابقة حجة أخرى تدعم المسار الحجاجي، وتتمثل في (وإن من إضلال الشيطان وخداع النفوس الأمارة بالسوء أن

= ص٣٢٨.

(١) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٨٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ينكص كثير من الناس على أعقابهم، ويحوروا إلى معاصيهم). والشيخ -هنا- ينبه على ضرورة الالتزام بعد الحج، وعدم الانصياع لوساوس الشيطان فترده إلى سابق عهده من المعاصي.

ويمكن أن نبين الحجة على النحو الآتي:

الحجة الأولى: إن موسم الحج فرصة لإحداث تغيير يشمل جميع أفعال الإنسان وأقواله، فهو في توبة واستقامة دائمتين.

الحجة الثانية: أن كثيرا من الناس ينصاع إلى إضلال الشيطان وخداع النفس الأمارة بالسوء، فيعود إلى ما كان عليه من المعاصي والذنوب.

النتيجة: وجوب الالتزام الديني، والاستفادة من مواسم الخير لتؤثر تأثيرا إيجابيا في حياة المسلم.

ومن النماذج اللافتة في خطب الشيخ لقوة اسم الفاعل الحجاجية قوله:

"كان الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر القطب الأعظم في هذا الدين، والمهمة الكبرى للأنبياء والمرسلين، بل قد عده بعض أهل العلم ركنا سادسًا من أركان الإسلام؛ كل ذلك لما يشتمل عليه من الفضل العظيم، والخير العميم، والفوائد العاجلة والآجلة، ولما يترتب على تركه من استشراء الباطل، وانتشار الفساد، وغلبة المعاصي وهيمنتها، وهي الجالبة لسخط الله، المُنْذِرة بمقت الله."(١)

ففي حديث الشيخ عن (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) الذي هو أساس الشريعة الإسلامية، وبه تميزت وكانت به خير أمة أخرجت للناس، نجده يعدد فضائلها وأن تركها يستشري الباطل فهي (الجالبة) لسخط الله وإن تُركت فهي (مُنْذِرة) فالسديس يقيم الحجة للحسبة، وهي أهم دعائم الإسلام وقد دلت صياغتها باسم الفاعل بما فيها من

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٠١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

استطالة صوتية دالة على عظم أمر تركها، كما تقوي هذه الصيغة معنى الملازمة الدائمة لترك هذا الركن العظيم.

وقد استعمل الخطيب - هنا - الرابط الحجاجي (بل) الذي يكمن حجاجيته في "أن المُخاطِب يرتب بها الحجج... بما يمكن تسميته الحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي، وبعضها مثبت"(١) بشرط الاّ تكون (بل) متلوة بحرف (الواو)، فإن تليت بحرف (الواو) فإنها تربط بين الحجج المتساوقة.(٢) فالحسبة أساس الدين والقطب الأعظم في الإسلام، وهي مهمة الأنبياء والمرسلين. فأراد الشيخ ألا يفسد ولا يبطل هذه الحجج الأولى فجاء بالرابط الحجاجي (بل) الذي يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين: علاقة بين الحجة الأولى التي ترد قبل الرابط الحجاجي (بل) وهي: (**القطب الأعظم في هذا الدين، والمهمة الكبرى للأنبياء والمرسلين**) وتحمل نتيجة ضمنية: (يُظن أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس واجبا دينيا) وعلاقة حجاجية ثانية أقوى، وهي التي ترد بعد (بل) وهي: (**قد عده بعض أهل العلم ركنا سادسًا من أركان الإسلام**)، التي تحمل نتيجة ضمنية: (أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا دينيا عظيما وركنا أساسيًّا من أركان ديننا الإسلامي). وهذه النتيجة الأخيرة تسير مضادة للنتيجة الأولى، وعليه فالخطيب لم يُبطل الحجة الأولى بل انتقل في الحجة الثانية من درجة أدنى في قوة الحجة إلى درجة أعلى بواسطة التعارض الحجاجي الذي يضمن الانتقال من الأمر الهام والعظيم إلى الوجوب، لذلك سعى الشيخ إلى إقناع المتلقي بالنتيجة النهائية:(وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

و يمكن تبيان الحجج في المثال السابق على النحو الآتي:

---

(١) آليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي الشهري، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف، حافظ إسماعيل علوي، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م ج١ص ١٠٦.

(٢) يُنظر: اللغة والحجاج، أبو بكر الغزاوي، مؤسسة الرحاب للطباعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م ص٧٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

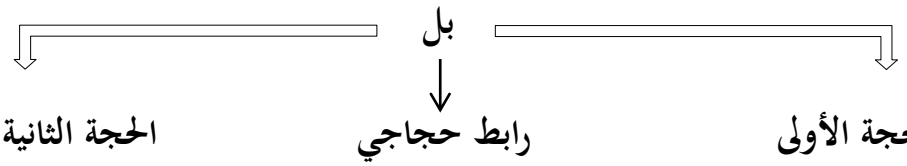

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: القطب الأعظم في هذا الدين	بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركنا سادسًا من أركان الإسلام والمهمة الكبرى للأنبياء والمرسلين
النتيجة: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.	لأن:بعض العلماء قد عده ركنا سادسا من أركان الإسلام

وفي حديثه عن المرأة وكيف كرمها الإسلام يقول الشيخ:

"أمة الإسلام أي شيء تريده المرأة بعد هذا التكريم...أيضربن بنصوص الكتاب والسنة الآمرة بالحجاب والعفة عرض الحائط، ويُخدعن بالأبواق الماكرة، والأصوات الناعقة، والدعايات المُضللة والكلمات المعسولة الخادعة؟"(١)

يصف الشيخ الدعوات إلى تغريب المرأة بأنها أبواق (ماكرة) وأصواتٌ (ناعقة) ودعوات (مُضلِلة) وكلمات (خادعة). نلاحظ أن الشيخ يعتمد على الصفات في بناء الحجج في سبيل إقناع المتلقين وجذب انتباههم بكثرة هذه الأوصاف، ومن ثم تحقق النتيجة التداولية المرجوة، واختيار صيغة (فاعل) في هذا السياق، وبما فيها من استطالة صوتية التي بها يتحقق لفت السامعين، مع ما فيه من دلالة على ثبوت وملازمة هذه الصفات لتلك الموصوفات، وبذلك كانت الصيغة الصرفية رافدا حجاجيًّا

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٤٧٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مؤثرا. فالصيغة الصرفية تمد السامع بنوع من الدلالة لم يكن ليصل إليها أو يتصورها دون استعمال صيغة بعينها.(١)

والملاحظ أن المخاطِب لجأ إلى حشد هذه الصفات للتعبير عن انفعاله وإبراز مدى رفضه لتلك الدعوات التي تدعو إلى الرذيلة. ويُضاف إلى ذلك أن الخطيب "لم يستعمل هذه الصيغة لمجرد الوصف، فهو لا يخبر - هنا - بل يحاجج."(٢)

ومما يدعم المسار الحجاجي - هنا - هو الاستفهام الإنكاري التعجبي الذي يثيره الشيخ بداية الفقرة ونهايتها، إذ يتعجب من المرأة المسلمة ماذا تريد بعد تكريم الإسلام لها، ويستنكر إعراضهن عن الكتاب والسنة، وعن ما تأمر به من الحشمة والعفاف، وينخدعن بهذه الدعوات المضللة، والصفات -هنا-" تنهض بوظيفة حجاجية تتمثل في كون الصفة؛ إذ نختارها تجلو من وجهة نظرنا ومواقفنا من الموضوع. فالمقصد الحجاجي من إطلاق الصفة ليس وضع الموصوف في خانة ما مع سائر العناصر التي تشاركه تلك الصفة، وليس الكشف عن موقفنا منه فحسب، وإنما تحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يُحكم به عليه."(٣) ويمكن تبيان الحجج في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة الأولى: أن الإسلام كرم المرأة، وحفظ كرامتها، وصان عفتها وحشمتها.

الحجة الثانية: إن الدعوات المضللة هي دعوات شيطانية، تريد إخراج المرأة من عفتها وحيائها.

النتيجة: على المرأة المسلمة اتباع تعاليم الدين الإسلامي، والوقوف على حدود الشريعة الإسلامية.

---

(١) يُنظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م، ص٤٧.

(٢) آليات الحجاج وأداوته، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عبد الهادي الشهري، ص٩٠.

(٣) الحجاج أطره ومنطلقاته، عبد الله صولة، ص٣١٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ب - صيغ المبالغة:

يعرفها الرماني بأنها: الصفة المعدولة عن الجارية[١]، و هي أن "يكون للشيء صفة ثابتة، فتزيد في التعريف بمقدار شدته أو ضعفه،فيدعي له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع، أو يحيل عقله ثبوته."[٢] وصيغة المبالغة: اسم مشتق تدل على معنى اسم الفاعل المعدول عنه مع المبالغة في المعنى وتقويته.[٣]

ويعمد المتكلم إلى صيغ المبالغة عند إرادة تكثير الفعل، حيث يمكن تحويل صيغة فاعل إلى صيغة أخرى محولة من بناءه؛ للدلالة على تكثير الحدث والمبالغة فيه[٤] ، ويلجأ المتكلم إلى توظيف صيغ المبالغة بعدِّها أداة حجاجية في خطابه، تمكنه من بناء السلم الحجاجي؛ نظرا لما تحمله هذه الصيغ من سمة الترتيب في بنائها الصرفي،إضافة إلى معنى التكثير والزيادة، واستغلال ذلك وظيفيا في سياق الحجاجي.[٥] وللمبالغة خمس صيغ قياسية مشهورة: فعّال، مِفْعَال، فعُول (بكثرة) وفَعِيل، وفَعِل(بقلة).[٦] والمتكلم الحاذق والبليغ هو الذي يوظف هذه الصيغ بما فيها من تفاضل في خطابه فـ "يستعمل منها ما يُعبّر عن درجة الحجة التي يريد أن يعبر عنها في خطابه."[٧]

---

(١) يُنظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، والخطابي والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله، دار المعارف مصر، الطبعة الثانية، ص١٠٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م، ج٣ ص٥١-٥٢.

(٣) يُنظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م، ج٣، ص٢٥٧.

(٤) يُنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج٣، ٢١٩.

(٥) يُنظر: الحجاج في الحديث النبوي -دراسة تداولية، آمال المغامسي، ص١٨٤.

(٦) يُنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج٣، ٢١٩.

(٧) إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ٥٢٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ومن أمثلة صيغ المبالغة في حديثه عن قضية الإفتاء بغير علم قول الشيخ السديس:

"لقد رسم النبي ﷺ ومن بعده السلف الصالح ¤ المسلك الوضّاء في هذه القضية الخطيرة، ديانة وورعا وتثبتًا.."(١)

فصيغة (الوضّاء) دلالة على وضوح طريق الإفتاء، واستعماله للفظ (الضوء) واتخاذ صيغة المبالغة منه يحقق الإقناع بالتصوير الحسي؛ لأننا نتخيل مسلكًا قد أحاط النور جانبيه، واضحا يراه كل مسلم، فهذه اللفظة خدمت غايته الحجاجية، وهي بيان طريق الإفتاء بأن له أهله وله طريقه الواضح المنير، ومن أراد إجابة فليسأل أهل العلم والدراية، والبعد عن من يدعي العلم ويتخوض في كلام الله تعالى.

ويمكن تبيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي :

الحجة: وضوح طريق الفتوى، فالنبي -ﷺ- وعلماء الأمة قد رسموا الطريق الواضح والمسلك النير لمن أراد أن يسلك طريق الإفتاء.

النتيجة: عدم الخوض في أمور الدين تحريما وتحليلا من غير علم ولا بصيرة.

ومن أمثلة صيغ المبالغة قوله في الدعوة إلى التآخي والترابط بين المسلمين: **"معشر الإخوة، إن أُخُوة الإسلام هي روح الإيمان القوي، ولُبَاب المشاعر الفيّاضة، والأحاسيس المرهفة التي يُكنها المسلم لإخوانه في العقيدة."**(٢)

ففي هذ النص يريد الشيخ أن يوصل رسالة للمسلمين، وهي أن الاسلام يجمع المسلمين ويُـآخي بينهم، بل إن هذه الأخوة روح الإيمان القوي، فلفظة (فيّاضة) ووصف المشاعر بهذه الصفة بدلا من (فائضة) باسم الفاعل فيه اختلاف في المعنى ؛ لأن فيها مبالغة عندما يحول المتكلم الصيغة من اسم الفاعل (فائضة) الذي يدل على

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٧٤.

(٢) السابق، ص٣٧١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

حدوث الفعل دون كثرة أو مبالغة إلى صيغة (فيّاضة) للدلالة على المبالغة في الوصف والمعنى، وكأن هذا الوصف يثبت لنا تكرار تلك المشاعر وازديادها مرة بعد مرة،لذلك كانت أقوى في سياق الإقناع والتأثير، ونجده في بداية الفقرة يطبق هذه الأخوة بندائه للمخاطبين بلفظ(الأخوة) مما يؤكد فكرة الترابط بين المسلمين، ويقيم حجة في هذا السياق بقوله: (**حتى إنه ليحيا بهم، ويعيش معهم وفيهم**) دلالة على شدة الترابط، وقوة الرابط بين المسلمين.

ويمكن تبيان الحجة على النحو الآتي :

الحجة:إن رابطة الدين والعقيدة الإسلامية الصحيحة هي أقوى رابطة، وأمتن علاقة.

النتيجة: وجوب التآخي بين المسلمين واتحاد الكلمة فيما بينهم، والحرص على التناصح فيما بينهم وتفقد أحوالهم.

ومن صيغ المبالغة اللافتة في خطب السديس قوله: "**هناك داء عُضال، ومرض قلبي قتَّال، ما فشا في أمة إلا كان هلاكها،...، منبع كل عداء، وأصل كل شقاء ؛سلاح مضَّاءٌ، وسيف بتَّار، يضرب به الشيطان القلوب فتتمزق**"(١).

يوضح الشيخ في هذه الفقرة أثر الحسد على الأمة الإسلامية، وكيف يمزق العلاقات بين الناس، وينشر البغضاء والكراهية بين المسلمين. فصيغة قتَّال على وزن (فعَّال) تتوفر فيها صفة شدة الملازمة وكثرة المداومة، وهذه الصفات لا نجدها في صيغة فاعل، فلو قال داء (قاتل) لدل على حدوث الفعل والمداومة فقط دون شدتها، ثم عضد هذا المعنى بذكر صيغتي مبالغة على الوزن -نفسه- في قوله:(**سلاح مضَّاءٌ، وسيف بتَّار**) ليقوي من درجة الحجة، بل يقنعنا بالصورة الحسية لهذا السلاح عندما قال: (**يضرب به الشيطان القلوب فتتمزق**)، وكأننا نرى ذلك الحسد في هيئة سيف حاد

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٨٢-٣٨٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

قاطع، يضرب به قلوب البشر ليمزقها أشلاء.

إن الشيخ في هذه الفقرة يركز حديثه على آثار الحسد في المحسودين من الأمة الإسلامية، والتكرار المعنوي لـ(سلاح وسيف) دلالة على خطورة الحسد. ففي ذلك استحضار لصورة السلاح في ذهن المتلقي ثم تحديده بالسيف ليجعله في تركيز متواصل ليصل به إلى نتيجة واحده، إذ لا يزال هذا الداء العُضال مجهولاً عند المخاطب، ليجيب عنه في الفقرة التي تليها بقوله: **"ذلكم - يا عباد الله - هو داء الحسد."**(١)، ليقرر أن كل تلك الصفات السيئة إنما هي للحسد، لجعل المتلقي أثناء استعراض تلك الصفات في حيرة من بداية الفقرة وحتى نهايتها، يسأل: ما هو هذا الداء؟! وما هو هذا المرض؟! ليصل إلى موضع الحجة لكي تقرر في ذهنه وتتمكن منه أقوى تمكن.

ويمكن تبيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة:أن الحسد داء يقتل سعادة كل أمة، ما وجد في مكان إلا كان سبب هلاكه ووكراهية وصول الخير للغير خصلة ذميمة.

النتيجة: نبذ الحسد من القلوب، وتمني الخير لكل البشر والدعوة إلى التصافح والتسامح.

وهكذا نجد أن الصفات لها بعدا حجاجيا،فحكمنا على الشيء لا ينحصر في الإخبار عن تلك الصفة سواء كانت جيدة أم غير ذلك بل يتعدى ذلك إلى دفع المخاطب إلى فعل ذلك الشيء الموصوف أو تركه، وهنا تكمن وظيفة هذه الصفات حجاجيا، بما تحمله من دلالات لغوية تدعم الحجاج.

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٨٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

جـ - الصفة المشبهة:

تدل الصفة المشبهه على اتصاف الذات بالحدث على وجه الثبوت والدوام.(١) وتصاغ الصفة المشبهة من الفعل الثلاثي من المتعدي والقاصر على الأوزان الآتية: فَعِلٌ، أفْعَلٌ(٢) وتصاغ الصفة المشبهة من غير الثلاثي على وزن اسم الفاعل من الفعل المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر. ويشترط في تلك الحال دلالتها على صفة ثابتة تلازم صاحبها.(٣)

وظهر بارزا استخدام الصفة المشبهة أداة في الفعل الحجاجي وعلامة عليه داخل سياق النص في عدة مواضع في الخطب. فلا يقتصر المرسل على توظيف معناها المعجمي أو تأويله، بل ينبغي التقويم والتصنيف واقتراح النتائج التي يريد حصولها أو فرضها، وهذا ما يعطيها الطواعية والمرونة التي هي من صلب خصائص الخطاب الطبيعي في الممارسة الحجاجية؛ ليمارس المرسل أكثر من فعل واحد، بالتصنيف وبتوجيه انتباه المرسل إليه إلى ما يريد أن يقنعه في حاجته.(٤)

من أمثلة الصفة المشبهة في الترغيب في صلاة الجمعة جاء قول الشيخ عبد الرحمن السديس:

" معاشر المسلمين لقد ورد الفضل العظيم، والأجر العميم في أداء هذه

(١) يُنظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٦٥م، ص٧٥.

(٢) يُنظر: المنصف من الكلام على مغني ابن هشام، للإمام تقس الدين أحمد محمد الشُموني، تحقيق: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج٢، ص١٦٠.

(٣) يُنظر: الصرف والتطبيق في القرآن الكريم، محمود سليمان الياقوت، مكتبة المنارة الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٤) يُنظر: إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، ص٤٨٧-٤٨٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الصلاة،لا سيما لمن تأدب بآدابها من الغسل والطهارة.[١]"

فيلاحظ أَنَّ (عظيم) جاءت لتُعطي معنى الدوام والثبوت واختيار الصفة المشبهة (عميم) تُفيد ملازمة وثبوت الأجر ثوابا لمن يؤدي صلاة الجمعة، وجاءت هاتين الصياغتين في سياق الإقناع بثواب أداء صلاة الجمعة، والحديث عن (صلاة الجمعة) تطلب الحديث عن آدابها؛ لذلك استدعى الشيخ الرابط الحجاجي (لا سيما) التي جاءت لتفيد أن ما بعدها وما قبلها مشتركان في أمر واحد،لكن نصيب ما بعدها أوفر من نصيب ما قبلها[٢] ولتقيم علاقة حجاجية تربط بين بين الحجتين، وهي (ورود الفضل العظيم والأجر الكبير لمن يؤدي هذه الصلاة) والحجة التي تتلو هذه الحجة وهي (هذا الأجر ثابت وبخاصة لمن التأدب بآدابها من غسل وطهارة...).

وكذلك فإن كلتا الحجتين تحملان النتيجة الضمنية نفسها وهي: (وجوب صلاة الجمعة جماعة، والتحلي بآدابها كما وردت في السنة) والرابط الحجاجي (لا سيما) خدم معنى الشيخ بمساندة الحجة الأولى للثانية، للوصول إلى النتيجة التي يصبو إليها الشيخ، وهي الحث على أداء صلاة الجمعة مع الالتزام بآدابها.

ويمكننا إجراء ذلك حجاجيا على النحو الآتي :

(١) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٠٦.

(٢) يُنظر: مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، عبدالله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٩ه، ١٩٧٩م، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ه، ١٩٧٩م ج١ ص١٦٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

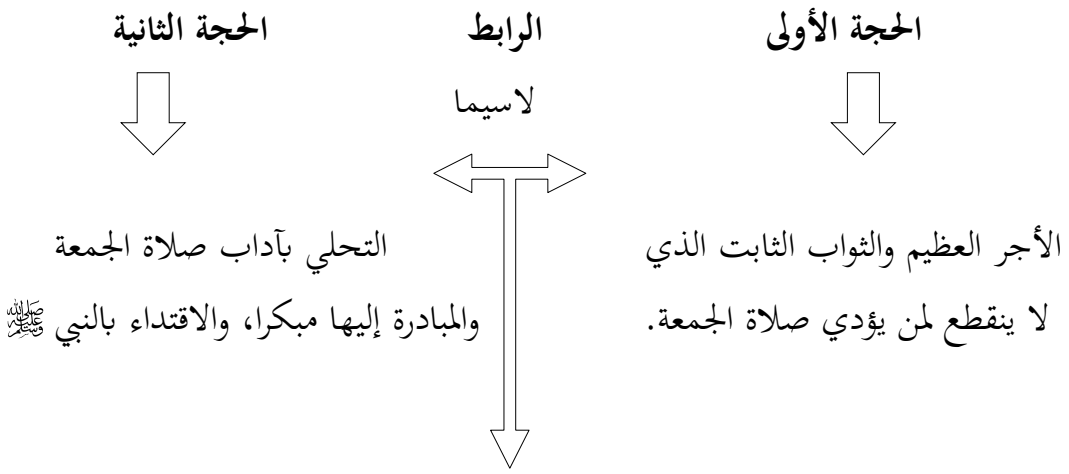

ومن أمثلة اختيار الصفة المشبهة قوله:

"كم يتعب الوالدان! وكم يبذلان ويقدمان، لاسيما الأم الحنون، تلك المربية المُشفقة، قالب الحنان والعطاء المتدفق بفيض الرحمة والإحسان، عطفها ملْ جَنَانِها، الأم الرءوم التي حملتك بين أحشائها تسعة أشهر."(١)

بدأ الشيخ السديس عبارته في هذا النص بالاستفهام الذي يدل على التكثير، ليقنع المخاطبين بكثرة ما يقدمه الوالدان في سبيل إسعاد أبنائهم، فيذكر صفة الحنان بصيغة (حنون)ثم يذكر صفة العطف الخاصة بالأم (رءوم) ثم يعضد هذه الصفة في المسار الحجاجي الذي يصبو إليه الخطيب بالموصول وصلته (التي حملتك بين أحشاءها) والناقة رؤوم ورائِمَةٌ ورائِمٌ: عَاطِفَةٌ عَلَى وَلَدِهَا، وأَرْأَمَها عَلَيْهِ: عَطَّفها فَتَرأّمتْ هِيَ عَلَيْهِ تعطَّفت، ورَأْمُها ولدُها الَّذِي تَرْأَمُ عَلَيْهِ.(٢)

(١) مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، ص٣٥٧.

(٢) لسان العرب، مادة (رأم) ج١٢، ص٢٢٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

واستدعى الشيخ - هنا - رابط (لاسيما) مرة أخرى للربط بين حجتين:

الأولى:تعب الوالدان، وكثرة ما يقدمانه خدمة لأولادهم.

الثانية: ازدياد فضل الأم، بصفتها الأكثر حنانا. فهي التي حملت ذلك الطفل جنينا.

كلتا الحجتين تحملان النتيجة الضمنية نفسها وهي: (وجوب بر الوالدين على الأبناء)، إلا أن الحجة الثانية كانت أخص وأعمق في تحديد فضل الأم.

أما الرابط الحجاجي (لا سيما) فقد جاء خادما للفكرة التي تبناها الشيخ، بتقوية الحجة الثانية ومساندة الثانية للأولى، التي يسعى عن طريقها إلى إقناع المتلقي بالفكرة العامة وهي وجوب الإحسان إلى الوالدين.

ويمكننا إجراء ذلك حجاجيا على النحو الآتي:

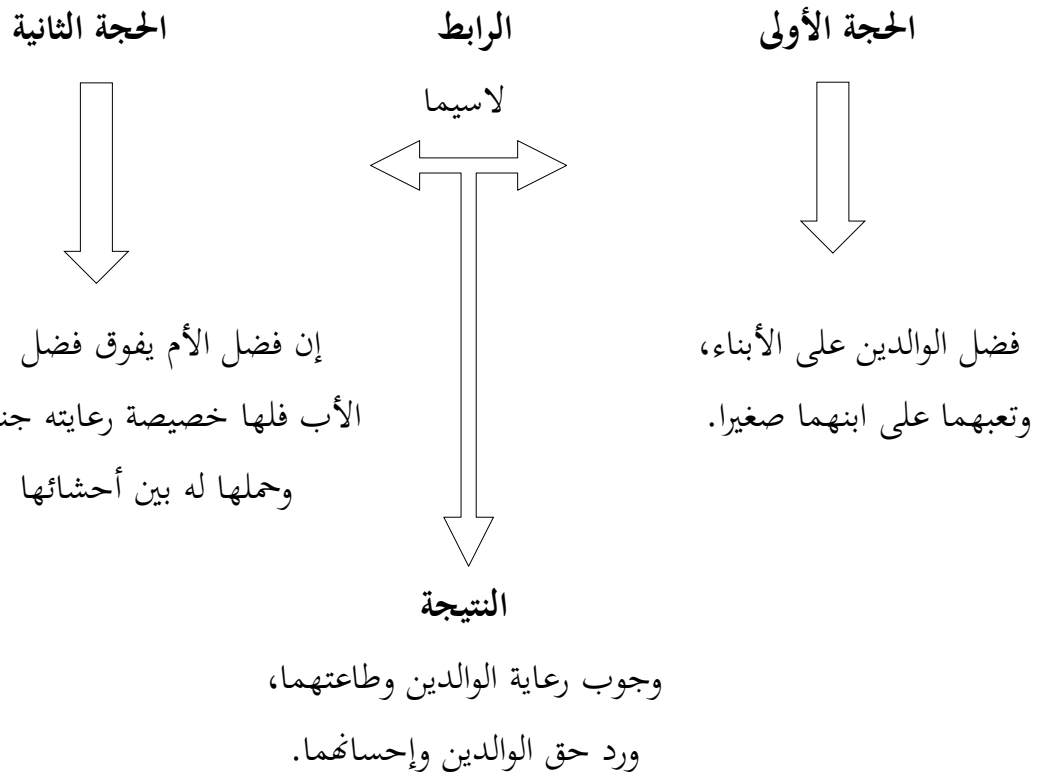

ومن أمثلة الصفات المشبهة التي تضمنتها هذه الخطب وأدت وظيفة حجاجية

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

قوله في سياق نقد أفراد من المجتمع الإسلامي لعلمائهم بقصد الازدراء والتشهير:

"وحيَّهَلا بالنقد العلمي البنَّاء والحوار المؤصِّل النزيه، ولكن من المؤهلين والأكفاء، حوار هادفا، ونصحًا بنَّاء تحفه مشاعر الود، وترفه نسائم الإنصاف"[١].

إن المخاطِب - هنا - يقيم الحجة على أولئك الذين ينتقدون لمجرد النقد، وتتبع عثرات العلماء، ونشر ذلك على المواقع الإلكترونية، بأن باب النقد مفتوحا، ذلك النقد النزيه الذي يهدف إلى البناء والإصلاح لا الفساد، ويرحب بالنقد الفاعل والبناء باسم الفعل (حيهلا) بمعنى أقبل أو أقدم أو عجل[٢]، ويستخدم الصفة المشبهه (نزيه) ليزيد من درجة الاستحسان في نفوس المخاطبين، ويدعم تلك الدعوى بحجة أقوى بعد الرابط الحجاجي (لكن) وتتمثل في أن النقد يكون ممن هو أهل له ومن يتحلى بالكفاءة العلمية ومن هو أهل للحوار والنصح.

والرابط (لكن) يستخدم حجاجيا " كمؤشر حالٍ للاحتياط والتحفظ من النتيجة، فيكون-غالبا- ما بعدها احتياط وتحفظ يؤدي إلى نتيجة مناقضة وداحضة لنتيجة سابقة في بنية الحجاج، إضافة إلى أن الحجة في النتيجة الثانية أقوى منها في النتيجة الأولى"[٣] جاء الرابط (لكن) تعقيبا لرفع توهم قد يقع، وهو: أن النقد يكون من أي جهة، وأي شخص، فجاءت (لكن) لتبين الجهة المرحب بها في النقد المنصف، وترفع الوهم الذي قد يقع من الحجة الأولى.

---

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٤٤٠-٤٤١.

(٢) يُنظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المصري المالكي شرح وتحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ج١، ص٢٩٤.

(٣) إستراتيجية الحجاج التعليمي عند الشيخ البشير الإبراهيمي: مقال الطلاق أنموذجا، (ج٢)، حمدي منصور جودي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، الجزائر، عدد ١٠-١١ سنة ٢٠١١م، ص٣٣٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجة الأولى: ← **لكن** ← **الحجة الثانية**

الترحيب بالنقد المنصف، والحوار البناء لإصلاح الخلل، ورفع الزلل إذا وقع من العلماء..

هذا النقد لا يُقبل إلا من أهل العلم المنصفين الناصحين لأمتهم، وهمهم الإصلاح.

↓

النتيجة: نزع الافتراق والاختلاف والقصد إلى التآلف والتناصح المثمر بين أفراد أمة الإسلام.

لا – نتيجة: لا للنقد الظالم،الذي يقدمه أشخاص لا علم لهم، همهم الفرقة وإحداث التنازع بين أفراد الأمة الإسلامية.

نلاحظ من خلال عرض النماذج السابقة أن الشيخ كثف من الروابط الحجاجية التي أسهمت بدورها في إيصال فكرته إلى المستمعين، كان لها دورها البارز في إيراد الحجج التي تستميل القاريء، والنتائج تحقق إقناعه، كما أن لها دورا كبيرا في تدعيم النتيجة المطروحة،أو تبريرها وعليه فالروابط الحجاجية ضرورية "في تحديد بنية الاقتضاء لكونها آلية هامة في عملية الربط داخل النسق المقول، كما تسهم مرجعيتها في تقسيم أطراف الكلام بين مقول منطوق، ومقتضى مسكوت عنه، إضافة إلى أن دورها في العملية الحجاجية يتصل بشكل مباشر ببنية الاقتضاء حيث سعيها إلى توجيه العمل وترتيب قضاياه"(١)

د - البعد الحجاجي للصفات التقويمية الأخلاقية:

وهي الصفات التقويمية الخلقية التي نلحقها بالأشخاص أو بالأمور لتعبر عن

(١) الحجاج في المناظرة -مقاربة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرافي لمتن بن يونس، أحمد اتزكنرمت، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته-دراسات نظرية وتطبيقة في البلاغة الجديدة، إشراف د.حافظ إسماعيل علوي، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ج٢ ص٢٩٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

رأينا تجاههم، وعن توجهنا نحو قضية ما،لننقل ذلك الموقف والرأي إلى المتلقي. فقولنا " عن شيء ما هو حسن يعبر عن استحسان عملي من لدننا، وقولنا عن شيء آخر هو قبيح

يعني أننا ضده فنحن نعبر عن استقباحنا إياه."[١] وتندرج الصفات التقويمية الخلقية تحت المواضع العامة[٢]، التي ترتبط بالرأي العام والمشترك بين جميع الناس وهي قابلة للدحض، وهذه المواضع تسهل على المحاجج الوصول إلى غايته،حيث ينتقل من الحجة إلى النتيجة بواسطتها. فهو القاعدة الأساسية التي يبنى الخطيب حجاجه عليها في حال استخدامه الصفات التقويمية الخلقية (الاستحسان - الاستقباح).

لقد وظف الشيخ السديس في خطبه الصفات التقويمية الخُلقية بشكل كبير وبارز، جعلها من الخصائص الأسلوبية الظاهرة بشكل كثيف في خطبه، فإذا رَغِبَ الحثَّ على الفعل والترغيب فيه استعان بالتعبير عنه بصفات الاستحسان، أما إذا كان العكس فإنه يلجأ إلى توظيف ألفاظ تدل على استقباح الفعل والحط من شأنه، ومن جهة المتلقي فإن صفتي (حسن وقبيح) تأتيان لتحسين الأشياء الموصوفة أو تقبيحها في نظره، ولإثارة عواطفه وانفعالاته بترغيبه في أمور وتنفيره من أخرى[٣]؛ ومن ثمّ تكون نتيجة ترتيب هذه الصفات القيمية وتأثيرها على النحو الآتي:

---

(١) مدونة الدكتور أحمد قادم، "بانت سعاد" لكعب بن زهير - مقاربة حجاجية- مقال على الشبكة:

http: //ahmedcadim.blogspot.com/2016/05/1_77.html

تاريخ الاستدعاء: الأحد ٣٠/ ٦/ ١٤٤٠هـ الساعة ١٢:٣٧ مساءً.

(٢) المواضع: هي قواعد عامة تمكن من إنجاز نشاط حجاجي جزئي، فالانتقال من المقدمات إلى النتائج يستند إلى المواضع، وتستمد مقبوليتها من ارتباطها بالآراء المشتركة العامة. يُنظر: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، رشيد الراضي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد (٣٤)، المجلد (١)، ٢٠٠٥، ص٢٣٧.

(٣) يُنظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم أساليبه، عبدالله صولة، ص١٥١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الاستقباح: ـــــــــــــــهذا الشيء قبيح، إذن: اتركه، تجنبه...

الاستحسان : ـــــــــــــــهذا الشي حسن، إذن افعله، التزم به....

إن الاستقباح والاستحسان يندرج تحتهما مجموعة من الصفات تشمل (اسم الفاعل، اسم المفعول، وافعل التفضيل، وصيغة المبالغة) وهكذا فإن وصف الشيخ السديس للأشخاص أو للأفعال أو الأشياء أو الأحداث بصفات محورية (مستحسن، مستقبح) يدل على أنه يستحسن هذه الأمور أو يستقبحها، ويحث المخاطبين على استحسانها أو استقباحها كما يدل بذلك على رغبته في دفع المخاطبين على فعل الأشياء الحسنة، وترك الأشياء القبيحة، وإبراز نوع الجزاء أو الأجر الذي سيحصلون عليه في حال الاستحسان، أو نوع العقوبة التي ستقع عليهم حال فعلهم المستقبح.

ومن أمثلة صفات الاستحسان والاستقباح التي جاءت متمازجة في فقرة واحدة قول الشيخ في حديثه عن الإرهاب: "**إن مواجهة هذه الثقافة العدائية، وهذه المناهج الدموية، ومجابهة الأفكار المنحرفة، والمسالك الضالة، البعيدة عن الفهم الصحيح لشريعتنا الغراء، والخارجة عن كل الأعراف الإنسانية لا تتوقف عند اتخاذ التدابير الأمنية الباسلة، والإجراءات الصارمة فحسب، بل لا بد من تضافر الجهود، وتكامل الأدوار بين مؤسسات المجتمع كلها، لدحض هذه الظاهرة الخطرة، بجانب وقوف جميع أفراد المجتمع صفا واحدا، وعينا ساهرة على أمن هذا البلد وأهله والمقيمين فيه، فالتدين والوحدة الوطنية لُحمة واحدة لا تنفصل ولا تتجزأ، والنسيج الاجتماعي المتماسك المستند على المنهج الإيماني الصحيح هو أنجع وأمثل العوامل للتصدي لكل ما يُبيت له المغرضون، الذين لفظوا أنفاسهم بحمد الله، وراهنوا وهم يقومون بإنفاذ عملياتهم الإجرامية، وتيقنوا - بفضل الله -أنهم يصطدمون بصخرة التلاحم الصُّلبة، التي تجمع الرعاة والرعية بصورة نموذجية مُثلى، لا سيما في الأزمات الداخلية والخارجية. كما خسرت رهانها أمام لُحمة ومنظومة أمنية فريدة، تحول فيها**

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الجميع إلى رجال أمن."[1]

ويمكننا تقسيم صفات الاستقباح والاستحسان في الجدول الآتي:

الاستحسان	الاستقباح
الفهم الصحيح-شريعتنا الغراء- الإنسانية الباسلة - المتماسك - المنهج الإيماني الصحيح - أنجع وأمثل - صخرة التلاحم الصلبة - صورة نموذجية مُثلى- لُحمة ومنظومة أمنية فريدة	الثقافة العدائية - المناهج الدموية- الأفكار المنحرفة- المسالك الضالة - البعيدة عن الفهم- والخارجة - الظاهرة الخطرة- المغرضون - عملياتهم الإجرامية

لقد حققت هذه الموجِهات أو الصفات الخُلقية وظائف حجاجية، وهي:

أولها: حث المخاطبين على استحسان الموصوفات، أو استقباحها، لذلك فهم يستحسنون عمل القوات التي جابهت الإرهاب؛ لأنها باسلة، كما يستحسنون الشريعة الإسلامية؛ لأنها غراء، ويستحسنون الوقوف صفا إلى جانب بعضهم متماسكين لمواجهة هذا الفكر المتطرف.... كما أنهم يستقبحون وينفرون من ثقافة الإرهاب؛ لأنه دموي، ولأن أفكاره ضالة...

الوظيفة الثانية: دفع المخاطبين إلى فعل ما استحسنوه والالتزام به قولا وعملا، وترك ما استقبحوه والكف عن فعله.

ويمكننا بيان المسارات الحجاجية للصفات التقويمية على النحو الآتي:

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص٣٣٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

* الإرهاب و التطرف أعمال دموية ومسلك ضال، و فكر منحرف. **(مستقبح)** ← إذن: يجب مواجهة هذه الثقافة و دحضها.

نظرا إلى أن الموضع:

كل عمل دموي، تخريبي هدام يجب أن يُصد ويواجه.

* التدين الصحيح، والوسطية والفهم الدقيق للشريعة **(مستحسن)** ← إذن: هو من أنجع العوامل للتصدي لمثل هذه الأعمال المغرضة.

نظرا إلى أن الموضع:

كل تدين ومجتمع واحد، لُحمة واحدة لا تنفصل ولا تتجزأ.

ومن أمثلة الصفات المستقبحة التي أدت وظيفة تقويمية حجاجية قول الشيخ السديس:

"من أهم ملامح النظام الاقتصادي الإسلامي ومحاسنه: تحريمه للربا، وتشنيعه على المرابين ؛لما للربا من آثار سيئة، وعواقب وخيمة، وأخطار كثيرة، وشرور مستطيرة، وعقوبات عاجلة وآجلة، وأضرار بالغة على حياة الأفراد والمجتمعات، الربا كبيرة كبرى، وجريمة شنعاء، وبلية عُظمى، محرم بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، وإجماع المسلمين، عده النبي ﷺ من السبع الموبقات المهلكات."[1]

صفات الاستقباح
آثار سيئة- وعواقب وخيمة - وأخطار كثيرة - وشرور مستطيرة،

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٣٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وعقوبات عاجلة وآجلة، وأضرار بالغة، الربا كبيرة كبرى، وجريمة شنعاء، وبلية عُظمى، محرم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإجماع المسلمين، عده النبي ﷺ من السبع الموبقات المهلكات.

إن هذه الصفات تعبر عن استقباح المخاطِب لهذا الفعل (الربا) وتجريمه وتشنيعه لهذا الفعل، ذكرهم بالعقوبات وذكرهم بالحكم الشرعي الإسلامي له، إن هذا التجريم وهذا التفخيم لفعل الربا يدفع بالمخاطبين إلى استقباح هذه الأفعال المنافية لشريعة الإسلام، ومن ثم تدفع بهم إلى الكف عن هذا الفعل والانتهاء عنه، وتطبيق ذلك على أرض الواقع. ويمكننا بيان المسار الحجاجي لهذه الصفات بالنموذج الآتي:

* الربا كبيرة كبرى، وجريمة شنعاء محرم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

إذن: يجب الانتهاء عن فعل الربا، و الابتعاد عن كل مُرابٍ

(استقباح)

نظرا إلى أن الموضع:

كل عمل محرم أهل لأن يُترك

إن ما سبق يجعلنا نقول إن للموجهات الخُلقية التقويمية وظيفة مهمة في الحجاج، إن حمولتها الدلالية تعمل على أسر المخاطب إيجابا وسلبا، إذ تجعله مُحاطا بكثير من الصفات (المستحسنة أو المستقبحة) لا يخرج من دائرتها مما يدفعه إلى الفعل أو الكف عنه، وهذا ما يعطيها "الطواعية والمرونة التي هي من صلب خصائص الخطاب الطبيعي في الممارسة الحجاجية، ليمارس المخاطِب أكثر من فعل واحد؛ بالتصنيف وبتوجيه انتباه المخاطَب إلى ما يريد أن يقنعه به في حجاجه."(١)

وبعد استقراء خطب الكوكبة المُنيفة نجد أن صفات الاستقباح والتضخيم هي

(١) آليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي الشهري، ضمن " الحجاج مفهومه ومجالاته " ص٨٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الغالبة، حيث زخرت بها الخطب ليس للتعبير عن موقف المخاطِب بقدر ما تؤديه تلك النعوت من وظيفة حجاجية في تشنيع الفعل، وتضخيم الأمور المراد التنفير منها، ومن ثم تؤدي وظيفتها التأثيرية في سلوك المخاطب.

وعلى هذا الأساس فإن الموجه التقويمي الخلقي ذا وظيفة حاسمة، ليس -فقط- على مستوى التصنيف، ولكن في طريقة الحكم علي السلوك أو الفعل بناء على الدرجة التي وُضع فيها من الاستحسان أو الاستقباح، وعلى ذلك فإن تغيير الصفة يؤدي إلى تغيير الحكم وطرق المعالجة.

هـ - صيغ الجمع:

إن ما يلفت الانتباه في خطب الشيخ السديس هو هيمنة صيغ الجموع، حيث شكلت ظاهرة لغوية حجاجية. وإيثار صيغة الجمع على المفرد؛ لما تحمله صيغة الجمع من معانٍ تتوافق مع السياق أكثر توافقًا من المفرد، لاسيما أَنَّ السياق الذي ترد فيه صيغة الجمع يُفيد التخويف والترهيب. وهذه الصياغة اللفظية التي توجد في جميع مستويات النص: بناء ولغة وصورا، تستوجب التناسب، الذي يقوم-بوصفه قانونا بلاغيا- على مبدأ عام وهو اعتماد ما يلائم واجتناب ما ينافر، مما يعني تأكيد ضرورة التناسب بين عناصر النص الخطابي نابع من مراعاة أحوال المتلقي، والإلحاح على ضرورة مراعاة الجو النفسي للمتلقي لضمان حصول التأثير المطلوب.[1] فتأكيد ضرورة التناسب بين عناصر الخطبة نابع من مراعاة أحوال المتلقي وجوه النفسي، لضمان حصول التأثير النفسي. وهذا ما نجده في استخدام الشيخ لصيغة الجمع بشكل متواتر.

ومن ذلك قوله في حديثه عن وجوب التمسك بكتاب الله وسنة النبي (ﷺ) وإن في تركها تتفرق الأمة، يقول:

(١) يُنظر: البلاغة التداولية لبلاغة حازم من خلال "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، مصطفى الغرافي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد (١)، المجلد (٤٠)، سبتمبر، سنة ٢٠١١م، ص٢٧٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

"يزداد الأمر خطورة في هذا العصر،حيث الفتن المشتدة، والمحن المتلاحقة، والابتلاءات المتداعية، والرايات المتداخلة، والسُبل المتشابكة في وقت رُفعت فيه رايات الهجوم على دين الأمة ومعتقدها، وثارت فيه براكين الدعوة إلى الضلالة."(١)

إن تتابع صيغ الجمع فيه إيحاء بشدة الفتن، وتلاحقها وإحاطتها بكل أمور الدين، ودوامها بدوام الغفلة عن سنة النبي ﷺ. وتكمن وظيفة صيغ الجمع حجاجيا في تكثير تلك المحن والدعوات التي تريد النيل من سنة الرسول ﷺ. فللمسلم أن يستحضر المشهد الديني فيما يتعلق بالسنة النبوية في هذا العصر يجدها محاطة بالدعوات المضللة التي تؤيد الخروج عنها.وهذا أدعى إلى إقناع المتلقي بالعودة إلى السنة النبوية والعمل بها، بل والدفاع عنها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالامتثال بها -أولاً- ثم دعوة أهل العلم إليها، وبيان زيف تلك الدعوات المتآمرة. والشيخ لا ينفك في محاولة تبصير المستمع بخطورة ترك السنة النبوية، واستحضار الظروف المحيطة، وعرضها بطريقة حجاجية مقنعة للمخاطَب، بطريقة تتطلب من السامع التفكير بعمق، والتأمل برويه فيما لو تُركت السنة.

ويمكننا تبيان الحجة -هنا- على النحو الآتي:

الحجة: كثرة الفتن المحيطة بالمسلمين، وانتشار الابتلاءات في دينهم وعقيدتهم.

النتيجة: وجوب التمسك بالشريعة الإسلامية الصحيحة عن طريق أصولها الحقيقية، وهي القرآن والسنة.

وتمتلك الألفاظ طاقات تعبيرية لها تأثيراتها البالغة في المتلقي. وتنتظم تلك الألفاظ في تراكيب متنوعة تختلف تبعًا لقصد المخاطب وأسلوبه في الخطاب، فاختيار التعبير بالجمع له تأثير بالغ في التضخيم والتهويل للأمر أوالدعوى المراد الانتهاء عنها، في قول الشيخ السديس:

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١٣٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

"معاشر المسلمين، لقد كثر الطلاق في هذه الأزمنة، وفشا فُشُوا رهيبًا، مما يُنذر بأشد الخطر على البيوت والأسر، وشاع انتهاجه شيوعا عظيما.، وتساهل فئام من الناس التلفظ به حتى عند اتفه الأسباب... حتى عم الخطب، ودوت نداءات الخطر، وصيحات الإنذار وارتفعت إحصاءات الطلاق في المجتمع، وعلت نسبة وأرقامه، بشكل ينذر بعواقب وخيمة."(١)

في هذا الموضع الذي يتمثل فيه تكرار الجموع ظاهرة واضحة، وملفتة للنظر لغاية التخويف والترهيب وللدلالة على خطورة الأمر. إذ فشا فشوا خطيرا وشاع انتهاجه (نداءات الخطر– صيحات الإنذار– ارتفعت إحصاءات الطلاق..). وقد تضافرت في هذا الموضع عدد من الوسائل اللغوية التي تزيد من حدة الإقناع لدى المتلقي،إذ بدأ الفقرة بحرف التحقيق **(قد)** ثم أدرج مجموعة من الحجج التي تؤكد حقيقة واحدة وهي (انتشار الطلاق والتساهل فيه) وهذا الرابط الحجاجي يسهم في تغيير نمط فكر المتلقي، واستمالته إلى الاعتقاد بما يعتقد المتكلم.

ثم أدرج الرابط الحجاجي **(حتى)** وأدرج حجة أقوى لا تقبل الإبطال ولا التعارض. إذ تعضد الحجة الأولى بشكل قوي، تتمثل هذه الحجة في وجود نداءات من جهات لها سلطة في المجتمع، كما ظهرت الإحصاءات والدراسات التي تؤكد انتشار هذه الظاهرة، وكلتا الحجتين السابقتين تؤدي لنتيجة واحدة وتأخذ به إلى الاقتناع والعمل على التأثير في الناس بناء على أثره. ويمكننا تبيان الحجة -هنا- على النحو الآتي :

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٤٥٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الرابط قد ⟵ **الحجة الأولى**:كثر الطلاق لأتفه الأسباب وانتشاره، وشيوعه، والتساهل به، واتخاذه حلا أسهل لأنهاء أي مشكلة أسرية.

الرابط حتى ⟵ **الحجة الثانية**: دوت نداءات الخطر، وصيحات الإنذار وارتفعت إحصاءات الطلاق في المجتمع، وعلت نسبه وأرقامه.

النتيجة: ⟵ الحذر الشديد من تفكك الأسرة؛ لأن تفككها فيه تفكك للأمة، واتخاذ الطلاق حلاً عند استحالة اتفاق الطرفين، وليس أول الحلول.

ومن أمثلة التعبير بصيغة الجمع قول الخطيب:

" وكم يجد المرء في دروب الحياة وحلائب التعاملات، وميادين العمل، وساحات المجتمعات، من يميل إلى إثارة المشكلات، ويتعمد الاستفزازات وبث النزاعات، وقد يتعدى ذلك إلى وسائل الإعلام والفضائيات، وأروقة المحاكم ومراكز الشرطة والتحقيقات، ناهيكم عن ما يدور في الأسر والبيوتات، والمواقع والمنتديات، ومجالات الحوارات والأطروحات، وقضايا الاجتهادات والمتغيرات، وعالم الشائعات والوشايات، وفي خضم الخلافات والنزاعات والخصومات. وهنا في مثل هذه المواقف المحتدمة،يجب أن يكبح جماح الغضب، وتمتص غلواءه."[1]

ينبه الشيخ في هذه الفقرة من الخطبة على قضية مهمة وصفة اتصف بها كثير من الناس، وهي (الغضب).إن التعبير بالجمع في هذه الفقرة دال على كثرة الأماكن والمواقف التي تظهر فيها هذه الصفة على وجه التحديد (دروب، التعاملات، ميادين،ساحات) وهذا فيه دلالة على تفشي هذه الصفة بين أفراد المجتمع بشكل ملحوظ، ثم يعبر عن ما يترتب على هذه الصفة بصيغة الجمع. فنجده يعبر بـ(المشكلات، الاستفزازات، النزاعات). هذه المشكلات التي أظهرها الغضب طالت حتى

(١) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص٢٦٤-٢٦٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المواقع الإلكترونية والمنتديات فضلا عن تفشيها في الأسر والبيوت، مما أدى إلى كثرة الخصوم والخلاف، كل هذه الحجج التي يستعرضها الشيخ تؤدي غرضا توجيهيا، يحاول الشيخ الوصول بالمخاطَب إلى وجوب التسليم بالدعوى التي يدعو إليها وهي: كبح جماح الغضب.

إن جمالية أسلوب الشيخ السديس، التي تتمثل في استدعاء صيغ الجمع ومزجها مع الأساليب البديعية من سجع وجناس فيه حضور للمقاصد الحجاجية والتبليغية بشكل لافت. فالمعاني حاضرة في أساليبه التي اقترنت بقوة التعبير. إذ إن المرسل مدرك تمام الإدراك أن هذه الأساليب اللغوية قادرة على التأثير وتغيير المعتقدات، نتيجة لما يفرضه الأسلوب من سلطه على المتلقين،"فلا يكفي أن تكون الحجج مقنعة مالم تقدم بأسلوب مقنع يحوز مجموعة من العناصر التعبيرية والفنية والجمالية."(١)

ويمكننا تبيان الحجج في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة: إن في دروب الحياة والاجتماعات وساحات العمل، وفي أروقة المحاكم، وكذا المواقع والمنتديات من يميل إلى إثارة المشاكل، ويتعمد الاستفزاز.

النتيجة: وجوب كبح جماح الغضب، فيرتدع المستفز بالحِلم.

❖ ٣. حجاجية اللفظة على المستوى المعجمي:

يُعرف المعنى المعجمي للكلمة بأنه المعنى الذي تدل عليه الكلمة المعجمية، أو ما يُسمى المعنى المطلق أو المعنى العرفي الذي أُعطي للكلمة ويصلح لأن يسجله المعجم.(٢)

---

(١) من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات، محمد الولي، مجلة فكر ونقد، إشراف محمد عابد الجابري، العدد ٨، السنة الأولى ١٩٩٨م ص١٣٤.

(٢) يُنظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث: دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتربوية في ضوء نظرية السياق، عبدالفتاح البركاوي، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص٤٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

و الكلمة المعجمية تحمل دلالتها من حيث إنها هي التي يُعبر بها عن معلومات المتكلمين، وتتعلق بتأويلهم للعالم الخارجي،... فتكون معاني الكلمات متمثلة ذهنيًّا ومستنبطة تعبر عن البينة التصورية.(١)

وتتمثل وظيفة المقتضى المعجمي في الخطاب الحجاجي في أن " المقتضى المعجمي للكلمة يشكل محتواه، فيما نرى، ملفوظًا ضمنيا يقبع تحت المحتوى الملفوظ المنطوق، وهكذا فإن قولنا:(أنكر أني صديقه) ملفوظه المنطوق من قبيل تنكر لي، وملفوظه الناشئ عن مقتضى أنكر المعجمي هو: أنني صديقه، وعلى ذلك يكون من شأن المقتضى المعجمي أن يسم الملفوظ الذي يحمله بميسم دلالي وحجاجي خاص أي بما يسميه ديكرو، عند تحديد وظيفة الكلمة في الملفوظ... وقع الكلمة المعنوي."(٢)

ويعد الاقتضاء عاملاً لغويا وإخباريًّا، يسهم في تعدد العلاقات داخل الخطاب. وقد عدَّه ديكرو جوهر العملية الحجاجية، وعرفه بأنه: "جزء لا يتجزأ من معنى الملفوظات... ويكون سابقًا لحدث التخاطب، والمسؤول عنه عون جماعي هو (نحن)."(٣)

والاقتضاء مكون لساني يمكن إدراكه في الكلمات بمعزل عن المقام؛ بحسبانه حدثًا لغويًّا، وبحسبانه مركوزا في البنية اللسانية، والوحدة المعجمية للسياق(٤) وتقوم فرضية ديكرو "على أن كل عمل لا قولي يفترض تحقيق عمل اقتضاء لذلك ؛ فإن

(١) يُنظر: التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، محمد غاليم، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص٨.

(٢) الحجاج في القرآن من خلال أهم أساليبه، عبد الله صولة، ص٩٠.

(٣) الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة ، رسالة دكتوراه مقدمة من: ابتسام بن خراف، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ٢٠٠٩م -٢٠١٠م ص٢٨٤.

(٤) يُنظر: سورة الأنعام: دراسة تداولية لأفعال الكلام والاقتضاء التخاطبي، نور وليد، فضاءات للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص٢٨٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تحليل الاقتضاء يتحدد من المكون اللغوي، بعده عنصرًا دلاليًّا من القول."[١] ويعد ديكرو المقتضى شكلا من أهم الأشكال الحجاجية الكامنة في اللغة، فهو "ليس حدثًا بلاغيا مرتبطا بالقول، وإنما منغرس في اللغة نفسها."[٢]

فوظيفة الاقتضاء حجاجيًّا هي إدخال المخاطَب عالم اعتقاد المتكلم[٣] وافتراض أن المخاطَب له وجهة نظر متوافقة مع المتكلم، وهذا ما أشار إليه كارتونان بقوله: "إنك إذ تقضي شيئًا ما بصفتك المتكلم تعد حقيقة ذلك الشيء على أنها مما لا مراء فيه وتقدر أن تلك الحقيقة هي نظر المتكلم مما لا جدال فيه."[٤] فالمتكلم يستطيع بفعل المقتضى أن يدخل المخاطب في حيزه الفكري. فصوغ المضامين الجديدة في أسلوب يقتضي السماح لك بعـدِّها مما يدخل في حيز الحقائق التي بات مخاطبك يقر بها ولو مؤقتا. فالمقتضيات تقدم على أنها غير قابلة للدفع أو الدحض،ذلك بإمكاننا أن نرفض المنطوق، أما المقتضى فقد فاتنا مبدئيًّا ساعة رفضه.[٥]

والمقتضى ضرورة من ضروريات اللفظ، وهو موجود في جميع مستويات الكلام، يظهر في التراكيب والألفاظ، غير أن هذا لا يمنع أن هناك كلمات لها في ذاتها مقتضى حتى لو استخدمت في تراكيب فإنها هي المسؤولة عن ظهور المقتضى

(١) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص٣٧٢.

(٢) الحجاج في المناظرة، أحمد اتزكنرمت، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي-دراسات في البلاغة الجديدة، إشراف: حافظ علوي، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١١م ص١٥٣.

(٣) يُنظر: الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ص٣٧٢.

(٤) الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، ص١١٨.

(٥) يُنظر: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة ، إبتسام بن خراف، ص٢٨٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

انطلاقًا من معناها المعجمي.(١) فالخطاب الحجاجي يستعمل الكلمات ذات الخصائص الاقتضائية،ليكون ذا فعالية أكبر للتأثير في المخاطب وتغيير قناعاتهم، وبالنظر إلى خطب السديس المـُنيفة نجد أن هناك كثيرا من الوحدات المعجمية التي تنطوي على مقتضى ما، ما يجعلها ذات بعد حجاجي في الخطاب.. اخترت منها ما يلي:

أ. كلمة الجهل:

من المفردات التي وردت في خطب الشيخ السديس (الجهل) باختلاف اشتقاقتها والجَهْل نقيض العِلْم، وقد جَهِله فلان جَهْلاً وجَهَالة، وجهِلَ عليه وتَجَاهل أَظهر الجَهْل . والتجهيل: أَن تنسبه إِلى الجَهْل ، وجَهِل فلان حَقَّ فلان وجَهِلَ فلان عَلَيَّ وجَهِل بهذا الأَمر والجَهَالة: أَن تفعل فعلاً بغير العِلْم.(٢) ومن معاني الجهل: هو يجهل على قومه: يتسافه عليهم، ومنه قول عمرو بن كلثوم: (الوافر التام)

ألا لا يجهلـــــن أحـــــد علينـــــا

فنجهـــل فـــوق جهـــل الجاهلينـــا(٣)

ومن المجاز: استجهلت الريح الغصن: حركته. ومنه قول النابغة: (الطويل)

دعـــاك الهـــوى واســـتجهلتك المنـــازل

وكيف تصابي المرء والشيب شاملُ؟(٤)

(١) يُنظر: الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، ص٨٩.

(٢) لسان العرب، مادة (جهل) ج١١، ص١٢٩.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ_ ١٩٩١م، ص٧٨.

(٤) ديوان النابغة، شرح وتقديم: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م ١٥٢، وانظر: أساس البلاغة، جار الله محمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، مادة (جهل) ج١، ص١٦٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مما تقدم يظهر لنا جليًّا أن الجهل في اللغة يُراد به معنيان:

الأول: ضد العلم.

والآخر: الطيش والسفه والعصبية، وعدم ميزان القول. ويؤخذ هذ المعنى من قول الفرزدق السابق. وهذه الصفة كانت سائدة في مجتمعات ما قبل الإسلام، لذلك سميت تلك الحقبة الزمنية -عصر ما قبل الإسلام-بالجاهلية.كذلك فـ"إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة."(١) وعلى ذلك نجد أنها "صيغة أوجدها القرآن الكريم وانتشرت فيما بعد لتكون علما على الفترة التي سبقت نزول القرآن."(٢)

وارتباط هذا المصطلح بالإسلام يأتي من طبيعة المجتمع في عصر ما قبل الإسلام، الذي يسوده الشرك والضلال والكفر.والقرآن "يسمي عهد العرب المتصل بظهور الإسلام بالجاهلية، وليس إلا اشارة منه إلى أن الحاكم فيها يومئذ الجهل دون العلم، والمسيطر عليهم في كل شيء."(٣) و مما يجب الإشارة إليه عن تسمية هذه الحقبة الزمنية التي سبقت ظهور الإسلام بلفظ (الجاهلية) لعدة أسباب، التي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

١. عدم معرفتهم القراءة والكتابة.

٢. عدم إلمامهم بالعلوم المختلفة.

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ١٩٨٦م، ج١ص١٩٣.

(٢) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: دراسة دلالية مقارنة، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م ص١٤٩.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، للعلامة: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ه ١٩٩٧م، ج٤ ص١٥٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

٣. عدم معرفتهم بالدين الجديد.(١)

وقد وردت كلمة (جاهلية) عند الشيخ السديس بمعنى:عدم العلم بجميع المعارف، وبخاصة العلم الشرعي وعلم الفقه؛ لأنه من لوازم الإفتاء، يقول:

"عباد الله، إنه مما لاشك فيه: أن العلم شرف، ونور، وفضيلة، وأن الجهل شر، وبلاء، ورذيلة."(٢)

فقد ورد لفظ (الجهل) بمعناه العلم (ضد العلم) في مقام الحث على طلب العلم، وشحذ الهمم على طلب العلم النافع، ووقع الاختيار لهذه الكلمة؛ لأنها الأنسب لهذا المقام مع تناسبها بما قبلها وبما بعدها، وتستمد طاقتها الحجاجية في هذا المقام من تلك الصفات السيئة التي لحقت بها (شر، بلاء، رذيلة). وفي السياق الثاني الذي وردت فيه لفظة (جهل) هو سياق أخص من السياق الأول، حيث خصصه بعدم العلم بدين الله، والتفقه فيه، حيث يقول:

"إن أعظم بلية بُلي بها كثير من المسلمين اليوم: الجهل بدين الله؛ فهو سبب كل مشكلة، وطريق كل معضلة"(٣)

فقد جاءت كلمة (جهل) في مقام الدعوة إلى طلب علم الفقه والعلم الشرعي، حيث ربط الشيخ الجهل بدين الله تعالى بعظيم المشكلات، بل أنه سبب كل فساد ومصدر كل شر حيث يقول: **"فكل شر وبلاء، وفساد وداء، في عقيدة الأمة، وتصوراتها وأفكارها، وسلوكها وأخلاقها، فالجهل مصدره والعيُّ مورده، ومن أحب نجاته،**

(١) يُنظر: في الأدب الجاهلي، طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة مصر، ٢٠١٤م ص٥١-٦٠.

(٢) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٦٢.

(٣) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٦٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

فطريق العلم سلَّم الوصول."(١)

فيؤكد هذا الجهل بلفظ (عيّ) التي تقوي من حجته في ضرورة طلب العلم الشرعي إذ إن: عَيَّ بالأمر وعنه عجز عنه ولم يحقق قصده منه. ولقد حملت كلمة (جهل) في هذا السياق وسما حجاجيا وإقناعيا، عندما جعله بؤرة كل فساد يقع في عقيدة الأمة، وجعله حجة لإقناع المتلقي بأن طلب العلم الشرعي والفقهي واجبا دينيا؛ لأن نجاة المسلم مرتبطة بهذا العلم، إن العلم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والعلم بالفقه والعبادات واجبة؛ لأنها تبصره بطريقة العبادة الصحيحة، لذلك كان العلم سُلَّمًا للنجاة.

من الدلالات الخاصة بلفظة (جهل) في الخطاب الإسلامي ارتباطها بأمور أخرى كالضلالة، وعدم الاهتداء إلى الطريق السليم، والانحراف عن جادة الطريق، أو ما يمكننا تسميتها بـ(الجهل بعد العلم). ومن السياقات التي وردت فيه لفظة (الجهل) بهذا المعنى عندما يخاطب المسلمين عن خطورة التطير والتشاؤم يقول بعد أن عدد آيات الله -تعالى- في وجوب التوكل على الله، والتذكير بارتباط الخير الذي يصيب الإنسان أو عدمه بقضاء الله وقدره دون سواه:

"أبعد هذا -أيها الإخوة في الله_ يبقى مستمسك لأولئك الجهلة، ومتعلق للمُتخبطين في فهم العقيدة؟! أي دين،بل أي عقل!عند من يخاد الله في علمه، وفي قدرته وتصرفه."(٢)

فلفظ الجهلة يطلقه الشيخ على أولئك الذين يتمسكون بهذه الأوهام من التطير، والتشاؤم بالشهور والأيام، ومن يربط أمور حياته بالمنجمين والكهنة. والسياق التعجبي الذي جاء في صيغة تساؤل في الفقرة يجعل السامع يستحضر كل تلك الأدلة التي سردها الشيخ لبيان الضلالة، ومرض العقيدة الذي أصاب هؤلاء المتشائمون، وهذا مما

(١) السابق نفس الصفحة.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص١١٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

يزيد من الطاقة الحجاجية للفظة (الجهلة) إذ أنهم تمسكوا بالضلالة بعد الهداية، وعلقوا آمالهم بها من دون الله تعالى، والمقتضى الضمني لدلالة اللفظ - هنا - هو الجهل بعد العلم.

ومن السياقات الوارد فيها لفظ (الجهل) حديثه عن السحرة والمشعوذين وبطلان أفعالهم كما جاء قوله: **"أما نفكر يا عباد الله؟! أين عقولنا؟! ماذا ران على القلوب؟!...وأي نفع يرجى من خرز تجمع، أو حلق توضع في الأيدي والأرجل، وماذا تُغني الأحراز، والحُجُب؟!وماذا تنفع التمائم والتعاويذ والحروف والطلاسم؟! كل ذلك جهل وضلال."**(١)

إن سياق الخطبة -هنا- يدل دلالة واضحة على الوعظ، وتتابع الأسئلة التعجبية فيه دلالة على أن كل تلك الخرافات أثبتت عجزها عن رد أي سوء أو مرض. ومما يرفع القوة الحجاجية لكلمة (جهل) في السياق هو ثبات بطلان تلك الخزعبلات، وتعميمه بـ (كُلُّ) ثم عطف الجهل بقوله (ضَلال). فجهلهم - هنا - ليس جهل علم أو معرفة، وإنما جهل عقيدة، والدلالة الضمنية لذلك الجهل والضلال: هو ضعف العقيدة وضعف الإيمان بالله والابتعاد عن دين الله القويم مما جعله يتعلق بهذه الأوهام.

ومن الاستعمالات الاشتقاقية لكلمة (جهل)استعمال المصدر منه، وهو لفظ **(الجاهلية)** في حديث الشيخ السديس عن أهمية العودة إلى سنة النبي محمد (ﷺ)، والالتزام بها كما جاء قوله: **"من المؤسف أن أعداء الأمة تمكنوا- في غفلة من المصلحين-بأن يصدِّعوا بناءه، وينقضوا أركانه، فكيف يُترك ميراث النبوة نهبا للعوادي؟! وكيف يقع التبديل والتغيير في دين الله في غفلة وسكون؟! وكيف يُمهد للجاهلية الأولى أن تعود من جديد؟!"**(٢)

---

(١) السابق، ص١٢١.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١٥٠-١٥١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

إن ذكر الشيخ للفظ (الجاهلية) دعوى صريحة ومباشرة لإثبات بطلان جميع ما في ذلك الزمن الغابر، فهو يحذر المخاطبين من مغبة الرجعة إلى الجاهلية بأفعالهم وبدعهم،التي منها الصوفية، ومنها الاحتفال بالمولد النبوي، وفي ذكر (الجاهلية) قيمة حجاجية تتوجه إلى نفس المتلقي، حينما يجعلها في سياق استفهامي تعجبي. وعندما اختار لفظ (الجاهلية) بدلا من قوله مثلا (قبل الإسلام) فيه استحضار لكل ما كان في الجاهلة من وثنية. فلفظ الجاهلية مهما بالنسبة للخطيب إذ إن "من مشاغل الخطيب أن يخرج ما يعده مهما بالنسبة إلى حجاجه من حيز الغياب إلى حيز الحضور، كما أن عليه أن يشدد على بعض العناصر التي هي حاضرة في أذهان سامعيه فيجعله أكثر حضورا."[1] والحضور اللفظي لكلمة (جاهلية) بكل دلالاتها المرتبطة بزمن ما قبل الإسلام في الخطبة يعد تشديدا على ضرورة إبطالها ومحاربتها بلا هوادة. فلقد نهضت كلمة (الجهل) بوظيفة حجاجية إقناعية في تأكيد المعنيين (ضد العلم - زمن ما قبل الإسلام)،كما تضمنت مقتضى آخر يقبع تحت هذا اللفظ وهو العكس تمامًا(الجهل بعد العلم) عندما يرتكب الإنسان المحرمات كالسحر والشعوذة بعد معرفته وعلمه بعدم جدواها، وعدم منفعتها، ومع ذلك يصر على فعله ذلك، و" الكلمات المعجمية بحكم ما تدل عليه تعتبر ذات قيمة أعلى من الكلمات التركيبية، لا من حيث تصور دلالة مفردة لها، وهي منعزلة عن السياق فحسب، وإنما من حيث هي الكلمات المليئة كما يسميها هنري سويت، أو هي الكلمات الدالة مطلقًا كما يسميها هاريس."[2]

(١) الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته، عبد الله صولة، ص٣١٥.

(٢) دلالة السياق، ردة الله الطلحي، جامعة أم القرى، رسالة دكتوراه، ١٤٢٤هـ ص٢٩٦-٢٩٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

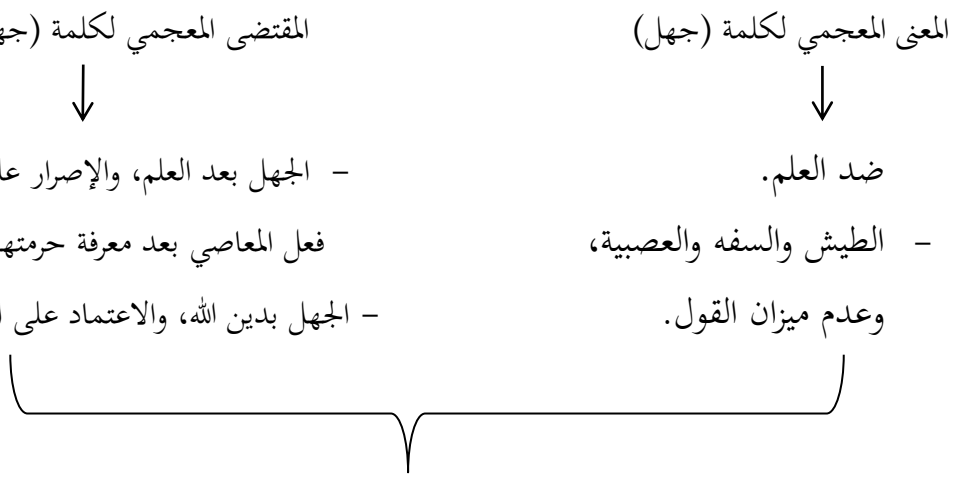

إن ذم الجهل عامة تأكيد أن الجهل الحقيقي جهل عقيدة التوحيد؛ لأن من يتبع كلام الكهنة والعرافين جاهلاً بعظمة الله تعالى، وبقدرته، فيعود بنفسه إلى جاهلية ما قبل الإسلام وهو ما حرص الشيخ على التنبيه إليه بتعدد الإشارة للكلمة وما اقترن بها.

ب. كلمة الحق:

لفظ الحق ضد الباطل. حقَّ الأمر يحِقَّ ويحُقُّ حقًّا وحُقوقا صار حقا وثبت، قال الأزهري: معناه وجب يجِب وجُوبا[١] ومنه قوله -تعالى-: (ٹ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ)[٢] أي وجبت وثبتت.[٣]و الحق: من أسماء الله تعالى، أو من صفاته قال ابن الأثير: هو الموجود حقيقة، المتحقق وجوده وإلهيته، وقال الراغب: أصل الحق: المطابقة والموافقة، كمطابقة رجل الباب في حقه، لدورانه على الاستقامة، والحق: يقال لموجد الشيء. بحسب ما تقتضيه الحكمة[٤] ويطلق الحق - أيضا- على (الإسلام)، ويطلق على (

(١) لسان العرب مادة (حقق) ج١٠، ص٤٩.

(٢) سورة الزمر، آية ٧١.

(٣) يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٩ه، ج٢٥، مادة (حقق) ص١٦٨.

(٤) يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ص١٦٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الموت) وعلى (الصدق)، وهو خلاف الباطل، وجمعه (حقوق).(١)

مما تقدم يظهر لنا جليًّا أن الحق في اللغة يُراد به معنيان:

الأول: وجوب الشيء وثبوته، وصار حقا لا يُشك فيه.

و الآخر: نقيض الباطل، وهو الموجود الثابت القابل للاستحقاق.

وقد وردت كلمة (الحق) عند الشيخ السديس بمعنى: الموافقة والمطابقة، واليقين الثابت، كما وردت بمعنى الواجب الذي لابد أن يعطى لصاحبه، كما وردت كاسم من اسماء الله تعالى، وفيما يلي نتبين أمثلة على هذه السياقات: يقول الشيخ:

"ومن المُسَلَّم لدى أهل الإيمان الحق، أن مصدر تلقي المُسلم لدينه: عقيدة، وعبادة، ومعاملة، وسلوكا، تحليلا، وتحريما؛ تحاكما وتحكيما، إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ".(٢)

في هذا السياق الحجاجي جاءت كلمة (الحق) وصفا للإيمان. ومن يتصف بالإيمان الحق هو من يعرف المصدرين الرئيسين للإسلام، وأهل الإيمان الحق: الصادق، المصدقين لكل ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- عقيدة وقولا وعملا.

إن التصديق الجازم واليقيني بالدين الصحيح مع الالتزام بها سرا وعلنا ذلك هو الدين الحق، وهذا يعني أن هناك فئة من المسلمين لا يؤمنون بالإيمان الحق الذي يقصده الخطيب هنا، فتكون الوظيفة الحجاجية التي نهضت به كلمة الإيمان ووصفها بالحق هي لفت انتباههم للعقيدة وللإيمان الصحيح وتوجيه المخاطب نحو المسار الحجاجي الذي يريد المخاطِب إيصال المتلقي إليه، وهو أن المصدرين الأساسيين لكل مسلم في دينه وعبادته هو (الكتاب والسنة) وما عداهما هو ليس بحق.

ومن المسارات الحجاجية لكلمة (حق) التي جاءت بالمعنى- نفسه- قول الشيخ:

---

(١) يُنظر: السابق، ص١٦٧.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٧١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

"وفي غفلة من أهل الحق، وذهول من حراس الملة، وانشغال من أبناء السنة: تسربت إلى صفوف الأمة ألوان من العقائد المنحرفة"(١)

وهنا تنهض كلمة الحق بوظيفة حجاجية، إذ ينبه الشيخ من غفلة أهل الحق المؤمنين الصادقين، الذين يعرفون الدين الصحيح القويم، لأنه في غفلة منهم تتسرب إلى العقيدة الإسلامية الكثير من العقائد المنحرفة التي تحيد بالمؤمن عن الطريق الصحيح، وهنا يظهر فعل أهل العقيدة الصحيحة في الذود بكل قوة عن العقيدة الصحيحة، وعدم السماح بدخول أي عقيدة خارجة.وكذلك قول الشيخ السديس في سياق آخر معبرا عن الصلاة وحقيقتها:

"إن المصلي حقا من يقيم الصلاة كاملة الفرائض والأركان، مستوفية الشروط والواجبات."(٢)

إن وصف المُصلي بالحق يدلنا على أن هناك مصليا آخر غير ذلك، وهنا يتكشف التوظيف الحجاجي الذي تقوم به هذه الكلمة في هذا السياق الذي تضمنها، لأن المصلي الحقيقي من يقيمها كاملة الفرائض والأركان، ويستوفي جميع الشروط والواجبات، التي جاء تفصيلها في السنة النبوية المطهرة. فكلمة (حقا) نهضت بتوظيفها الحجاجي في توجيه المخاطَب إلى الاهتمام بأمر الصلاة، واستحضار الذهن والقلب فيها، ويجعل المتلقي يعقد مقارنة بين المصلي الحق وغير الحق الذي يؤدي الصلاة شكلا دون أي خشوع، ليقتنع أن الصلاة المجزأة هي تلك المستوفية للشروط، ومن ثم العمل على أن يكون مصليا حقا، لكي تجزئه صلاته.

ومن جميل التعبير بكلمة (الحق) قوله:

" وإنَّ حقا على من كان مقصرا في حق والديه أو أحدهما، أن يبادر من الآن أن يطبع قبلة حارة على جبين أبيه أو أمه، ويندم على ما مضى، ويعتذر عما سلف،

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١٣٥.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص١٩٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وحقا على كل قاطع أن يبر ويصل."(١)

والحق جاء - هنا- بمعنى الواجب الثابت. فقد عبر الشيخ عن (الوجوب) بكلمة (الحق) التي تفيد الثبوت والرسوخ، وقد أكدها -هنا- بالعامل الحجاجي (إن) ليؤكد هذا الأمر الواجب على الأبناء في الإحسان إلى والديهما، ثم أكد هذا الحق بتكرار الكلمة في السياق نفسه: (وحقا على كل قاطع أن يبر ويصل). فلا مجال للتراخي أو التهاون في أداء هذا الواجب، لأنه حق ويجب أن يُرد.ومن التعبيرات الواردة باشتقاق كلمة الحق في خطاب الشيخ:

"إنَّ تحقيق الإيمان بالأسماء والصفات يقتضي العلم بمعناها، والعمل بمقتضاها، وأنْ تُرى آثار الإيمان بها في حياة العبد والأمة واقعا ملموسًا."(٢)

جاءت كلمة (تحقيق) بمعنى عمل الأمر وإحكامه وتثبيته، أي أن الإيمان بالأسماء والصفات يتحقق ويكون إيمانا حقيقيا بالعلم بمعناها، والعمل بمقتضاها. ونرى آثاراها في المؤمن، وتنهض الكلمة بوظيفة حجاجية نابعة من مقتضاها المعجمي الذي ينطوي على معنى الإحكام والدقة في إنجاز الشيء. فالإيمان الصحيح لأسماء الله - تعالى- وصفاته لا يتحقق ويكون إيمانا صادقا إلا بتمثل ذلك قولا وعملا. ويقترب من هذا المقتضى استعمال آخر لذات الكلمة في قول الشيخ:

" إنه بفهم كل واحد منّا حقوقه ووجباته تجاه أسرته، وبالعمل بها؛ تصلُح الأسر، ويتحقق للمسلمين ما يصبون إليه من استقرار أحوالهم، وسعادة مجتمعاتهم."(٣)

---

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٦٤-٣٦٥.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص١١٠.

(٣) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص٢٩٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

إن السياق الحجاجي - هنا - يسير بالمخاطَب في اتجاه واحد ويؤدي به إلى التسليم بنتيجة واحدة، وهي: وجوب أداء الحقوق والواجبات تجاه الأسر، ونجد في هذا السياق الحجاجي استعمل المخاطِب (الحقوق) بمعنى الواجب الثابت، وكذلك (يتحقق) أي يظهر الأمر.كما استعمل الشيخ كلمة (الحق) كاسم من أسماء الله تعالى. فنجده يقسم به[١] وينسب الآيات القرآنية إليه تعالى.[٢]

إن كلمة الحق وردت في خطب الشيخ السديس بعدِّها صفة تميز الدعوة الإسلامية الصحيحة، والشريعة الأصيلة، كما وردت اسمًا لله تعالى. وأدت وظيفة حجاجية تكمن في إضفاء صفة القوة للشيء، واتهام ما يناقضه بالضلال والباطل. ويمكننا القول إن المقتضى الأساسي لهذه الكلمة هو:وجود دائرة أو واقع للحق يميزه عن الباطل المنحرف، وفي المقابل يوجد من هم خارج هذه الدائرة، وخارج هذا الواقع لعدم التزامهم بالدين القويم والمنهج الصحيح، ويمكننا بيان المقتضيات المعجمية لكلمة الحق وفق النموذج الآتي:

(١) يُنظر: كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص٢٦٠.

(٢) يُنظر: السابق، ص١٧٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

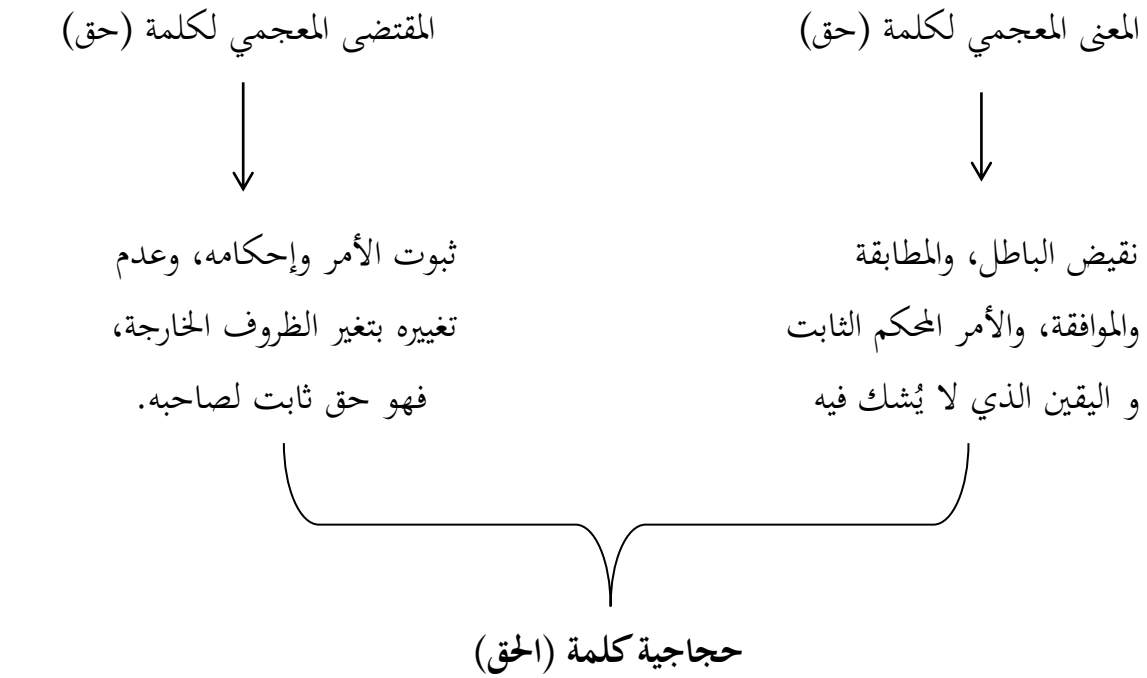

حجاجية كلمة (الحق)

إضفاء القوة والثبات على الموصوف بالحق، وحث المتلقي بالعمل على تحقيق الحق، وأن يكون من أهل الحق. واتهام نقيضه بالباطل والضلال، وتقبيح مخالف الحق وتحسين الحق ومن وُصف به.

وهكذا نجد أن كلمة (الحق) بمختلف مقتضايتها الحجاجية قد وُظفت خادما للعملية التواصلية الإقناعية التي يرومها الشيخ، خاصة أن لفظ (الحق) دلالة وغاية من أكثر الكلمات التي لها وقع خاص في الحجاج الديني.

جـ. كلمة (فتنة):

دلالات اللغة لهذه المادة تشير إلى معنى "الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب، إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد."[١] و الفتنة: الضلال والإثم، فالفاتن المُضل عن الحق، الذي يفتن المؤمن بتزيينه للمعاصي[٢]. والفتنة بحسب إضافتها: فيقال: فتنة المال، وفتنة الأولاد، وقد تطلق على

(١) لسان العرب مادة (فتن) ج١٣، ص٣١٧.

(٢) المصدر السابق نفسه.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أشياء خاصة كالنفاق والكفر والصد، حيث إن أصل الفتنة الاعتبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه،ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك.(١)

إن الفتنة بمعنى الامتحان والابتلاء يقتضي وجود (ممتحِن وممتحَن). فأما الممتحِن فهو الله تعالى، وأما الممتحَنون؛ فهم المخاطبون، الذين هم موضع الاختبار والابتلاء. كما أن الفتنة بمعنى الضلال تقتضي وجود ضالين وهم المخاطبون، كما تقتضي وجود مُضل، وهو من يحاول إثارة الفتنة، ويُضل المسلمين ويفتنهم في دينهم وعقيدتهم.

وتواترت هذه الكلمة على مدار خطب الشيخ، لتدل على معان عدة، ولتؤدي سياقات حجاجية اضطلعت بوظيفة الإقناع ورامت إليه نذكر من ذلك مثلا السياقات الآتية:

" فعزوف الشباب من الذكور والإناث عن الزواج له مضارُّه الخطيرة، وعواقبه الوخيمة، ونتائجه المدمرة على الأمة بأسرها، لاسيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه أسباب الفتنة، وتوفرت فيه السُبل المنحرفة."(٢)

يؤكد الشيخ في هذا المقطع أن الزواج في هذا الوقت بالذات له أهمية أكبر من السابق، لوجود أسباب الابتلاء في الدين، وكثرة الفتن التي تحيط بالشباب، فلا يعصمهم من الوقوع في الرذيلة إلا الزواج الشرعي. وكلمة **أسباب الفتنة** في هذا السياق الحجاجي بعد الرابط الحجاجي (لاسيما) الذي استدعاه ليخدم مساره الحجاجي، وليربط بين الحجتين الأولى(إن عزوف الشباب عن الزواج له عواقب خطيرة) وبين الحجة التالية لها، وهي (أنه أخطر في هذا الوقت الذي كثرت فيه أسباب الفتن). وكل حجة

(١) يُنظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي العسقلاني، إخراج وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة بيروت ١٣٧٩ه، ج١٣، ص٣.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٤٣١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

منهما تحملنا على الإقناع بنتيجة واحدة: وهي أن الزواج الشرعي هو المحصن للإنسان وهو الحافظ -بعد الله- من الوقوع في الرذائل.

و من سياقات استعمال كلمة الفتنة جاء قوله: **"فاتقوا الله - معشر المسلمين - واشكروه على نعمه الباطنة والظاهرة، وخذوا بمنهج الإسلام في كل أموركم، واحذروا من مخالفته، فإنها جالبة للفتنة والعذاب الأليم."**(١)

فالبعد عن الله -تعالى- وكذلك عن المنهج الإسلامي السوي في جميع أمور الحياة يجلب الابتلاء والعذاب لكل من ابتعد عن المنهج القويم، فالفتنة- هنا -استعملت بمعنى فتنة الدين والابتلاء فيه.

ومن سياقات استعمال هذه الكلمة-أيضا-:

" أيها الأخوة المسلمون: من الناس من يطلق لنفسه وأسرته العنان في السفر إلى بلاد موبوءة ؛ ليفتن نفسه بالشهوة المحرمة، والأفعال الآثمة والمظاهر المخزية.....إن سفر المسلم لديار غير المسلمين - لغير غرض شرعي وأمر ديني... لهو ضرر محض على الدين والنفس والعرض."(٢)

فيحذر الشيخ من السفر إلى بلاد الكفر التي تكثر فيها المحرمات دون رادع يردعهم، وجاءت كلمة (فتنة) -هنا- بمعنى الابتلاء في الدين، فالمسلم حين يذهب بنفسه إلى هناك إنما يجلب لنفسه الابتلاء في دينه.

ومن السياقات الحجاجية التي تكررت فيها كلمة فتنة:

" لا يرتاب الغيورون على أحوال الأمة أنها تعيش زمن طوفان الفتن، وأن واقعها المرير يعج بفتن عمياء..غير أن هناك فتنة فاقرة وبلية ظاهرة، فتنة امتحن

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٤٣٧.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٣٤٧-٣٧٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

بها المسلمون عبر التاريخ...إنها فتنة التكفير!! وناهيك بها من فتنة! تولد فتنا!"[1]

إن تكرار كلمة "فتنة" بهذا الشكل الكثيف في سياق حجاجي واحد يؤكد عظم الأمر المتحدث عنه. فالشيخ -هنا- يريد أن ينقل انفعالاته عبر هذا التعبير إلى المخاطبين، وقد استدعى المسار الحجاجي- هنا - الرابط" **غير أنَّ** " ليقيم علاقة حجاجية بين حجتين: الأولى قبل الرابط وهي: (أن الأمة الإسلامية تعيش في هذا الوقت فتن عصيبة وابتلاءات عديدة) وحجة أخرى بعد الرابط، وهي (أن هناك فتنة أعظم عانت الأمة منها زمنًا طويلا: هي فتنة التكفير). وهذه الحجة جاءت أقوى من الحجة الأولى؛ ليؤدي إلى نتيجة ضمنية مفادها: أن فتنة التكفير انتشرت في المجتمع الإسلامي ووجب التصدي لها بكل الطرق.

ومن السياقات التي ذُكرت فيه هذه الكلمة قول الشيخ في سياق حديثه عن تصنيف المسلمين والحكم عليهم بألقاب لم يذكرها ديننا الحنيف: **"كم نرى ونسمع في المجالس والمنتديات بأن هذا علماني، وذاك ليبرالي، وآخر تغريبي... إلى غير ذلك من ضروب تطاول سُعاة الفرقة ودعاة الفتنة، فإن لم يجدوا لا هذا ولا ذاك أو غلوا في الطعن في النيات والمقاصد."**[2]

جاءت كلمة فتنة - هنا - بمعنى (دعاة الضلال) ووجود دعاة للضلال يعني أن هناك من يدعو إلى الضلال، ويعرضه على المسلمين ويضللهم بأفكارهم وسمومهم. والمسار الحجاجي جاء-هنا-ليحذر المؤمنين من هؤلاء الداعين إلى الضلال، والابتعاد عما يدعون إليه ويروجون له من أفكار. وعلى ذلك نجد أن كلمة "فتنة" تتواتر بشكل لافت في كوكبة الخطب، ولا تخرج عن معنين هما: الابتلاء في الدين، والضلال ضد الاهتداء.

---

(١) السابق، ص٤٥١-٤٥٢.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٣٢١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ويمكننا بيان حجاجيتها بالنموذج الآتي :

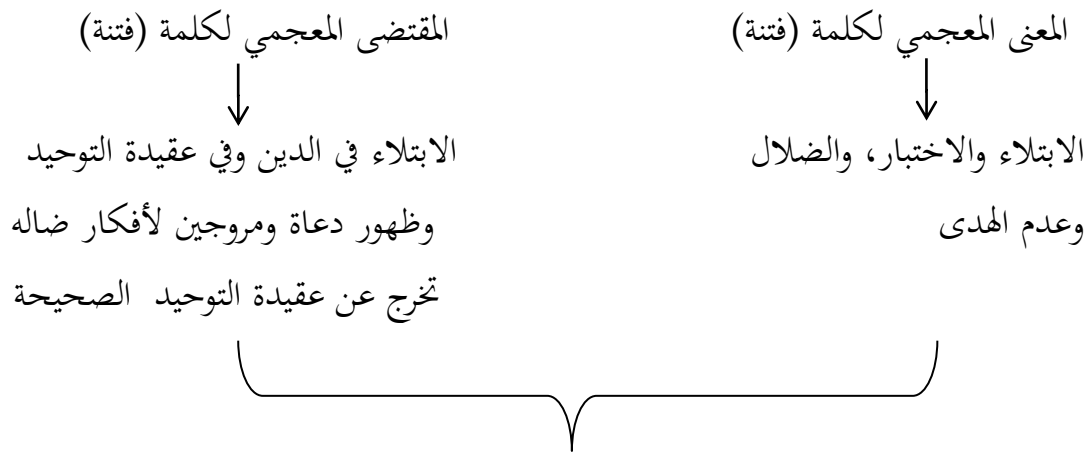

حجاجية كلمة (الفتنة)

تتمثل حجاجيتها في إضفاء صفة المكروه، الذي يحيط بالإنسان، فيجبر على الحذر الشديد من الوقوع في ذلك المكروه ؛ لأن ذلك اختبار له، فالضلال والاختبار بالمعاصي والابتلاء في الدين أمور مكروهه، يجب على المسلم الحذر من تلك الفتن.

وأخيرا يمكننا القول إن الاختيارات اللغوية تدخل في دائرة التأثير اللغوي البلاغي، حيث تُوَجه لتجسد مضامين حجاجية، تمثل أفكارا ومواقف فكرية، وعقدية يدافع عنها المرسل، حيث يتم تصوريها عن طريق الصيغ اللغوية الدالة من أجل نقلها إلى المتلقي على نحو مؤثر وناجع.

والناظر في خطب الكوكبة يقف على وفرة لافتة في اصطلاحات شتى، شملت مجالات ومعارف كثيرة، شملت العلوم الدينية، ومختلف العقائد والديانات، كما زخرت بكلمات معجمية متميزة، لها معان دقيقة مثل كلمة (بلاقع) في قوله: **"و يدع الديار بلاقع"**(١)، ومعناها: بَلْقَع وبَلْقَعَة وَهِيَ الْأَرْضُ القَفْر الَّتِي لَا شَيْءَ بِهَا(٢)، وكذلك كلمة

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٨٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الأثير، مكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، مادة (بلقع)، ج ١، ص١٥٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

العقابيل **"لا تزال الأمة تعيش عقابيلها"**[١]. ومعناها: بقايا العلة والعداوة[٢]، وكذا كلمة بهض في قوله: **"ولن يبهض الباغي مِثْلَ أن يكون المسلم فعّالا لا قوّالا."**[٣] والبهض: ما شق عليك.[٤]

ومما ينبغي ملاحظته أن هذه العناصر المعجمية القوية التي تدل على معان دقيقة تزيد التفاعل المباشر في الموقف الاتصالي، عن طريق محاولة فهم المستمع للمعنى الذي يرومه الخطيب، وفك الشفرة المنطوقة، ومن ثم تتمكن الرسالة التي تحملها مثل هذه العبارات أقوى تمكن؛ لأن الحجة المُتوصل إليها عن طريق المخاطَب، أذهب في الإقناع وأقوى. فالمألوف من القول لا يثير في المتلقي الإحساس القوي الذي يرومه الشيخ؛ لأنه يجري وفق العادة، أما استخدام بعض الألفاظ القوية والانحراف عن العادة في بث بعض المعاني فإنه يهز اليقظة لدى المتلقي، ويهتم النقد بمبدأ الغرابة في الشعر،إذ إن "البداية الأولى للتأثير هي تقديم الحقيقة تقديما يُبهر المتلقي من ناحية، ويبهره بها من ناحية أخرى، وذلك أمر لا يمكن أن يتم بمجرد النظم العادي للأفكار، بل يتم بضرب بارع من الصياغة التي تنطوي على قدر من التمويه، تتخذ معه الحقائق أشكالا تخلب الألباب وتسحر العقول، فتبدى الحقائق من خلال ستار شفيف يضفي عليها إبهاما محببا يثير الفضول ويغذّي الشوق إلى التعرف."[٥] وما ينطبق على الشعر نراه ينطبق على الخطابة عند الشيخ السديس؛ لأن الغاية واحدة، وهي التأثير، والوسيلة هي الغرابة، التي تدفع المتلقي إلى إعمال الفكر.

وهذه الاختيارات المعجمية الدقيقة تتفاعل مع بقية المستويات البلاغية الأخرى،

---

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٥٥٠.

(٢) لسان العرب، مادة (عقبل).

(٣) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث ٣٦٥.

(٤) لسان العرب، مادة (بهض).

(٥) مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨، ص٣٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

خاصة المستوى الصوتي، حيث تنسجم هذه الألفاظ مع ما يجاورها، فتتجلى الملامح الجمالية في الظواهر المعجمية، التي لها أثر كبير في توجيه دلالة الملفوظ.

ولنأخذ مثلا على ذلك قوله:

" أيها المسلمون: نعمة عظمى، ومنة كبرى، بعد نعمة الإيمان والإسلام، يغفل عنها كثير من الناس، ويقصر في شكرها خلق كثير وجم غفير، تلكم هي نعمة الصحة التي لا يُحِسها إلا من فقدها، ولا يشعر بها إلا من يئن تحت وطأة الأمراض، وسطوة العلل، ومن يرقدون على الأسرة البيضاء، ويتململون ويتقلبون على فراش المرض،لا يعلم بحالهم وجؤارهم إلا الله سبحان.... لذلك رغب الإسلام في استثمار الصحة واغتنامها بالعمل الصالح."(١)

والجؤار: رفع الصوت مع تضرع واستغاثة(٢) و نلاحظ أن هذا المعنى مفهوم وواضح، يستبينه المتلقي من السياق هذه الكلمة. إن الشيخ السديس يستثمر هذا الكلمات المعجمية لما لها من دلالات عميقة، وهو بهذه المفردة المعجمية التي انتقاها كأنما يصور لنا صورتهم وهم يتضرعون ويستغيثون، ولو استبدلها بكلمة يدعون أو يصرخون لما دلت على المعنى المذكور، أو لكثرت الكلمات لوصف حالة ذلك الصوت أو التضرع، وغاية الشيخ - هنا - التأثير.

ويمكن إجراء ذلك حجاجيا على النحو الآتي:

الحجة: إن هناك كثيرا من المرضى كانوا ينعمون بالصحة ويرفلون في نعم العافية، واليوم يجأرون ويستغيثون، فهم على أسرة المرض.

النتيجة: استثمار أوقات الصحة، واغتنام فرص الوقت بالطاعات والعمل

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٥٨٢-٥٨٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (جأر).

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الصالح.

إن التعبير عن معنى من المعاني يضع المخاطِب أمام اختيارات لفظية عديدة، فيعمد إلى هذه الاختيارات ليس اعتباطا، وإنما لأنها الأنجع في تحقيق مقاصد الخطاب، وقد تجلى لنا فيما سبق الاختيار اللفظي فتحقق" في الملفوظ أن المقام يستدعيها أكثر مما يستدعي غيرها، وأن هدف إقناع مخاطَبه يقتضيها أكثر مما يقتضي غيرها."[1]

ومن المبحث السابق عرضه، حاولنا أن نرصد الكلمات الأكثر تواترا في السياق، ونستشف الظواهر اللغوية التي برزت بشكل كثيف وملفت. وكان اللافت للنظر في هذه الاختيارات اللغوية حملها لشحنات حجاجية مؤثرة في السياق، وموجهة وجهة دلالية وحجاجية معينة، وتمتلك الألفاظ طاقات تعبيرية لها تأثيراتها البالغة في المتلقي، مما يولد أفقا رحبا للتأثير والإقناع اللذين يرومهما الشيخ.

وحجاجية اللفظة المفردة ليست بمعزل عن حجاجية التركيب أو الجملة، أو الخطبة، لكن ما تكشف من معالجتنا في هذا المبحث لها يبيّن مدى حجاجية اللفظة المفردة بوصفها نواة دالة على إسهام العنصر اللغوي في إيجاد طاقة حجاجية مؤثرة في تبليغ مقاصد الخطيب، فقد تتركز شحنة دلالة في كلمة تفوق ما تحفل به جملة أو عدة جمل.

(١) الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، ص١٨٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المبحث الثاني

ترتيب أجزاء القول و وظائفه الإقناعية

إن النص الحجاجي الخطابي بناء لغوي في المقام الأول، يتضمن أدوات ووسائل عديدة لغرض الإقناع والتأثير في متلقيه. ولكي يتحقق ذلك الغرض يجب استحضار أهمية (الترتيب الحجاجي) لأجزاء الخطبة؛ لأنه مرحلة أساسية في بناء المنجز اللغوي الخطابي.

ولقد أشار أرسطو إلى المراحل الكبرى التي يجب على الخطيب اتباعها، إذ يبتدئ من مرحلة إيجاد المعاني التي يقع بها الإقناع، ثم البحث عن الألفاظ التي يعبر بها عن المعاني، ثم يصل إلى ترتيب ذلك وتنسيقه في شكل منظم مرتب، كما عرض ذلك في كتابه الخطابه: "إن اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعة ثلاث: إحداهن: الإخبار من أي الأشياء تكون التصديقات، والثانية: ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ، والثالثة: أن كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول."(١)

كما أن أرسطو قد بيّن أجزاء القول الخطابي، مشيرا إلى أهمية جزأين أساسيين هما: العرض والدليل، اللذان يعدهما جوهر اللفظ الخطابي، كما يسمح بإضافة جزأين آخرين، هما: الاستهلال والخاتمة، وإن كانت أهميتهما تختلف من جنس خطابي إلى آخر، حيث يقول: "الكلام يتضمن جزأين، إذ لا بد من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه، ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة، ولهذا فمن المستحيل بعد ذكر الموضوع أن نتجنب البرهنة، أو أن نقوم بالبرهنة قبل ذكر الموضوع أولا، وذلك أنه حين نبرهن إنما نبرهن على شيء، ولا نذكر الشيء إلا من أجل البرهنة عليه. وأولى هذه العمليات هي العرض، والثانية الدليل. وهذا يفضي إلى وضع تفرقة بين المسألة والبرهان. أما الاستهلال

(١) الخطابة، أرسطو، ص١٨١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والمناقشة بالتساجل والتكرار بإيجاز لما قبل فإنها توجد في خطبة المحافل...أما الخاتمة فلا تدخل في كل نوع من أنواع الخطب القضائية، فهي مثلا بدون فائدة سهلة الحفظ".(١)

فهذا التقسيم الثنائي الذي يتكون من (عرض القضية) و(الحجاج عليها) يُضاف إليهما عنصري (الاستهلال والاختتام) اللذين لم يعدهما أرسطو جزأين ضروريين. والترتيب"تنظيم أجزاء الخطبة، وإحكام تركيبها، وربط بعضها ببعض."(٢) و هو مبدأ حجاجي يستثمره الخطيب الجيد، الذي يتخير المواضع والحجج الملائمة للخطابة، ثم يُحسن ترتيبها ترتيبًا ناجحًا يناسب الخطاب والمخاطَب.

وتحددت مكونات الترتيب في البلاغة القديمة في الأقسام الآتية: الاستهلال، والإثبات والسرد، والاستطراد، والاختتام، غير أن هذا الترتيب يخضع لتغييرات عديدة وفق النصوص وأنواع الخطابات.(٣)

وفي هذا المبحث من هذا الفصل نروم دراسة الترتيب الحجاجي للخطابة، ومكونات الخطاب في أجزائه الكبرى، التي تتمثل في "الاستهلال (المقدمة)، الإثبات (العرض)، والاختتام"(٤) وسنحاول كشف الوظائف الحجاجية لهذه الأجزاء في كوكبة الخطب المنيفة، التي قصدها الشيخ عبد الرحمن السديس.

❖ ١. الاستهلال وآليات الإقناع:

اهتم علماء العرب قديما بالمقدمة؛ لأنها أول ما يقرع السمع، وبه يُستدل على ما عند الشاعر أو الكاتب. فيدفع المتلقي إلى التنبه والإصغاء؛ إذا كان جيدًا آسرًا، أو إلى

(١) الخطابة، أرسطو، ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، محمد أبو زهرة، ص١٠٦.

(٣) يُنظر: في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، محمد مشبال، ص٤٢-٤٣.

(٤) الخطابة أصولها، تاريخها، في أزهر عصورها عند العرب، محمد أبو زهرة، ص١٠٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الانصراف والفتور إذا كان رديئًا فاترًا.(١) فإذا جاءت المقدمة حسنة بديعة، ومليحة رشيقة، صارت داعية إلى الاستماع لما يجيء بعدها، فالبداية هي المحرك الفاعل الأول لعجلة الخطاب.(٢) وكان أرسطو أقدم من عرض دراسة المقدمة الاستهلالية، وقد عرفها أرسطو: بأنها أول ما يبدأ به الخطاب، ويناظرها في الشعر المطلع.(٣) كما تحدث عن الوظيفة الأكثر ضرورة في مقدمة الخطاب، وهي كونها تدل على الغرض الذي يستهدفه الخطاب(٤).

وتهدف الاستهلالات الموجهة للمستمع -قبل الدخول في مضمون الخطاب - إلى كسب تعاطفه أو إثارة غضبه، وأحيانا إلى شد انتباهه أو العكس.(٥) والاستهلال من مكونات الخطاب الإقناعي(٦)؛ لأنه يتضمن لحظتين: لحظة الاستهواء والاستمالة، ولحظة الإعلان عن التقسيم المتبني والتصميم المتبع.(٧)

يرى (بيرلمان) أن الحجاج يبنى على جملة التصورات والمقدمات والفرضيات، التي ينسج منها خطيبًا كان أم كاتبا خططه البرهانية، فبهذه المقدمات يُستمال المخاطبون، وتشكل هذه المقدمات نقاط انطلاقة. ومن أهم هذه المقدمات: الوقائع،

(١) يُنظر: نظرية النص من بنية النص إلى سيميائية الدال، حسين خمري، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص١١٥.

(٢) يُنظر: الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص١٥.

(٣) يُنظر: لخطابة، أرسطو، ص٢٢٤.

(٤) السابق، ص٢٢٦.

(٥) يُنظر: بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية، الحسين بنو هاشم، تقديم: محمد العمري، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص٣٤٨.

(٦) يُنظر: البلاغة العربية أصولها وامتدادتها، محمد العمري، ص٢٦٧.

(٧) يُنظر: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، رولان بارت، ترجمة: عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م ص١٣١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحقائق، الافتراضات، القيم، وهرمية القيم، والمواضع.(١)

فالوقائع ثابته ولا شك في أنها تصلح لتأسيس نقطة البداية، وتمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص، أو بين جميع الناس، والتسليم بالواقعة ليس إلا تجاوبًا من الفرد مع جميع الخلق، إذ الواقع يقتضي إجماعًا كونيا. أما **الحقائق؛** فيربط الخطيب بينها وبين الوقائع، ليمنح الحجاج بداية قوية، فهي تتأسس في الغالب على مفاهيم فلسفية ودينية وعلمية؛ لأنها تربط بين الوقائع. أما **الافتراضات؛** فلا يكون التسليم بها على نحو قوي إلا في إطار الخطاب، ولابد أن تُشفع بأدلة وأنساق برهانية تدعمها، وهي غير ثابتة، فهي متغيرة تبعا للمقام والسامع والمتكلم. أما **القيم؛** فهي عنصر أساسي من عناصر الحجاج، ولها وظيفة بارزة في مجال العلوم الإنسانية. والوعي بهذه القيم أهم من القيم ذاتها، ولها أثر فعال في بناء الثقة بين المتحاورين.(٢)

ويقوم الحجاج بكل ضروبه على القيم حتى وإن خلت من الاستدلالات العلمية، فإنها: "تمثل بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاء أساسيا. فهي التي يعول عليها في جعل السامع يذعن لما يُطرح عليه من آراء."(٣) وتخضع الحجج إلى مراتب متدرجة وهرمية، إذ تتفاوت درجة التسليم بالقيم من جمهور إلى آخر، فالذي يميز كل جمهور طريقة ترتيب القيم التي يسلم بها.(٤)

ويعدُّ (بيرلمان) القيم من قواعد الحجاج؛ لأن الخطيب يستند إليها لكي يحمل المخاطب على القيام بأفعال معينة بدل أخرى، ويستدعيها المتكلم بشكل خاص عند تبرير تلك الأفعال، بطريقة تجعل هذه الأفعال التي يدعو إليها مقبولة ومؤيدة من طرف

(١) يُنظر: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الأمين الطلبة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ج (١) ص٥٠٥.

(٢) يُنظر: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الأمين الطلبة، ص٥٠٥.

(٣) في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص٢٦.

(٤) يُنظر: السابق نفس الصفحة.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الآخرين. أما **المواضع**: فهي مقدمات أعم وأشمل من كل تلك العناصر السابقة، ومنها ما هو المشترك كالأقل والأكثر، اللذين يصلح تطبيقهما على عدد من العلوم والأجناس القولية، ومواضع خاصة تكون مقتصرة على علم أو جنس بعينه، وقد عدّت البلاغة اليونانية هذه المواضع مخازن للحجج، وكل من يروم الحجاج عليه أن يقتبس منها عماد برهنته.(١)

والخطيب"باستخدامه المقدمات منطلقا لحجاجه وأُسًّا له، إنما يعول على تسليم الجمهور بها، وإن كان هذا الجمهور قد يرفضها، إما لكونه لا يسلم بهذا الذي جاء الخطيب ينطلق منه معتبرًا إياه من المسلمات، أو لكون هذا الجمهور يفطن للبعد الأحادي الذي قام عليه اختيار هذه المقدمات، أو لكون الجمهور قد أدرك النوايا التي يبيتها الخطيب من إتيانه بهذه المقدمات."(٢)

ويعد الاستهلال دلالة استباقية تشير بشكل مباشر أو غير مباشر إلى موضوع الخطبة، إذ تسعى تلك المقدمة إلى أن تكون وسيلة تدرج لإقناع المتلقي والتأثير فيه. وقد حرص الشيخ السديس على توجيه مستمعيه إلى غايته بتعيين الغرض الذي يقصد إليه مباشرة، فهو يحمل المتلقي باستعمال ألفاظ دالة على موضوعه، ومن ذلك مثلاً ما جاء في خطبة (من للسنة اليوم؟!) يقول بعد الحمد والثناء على الله ﷻ:

"وأشهد أن نبينا محمدا عبدالله ورسوله، أرسله هاديا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا مُنيرا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده ؛ فتح الله به قُلوبا غلفا، وأعينًا عُميا، وآذانًا صُما ؛ هدى به من الضلالة، وبصّر به من الغواية، شرح الله صدره، وأعلى ذكره، ورفع قدره، ووضع وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، أكمل به الدين، وأتم به النعمة، تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك،الحق ما جاء به،

(١) يُنظر: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الأمين الطلبة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج(١) ص٥٠٦.

(٢) في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، ص٢٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والدين ما شرعه؛ فنُشهد الله الذي لا إله إلا هو على محبته (ﷺ)، محبة تفوق محبة النفس والولد والوالد، والناس أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تمسك بسنته وسار على طريقته، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين."(١)

تشكل هذه المقدمة الحجاجية نقطة انطلاق يتكئ عليها في خطبته، فالوقائع والافتراضات وهرمية القيم والمواضع مسلمات يحاول الخطيب أن يبني عليها حجاجه، ذلك أن الوقائع حقائق يتم التسليم بها مباشرة، أما الافتراضات فقد توفر مبررات للخطيب تؤيد كلامه أثناء خطبته. وفي هذا النموذج يقدم الشيخ لخطبته بأعمال الرسول ﷺ، التي يؤمن بها إيمانا راسخا، ويسلم بها كل مسلم تسليما كاملا، ويعدد فضائله على الإسلام والمسلمين.

ففي استهلال الخطبة يستعرض الخطيب شخصية الرسول الكريم ﷺ وما قام به من أعمال وفضائل منها: تبليغ الرسالة، أهم وأعظم ما قام به ﷺ وجاهد في الله حق جهاده،كما أخرج الناس من الضلالة إلى الهدى، وفتح تلك القلوب الجامدة الغُلف والأعين العمياء، والآذان الصماء، بل إنه ﷺ تركنا على علم وبينة واضحة بدين الله تعالى، كوضوح النهار، كل هذه الحقائق تضافرت لتؤكد فضل النبي محمد ﷺ.

وفي هذه المقدمة الحقيقية، التي لا يشوبها شك في قلب كل مسلم ربط بها حجاجه؛ حتى يستحضر المخاطبون كل تلك الفضائل والمحامد في أذهانهم ليتم بعدها إقناعهم بوجوب التمسك بالسنة النبوية الشريفة. فعنوان الخطبة (من للسنة اليوم؟!) يوحي بالعلاقة الحجاجية بين أجزاء الخطبة، كما أننا نجد صلاته على من تمسك بسنته وسار على طريقته في آخر فقرة الاستهلال ؛ إقناعًا للمخاطب بوجوب اتباع السنة النبوية.

---

(١) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص١٣٣-١٣٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

إن الشيخ السديس في هذه الخطبة وخطب أخرى كثيرة وظف فيها الاستهلال توظيفا حجاجيا إقناعيًّا، باستدعائه كثيرا من الوقائع والحقائق، ووجهها توجيها يخدم الغرض والمقصد الذي يروم إليه، وهي الوظيفة الأهم التي يجب أن تؤديها المقدمة كما يقول أرسطو: "فالوظيفة الأكثر ضرورة في المقدمة، التي تكون مختصة بها هي؛ كونها تدل على الغرض الذي يستهدفه الخطاب."(١) وقد حرص السديس أن يوطئ لموضوعه بمقدمة تحدد غايته سواء تصريحا أو تلميحا؛ حتى يتمكن من شد انتباه المخاطبين إليه، وتوجيهه في الاتجاه الذي يقصده في خطابه.

ومن الاستهلالات التي تقوم على الافتراضات ما نراه في خطبة (القول المحجل، في سيرة الإمام المبجل) يقول بعد الحمد لله والثناء عليه:

"عباد الله، إنَّ في تاريخ العظماء لخبرا، وإن في سير العلماء لعبرًا، وإن في أحوال النُّبلاء لمدَّكرا، وأمتنا الإسلامية أمة أمجاد وحضارة، وتاريخ وأصالة،... إخوة الإيمان، في تاريخ الإسلام علماء ربانيون، أعلام عاملون، وأئمة مهديون هُم من منة الله على هذه الأمة، قاموا بالإسلام وللإسلام؛ يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصّرون به أهل العمى، ويرشدون من ضل منهم إلى الهدى... أمة الإسلام، وكان من أجَلَّ هؤلاء الأئمة، وأفضل هؤلاء العلماء، عالم لا كالعلماء، وعلم لا كالأعلام، جبلٌ أشم، وبدر أتم، وحبر بحر، وطود شامخ، يُعد بجدارة: إمام القرن الثالث الهجري...أتدرون - يا رعاكم الله - من هو؟ من ذا الذي تعطرون أسماعكم بذكر سيرته؟ إنه إمام أهل السُّنة: الإمام الفذُّ، والعالم الجهبذ، الإمام الفاضل، والعالم المُبَجَّل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ي."(٢)

لقد أطنب الشيخ السديس في ذكر صفات هذا الإمام، وما كان لهذا الإطناب إلا

(١) الخطابة، أرسطو، ص٢٣٢.

(٢) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٥٨٧-٥٩٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وسيلة غايتها تحقيق الانتباه، وكأن الشيخ -هنا- يستعرض تاريخ هذا الإمام بذكر بطولاته وأعماله. وإن القدامى من الخطباء أوجدوا طرقًا كثيرة وعديدة من أجل استجلاب انتباه السامع واستدامته.(١) فالشيخ وظف هذه المقدمة وظيفة اتصالية، تجعل المخاطَب منتبها متيقظا للكلام؛ لأن الخطيب لم يفصح عن الشخصية التي يريد الحديث عنها، لذلك يتنبه السامع لكل تلك الصفات والأعمال ويستحضرها ذهنيا؛ ليربطها فيما بعد بتلك الشخصية، ثم إما له الاقتناع والتسليم وإما لا. إذ إن هذه الحجج التي يسوقها الشيخ تحظى بالموافقة العامة، لكن الإذعان لها والتسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقوّيهما.(٢)

وجاء الاستهلال في هذه الخطبة في هيئة متدرجة، ويمكننا–هنا-استثمار (السلُّم الحجاجي)،الذي يعتمد على مبدأ التدرج في الخطاب، كما يعتمد على العلاقة الترتيبية للحجاج، وغايتها في ذلك الوصول إلى النتائج؛ لتحقق الأثر المرجو في المخاطب أو المتلقي، ويمكن تعريفه: بأنه عبارة عن مجموعة من الأقوال، مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين الآتيين:

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود جميع الأقوال التي من دونه.

- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه، ويتبين ذلك من الرسم الآتي:

ن (زيد أنبل الناس خلقا)

د أكرم زيد عدوه

(١) يُنظر: مدخل إلى الخطابة، أوليفيي روبول، ترجمة: رضوان العصبة، إفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، ٢٠١٧م، ص٨٣.

(٢) يُنظر: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص٢٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ج أكرم زيد صديقة ———

ب أكرم زيد أخاه ———

(ن)= النتيجة (المدلول)، و(ب) و(ج) و(د) حجج وأدلة تخدم النتيجة (المدلول).

فحينئذ القول (د) يلزم عنه القول (ج)، الذي يلزم عنه تباعا القول (ب)، كما أن (د) هو أقوى إثباتا للمدلول (ن) من (ج)، الذي يعد أقوى إثباتا لهذا المدلول من (ب)[1]. و إذا ما نظرنا إلى استهلال الشيخ السديس في هذه الخطبة نجد أنه بدأ بقوله (العظماء) لنستنتج - هنا - أن الخطبة ستتحدث عن عظيم من هؤلاء العظماء، ثم يتدرج في الحجاج على النحو الآتي:

النتيجة: (الإمام أحمد بن حنبل، أحد أعلام الإسلام، فقيها، محدثًا مجاهدا)

الحجة الثالثة: في تاريخ الإسلام علماء ربانيون.

الحجة الثانية: أمة الإسلام أمة أمجاد وحضارة.

الحجة الأولى: إن في تاريخ العظماء لخبرًا.

بدأ الشيخ بالحجة الأقل قوة وهي: (إن في تاريخ العظماء لخبرًا)، دون تحديد أي العظماء سيأتيهم بخبره، ثم ارتقى في الحجة الثانية درجة أقوى فقال:(أمة الإسلام أمة أمجاد وحضارة). فعند تحديد الأمة الإسلامية - هنا - يؤكد أنه سيتحدث عن شخصية إسلامية، فهي أمة أمجاد وأمة حضارة، ثم استدعى الشيخ الحجة الثالثة في السلم، وهي أكثر دقة وتحديدا، كما أنها أكثر قوة في قوله: (في تاريخ الإسلام علماء ربانيون(، ثم ذكر كثيرا من صفات هؤلاء العلماء الذين أشاعوا الإيمان الحق في المسلمين، واقتبس

(١) يُنظر: اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، ص٢٧٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الناس من نور علمهم، ولا زالت آثارهم باقية تُدَّرس إلى اليوم، ينهل منها طلاب العلم والداعون إلى الله تعالى، ثم يصل بنا إلى نتيجة حتمية بعد استحضار تلك الصفات وهي: (أن الإمام أحمد بن حنبل، أحد أعلام الإسلام،فقيها، محدثًا ومجاهدا).

إن تدرج الحجاج وفق قوتها، ومن العام إلى الخاص أسهم بشكل كبير في وضوح الفكرة التي تحقق مقصد الخطيب، وتقود إلى إقناع السامع.

ويُلاحظ في هذا الاستهلال حضور شخصية الشيخ السديس، إذ نجده في عرض هذه الفضائل لهذا العالم متأثرا تأثرًا واضحًا بشخصيته، ولابد من قناعة الخطيب أولاً؛ إذ لا يمكن الفصل بين الإقناع والاقتناع لأن الأول" هو أحد طرفي العلاقة بين رسالة هادفة إلى توجيه الفكر أو الاعتقاد، وطرفها الآخر هو الاقتناع، وهذان الطرفان متلازمان وجودا وعدمًا، فلا وجود للاقتناع دون وجود الإقناع."(١)

فالخطيب يقدم لنا مزيجا من الصفات والقيم المُثلى لهذا العالم، تسعى هذه الصفات لإثارة الفضول للمخاطب للتعرف على صاحب هذه الصفات، كما يحاول إثارة عواطفه، ومشاعره بواسطة اللغة، ولا يمكن وصف الخطيب أو الخطاب بأنه إقناعي إلا إذا استطاع إحداث الإقناع لدى المتلقي، وهذا "لا يكون إلا بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه، بعدِّه دليلا وحجة مادية تنسحب على المتكلم وتزكي موقفه وتؤكده."(٢)

كما يُلاحظ أن الشيخ السديس أطنب كثيرا في تقديم الإمام (أحمد بن حنبل)، وهذا غير معتاد -بالنظر إلى بقية الخُطب- والهدف هو التأثير في المستمعين (المسلمين) ودفعهم إلى الاقتداء بهذه الشخصية الفذة، والتأسي بالقدوة الحسنة. ولتحقيق هذه الغاية رفع الشيخ السديس من مستوى التأثير والإقناع في الخطبة منذ مطلعها، منطلقا في ذلك بمعرفته الجيدة بمستمعيه من المسلمين. فهو يهدف إلى التأثير العاطفي أكثر من الإقناع

(١) اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، سمير شريف أستيتيه، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص٧٠٠ -٧٠١.

(٢) عندما نتواصل نغير، عبد السلام عشير، ص١٣٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

العقلي خاصة في هذه الخطبة، ومن ثم توجه بالأساس إلى "الباتوس"(١) في المتلقي لإثارة الانفعالات لديه، ويؤيد ذلك ما جاء في نهاية الخطبة باستعراضه أهم الأحداث الأليمة التي ألمت به، وكيف استطاع الثبات والصبر على كل ما أصابه يقول:

"أمة الإسلام، ولقد ضرب الإمام أروع الأمثلة في الثبات على المبدأ، والصبر أمام الفتن ؛ لقد أُذي وسُجن، وضُرب وأُهين، فلم تهن له قناة، وبذل مهجته في سبيل الله،...وهزيء بالسياط التي ألهبت ظهره، ولم يبالِ بالحديد الذي كُبل به.."(٢)

ودعم السديس كل هذه الإثارات العاطفية باستحضار شخصية الإمام (أحمد بن حنبل) بذكر العديد من صفاته الخُلقية والخَلقية، من أهمها: طلب العلم، والدراية، والجهاد، والفقه، والتواضع، أما صفاته الخَلقية يقول الشيخ السديس فيها: **"لقد أقبل ذلك الإمام الرقيق النحيل، الرَّبْعة من الرجال، ذو اللون الأسمر."**(٣) وفي تعداد هذه الصفات إثارة للمستمع، الذي يستحضر ذهنيا هذا الشيخ الجليل، ومن ثم حصول الاقتناع بالتأسي به، وبالسير على نهجه.

ومن الاستهلالات الموجهة إلى غاية الخطبة ومرامها قول الشيخ في خطبة: (وماذا بعد الأحداث "أحداث الرياض"):

" الحمد لله قدر الأمور وقضاها، وعلى ما سبق علمه بها أمضاها، وكما قدر مبدأها قدر منتهاها، أحمده -سبحانه- عز ربا وجل إلها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده

---

(١) "الباتوس لفظ عام يدل على مجموعة الأهواء التي يثيرها الخطيب في السامع لحمله على قبول دعواه أو وجهة نظره، ويعد الباتوس إحدى الإستراتيجيات الخطابية الحجاجية الثلاث التي تناولها أرسطو في نظريته البلاغية "، يُنظر: في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، محمد مشبال، ص٢٥٧.

(٢) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٥٩٥.

(٣) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٥٩١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

لا شريك له أظهر الأدلة على وحدانيته وجلاّها، وتوعد أهل الإجرام بالنار ولظاها، فاللهم نبرأ إليك من قلوب خلت من هداها، وأُشربت ضلالها وهواها، وبلغت من الشرور منتهاها."(١)

يُلخص هذا المفتتح القضية التي ترد في سياق متن الخطبة. وفي هذا الاستهلال تبرز عدد من العناصر التي تمكن الخطيب من الاستحواذ على فكر السامع وإثارة خوفه. يتجلى ذلك في قوله: (وتوعد أهل الإجرام بالنار ولظاها)، كذلك الدعاء (فاللهم نبرأ إليك من قلوب خلت من هداها، وأُشربت ضلالها وهواها، وبلغت من الشرور منتهاها).

وهذه المقدمة القوية - التي يُظهر فيها الخطيب الجزاء الذي ينتظر أولئك المجرمين الذين قاموا بأعمال إجرامية في (الرياض)- حملت بعدا حجاجيا إقناعيا. وكذلك الدعاء والبراءة منهم يدل على شناعة فعلهم.

و في هذا الدعاء استمالة للمتلقي واستدراجه ليقبل على الموضوع باهتمام؛ لأن هناك كثير من الشباب المندفعين يرى أن قتل أهل الذمة جائز، بل أنه واجب، فقوة الخطاب- هنا -استدعاه قوة الموقف، والضلال الذي عليه معظم الناس.

ويمضي الشيخ في استهلاله لهذه الخطبة قبل الدخول في موضوعه الرئيس حيث يقول: **"أيها المسلمون عند حلول حدث أي حدثٍ، يتساءل الناس بعامتهم -في سكرة- ماذا حدث؟ ولماذا حدث؟ وكيف حدث؟ وبعد مُضيّ الحدث يتساءل العقلاء والحكماء، ويتنادى الغيورون والنبلاء: ماذا بعد الحدث؟! في تفكر ومحاسبات، ومعالجة ومراجعات، وتحليل ومتابعات، وأبحاث ودراسات...ولا يكاد عجب الغيور يأخذ بالأُفُول، من ضلال تلك العقول التي اتخذت وراءها ظهريا المعقول والمنقول، فيتساءل بأسى: ما بال هؤلاء يرتكسون في حماة الجهل الوبيل، ولا يصيغون إلى**

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٣٧٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

النداء العُلْوي الجليل؟! الذي عظَّم حرمة الإنسان ونأى به عن مساقط الغلو والطغيان والإجرام؟! ما لهؤلاء القوم افترستهم أفكار الضلال، واستقطبتهم موجات الوبال؟! أذلك ناتج عن عمى الفكر والبصيرة؟! أم ضحالة العلم والتربية؟! أم سطحية الوعي والمعرفة؟! أم زيف شعارات وشرور؟! أم جهل ونزق وغرور؟! أم نتيجة تراكمات نفسية وضغوط اجتماعية؟! ام ماذا؟!"(١)

في هذا الاستهلال تعمد الشيخ إظهار موقفه تجاه هذه القضية (قضية الإرهاب وقتل أهل الذمة). والخطيب -هنا- يعرض موقفه عن طريق جملة من الاستفهامات على مرحلتين اثنتين، فيُظهر في الأولى هيئة عامة الناس وموقفهم من هذه الأحداث. والجملة الاعتراضية (في سكرة) تدل دلالة واضحة على حالهم وقت وقوع الحدث، فهم مغيبون عن تلك الأحداث وأسبابها، ثم في الثانية يستعرض حال العقلاء والحكماء الذين يبادرون بالتحليل ومحاولة فهم الأسباب لمعالجة القضية.

في هذا الجزء من الاستهلال صور لنا الخطيب حالين لعامة الناس ولعقلائهم عن طريق حشد مجموعة من الاستفهامات، ويتمثل البعد الإقناعي–هنا-في إبراز حداثة القضية، وتأكيد عدم وجودها في أسلاف الأمم السابقة، مما يؤكد بدعتها، وأنها دخيلة على شريعة الإسلام. فحال عامة البسطاء من الناس وكأنهم في سكرة وتساؤلهم عن الأسباب وعن الكيفية بل وعن القضية فيه دلالة على جِدة هذه القضية على المجتمع الإسلامي السني، الذي يهتدي بسنة النبي ﷺ، مما يحث المستمع على العودة بذاكرته قليلا نحو التاريخ. هل كانت هذه القضية مطروحة؟ بل هل هذا الفعل الشنيع قد حدث من قبل؟ ليستنتج أن ما ليس في عقيدة التوحيد لا يمكن أن يتبع.

ثم يردفها باستفهامات أخرى يستعرض خلالها أسباب تلك القضية وجذورها: (ما بال هؤلاء يرتكسون في حماة الجهل الوبيل، ولا يصيغون إلى النداء العُلْوي

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٣٧٤-٣٧٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الجليل؟! الذي عظَّم حرمة الإنسان ونأى به عن مساقط الغلو والطغيان والإجرام؟! ما لهؤلاء القوم افترستهم أفكار الضلال، واستقطبتهم موجات الوبال).

يمثل هذا الاستفهام التعجبي المعضد بالتقريع والتوبيخ حججا تقريعية. وتعرض هذه الاستفهامات أفعال المجرمين وأسبابها في صورة سلبية، بناها الشيخ السديس على موضع الاعتدال والوسطية التي جاء بها الإسلام، ثم يستكمل حجاجه المبني على الاستفهام.

ويُظهر الخطيب أسباب جرائمهم عن طريق عرض مجموعة من الافتراضات التي قد تكون واحدة منها سببا أو مجموعة أسباب في وجود مثل هذه الأفعال في مجتمع المسلمين، مقترنا ذلك بأسلوب تعجبي عن طريق استخدام عامل الاستفهام (ما) والعامل الحجاجي (الهمزة) ثم الربط بين هذه الاستفهامات بالرابط الحجاجي (أم)، (ما لهؤلاء القوم افترستهم أفكار الضلال، واستقطبتهم موجات الوبال؟! أذلك ناتج عن عمى الفكر والبصيرة؟! أم ضحالة العلم والتربية؟! أم سطحية الوعي والمعرفة؟! أم زيف شعارات وشرور؟! أم جهل ونزق وغرور؟!أم نتيجة تراكمات نفسية وضغوط اجتماعية؟!أم ماذا؟!) يؤكد في بداية هذه الفقرة أن أفكار الضلال قد افترستهم، فهو يتعجب من حالهم بواسطة العامل (ما لهؤلاء القوم افترستهم أفكار الضلال؟).

ويفيد الاستفهام - هنا - في إظهار واقع هذه الفئة الضالة، التي نحت عن الطريق القويم، ثم يُتبع هذا الاستفهام بمجموعة من الاستفهامات. بدأها بالهمزة (أذلك ناتج عن عمى الفكر والبصيرة).

ويتمثل البعد الحجاجي في الاستفهام - هنا - في العمى الفكري، ثم يستعرض أسباب ذلك والربط بينها بالرابط (أم)، ويضع لهذا الضلال أسباب مفترضة:

الافتراض الأول: ضحالة العلم والتربية.

الافتراض الثاني: سطحية الوعي والمعرفة.

الافتراض الثالث: زيف شعارات وشرور.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الافتراض الرابع: جهل ونزق وغرور.

الافتراض الخامس: نتيجة تراكمات نفسية وضغوط اجتماعية.

ثم يختمها باستفهام يحمل دلالة تعجبية حيث يقول: (أم ماذا؟) ويوجه الاستفهام - هنا - المتلقي للإجابة التي يريد الوصول إليها وهي: التعجب من فائدة هذه الأعمال الدموية التي تدمر البنيان الإنسان، فإن كانت تلك أسباب تدفعهم لفعلها فما هو الهدف المرجو منها؟

ومما سبق عرضه يتضح أن نهج الخطاب بصورة الاستهلال تلك قد اضطلع بوظائف إقناعية عديدة من أهمها:

- الدلالة على الغرض والتحديد للقضية المطروحة وتوجيه ذهن المستمع نحوها.

- الإثارة العاطفية للمتلقي "الباتوس".و هذه الإثارة تهدف إلى إدخال المتلقي في الدائرة الانفعالية التي يريدها المخاطِب، ليلقى تجاوبه مع الدعوى المطروحة.

- التعبير عن موقف المخاطِب تجاه الدعوى.

❖ ٢. العرض والإثبات:

والعرض هو الكلام الذي يعقب الاستهلال ويقصد به" العرض المفصل لما تم اختصاره في الافتتاح"[١] وفيه يبسط الكاتب آراءه وأفكاره، ومعانيه، بأسلوب يوظف الأدوات الفنية المختلفة، محققا المتعة والفائدة للمتلقي. وهو يمثل أهم أجزاء الخطبة وجوهرها ؛ لأنه إذا كان من الممكن أحيانا - كما يرى أرسطو- الاستغناء عن الاستهلال والاختتام في بعض أنواع الخطب[٢] فإن العرض لا يمكن الاستغناء عنه، بل

(١) الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الوالي، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م ص٦٢.

(٢) يُنظر: الخطابة لأرسطو، ص٢٢٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أنه من ضروريات الخطبة، ولا يقوم لها قائمة إلا به.(١)

وقد كان الشيخ السديس حريصا كل الحرص في خطبه على التدرج في تقديم أفكاره، كما حرص على الوحدة الموضوعية عن طريق التناسب بين أجزاء الموضوع الواحد. ومن اللافت للانتباه في جميع خطب الشيخ هو إكثاره من دقائق الموضوعات وتفاصيلها وجزئياتها؛ لإقناع المتلقي بأفكاره، واستيفاء جميع أطراف الدعوى أو القضية، ومحاصرة المخاطَب من كل اتجاه وتوجيهه نحو مقصدية الخطاب، وهذا العرض الذي يمهد للاستدلال لابد أن يكون واضحا ووجيزا، ووظيفته هي التحضير للاستدلال، لأن الاستدلال يأتي في مرحلة تالية.(٢)

ويختلف عرض القضايا في خطب الكوكبة من حيث الطول والقصر، ومن حيث التلميح والتشويق والعرض المباشر، وذلك حسب أهمية هذه القضية للمخاطِب والمخاطَب، ولنأخذ على طول هذا العرض مثلا قوله:

"عباد الله، أرأيتم بماذا يقاس تقدم الأفراد والمجتمعات؟! وبأي معيار يوزن رقي الشعوب والبيئات؟! وعلى أي أساس تُبنى الأمجاد، وتُشاد الحضارات؟! كل ذلك لا يتم إلا بالعناية الفائقة بموضوع في غاية الأهمية، موضوع هو هاجس العلماء والمربين، وقضية الدعاة والمصلحين، وَهَمَّ المفكرين والغيورين، وقبل ذلك وبعده: هو أمنية الآباء والأمهات، والعملية الكبرى للمدرسين والمدرسات، والمربين والمربيات، كما أنه مطلب مُلِحٌّ لدى الدول والحكومات؛ كم بُذلت من أجله أزمنة وأوقات، وكم دُعِّم بكثير من الإمكانات والقدرات! كم صُرفت لتحقيقه جهود، وكم أُنفقت في سبيله أموال بلا حدود! وليس ذلك بكثير على موضوع متى ما تحقق في أمة عزت وسادت، وأفلحت وقادت، وإذا أُهمل حل فيها الفساد والدمار، وحصل الخراب والبوار، حينذاك قل: على الأمة العَفَاءُ، وسطر على أنقاضها عبارات العزاء،

(١) يُنظر: السابق، ص٢٢٢.

(٢) يُنظر: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، رولان بارت، ترجمة: عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص٧٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أتدرون يا عباد الله ما ذلكم الموضوع المهم؟!إنه موضوع: التربية، وكفى بها من مهمة! وأعظم بها من مهمة ومسئولية!"(١)

لا يخفى علينا عنصر التشويق الذي استدعاه الاستفهام عندما بدأ الفقرة به، وكان الهدف منه جذب انتباه السامع، واستمالة عقلة، لمحاولة الوصول إلى جواب ذلك الاستفهام، فالاستفهامات المتكررة والمتوالية لـيس المقصود بها طلبا أو إجابة، بل إثارة الحيرة وتحريك الذهن، لتكون بعد ذلك إجابة مبهمة تتمثل في قوله: (كل ذلك لا يتم إلا بالعناية الفائقة بموضوع في غاية الأهمية).

ثم يطنب الشيخ في عرض حججه، وبيان أهمية ذلك الموضوع الذي لا يزال مُبهما، قاصدا في ذلك إلى استيفاء جميع المؤسسات المجتمعية والدينية التي لها تاثيرها في هذا الموضوع، لمزيد من تأكيد أهمية هذا الموضوع، ثم إثارة السامع مرة أخرى بإعادة الاستفهام بقوله: (**أتدرون يا عباد الله ما ذلكم الموضوع المهم؟!**) ليذكر الإجابة بأنه موضوع التربية. وعلى الرغم من طول الفقرة فإننا نلاحظ ارتباطها وعدم تفككها وتسلسلها ما يجعل الذهن ينتقل فيها مُثار الذهن، مرتب الأفكار، متطلعا إلى الإجابة، وأطنب في بيان النتيجة وجعلها آخرًا لتتمكن في ذهن السامع أيما تمكن، ويمكننا رسم المخطط الآتي للحجج التي أطنب فيها الشيخ:

المقدمة (مبهمة) ← : مقياس تقدم الأفراد والمجتمعات، ورقي الشعوب.

الحجة الأولى: (جهة علمية) ← : لا يتم إلا بالعناية بموضوع هو هاجس العلماء والمربين.

الحجة الثانية: (جهة دينية) ← :قضية الدعاة والمصلحين.

الحجة الثالثة: (جهة اجتماعية) ← : هَمُّ المفكرين والغيورين.

الحجة الرابعة: (جهة أُسرية) ← : أُمنية الآباء والأمهات.

الحجة الخامسة: (جهة تعليمية)← : العملية الكبرى للمدرسين والمدرسات والمربين والمربيات.

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٤٧٩-٤٨٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجة السادسة: (جهة حكومية): مطلب مُلِحٌّ لدى الدول والحكومات.
←
الحجة السابعة: (جهة مادية) : صُرفت الأموال والجهود في سبيل تحقيقه.
←
النتيجة: ←: يُقاس تقدم الأفراد والمجتمعات، وترقى الشعوب والبيئات بالتربية، وهي أعظم أمانة ومسؤولية للمجتمع وللأفراد.

وهذا الإطناب الحجاجي جاء من نوع (الإيضاح بعد الإبهام) ويضاف إليه استيفاء جميع الجهات ذات العلاقة المباشرة بموضوع التربية،إذ جاء المعنى في صورتين مختلفتين، ليتمكن في النفس أشد تمكن، لأن المعنى إذا أُلقي على سبيل الإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل الإيضاح، فتتوجه إلى مُراد المتكلم، ليتمكن فيها فضل تمكن، وليشعر السامع بلذة العلم بذلك المُبهم.(١)

في هذه الفقرة من الخطبة اتبع طريقة الإبهام وإخفاء القضية التي يريد الحديث عنها بقصد إثارة المخاطبين، وعدم ذكر هذه القضية وذكر أبعادها وما يترتب عليها وأهميتها يجذب السامع إلى معرفة تلك الدعوى.

ومن أمثلة التفصيل في العرض قول الشيخ: **"معاشر المسلمين: المستقرئ للتاريخ الإنساني يجد أن الشائعات وجدت حيث وُجد الإنسان، بل إنها عاشت وتكاثرت في أحضان كل الحضارات، ومنذ فجر التاريخ، والشائعة تمثل مصدر قلق في البناء الاجتماعي، والانتماء الحضاري، لكل الشعوب والبيئات، ولما جاء الإسلام اتخذ الموقف الحازم من الشائعات وأصحابها؛ لما تنشر وتبث بين أفراد المجتمع من آثار سلبية على تماسك المجتمع المسلم، وتلاحم أبنائه وسلامة لحمته، بل لقد عد الإسلام ذلك سلوكا مرذولا منافيا للأخلاق النبيلة، والسجايا الكريمة، والمُثل العليا التي جاء بها وحثت عليها الشريعة الغراء من: الاجتماع والمحبة، والمودة والإخاء، والتعاون، والتراحم والتعاطف والصفاء، وهل الشائعة إلا نسفٌ لتلك القيم، ومعوَل**

(١) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، المحقق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، (دون تاريخ)، ج٣، ص١٩٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

هدم لهذه المثل."[١]

ويمكن تقسيم هذه الفقرة الحجاجية إلى قسمين:

- قسم يعرض فيه الموضوع وآثاره على مدى التاريخ.

- والقسم الآخر يختص ببيان حكمها في الشريعة الإسلامية.

والخطيب -هنا- يستثمر **الحجة البراغماتية**[٢]،كما يسميها بيرلمان. وهذه الحجة تعتمد على التتابع وتقوم عليه، وهي الحجة التي بها يحصل تقويم عمل ما أو حدث معين بعد نتائجه الإيجابية أو السلبية، ومن هنا كان لهذه الحجة تأثير مباشر في توجيه السلوك.[٣] حيث كشف عن بيان سبب تحريم الإسلام للشائعات، حيث عرض الموقف الحازم للإسلام من هذه الشائعات وبرر ذلك بالآثار والنتائج السلبية التي تنشرها على المسلمين ومنها تفكك تماسكهم ولُحمتهم، فتحريم الإسلام لهذه الشائعة مبني على واقع نتائجها السيئة، ثم استدعى الرابط، ليربط به بين حجتين الثانية أقوى من الأولى (بل لقد عد الإسلام ذلك سلوكا مرذولا منافيا للأخلاق النبيلة والسجايا الكريمة).

ويستخدم الشيخ سلطة الدين الإسلامي "إلى جانب كونها حجة مركزية تأتي لتدعم ما أدمج في الخطاب من حجج تستجمعها داخل مدارها وتستقطبها في نواة محيطها."[٤] فالإسلام هو الموجه الأول لسلوك المسلمين، استطاع الشيخ عن طريقه ترسيخ التعاليم والآداب. وفي آخر الفقرة يستدعي الخطيب الصيغة الاستفهامية التقريرية في قوله: (وهل الشائعة إلا نسفٌ لتلك القيم، ومعوَل هدم لهذه المثل).

---

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثاني، ص٣٢٨.

(٢) "الحجة التي يحصل بها تقويم عمل ما او حدث ما، باعتبار نتائجه الإيجابية أو السلبية" يُنظر: الحجاج أطره ومنطلقاته، عبد الله صولة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص٣٣٣.

(٣) يُنظر: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص٥٠.

(٤) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، علي الشبعان، ص١٥٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

فالقيم التي ذكرها الشيخ تنسفها وتهدمها هذه الشائعة. وهنا محاولة لاستنطاق المخاطَب وإقراره بخطورة هذه الشائعة التي قد يظن كثير من الناس سهوله أمرها، وهذا أدعى للإقناع وأمعن في تثبيت حرمة الشائعة.

ويمكن توضيح حجاجية العرض - هنا - في المخطط الآتي:

الشائعة:

⟵ **المقدمة:** انتشار الشائعات على مدى التاريخ ووجودها منذ أن وُجد الإنسان.

⟵ **الحجة الأولى**: الشائعة تمثل مصدر قلق في البناء الاجتماعي.

⟵ **الحجة الثانية (سلطة)**: موقف الإسلام الحازم من الشائعات و أصحابها.

⟵ **الحجة الثالثة (براغماتية)**: لأنها تنشر وتبث بين أفراد المجتمع آثارًا سلبية تماسك المجتمع المسلم، وتلاحم أبنائه وسلامة لحمته.

⟵ **الحجة الرابعة**:لقد عد الإسلام ذلك سلوكا مرذولا منافيا للأخلاق النبيلة، والسجايا الكريمة، والمُثل العليا التي جاء بها وحثت عليها.

⟵ الرابط (بل) تعارض بين الحجتين (٤-٣) الرابعة أقوى من الثالثة.

⟵ **الحجة الخامسة** (استفهام):الشائعة نسفٌ لتلك القيم، ومعوَل هدم لهذه المثل.

النتيجة:

وجوب القضاء على ظاهرة الشائعات، التي لها آثارها الخطيرة و المدمرة في الأمة و أمنها واستقرار المجتمع، وعدم التساهل في تناقل الخبار وبث الأنباء، وتهويل الحقائق وتضخيم الأحداث.

كذلك فإن من وظائف العرض التمهيد للاستدلال الذي هو مركز كل خطاب

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ومن أمثلته ما جاء قوله:

"حفظ الأنفس وحمايتها ضرورة دينية، ومصلحة شرعية، وفطرة سوية، ودماء المسلمين عند الله مكرمة محترمة، مصونة محرمة، لا يحل سفكها ولا يجوز انتهاكها إلا بحق شرعي. وقتل النفس المعصومة عدوان آثم وجرم غاشم، وأي ذنب هو عند الله أعظم -بعد الشرك بالله- من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ؛لما في ذلك من إيلام المقتول، وإثكال أهله، وترميل نسائه، وإيتام أطفاله، وإضاعة حقوقه، وقطع أعماله بقطع حياته، مع ما فيه عدوان صارخ على المحرمات، وتطاول فاضح على أمن الأفراد والمجتمعات، يقول الله-تعالى-: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ)[1]**. أربع عقوبات عظيمة ؛ الواحدة ترتعد منها الفرائص، وتوجل منها القلوب: جهنم خالدا فيها، وغضب الله عليه، ولعنه، وأعد له عذابا عظيما."**[2]

شرع الخطيب بعد الاستهلال الذي أبان فيه محاسن الدين الإسلامي في عرض الدعوى بأسلوب عام.حيث ابتدأ بمقدمة كبرى وهي: أن حفظ الأنفس فطرة سوية وطبيعة بشرية وغريزة إنسانية، ثم استرسل في بيان حكم القتل دون وجه حق في الشريعة الإسلامية، مستخدما الربط السببي بين العلة والمعلول؛ ليبرر تحريم الإسلام للقتل ويدعم الموقف الرافض للقتل.

والملاحظ في بيان العلة استخدام حجة (الباتوس) ليثير انفعالات المتلقي، وإثارة شفقته لما يلحق أهل المقتول من ترميل للنساء، وإيتام للأطفال، وكان هذا العرض الحكمي الإسلامي لقضية القتل، ممهدا بعرض دليله من القرآن الكريم، وهو من الأدلة الجاهزة التي استحضرها الشيخ للتأكيد الجازم لعظم هذا الذنب.

والملاحظ أن الشيخ قد اتبع نهجا حجاجيا، هو الشائع في إقناع مستمعه، حيث إنه

---

(١) سورة النساء: آية ٩٣.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٤٠٢-٤٠٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تدرج في خطبته عند عرض قضيته من الحجاج الأضعف إلى الأقوى.

ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

النتيجة: حرمة النفس المعصومة، وأن العمل بمقتضى هذا التحريم يجعل البلاد في أمن وأمان، ورغد العيش والتلاحم بين المسلمين والتكاتف في مجتمع يخلو من العنف والإرهاب.

الحجة الرابعة: شاهد قرآني (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ)

الحجة الثالثة: (سببية باتوسية) لما في ذلك من إيلام المقتول، وإثكال أهله، وترميل نسائه، و إيتام أطفاله، وإضاعة حقوقه، وقطع أعماله.

الحجة الثانية: عظم هذا الذنب، فهو أعظم ذنب بعد الإشراك بالله.

الحجة الأولى: دماء المسلمين عند الله محرمة، لا يحل سفكها، ولا يجوز انتهاكها إلا بحق شرعي.

المقدمة الكبرى: حفظ الأنفس فطرة سوية، وطبيعة بشرية، وغريزة إنسانية.

ففي هذا السلم الحجاجي ذكر الحجة الأولى (تحريم الإسلام للقتل) ثم قدم حجة ثانية تعد أقوى من الأولى وهي (أن القتل أعظم ذنب يُرتكب بعد ذنب الإشراك بالله)، ثم قدم حجة أقوى تتمثل بيان علة التحريم، مزج ذلك بإثارة لتعاطف المتلقي، ولكي يدعم القيمة الإقناعية أورد حجة دامغة لها سلطتها الدينية، التي تتمثل في إيراد الشاهد القرآني، الذي تضمن عقوبة ذلك القاتل، لتكون رادعا له عن اقتراف هذا الإثم.

ويلاحظ في هذا العرض للقضية تساوق الحجج وتساندها للوصول إلى الغاية، وهي تحقيق إقناع المخاطب، بأن المجتمع المسلم يجب أن يسوده الأمن والأمان، ولا يتحقق ذلك إلا بالامتناع عن قتل الآمنين، وإرهاب القاطنين في بلاد المسلمين.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ومن الوظائف الحجاجية التي يقوم بها العرض: توجيه المخاطب وتهيئته لقبول الأدلة التي يعرضها يقول:

" لقد تركت حضارتنا الإسلامية آثارا خالدة في مختلف النواحي العلمية والخُلُقية وغيرها، وحققت دورا عظيما في تاريخ تقدم الإنسانية، وخلّفت آثارًا بعيدة المدى، قوية التأثير فيما وصلت إليه الحضارة الحديثة، وليس هذا من المبالغة في شيء، ولا ضربا من التفاخر -إن صح التفاخر- والادعاء المذموم، بل سجَّل ذلك التاريخ الناصع بأحرف من ذهب ومداد من نور.

وإليك أيها المُنصف بعض الشواهد، والنماذج الحية من تاريخ حضارتنا، المُشرق الوضّاء، الذي ينضح عدلا ورحمة وإنصافا حتى مع المُخالف، واسمع وقارن، فما أشبه الليلة بالبارحة. ففي نزعة حضارتنا الإنسانية، يعلن الإسلام المبدأ الإنساني الخالد: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ)[1] **لينقل الإنسانية من أجواء الحقد والكراهية، والعصبية والتفرقة، والتمييز العنصري، إلى المساواة والتعاون، الذي لا أثر فيه لاستعلاء عرقي أو عنصري."**[2]

في بداية الفقرة يعرض الشيخ الدعوى التي يريد أن يقيم استدلالاته عليها، وهي: أن الحضارة الإسلامية لها آثار خالدة في المجال العلمي والخُلُقي، وحققت تقدما للإنسانية، وأثرت في الحضارة الحديثة. وقد يعترض معترض على ذلك: أن تلك الدعوى من قبيل التفاخر أو المبالغة، فلم يُفت ذلك على المرسل في نفي ذلك عن تلك الدعوى ثم يؤكد حجته بحجة أقوى بعد الرابط (بل) حيث سجل التاريخ الناصع تلك الآثار التي خلفها الإسلام.

ثم يحضر المتلقي، لكن ليس أي متلقي، بل المتلقي المُنصف. فالمرسل ينشئ

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٦٣٦-٦٣٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

خطابه، وفي ذهنه المتلقي الذي يشارك المرسل في توجيه خطابه الوجه الحجاجية التي يرومها، التي تخدم عملية التواصل، فحدد في خطابه نوعية المتلقي ليقدم له ما يبدد ذلك الشك الذي قد يحدث له حيث يقول:(وإليك أيها المُنصف بعض الشواهد، والنماذج الحية من تاريخ حضارتنا).

إن حضور المتلقي الشاك يستدعيه حضور المتلقي المُنصف لمواجهته، وكأن الشيخ -هنا- يتخلى عن القضية ويسندها إلى المتلقي المُنصف بشكل مباشر، فثقة المتلقي بهذا الآخر المنصف أكبر وتأثيره أقوى، بل أن الشك فيهم ينتفي ويذهب لوجود دليل القرآن الذي يؤمنون به. حيث تعلن هذه الآية المبدأ الإنساني(التعارف، والأخوة) ليستخدم هذه الآية القرآنية كدليل حضارة؛ لأنها أمر بنبذ العصبية والفرقة، والدعوة إلى التعاون.فقدم الشيخ حجاجه -هنا- تقديما استدلاليا تقويميا، وهو طريق يثبت فيه الخطيب الدعوى بالاستناد إلى قدرته في افتراض فعل المتلقي بعد نفسه بوصفها من ضمن المتلقين للخطاب. فيبني أدلته على مقتضى ما يتعين عليه أن يستدل له، مستبقا استفساراته واعتراضاته، ومستحضرا الأجوبة عليها، ومستكشفا إمكانيات تقبلها واقتناع المخاطب بها.[1]

ويمكن بيان حجج العرض - هنا - على النحو الآتي :

(١) يُنظر: إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، ص٤٧٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

النتيجة: أن الحضارة الإسلامية لها آثارها الخالدة في جوانب عديدة، منها العلمية والخُلُقية. وحققت تطورا بعيد المدى مما أدى إلى ظهور الحضارة الحديثة.

الحجة الأولى: حجاج تقويمي: ← ليس هذا القول من باب المبالغة أو التفاخر.

الحجة الثانية: حجة تعارض، أقوى بعد الرابط (بل): ← أن التاريخ سجّل التاريخ الناصع للحضارة الإسلامية.

الحجة الثالثة: التمهيد للاستدلال: ← إليك أيها المُنصف بعض الشواهد الحية من تاريخ حضارتنا.

الحجة الرابعة: الاستدلال: ← (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ).

وجه الاستدلال: ← إن نقل الإنسانية من جو الحقد والكراهية والعنصرية إلى المساواة والتعاون مبدأ حضاري إسلامي، وعليه فإن الإسلام دين حضارة.

إن هذا العرض الذي يثبت فيه بالشاهد صحة دعواه يشيع روحا من التضامن مع المستمع، ودعوته إلى المشاركة في استنتاج حضارة الإسلام، والوصول إلى ذلك عن طريق سلطة النص الدين. وأصبحت الدعوى– هنا- محل اهتمام المخاطَب والمخاطِب، ليصل المتلقي أو المستمع إلى الاقتناع والإذعان بعد استنتاجه لأول مبدأ من مبادئ الحضارة الإسلامية.

ومما سبق نستنتج أن العرض والاستدلال قد اضطلع بوظائف إقناعية عديدة أهمها:

- التخلص من الاستهلال إلى المتن في أسلوب مشوق، فيه كثير من التفصيل لدقائق القضية المطروحة وأبعادها.

- التمهيد للاستدلال، فالدعوى تطرح وتستدعي من المخاطِب الشروع في الاستدلال.

- توجيه المخاطَب عن طريق عرض الأحداث والوقائع إلى مقصد الخطيب قبل

الشروع في الاستدلال.

- عرض الأدلة والحجج والبراهين ليثبت صدق دعواه، فهذه مرحلة تالية للعرض بعد معرفة المرسل بعقلية المتلقي، التي تهيأت لقبول الأدلة التي يدلي بها المخاطِب.

❖ ٣. الاختتـام:

إن خواتيم الخطب آخر ما يقرع آذن السامعين وآخر ما يستقر في أذهانهم، لذلك عني الخطباء بها عناية كبيرة. وأحسن الخواتيم ما كان موحيًا إلى السامع بانتهاء الكلام، كالخاتمة بدعاء أو سلام أو نحوهما.(١)

لقد تنبه أرسطو إلى أهمية الوظائف الحجاجية التي تنهض بها الخاتمة، يقول: "وإذن فإن النتيجة الختامية إنما تتألف من أربعة عناصر: يقوم إحداها على أن تضع المستمع على هيئة جيدة، وتثبت صحة ما تقول حتى يميل إليك، كما تجعله على حال رديئة بالنسبة إلى خصمك. وثانيهما أن تضخم الشيء المتكلم فيه وتكبره أو تصغره. وثالثها أن تثير الانفعالات النفسانية عند المستمع. ورابعها أن تقوم بتلخيص جامع."(٢)

لذلك استحسن متذوقو النص اشتماله على ختام خاص، إذ يجب أن يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه من المعاني المعروضة في الخطبة، ويجب أن يكون اللفظ فيه مستعذبا والتأليف جزلا متناسبا.(٣)

والملاحظ في خواتيم خطب الكوكبة المُنيفة أنها متنوعة؛ لأنها تؤدي وظائف مختلفة، وقد حرص المخاطِب على صياغة خواتيم خطبه بأسلوب رشيق، يحرك

---

(١) يُنظر: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧، ص٧٤٠.

(٢) الخطابة لأرسطو، ص٢٥٢-٢٥٣.

(٣) يُنظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص٣٠٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

العواطف ويثير الانفعالات، يحمل على الإقناع والاستمالة، كما حرص على إحكامها بأسلوب جزل ومتين، ملخصا فيه الأفكار، ومركزا فيها على الدعوى المحورية، التي يريد الوصول إليها، الهدف المنشود الذي يقصده، ومن أمثلة تلك الخواتيم:

" إن الأمة تتطلع إلى مراحل العمل والمنهجية والتأصيل،فلم تعد تجدي الكلمات ولا التنظير، وإن مسئولية صلاح أحوال الأمة، والخروج بها من مآزقها - مسئولية المسلمين جميعا، في خطىً حثيثة؛ في العقيدة والعلم والعقل والحكمة ؛ليتحقق للأمة وعد الله الذي لا يخلف، وإننا نأمل أن تكون مصائب الأمة سحابة صيف، عن قريب تنقشع، فالنصر للإسلام وأهله، فَلْيَقَرَّ المسلمون بذلك عينا؛ فمن الله وحده نستلهم النصر والتمكين! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ)[1].

(الكامل)

ولرُبَّ ضَائِقَةٍ يضيقُ بها الفَتَى وعنـد الله منهـا المخـرجُ

ضاقتْ فلمَّا استحكمتْ حلقاتها فُرجتْ وكُنْتُ أَظُنُّهَا لا تُفْرجُ[2]

أقول قولي هذا، واستغفرالله لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم."[3]

فيبدو لنا جليا في هذا الاختتام مخاطبة عقول المستمعين. فما تم ذكره في الخطبة من قبيل التنظير. وأحوال الأمة الإسلامية معلومة من مصادرها لكثير من المستمعين.

---

(١) سورة النور: آية ٥٥.

(٢) ديوان الشافعي المسمى (الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس) لمحمد بن إدريس الشافعي، إعداد وتقديم وتعليق: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ، ص٤٠.

(٣) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٥١٤-٥١٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وفي ختام حديثه عن قضية الأقصى الموضوع القديم الجديد، الحاضر في قلب كل مسلم يستدعي الشيخ في الخاتمة قاعدة مهمة، وهي: إن صلاح الأمة وخروجها من مآزقها مسئولية المسلمين جميعا،كما استوفي في هذا الاختتام مجالات الإصلاح الممكنة من عقيدة وعلم وعقل وحكمة، لأن هذه المجالات إذا تحققت يتحقق وعد الله بالنصر والتمكين. ثم يذكر لنا شاهدا دينيا من القرآن الكريم، وفيه يتمثل وعد الله بالاستخلاف في الأرض والتمكين وتحقيق الأمن لمن آمن وعمل الصالح، ثم يردفها ببيتين شعريين للشافعي،الذي يؤكد فيه أن الضائقة مهما ضاقت بالإنسان سيأتي لها مخرج من عند الله تعالى.

والسديس أتى بالشاهدين (القرآني والشعري) لما يعلم لهما من مقاصد تأثيرية تمكن المعنى في النفوس. كما أن الاختتام جاء مناسبًا لغرض الخطبة التي بُنيت على معاني الاستعطاف "الباتوس" لأحوال المسلمين في البلاد المتفرقة من فلسطين وأفغانستان والبوسنة والهرسك والصومال... وغيرها من قضايا المسلمين.

فالملاحظ في هذا الاختتام أنه قد أدى وظائف حجاجية متعددة،أولها: التذكير بالقضية الأساسية للمسلمين وهي مسئولية صلاح أحوالهم، ولن يتحقق إلا بالعمل لا الكلام، والعمل يتضمن شاملا على مستويات عديده وأولها: سلامة العقيدة ثم العلم، ثم الحكمة والعقل، والوظيفة الأخرى: استمالة المستمع بإثارة عواطفه بأن هذه سحابة صيف ستنقشع، ليحثه على الصبر.

ويمكن بيان حجاجية الاختتام على النحو الآتي:

الحجة الأولى: العمل على تحقيق وعد الله-ﷻ- بالنصر والتمكين، في جوانب عديدة وأولها إصلاح العقيدة وطلب العلم، واتخاذ العقل والحكمة منهجا للمسلم.

الحجة الثانية: العمل بمقتضى الآية: (ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ).

الحجة الثالثة: أن الصبر وانتظار الفرج والنصير القريب من أخلاق المسلمين،

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

واستلهام النصر والتمكين من الله وحدة لا غير.

النتيجـة: مسئولية صـلاح أحـوال الأمـة والخـروج مـن مآزقهـا مسـئولية جميـع المسلمين.

ومن أمثلة الاختتام الوظيفي قوله:

"والدعوة موجهة بحرارة إلى شباب الأمة باليقظـة والانتبـاه، وأخـذ الحـذر مـن كل انحراف فكري يُجانب منهج الوسـطية والاعتـدال. والنـداء موجـه إلـى شـباب بـلاد الحرمين، الذين نشأوا على صحة العقيـدة والسـنة، ومـنهج أئمـة الـدعوة الإصـلاحية المباركة، أن يحذروا اللوثات الفكرية المنحرفة، وأن يثبتـوا علـى مـنهجهم الصـحيح، رغـم التحـديات والمتغيـرات، وأن يلتحمـوا بـولاتهم وعلمـائهم، وأن يحـذروا مـن أن يُستغلوا أو يستفزوا بأفكار دخيلة، أو منهج وخيمة.

وإلـى المصـطادين بالمـاء الأُجـاج، الـمُستغلين كـل هفـوة مـن بعـض الأخيـار والصالحين، أن كفوا عن تعميم الأحكام، وعلى رسلكم عن الوقيعة في شباب الإسلام، فوالله لن تصلح حال الأمة إلا بالقيام بأمر الدين، ونصرة حملته، والـذب عـن أعـراض الصـالحين المصـلحين، والـدعاة الصـادقين، ويعلـم الله أن ذلـك عـين النصـح للأمـة، والسعي في براءة الذمة وإن شرق بذلك أُناس.

فلـيس يخلـو المـرء مـن قـدح ومـدح، وإن كـان أقـوم مـن قـدح، لكـن العـزاء، الانتصار للحق بدليله، وإن سخط النـاس كـل النـاس، وحسـبي أنـه محـض النصيحة، والموافقة للنصوص الصحيحة، والنقـول الصـريحة (ئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ئۈ ئې ئېئې ئى ئى ئد ئى ی ی ی □ □)(١).

ألا وصلوا وسلموا ـرحمكم الله- على سيد ولـد آدم: نبـي المرحمـة والملاحـم، ورسول الخير والرحمة والمكارم،كما أمـركم بـذلك ربكـم ـ جـل وعـلا- فقـال ـ تعـالى-

---

(١) سورة هود: آية ٨٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

قولا كريما: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ)[1].[2]

فقدجاء في هذا الاختتام تلخيص الدعوى، والتذكير بما جاء في الخطبة، ويحضر المتلقي بشكل خاص عند مناداة المخاطِب له وهم فئة (الشباب) تحديدا؛ لأن قضية التكفير انتشرت بين صفوفهم. وهنا تبرز حجاجية الإلزام المباشر، والحث الصريح والدعوة إلى اليقظة والانتباه من الانجراف خلف المذاهب الفكرية المُضللة، ثم تأكيد الدعوى -نفسها- لشباب بلاد الحرمين بالأخص، لأن الأمر المناط بهم تحقيقه هو نشر العقيدة الصحيحة بوصفهم المتلقين لها من منابعها الصحيحة.

ثم يذكر لنا الشيخ السديس قضية أخرى ويلفت انتباه المستمعين لمسألة صلاح أمر الأمة والتنبه من الوقيعة في شباب المسلمين، فالأخطاء التي قد ترد من بعض علماء الأمة بالفتاوى أو غيرها من الأمور التي قد يخطئ فيها كل بشر، فهناك المتصيدون لهذه الأخطاء والذين يقومون بتعميمها على كل المسلمين، ويلتمس لهم عذرا بأنه لكل امرئ ما يقدح فيه، فكما يُمدح لابد أن يخطئ، ويستدعي مقولة: (وإن كان أقوم من قِدْح). والقِدْحُ العُودُ إذا بلغ فَشُذِّبَ عنه الغُصْنُ وقُطِعَ على مقدار النَّبْل الذي يراد من الطُّول والقِصَر[3]، وهو من أقوال عمر بن الخطاب I." وَلَوْ أَنَّ امْرَأً أَقْوَمَ مِنَ القَدَحِ لَوَجَدَ لَهُ النَّاسُ مَنْ يَغْمِزُ عَلَيْهِ، فَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ"[4] فالإنسان مهما كان من الالتزام والاعتدال حتى كان أقوم وأكثر استقامة من ذلك الغصن المُهيأ للنبل قولا وفعلا. فلابد من ظهور من ينتقص منه وينتقده.

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٥٦.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٤٦٨-٤٦٩.

(٣) لسان العرب، مادة (قدح) ج٢، ص٥٥٦.

(٤) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يوسف بن الحسن الحنبلي المعروف بابن المبرد، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالمحسن الفريح، أضواء السلف للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ص٧٣٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

واستحضار هذه المقولة تدعم النتيجة التي يصبو إليها الشيخ وهي: نصره أهل الدين والدعاة والذب عن أعراضهم، ويحثهم بالنصح لهم بدلا من تصيد أخطائهم، والعودة إلى النصوص الشرعية فهي الحاكمة بين كل المختلفين.

ويظهر في هذا الاختتام شخصية السديس. وهذا الحضور للذات المتكلمة في قوله (حسبي) والاقتباس لآية سورة هود وتضمينها خطابه يؤكد مسؤولية الخطيب عن مصداقية الخطاب، فهو الشخصية الناصحة يلقي بالنصيحة حتى وإن سخط كل الناس، أو غص بها بعض الناس، فهو يبرئ ذمته أمامهم، كما استدعى الشخصية المعاندة التي تنظر إلى هؤلاء العلماء بأنهم مفسدون، فهو ينصحهم بالعودة إلى النصوص الصحيحة.

والملاحظ أن الخطيب - هنا - يستند على "الإيتوس"[١] ويضمنها خطابه، فهو يُظهر أنه ناصح أمين لهذه الأمة والمبرئ للذمة، ولكن لم يظهر ذلك بشكل واضح بل ضمن تلك الأخلاق داخل خطابه، فالأمر لا يتعلق بمدح الذات كما يقول ديكرو[٢] ، وظهور الشيخ بهذا المظهر أدعى في القبول وأجدر بالثقة، مما له الأثر الأكبر في قبول الدعوى والاقتناع بها. وقد برز في هذا الاختتام عدد من الدعاوى يمكننا بيانها على النحو الآتي:

(١) مجموعة من الإستراتيجيات الخطابية التي تروم توصيل صورة إيجابية عن المتكلم. يُنظر: في بلاغة الحجاج، محمد مشبال، ص١٧٦.

(٢) يُنظر: السابق، ص١٧٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الدعوى الأولى ⟵ **الحجة:** الدعوة موجهة بحرارة إلى شباب الأمة، والنداء موجه إلى شباب بلاد الحرمين، الذين نشأوا على صحة العقيدة والسنة و منهج أئمة الدعوة الإصلاحية.

النتيجة: ⟵ وجوب اليقظة و التنبه للانحراف الفكري و العقدي عن منهج الوسطية والاعتدال.

الدعوى الثانية ⟵ **الحجة الأولى:** وصف المتصيدين للأخطاء باستغلالهم لهفوات بعض العلماء في قضية التكفير.

الحجة الثانية: ⟵ لا يخلو المرء من قدح ومدح، وإن كان أقوم من قِدْح.

الحجة الثالثة: ⟵ (حجاج بالإيتوس)+ (اقتباس و تضمين) يعلم الله أن ذلك عين النصح للأمة، وحسبي أنه محض النصيحة الموافقة للنصوص الصحيحة، والنقول الصريحة: (ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئېئې ئى ئى ئد ی‌ی ي ي □ □)

النتيجة: ⟵ وجوب الكف عن تعميم الأحكام، والذب عن اعراض الصالحين والدعاة، ووجوب نصرة حملة الدين.

ومما سبق يمكننا رصد الوظائف التي يضطلع بها الاختتام فيما يلي:

- تلخيص الخطاب والتذكير بالمركز بالدعوى أو بالقضية المحتج عليها.
- إثارة انفعالات المتلقي واستمالته، وذلك بالمزج بين الإيتوس والباتوس، ونقل

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

شحنة انفعالية في نفس المتلقي، تحثه على الفعل أو الكف عنه.

- توظيف الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف وأبيات الشعر وتضمينها خواتيم الخطب، لما لها من شحنة إقناعية بالإضافة إلى قيمتها الفنية.

وبالتأمل السريع لما سبق ذكره نجد أن الشيخ السديس، كان معنيا بترتيب أجزاء خطابه وتنظيم مكوناته، وهو ترتيب يرتكز على توالي الأفكار والفقرات، ومحاولة استيفاء جميع أطراف الدعوى، واستحضار جميع الشخصيات المسؤولة في القضية، وترتيب الأفكار وفق أهميتها للمتكلم والمستمع، وترتيب الأفكار وتنظيمها يحقق الوحدة العضوية، التي بتوظيفها تحقق الإقناع، وجعل الكلام أكثر في الاستمالة؛ لأن الترتيب يعد جزءا من خطة الإقناع في الخطب، والترتيب المنظم والقدرة على تسلسل الأفكار ووضع الشواهد في مواضعها والاستدلالات في وقتها تجعل المتلقي مشدودا للكلام، وتجعله أكثر انخراطا في الكلام، ومن ثم حدوث الاقتناع الذي يروم إليه الخطيب.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المبحث الثالث

حجاجية النظم والوظائف الإقناعية

يسعى المتكلم إلى الاستعانة بآليات مختلفة في إنتاج ملفوظه - بالإضافة إلى الآليات البيانية - وفق السياق الذي يربطه بمخاطبه، حتى تكتمل العملية الإقناعية. وما دام الخطاب يروم التأثير والإقناع. فإن المخاطِب يتعمد أساليب نظمية مختلفة كأساليب الطلب المتنوعة والتقديم والتأخير، والحذف والإضمار، والتعريف والإنكار والفصل والوصل... وفق الحاجة والضرورة بما يخدم مقاصده"و لهذا الاعتبار كان القصد عند البلاغيين هو مدار البحث... وكذلك كان عند الجرجاني في نظرية النظم؛ فهو من أكثر العلماء الذين رددوا مصطلح القصد، بل كان محور نظريته، بوصف سبب العدول عن التركيب الأصل هو لبيان قصد المرسل، بالاستجابة للسياق تداوليا."(١)

وعدَّ الجرجاني النظمَ القطب الذي يدور عليه الخطاب لأهميته، ولا يكون للكلام قدر ولا يستقيم إلا به، فالعلماء أقبلوا "على تعظيم شأن النظم، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ، ويتَّهم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه، ولا قوام إلا به، وإنه القطب الذي عليه المدار، والعمود الذي به الاستقلال."(٢)

فالألفاظ -عند عبد القاهر- ليست إلا دوال على المعاني الجزئية المفردة، لا تكتسب دلالتها الكاملة، ومن ثم لا تكتسب فصاحتها أو بلاغتها إلا إذا دخلت في

(١) إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص٢٠١.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٨٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

علاقات تركيبية مع غيرها من الألفاظ.(١) و إذا كان الأسلوب جزءا من بلاغة الخطاب عند اليونان فإنه"يمثل الصدارة في البلاغة العربية، التي لم تميز بين الشعر والنثر إلا في بعض الجوانب."(٢) وغلب علي هذه الجوانب البعد الشكلي دون الدلالة.

وفي هذا المبحث سعي لكشف حجاجية العلاقات النظمية والأسلوبية بين أجزاء الكلام. ذلك النظم الذي لا يستقيم إلا بوضع الكلام بمقتضى علم النحو وقيامه على أصوله وقوانينه.(٣) ومن هنا نلاحظ أن الجرجاني ربط بين النحو والنظم، ثم ربط بين النظم والفصاحة والبلاغة. فالنظم "يتواصفه البلغاء وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله."(٤)

لقد أدرك عبدالقاهر الجرجاني الفروق بين طرائق التركيب المتعددة؛ لذلك ربط النحو بمعانيه؛ فبهذه المعاني تُعرف مواطن التقديم والتأخير، التنكير والتعريف، الحذف، الفصل والوصل،... وذلك يتأتى بالنظر الدقيق في سياقات التركيب المختلفة، ومن ثم استظهار الأساليب الأكثر إقناعا، والأجدى بموقف الخطاب.

إن الاهتمام بالنظم ورعايته هو السبيل إلى حصول الإقناع في الخطاب بشكل عام، فالنظم يمثل حسن إدراك لعلاقة النحو بالمعنى، وكلهما له حضوره ووظيفه في الحجاج. كما أن طريقة عرض الحجج والبراهين يُكسب الخطاب قوة حجاجية، وبما أن الخطاب الحجاجي يختلف عما سواه من الخطابات؛ لكونه مشدودا إلى هدف التأثير والإقناع، وهو هدف يجعل من وظيفة التوضيح والإفهام وظيفة مركزية، فالمرسل يتوخى خلال خطابه هذه الوظيفة، فيكون "إنشاء الكلام من لدن المتكلم وفهمه من

(١) يُنظر: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ناصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، الطبعة السابعة، ٢٠٠٥م ص١٥٧.

(٢) في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، ص٩٧.

(٣) يُنظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص٨١.

(٤) المصدر السابق، ص٥١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المخاطب عمليتين لا انفصال لأحدهما عن الأخرى، وانفراد المتكلم بالسبق الزمني ما كان يلزم عنه انفراد بتكوين مضمون الكلام، بل ما إن يشرع المتكلم في النطق حتى يتقاسمه المخاطب دلالاته؛ لأن الدلالات الخطابية تنشأ وتتكاثر وتتقلب وتُتَعرف عن طريق العلاقة الخطابية متجهة شيئا فشيئًا على تحصيل الاتفاق عليها بين المتكلم ونظيره المخاطب."[١]

وإذا كان فضل الكلام راجعا إلى هذا النظم فإن التمييز بين نظم وآخر واستجادة أسلوب على آخر تعود إلى الأغراض والمقاصد، التي يروم تحقيقها ذلك النظم على يد الخطيب. وخطاب الشيخ عبدالرحمن السديس لكونه خطابا حجاجيا موجها، فإنه يلجأ للوصول إلى درجة عالية من التأثير ولإقناع لعدد من الأساليب النظمية لتحقيق ذلك، ويفضي هذا المبحث إلى دراسة الأساليب النظمية المهيمنة والبارزة، التي تؤدي وظائف حجاجية.فهذا المبحث يعالج الخطبة بوصفها خطابا حجاجيا، تندرج تحته أهم العوامل التي تجعل الخطبة مؤثرة.

❖ ١. البنية الاستفهامية ومقصدية التأثير الإقناعي:

إن صيغة الاستفهام ذات مفعول حجاجي مهم في البنيات التركيبة، وهو من أبرز وسائل الاتصال والتواصل، وهذا النمط من الاستفهام الحجاجي يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقًا من قيمته الحجاجية.[٢] وتكمن أهمية الاستفهام في أن المتلقي يسهم في إنتاج الحجج وصناعتها، ثم يعود فيخضع لها ويتقيد بها[٣]. والسؤال الحجاجي في الخطب يستدعي تنبيه المتلقي واستثارته لتحديد موقفه من القضية المطروحة، إذ يهدف الخطيب من الاستفهام إلى إحداث تغيير في سلوك المتلقي، ومحاولة تقريبه من

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، ص٥٠.

(٢) يُنظر: الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١م، ص٥٧.

(٣) يُنظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه، عبدالله صولة، ص٤٢٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

القضية، والاستفهام يضطلع في الخطب بوظيفة حجاجية، ويؤدي معانٍ كثيرة يقصدها المتكلم، وهو إما أن يكون بمعنى الخبر فيكون استفهام إنكار أو استفهام تقرير، أو أن يكون بمعنى الإنشاء فيكون للتوبيخ، أو التهكم، أو الاستهزاء، أو التحذير، أو التحقير، أو التعجب.(١)

ويعد الاستفهام من الظواهر النظمية المهيمنة في خطب الشيخ عبدالرحمن السديس، إذ لا تكاد تخلو خطبة من خطبه منه، وهذا الحضور الكثيف للاستفهام أدى إلى تنوع القيمة الحجاجية له بحسب طبيعته ومقصديته وكيف وظفه الشيخ في خطبه.

وبعد استقراء خطب الشيخ يمكن رصد الأغراض المتنوعة التي عكست الطاقة الحجاجية للاستفهام فيما يلي:

أ. التقرير:

والاستفهام التقريري هو"حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه."(٢) وتكمن القيمة الحجاجية للاستفهام التقريري في كشف الآراء التي يتبناها المتلقي. وفي الخطب -هنا- يكون الإقرار ضمنيا في نفوس المتلقين. فالخطيب يحاصر المستمع بكم هائل من الاستفهامات فلا يجد المستمع مفرًّا من الإقرار النفسي والعقلي لما تحمله صيغة الاستفهام، وهذا أدعى وأمعن في الإقناع؛ لأن مواجهة المتلقي بالاستفهام تسمح بانتزاع اعترافه وإقراره، ومن ثم اقتناعه بما يقول الخطيب.

ومن أمثلة الاستفهامات التقريرية قوله: **"فمن إليه المفزع في الشدائد والملمات إلا الله؟ ومن إليه الملجأ عند حلول الآفات والكُرُبات إلا الله؟ومن إليه الفرار في السراء والضراء، والشدة والرخاء إلا هو سبحانه؟**(٣) (□ □ □□ □ □ □ □ □ □ □

(١) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٢ ص٣٢٨.

(٢) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، ص٤١٩.

(٣) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١١٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □)[1].

يسوق السديس هذا السؤال بعد أن تحدث عن وجوب صفاء العقيدة، ونقاء التوحيد في قلوب المسلمين. فالسحر والشعوذة من مبطلات العقيدة، والإيمان بهما يشوب العقيدة الصحيحة في قلب المسلم، ثم ساق هذا السؤال للمخاطبين: (فمن إليه المفزع في الشدائد والملمات إلا الله؟) ولكي يقرر الشيخ أن هذه الخرافات لا تنفع من دون الله شيء، وأن إلى الله -تعالى- المفزع في الشدائد والمصائب، فعدل عن تقريرها بالأسلوب الخبري المعتاد إلى الأسلوب الاستفهامي الذي يستلزم جوابا، ثم تتوالى الأساليب الاستفهامية التي تحمل المعنى ذاته: (و من إليه الملجأ عند حلول الآفات والكُرُبات إلا الله؟) (ومن إليه الفرار في السراء والضراء، والشدة والرخاء إلا هو سبحانه؟)

ونلاحظ الاستفهامات جاءت متدرجة ومرتبة: فالفزع أول ما يكون في المصائب، ثم البحث عن الملجأ يأتي تاليا، ويعقبه فرار المرء إلى ذلك الملجأ، وأن الله تعالى إليه الملجأ في السراء والضراء والشدة والرخاء، ليؤكد أن الله -تعالى- قريب من العبد في جميع احواله، ثم يدعم هذه الحجج الاستفهامية بالاستشهاد بقول الله تعالى: (□ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □) فالشيخ يقرر أن الله هو المتصرف بشؤون عباده، وأن السحر والشعوذة خرافات، بل هي من مبطلات العقيدة. ويمكننا ان نرتبها سلميا وفق النموذج الآتي:

النتيجة: وجوب صفاء العقيدة ونقاء التوحيد، وسلامة الملة

الحجة الرابعة: (□ □ □□ □ □ □ □ □ □ □)

(□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □)

الحجة الثالثة: ومن إليه الفرار في السراء والضراء، والشدة والرخاء إلا هو.

(١) سورة الذاريات، آية (٥٠- ٥١).

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجة الثانية: ـــــ ومن إليه الملجأ عند حلول الآفات والكُـرُبات إلا الله.

الحجة الأولى: ـــــ المفزع في الشدائد و الملمات هو الله.

ومـن صـيغ الاسـتفهام التـي جـاءت للإقـرار مـا جـاء فـي قولـه: **"معاشـر المسلمين، إنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة، وإن ذنوبنـا ـيـا عبـاد الله ـ كثيرة وعظيمـة، وإن تقصـيرنا شـديد وكبيـر، وإن شـؤم الـذنوب والمعاصـي لعظـيم وخطير، ألم نقصر في الإيمان والعبـادة، والإخـلاص والتقـوى؟ أمـا ظهـرت المنكـرات وعمَّت المحرمات، وانتشرت الموبقات في كثير من المجتمعـات؟ أمـا هـذه الصـلاة قـد طـاش ميزانهـا عنـد كثيـر مـن النـاس، وهـي ثـاني أركـان الإسـلام؟ أمـا هـذه الزكـاة المفروضة قد بخل بها كثير من الناس؟..."**[1]

يعتمد الخطاب الحجاجي في المقطع على حضور ملفوظات تمتلك قـوة حجاجيـة، حيث يعتمد أسلوب حضور الذات المتكلمة. والمـتكلم كمـا يقـول ديكـرو "هـو الشـخص الذي يرد في الخطاب بوصفه المسؤول عن الملفوظ، ومـع تـأكيد أن هـذا الأمـر يظهـر في معنى الملفوظ ذاته، أي بعـدِّه شخصا ينبغـي أن تنسـب إليـه مسـؤولية هـذا الملفـوظ. فإليه يحيل الضمير (أنا) وسائر العلاقات الأخـرى المرتبطـة بـه."[2] والحضـور -هنـا- متمثل في الضمير (نحن) أو (نـا) الفـاعلين حيـث "تعـد نقـاط الارتكـاز الأولـى لوضـع الذاتية في اللغة."[3] وقد جاء حضور المخاطِب بصورة تضامنية، حيث جاء لبيان قـدر من المصـداقية وتأكيـد مشـاركة المخـاطبين فـي التقصـير، وتحملهـم تلـك الـذنوب ومـا يترتب عليها. وهذا أدعى إلى الإقناع بالفكرة المطروحة.

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٦٥٢.

(٢) المظاهر اللغوية للحجاج: مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، رشـيد الراضـي، المركـز الثقـافي العربـي، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص١٥٨.

(٣) لسانيات الخطاب: الأسلوبية والتلفظ والتداولية، صابر الحباشة، دار الحور للنشـر، اللاذقيـة، سـوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص١٤٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ويستخدم الشيخ أساليب استفهامية متوالية لتحقيق مسعاه الإقناعي، وليدفع المتلقي إلى الإقرار بما هو حاصل اليوم من ضياع لمعالم الدين الإسلامي الصحيح. فبدأ بقمة الهرم وهو (الإيمان والعقيدة والإخلاص والتقوى)، ثم استعرض بقية العبادات وما يناقضها من المعاصي والسيئات، ونراه في افتتاح الفقرة يستعرض قولا مأثورا عن علي بن أبي طالب[1] (**إنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة**)كمنطلق ومقدمة للحجاج المتتابع، يستدعي هذا المأثور (الوقائع المشتركة)[2].

والنتيجة المراد الوصول إليها من سوق هذه الاستفهامات هي: الاعتراف بالتقصير، ومن ثم العودة إلى الله- تعالى- والتوبة والعمل على رفع سبب البلاء، حتى ينزل الغيث لأنه ما من بلاء إلا بذنب.

كذلك فإن غرض المخاطِب من الاستفهامات- هنا - كسب تأييد المخاطَب واستنطاق الإقرار منه ومن ثم تقرير الحجة في ذهنه والوصول إلى النتيجة المبتغاة.

الحجة الأولى: (إنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة)

الحجة الثانية: ألم نقصر في الإيمان والعبادة، والإخلاص والتقوى.

الحجة الثالثة: أما ظهرت المنكرات وعمَّت المحرمات، وانتشرت الموبقات في كثير من المجتمعات؟

---

(١) يُنظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) لمحمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد ن مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ص١٧٩.

(٢) الوقائع: هي من مقدمات الحجاج، وتمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو مجموعة من الناس، والوقائع لا تكون عرضة للدحض أو الشك أو الإنكار، وتشكل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج، والوقائع قسمان: الأول: وقائع مُشاهدة معاينة، والآخر: وقائع مفترضة. يُنظر: الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته، عبد الله صولة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم. ص٣٠٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجة الرابعة: أما هذه الصلاة قد طاش ميزانها عند كثير من الناس، وهي ثاني أركان الإسلام؟

الحجة الخامسة: أما هذه الزكاة المفروضة قد بخل بها كثير من الناس؟

النتيجة: وجوب التوبة، والالتزام بالطاعات، وتقوى الله في السر والعلن؛ لأن ذلك كله سبب رفع كل بلاء عن المسلمين.

ب. الإنكار:

المعنى في استفهام الإنكار "على النفي، وما بعد الاستفهام منفي."[١] والعدول عن صيغة النفي إلى الاستفهام يؤدي وظيفة حجاجية أقوى من الإنكار بصيغة النفي المعتادة، لأن النفي قد "يشعرنا ربما،بوجود اختلاف في وجهات النظر بين طرفي الخطاب."[٢] لأن الاستفهام يستلزم اجابة من المخاطب حتى ولو كانت هذه الإجابة ضمنية أو غير مصرح بها كما في خطب الجمعة، وهو- من ثَمَّ- ينخرط في المسار الحجاجي الذي يُراد له، وهذا هو أساس الحجاج ولُبه ؛ لأن أكثر الحجج إقناعًا تلك التي تُلزم المخاطب وتفحمه أو تلك التي"ما نطق بها هو نفسه وأسهم في صنعها عن طريق إجابته عن الاستفهام الموجه إليه، ولذلك كان الاستفهام أبلغ حجاجا من مجرد النفي"[٣]، ثم إن الاستفهام الإنكاري يرتبط بالتشهير بأخطاء المخاطب أو النفخ فيها حتى يرتدع صاحبها، وحتى تتسع فداحتها أمام السامعين؛لأن المواجهة تسمح بمرور الخطاب السلبي عن الآخر.[٤] فيصيب المخاطب الشك والارتياب، وتضعف ثقته بنفسه، فيستمر الخطيب بمحاصرته ودفعه إلى تفنيد دعواه بنفسه.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦ه ص١٧١١.

(٢) الحجاج في القرآن من خلال أهم أساليبه، عبدالله صولة، ص٤٢٩.

(٣) السابق، نفس الصفحة.

(٤) يُنظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، عبداللطيف عادل، ص٢١٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

و من أمثلة الاستفهام الإنكاري في خطب الشيخ السديس بعد أن تحدث عن قيمة الصلاة الدينية، ووظيفتها الأساسية، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر يتساءل أي صلاة تقوم بهذه الوظيفة بقوله:

" أهي الصلاة جسدا بلا روح، وقالبا بلا قلب، حركاتٍ بدون خشوع،عادة لا عبادة، صورة لا حقيقة، ألفاظًا ومبانٍ لا مقاصد ولا معانٍ؟"(١)

فالشيخ يتعمد طريقة النفي بأسلوب الاستفهام، فليس صحيحا أن تكون الصلاة جسدا بلا روح وليست مجرد حركات أو عادة، وليست الصلاة ألفاظا وحركات بلا مقصد ولا معنى، وهو يلجأ إلى أسلوب الاستفهام مدركًا قوته الحجاجية التي تتمثل في وضع المخاطبين اجبارا للرد على هذا الاستفهام، فضلا عن الانخراط في الاتجاه الحجاجي الذي أراده لهم، فسعى عن طريق الاستفهامات إلى كشف أخطائهم بأنفسهم، والرد -ضمنيا- بالنفي على تلك التساؤلات.ثم يؤكد هذا النفي برده على تلك الاستفهامات بقوله:

"لا، وكلا!! ولكنها الصلاة الشرعية النبوية، على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحية"(٢)

فبعد استعراض الأخطاء التي يقع فيها المسلمون عند أداء الصلاة، أكد إجاباتهم الضمنية بالنفي، ثم كرر النفي بقوله (كلا) ليوكد أن الصلاة الشرعية التي تنهى عن الفحشاء والمنكر هي صلاة الرسول ﷺ، ويستدعي الرابط الحجاجي (لكن) ليربط بين حجتين متعارضتين، الثانية أقوى من الأولى، ليراجع المسلم صلاته، ويحاول تقويمها وإصلاح الخلل فيها؛ لأنها بتلك الصفات لا تجزء، ولا تمنعه من فعل المنكرات.

ويمكننا بيان الحجج في المثال السابق على النحو الآتي:

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١٨٦.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١٨٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

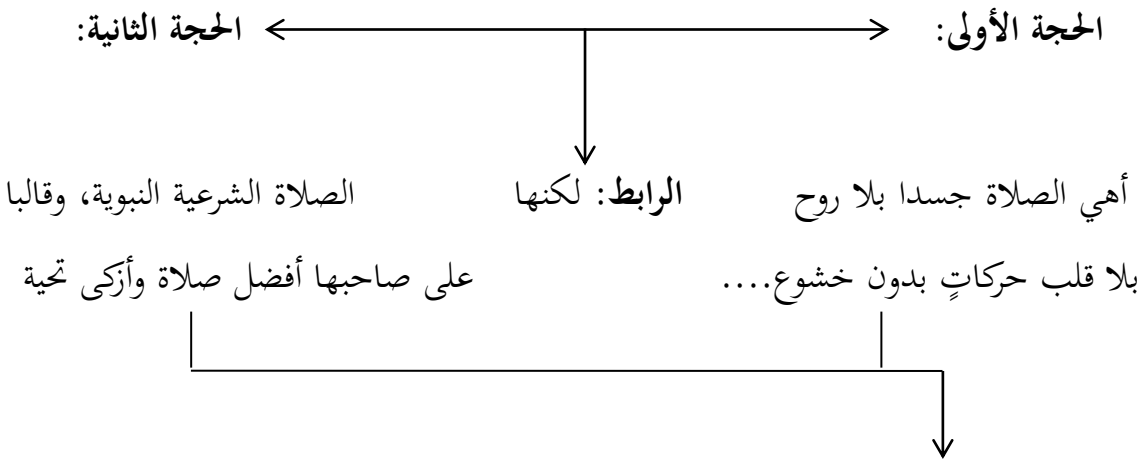

النتيجة: وجوب أداء فريضة الصلاة بشروطها وأركانها وواجباتها لتحقيق نهيها عن الفحشاء والمنكر.

ومن الاستفهامات الإنكارية التي أدت وظيفة حجاجية قول الشيخ: "هذه نداءات أخواتكم المسلمات المغتصبات تعلو، واستغاثاتهن تصرخ وتدوي، على مسمع العالم وبصره، علَّ نخوة تتحرك!! فهاهن ينادين أهل الدين والشهامة والغيرة، بأنكم إذا استقبلتم شهركم بالفرح والاستبشار، فنحن نستقبل - بكل أسى وحرقة - وضع أولاد الصرب من جرائم الاغتصاب المتوحشة، وكلنا ألم وحسرة وبكاء، نخشى أن يستمر إلى الأبد! ويستصرخن أيضا: **أطاب لكم عيش؟ أطاب لكم يوم؟ أطاب لكم فرح؟ أطابت لكم سعادة، وأنتم تعلمون ما نحن فيه؟!**"(١)

يسوق الشيخ التساؤلات على لسان نساء جمهورية البوسنة والهرسك، بعد حث المخاطبين على الاجتماع والوحدة فيما بين الأمة الإسلامية، والعودة إلى الماضي العريق والمشرق للأمة الإسلامية، ثم استعرض أحوال المسلمين في البلاد البعيدة، وكيف هي حياتهم، وما آل إليه مصيرهم من حروب ومجاعات وتشرد، ثم يستنهض الهمم ويلهب المشاعر بقوله: "**أطاب لكم عيش؟ أطاب لكم يوم؟ أطاب لكم فرح؟ أطابت لكم سعادة، وأنتم تعلمون ما نحن فيه؟!**

والشيخ يبدي إنكاره عليهم ذلك، ويضيق عليهم في الإجابة، والمخاطبين أمام

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٣١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

خيارين لاثالث لهما، إما الإجابة بالإثبات فيقال: (نعم يطيب لنا العيش). وهنا سيضعون أنفسهم في موقف محرج جدا، إذ كيف لمؤمن أن يطيب لـه عيش ويهنـأ بالحيـاة وجـزء من أمته يتألم، والخيار الثاني: أن يكون جوابهم: (لا يطيب لنا عيش وحال أمتنـا هكـذا) وهـذا مـا يريـده الشـيخ مـن اسـتنهاض لهمـم الأمـة الإسـلامية، وحـثهم علـى الوحـدة والتماسك، ومن ثم الحث على الجهاد لرفع كلمة الله تعـالى، خاصـة فـي شـهر رمضـان المبارك الذي كان زمن عظمة وأمجـاد، يقـول: **"أن تُرفـع رايـة الجهـاد فـي سـبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله ؛ كما رُفعت في مثل هذا الشهر المبارك عبر تاريخنا المديد!"**(١).

كمـا دل الاسـتفهام- هنـا -علـى معـان تداوليـة بـدت مـن السـياق، زادت قوتـه الحجاجية، وهو معنى التوبيخ وتقريع المخاطبين، ويُستفاد هذا المعنى مـن قولـه:(**وأنـتم تعلمون ما نحن فيـه**). وكلهـا دلالات ارتبطـت بالمخـاطبين، فهـذه العبـارة تؤكـد انتفـاء الراحة وطيب العيش للمسلمين بعد معرفتهم بـأحوال إخـوانهم، فالزيـادة فـي التركيـب زيادة في التـوبيخ والتقريـع للمخـاطبين، وزيـادة فـي الإقنـاع وإحـداث هـزة فـي قلـوب وعقول المخاطبين.

وفي هذا المقطع من الخطبة تبرز لنا حجة (البـاتوس) عـن طريـق إثـارة الحميـة الدينية، فقد فطن أرسطو إلى أهمية انفعالات المتلقي في تحقيـق الإقنـاع، فجعلهـا صـنفا من أصناف الحجج الصناعية سماه "الباتوس"؛ لأن "الانفعالات هي كل التغيرات التـي تجعل الناس يغيرون رأيهم فيما يتعلق بأحكامهم، وتكـون مصـحوبة باللـذة والألـم، مثـل الغضب والرحمـة والخـوف وكـل الانفعـالات المشـابهه وأضـدادها."(٢) لـذلك يسـتدعي الشيخ في هذه الخطبة قصة المرأة التي استغاثت في عهد المعتصم بالله حيث يقول: **"لقد هزت صرخة (وامعتصماه) ـ مـن امـرأة واحـدة فقـط ـ الأمـة كلهـا،فكيف بسـتين ألـف**

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٣٢.

(٢) مدخل إلى الحجاج - أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، محمد الولي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عـدد (٢) المجلد (٤٠) سنة ٢٠١١م، ص٢٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

امرأة؟!متى تصل (وامعتصماه) إلى قلوبكم؟! إنها إن لم تصل في مثل هذا الشهر الكريم. فليس للحياة طعم بعد اليوم!."(١)

فلقد تضافر في سياق هذه الخطبة عدد من البنيات الحجاجية بأساليب نظمية مختلفة، كلها تؤدي لنتيجة واحدة، وهي: رفع راية الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمته، خاصة في شهر رمضان. وإذا ما عدنا إلى تحليل حجة الباتوس أو العواطف في المقطع السابق، نجد أن هناك استدعاء للمواضع(٢) داخل الخطاب، تقوم مقام الحجج المستخدمة لتبرير تلك العاطفة، وتكون من أبرز المصادر المولدة لها، وهذه المواضع تتمثل فيما يأتي:

أولها: المتحدث عنهم وهم (النساء)

وثانيها: الحدث الواقع عليهن وهو (الاغتصاب)

وثالثها: الشاهد التاريخي (وامعتصماه)

ويدعم هذه المواضع بمواضع الكم، فامرأة واحدة -فقط- هزت جيوش المعتصم فكيف باستغاثة ستين ألف امرأة؟ كل موضع يُسهم في جعل الملفوظ موجها نحو عاطفة الحمية الدينية، ابتداء بالموضع الأول المتمثل في النساء الآئي يكفي ذكرهن لإثارة الحمية والغيرة في السامعين. ونجد أن الأمر متعلق بانتهاك أعراض هذه الفئة من النساء، مما يثير الغيرة والحمية، ثم الحمل على النظير كما هو معروف في قصة "وامعتصماه". وهو موضع مهم لمضاعفة درجة العاطفة وإلهاب الحماسة لنجدة المسلمات هناك، ثم تأكيد أن هناك ستين ألف امرأة تصرخ (وامعتصماه) ليستفهم بعدها

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٣١.

(٢) **المواضع:** هي قواعد عامة تمكن من إنجاز نشاط حجاجي جزئي، فالانتقال من المقدمات إلى النتائج يستند إلى المواضع، وتستمد مقبوليتها من ارتباطها بالآراء المشتركة العامة. يُنظر: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، رشيد الراضي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد (٣٤)، المجلد (١) ٢٠٠٥، ص٢٣٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

متى تصل هذه الصرخة إلى قلوب المخاطبين، ويحدد زمنا لوصول هذه الصرخة، وهو (رمضان)، زمن الانتصارات وعزة الإسلام، الذي حدثت فيه غزوة بدر وفتح مكة، ومعركة حطين...إلخ.

وهكذا يتبين لنا أن المواضع تضطلع بوظيفة الحلقة الرابطة بين العواطف، ومن أبرزها الحمية والغيرة الدينية، وعدد من القيم كالإحساس بالأخوة بين المسلمين والإحسان، وما يترتب على هذه القيم من قواعد سلوكية تقتضي من الفرد أن يهب لمساعدة من هم في حاجته، إن الإقناع ليس مجرد عملية عقلية خالصة، بل يتجاوز ذلك إلى استدراج المتلقي عاطفيا نحو الإقناع، ويكون توجيه المتلقي لقصد المتكلم عن طريق إثارة الانفعالات التي ينبغي إثارتها فـ" القدرة على الحجاج الجيد- أي القدرة على الإقناع- تقتضي المعرفة بما يمكن أن يحرك الذات التي نتوجه إليها بالخطاب، أي معرفة ما يحركها."(١)

إن هذه المواضع حاملة للعواطف فالمتكلم يمكنه أن يثير عواطف معينة دون أن يشير إليها في الظاهر " ويعني الاهتمام بهذه المواضع: السعي إلى القبض على المنطق الذي يحكم البناء الخطابي للمواقف التي ينبغي بشكل مثالي أن تبرر عاطفة معينة"(٢) إذن الحجاج بالباتوس كما تقول أموسي: "لا يكفي القول بأن الباتوس عامل مساعد يسهم في مشروع الإقناع بالتأثير العاطفي في السامع، بل ينبغي مراعاة أن العواطف تقوم على معتقدات وأحكام، هي بذاتها منفتحة على الحجاج."(٣)

ويمكننا بيان الحجج في المثال السابق على النحو الآتي :

الحجة الأولى: أطاب لكم عيش؟ أطاب لكم يوم؟ أطاب لكم فرح؟ أطابت لكم

(١) مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، محمد الولي، مجلة عالم الفكر، المجلد ٤٠، العدد ٢، اكتوبر - ديسمبر ٢٠١١، ص٣٠.

(٢) في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، محمد مشبال، ص٢٧٠.

(٣) في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، محمد مشبال، ص٢٧٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

سعادة، وأنتم تعلمون ما نحن فيه.

الحجة الثانية: لقد هزت صرخة (وامعتصماه) - من امرأة واحدة فقط- الأمة كلها، فكيف بستين ألف امرأة؟

النتيجة: رفع راية الجهاد في سبيل الله ؛ لإعلاء كلمة الله.

ج. التعجب:

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام، وتؤدي وظائف حجاجية التعجب، ومن الأمثلة الاستفهامية على ذلك:

"ماذا تُغني الشهور والأيام، من يوم الأربعاء وشهر صفر؟!وما ذنب الحيوانات والطيور من الغراب والبوم؟! وماذا تملك الزهرة وزحل؟!ولكنها أوهام الجاهلين، وأساطير الأولين، وألاعيب الشياطين!"(١)

فحديث الشيخ عن التشاؤم والتطير جعله يستدعي إحدى أشهر تلك الخرافات وهو التشاؤم بيوم الأربعاء الأخير من شهر صفر والتطير بالغراب والبوم، وهو تشاؤم عُرف، جاء في الجاهلية أبطله الإسلام، ويستدعي أداة الاستفهام (ماذا) التي تفيد التعجب والإنكار لحدوث مثل هذه الخرافات والأوهام بعد أن جاء الإسلام وأبطلها، والاستفهام هنا يُبرز هذه الأوهام في شكلها الجاهلي،فالأيام ماهي إلا مواقيت، والحيوانات ماهي إلا مخلوقات، ويعرض لنا بشكل منطقي أن هذه المواقيت وهذه الطيور لا حول لها ولا قوة، يجعل المتلقي يعيد التفكير ذهنيا في تلك المواقيت والطيور، ثم يُضيف قوة حجاجية تُوصل إلى الفكرة الرئيسية بعد أداة الربط الحجاجي (لكنها): **أوهام الجاهلين، وأساطير الأولين، وألاعيب الشياطين،** إذ ربط بين حجتين الأولى: الدعوة إلى التفكير في أثر هذه الأيام والحيوانات في حياة الإنسان، وهل فعلا لها أثر؟، ثم يؤكد انتفاء أي فعل لها أو أي تأثير بالحجة الثانية: أن تلك الأوهام هي

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١١٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أوهام جاهلية، وخزعبلات زرعها الجاهليون فجاء الإسلام وأبطلها. ويمكن بيان الحجج في المثال السابق على النحو الآتي:

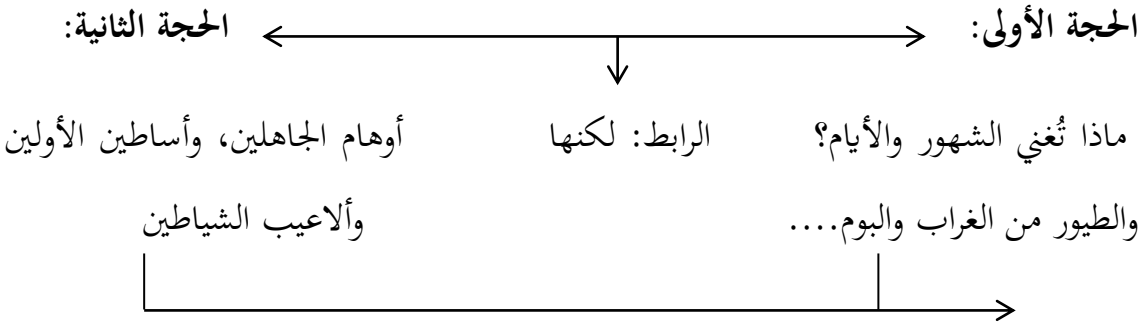

النتيجة: وجوب التوكل على الله تعالى، والحذر من التطير و التشاؤم.

من الاستفهامات التعجبية التي أدت وظيفة حجاجية قوله: **"فبأي ميزان أجيزت هذه المجازر الوحشية، وبأي قانون استبيحت هذه المذابح الهمجية، ولمصلحة من يستمر هذا العدوان الغاشم، ولأجل من يُذكَّى هذا الظلم والطغيان الأرعن."**(١)

إن تعدد هذه الأسئلة يعد طريقا للوصول إلى النتيجة، التي يريدها المرسل من ترابط هذه الحجج وهي في مضمونها: أن دين الإسلام يحرم الإرهاب وقتل النفس التي حرم الله، وقد نقل هذه النتيجة بوساطة عدد من الأسئلة التي حملت الطابع التعجبي.

ويستحضر الشيخ شخصية المُجيز لأعمال العنف والتخريب، وهي شخصية معاندة، تظن أن هذا القتل إذا ما تم على أهل الذمة فإنه جائز. وهذا التنوع في حضور المتلقي بكل أشكاله يثري العملية التواصلية ؛ لأن إضافة المتلقي المستهدف في الخطاب يجعله أدعى في الإقناع وأمعن في التأثير، ويسأله متعجبا ويستنطق منه الجواب، كيف أجاز هذا القتل وهذه المجازر، ولا يخفى ما للصفات التي تدل على

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٣٨٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الاستقباح (الوحشية، الهمجية، الغاشم، الظلم، الأرعن) من وظيفة حجاجية ترفد عملية الإقناع.

ويمكننا بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة: بأي ميزان أجيزت هذه المجازر الوحشية؟ وبأي قانون استبيحت هذه المذابح الهمجية؟...

النتيجة: تحريم أعمال العنف وإرهاب الآمنين، وأن الدين الإسلامي الذي جاوز انتشاره القارات حرم تلك الأعمال وحرم العنف بكل أشكاله.

د. الإغراء والتنبيه:

يخرج أسلوب الاستفهام في بنية الخطاب الحجاجي إلى استثارة المخاطب وتنبيهه لتحقيق أمر ما، بل قد يحمل هذا الاستفهام جذبا له وكأنه يغريه دفعا لتلمس إجابته. ومن الأمثلة على ذلك قول الشيخ عبدالرحمن السديس في إحدى خطبه، التي تضمنت تلك الوظيفة الخاصه للاستفهام: **"فهل نعيد لرمضان - يا إخوة الإسلام - دوره ومكانه في التأثير الحيوي على واقع أمتنا؟ وهل نواصل حياة العبادة والبر والصلة؟ وهل نحقق التوحيد والوحدة، والتراحم والإحسان، والجود والعطف والمواساة؟"**(١)

هنا يثور الشيخ بعد أن عرض كثيرا من المشكلات والقضايا التي تخص الأمة الإسلامية، ويربط حديثه بالعامل الحجاجي (هل)، ليُضيف قوة حجاجية تُوصل إلى الفكرة الرئيسة، حيث تعلق الاستفهام بمعنى الإصلاح الاجتماعي، والمضمون الحجاجي للاستفهام: أن لشهر رمضان شأنا كبيرا في حياة المسلمين، ويؤدي إلى نتيجة أولية، وهي: أن شهر رمضان- بما يتضمنه- يساعد على التراحم والإحسان والتعاطف فيما بين أفراد المجتمع الإسلامي، مما يؤكد النتيجة الكبرى، وهي: (ضرورة عودة الوظيفة الأساسية، والشأن العظيم لشهر الصيام).

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٤٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ونلاحظ في هذا الاستفهام استثارة للمخاطب، ومحاولة إشراكه في العملية الحوارية، حيث ينشغل ذهنه وعقله بأفكار كثيرة وصلت إليه بصيغ الطلب والاستفهام ليجيب عنها ضمنيا ؛ لأن الاستفهام يفرض على المخاطبين إجابة محددة وفق ما يقتضيه المقام، ومن ثم يكون للاستفهام تأثير كبير في العملية الحجاجية، وفي تمكن الخطاب في نفس السامع؛ وإشراكه في عملية الإقناع.

الحجة: هل نعيد لرمضان شأنه ومكانه في التأثير الحيوي على واقع أمتنا؟ وهل نواصل حياة العبادة والبر والصلة؟...

النتيجة: وجوب عودة الوظيفة الأساسية والأثر الكبير لطاعة الصيام في تحقيق الصلة وتحقيق التراحم والتعاطف بين المسلمين.

ومن أمثلة الاستفهام التنبيهي لاستنهاض الهمم ودفع المتلقي إلى العمل قول الشيخ:

"أين الغيرة والحمية؟وأين النخوة والمروءة؟..فيا أيها الساسة والقادة، ويا أيها العلماء والمصلحون، ويا أيها الأثرياء والغيورون، ويا أيها الإعلاميون، مالكم صامتين، وعن نصرة إخوانكم محجمين؟... فهل من غضبة لله؟ وغيرة على دينه، ووقفة عند حدوده، ونصرة لأوليائه؟"(١)

ففي هذه الخطبة سلسلة من الاستفهامات التي تثير المخاطب، يتساءل الشيخ بعد عرضه لأحوال المسلمين في كشمير، وما حدث لهم من اضطهاد من قبل الهندوس. ونجد فيه نبرة توبيخ لكل مسلم، إذ يحرضهم ويحثهم على الغيرة والحمية، مع دعوتهم لنجدة إخوتهم في تلك البلاد البعيدة. ونلاحظ اختياره للألفاظ (الغيرة، والنخوة، والمروءة) التي من شأنها أن تلهب الحماس في قلوب المسلمين. والاستفهام -هنا- يحمل طاقة حجاجية توجيهية ليَهُبَّ المسلمون لنصرة إخوتهم، ثم يستخدم الخطيب أسلوب (

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٥٣٦-٥٣٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

النداء) للقادة السياسيين والعلماء والمصلحين، ليستعمل أسلوب الاستفهام بـ (هل) الدالة على التحضيض: هل من غضبة لله؟ فالشيخ يوجه الاستفهام -هنا- للإجابة، التي يريدها، وهي التقرير والإثبات، ليخصص تلك الغضبة لله (ﷻ).

وقد تضافرت في هذا المقطع العديد من الأساليب الإنشائية نحو الاستفهام والنداء. وتتمثل الوظيفة البلاغية لهذه الأساليب المحشودة: تقوية دعوى الشيخ في أن المسلمين في كشمير بحاجة ماسة إلى نصرتهم، وعزز هذه الدعوى بإشراك المتلقي في المصادقة عليها.

الحجة: أين الغيرة والحمية؟ وأين النخوة والمروءة، هل من غضبة لله؟ وغيرة على دينه، ووقفة عند حدوده، ونصرة لأوليائه؟

النتيجة: إيجاد حلول عاجلة، وتوافر جهود فورية من كل الهيئات العالمية والمنظمات الإغاثية لنصرة المسلمين في كشمير.

هـ. التعظيم والتهويل:

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام، وتؤدي وظائف حجاجية في مقامات معينة معنى: التعظيم والتهويل. ومن الأمثلة على ذلك قول الشيخ السديس:

" أين الجهود المكثفة في خدمة السنة والدفاع عنها؟ أين دور العلماء في توضيح السنة للعامة؟ أين العناية بالسنة في مناهج الدعوة وجهود الدعاة؟ هل تغلب القضايا الفكرية والثقافية والعصرية على جوانب التأصيل والمنهجية؟ أين الاستزادة من العلوم الشرعية؟.... ما مدى الاهتمام بالسنة في مناهج التعليم؟... أين العناية بالسنة عبر وسائل الإعلام في بلاد الإسلام، ولو على أقل تقدير بكفِّ كل ما يخالفها؟ أين تطبيق السنة في البيت والأسرة والشارع والمجتمع؟ ماذا جنت الأمة لما أهملت - أو كادت- أمور السنة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية؟"(١)

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١٣٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

كل استفهام من الاستفهامات السابقة يمثل بنية حجاجية لخدمة قضية مركزية في خطاب الشيخ، تتمثل هذه القضية في: العناية بالسنة النبوية والدفاع عنها، وعدِّها أصلا من الأصول الشرعية. وغاية الاستفهام - هنا -: تعظيم أمر السنة والتحذير والتهويل من تركها. لقد أدى الاستفهام - هنا - وظيفة التركيز في الحوار على الموضوع المقصود. والشيخ - هنا - سخر الاستفهام كآلية لبلوغ القصد من الخطاب. فقد توخى السديس أسلوب الاستفهام، إذ يبني حججه بتساؤلات لا ينتظر الإجابة عليها، وإنما لحصول التوجيه للمخاطبين والنظر في القضايا التي عرضها عليهم. وقد ابتدأ الاستفهام بالعلماء لتوجيههم؛ لأنهم يقعون على رأس الهرم، وعلى عاتقهم تبليغ السنة ثم تدرج إلى الدعاة والمصلحين.

وانتقل الشخ السديس إلى وسائل الإعلام، ليصل أخيرا إلى وظيفة الأب والأم، وكيفية تعليم أبناءهم للسنة. ولعل هذا التدرج الدقيق في إبراز هذه المؤسسات والانتقال من الأعلى إلى الأدنى يحافظ على اتساق الحجج، وعمل ما يمكن أن يُسمى بـ(السلم ال التراتبي) في ذهن المتلقي،ليستحضر جميع تلك المؤسسات على اختلافها، والعمل على قيامها وتوظيفها التوظيف الواجب تجاه السنة النبوية.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه من تهويل الحال الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية في السنة النبوية هو قوله بعد أن ذكر أن هذه الأمة اكتفت بالحديث عن السنة في ليلة من العام، ويقصد به "المولد النبوي" يقول: "**إن الأمر أجلُّ وأعظم من مثل هذه التصرفات، التي لا توافق شرعا صحيحا ولا عقلا صريحا.**[1] "

إن تكرار الأسئلة بهذا الشكل الكثيف في نص الخطاب يؤدي إلى حصر المخاطب وإلزامه بالإجابة، ويجعل الخطاب يتوجه إلى النتيجة مباشرة، وتتيح للمرسل السيطرة على الموقف، وتحقيق ما يريده من التأثير في المتلقي وإلزامه بما تتضمنه،

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١٣٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

فلا يستطيع أن يتملص من الإجابة[١]. ويمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي :

الحجة: أين الجهود المكثفة في خدمة السنة والدفاع عنها؟ أين وظيفة العلماء في توضيح السنة للعامة؟...

النتيجة: يقع الحق على الجميع وفي كل الاتجاهات بالاهتمام بالسنن وإحياءها ابتداء من الأسرة وانتهاء بالمؤسسات الحكومية المختلفة.

والاستفهام - هنا - هو الحجاج ذاته، كما أنه فعل حجاجي بالقصد المضمر فيه، وفق ما يقتضيه السياق، والمرسل يدرك كما يدرك المرسل إليه، أن هذه الأسئلة ليست استفهامًا عن مجهول، إذ لا يجهل المرسل شيئًا من هذه المعارف، كما لا يتوفر المرسل إليه - في أغلب الأحوال - على معرفة تزيد على ما يعرفه المرسل، وبهذا فهي حجج باعتبار قصد المرسل لاباعتبار الصياغة والمعنى الحرفي فقط.[٢] وهكذا فإن البنية الاستفهامية تمثل عنصرا مركزيا في كوكبة الخطب المنيفة ؛إذ تحضر بقوة في الخطب لتعكس ما يدور في فكر الشيخ السديس ووجدانه من أسئلة ومواقف وردود أفعال، وهو ما يجعل الاستفهام أداة بلاغية تتسم بالإجرائية والإنجازية ؛ نظرا لقوتها التأثيرية التي تحث على الفعل وتحض عليه.ويظهر من فحص بنيات الاستفهام في خطب الكوكبة أنها مرصودة للنهوض بمقاصد تأثيرية وبلاغية تتنوع وفق التركيب النحوي للجمل الاستفهامية.

وقد توصلنا إلى نتيجة مؤداها أن أغلب الاستفهامات في خطب الشيخ السديس لم ترد على حقيقتها؛ فقد تجاوزت ظاهرها الاستفهامي لتفيد معنى آخر يستلزمه المقام. فالأسئلة المطروحة ليست مطروحة للإجابة عنها، لكنها مطروحة لتقرير قضية، أو إثبات حكم بعدما قدم لذلك بتمهيد توضيحي مناسب.

---

(١) يُنظر: إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، ص١٣٣.

(٢) يُنظر: إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص٤٨٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

❖ ٢. النداء ومقصدية الإقناع:

كثيرا ما يقترن النداء بمقاصد أخرى، كالأمر أو النهي أو الإخبار، والنداء فعل كلامي يعدُّ مدخلا لأفعال كلامية أخرى، هي المقصودة من دعوة المنادى وتنبيهه للإقبال عليه، إذ إن"النداء لا يطلب لذاته، إنما يُطلب لتحقيق غرض آخر أو أغراض أخرى، وعمل النداء من قبيل خاص، فهو ممهد لسائر الأعمال اللغوية أو قل لسائر المعاني والمقاصد، وليس من قبيله."(١)

وفي خطب الكوكبة نجد كثيرا من النداءات، التي تعطي قوة إنجازية مستلزمة مقاميا، تتمثل تلك القوة في التنبيه وتركيز الذهن لما هو قادم من الكلام. ومن أمثلة تلك النداءت قول الشيخ:

"فيا إخواننا في أرض الرسالات ومهد البطولات،يا أبناء الأبطال المجاهدين، وأحفاد الصناديد الفاتحين، لقد أحييتم في الأمة آمالها بجهادكم المبارك، فالله. الله في الصبر والمصابرة، حتى يتحقق لكم -بإذن الله- إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وقلوبنا معكم، والدعاء مبذول لكم، ولن تدخر الأمة مالا ولا جهدا في نصرتكم حتى يأتي وعد الله.

ويا قادة المسلمين، يامن جلستم على كراسي التنفيذ،يامن مكنكم الله في أرضه وعباده: القدس والأقصى أمانة في أعناق الأمة، والشعوب الإسلامية تتطلع إلى اجتماع قمتكم في أقرب فرصة سانحة؛للخروج بمواقف عملية مستعلية حازمة؛ لنصرة المستضعفين."(٢)

إن القصد من النداء الذي أقامه الشيخ هو امتداح المنادى، وتخصيص الحديث لهم،كما ناداهم بلفظ (**إخواننا**)؛ لتقريب المسافة بين المخاطب والمرسل، وللاستئناس

(١) أصول تحليل الخطاب: في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ج٢، ص٦٨١.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٥٥٤.

reply_W30xG ١٤٤١/٠٨/٠١ Ali Fattani

بالحديث معهم. كل تلك الصفات حققت قوة إنجازية للثناء عليهم، فهم أبناء الأبطال المجاهدين، وأحفاد الصناديد الفاتحين، ثم يمتدحهم بأنهم أهل جهاد ويحثهم على الصبر، لأن وعد الله ﷻ سيتحقق لهم إما النصر وإما الشهادة، وكلاهما حسن، وهنا يستدعي الرابط الحجاجي (حتى) وهي آخر حجة يمكن تقديمها لصالح النتيجة المقصودة.(١)

إن الرابط- هنا-ربط بين حجتين جديرتين بالاهتمام، فهم أحيوا آمال الأمة بجهادهم حتى يتحقق لهم وعد الله ﷻ إما نصرا وإما شهادة، وكل واحد منهما فيه من الحسن ما فيه. ويظهر الإيتوس بإظهار التضامن معهم في قوله: (وقلوبنا معكم، والدعاء مبذول لكم)، وظهور أخلاق المرسل في الخطاب متى استقرت في ذهن المخاطبين تهيئتهم لقبول الكلام والإذعان له. والشيخ - هنا - حرص على تقديم نفسه إلى هؤلاء المجاهدين -خاصة- حليفا متضامنا معهم، وفيا بالدعاء لهم.

ويمكن بيان الحجة في المقطع السابق على النحو الآتي:

النـــــداء

- **المقدمة**: أنتم في أرض الرسالات ومهد البطولات، أنتم أبناء الأبطال المجاهدين.
- **الحجة الأولى**: لقد أحييتم آمال الأمة بجهادكم المبارك.
- **الحجة الثانية**: يتحقق لكم إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.
  - الرابط (حتى). وهذا الرابط يعطي قوة للحجة السابقة عنها.
- **الحجة الثالثة**: (آيتوس): قلوبنا معكم و الدعاء موجه لكم، والمال لنصرتكم.
- **النتيجة**: الصبر والمصابرة، والثبات على موقف الجهاد، والمناضلة في سبيل إعلاء كلمة الله.

وفي المقطع الثاني من النداء يخصصه لأهل السلطة والحكم، وجاء- هنا

(١) يُنظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص٨٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

بغرض توصيل رسالة إليهم، وهي أن القدس والأقصى أمانة، ويجب عليهم أن يؤدوا واجبهم تجاه هذه الأمانة العظيمة. وقد اختار الشيخ صيغ ندائية، تذكرهم بعظم المسؤولية المنوطة بهم، فهم قادة للمسلمين، تمكنوا من الأرض، التي هي تحت سيطرتهم وتمكنوا من شعوبها. ونلمح - هنا - ملمحا ضمنه نداءه، وهو قوله: (جلستم على كراسي التنفيذ) إذ إن هذا الملفوظ يحقق قوة إنجازية، تتمثل في أن من يعطي القرارات المصيرية لهؤلاء الشعوب هو من يجلس على هذه الكراسي. هذه النداءات تكسب الحجاج طاقة الإنجاز عن طريق قراءة ما تضمنه السياق، وما سيأتي بعد هذه النداءات يجب أن يُتنبه إليه.

إن مقصدية المرسل (المنادي) بهذه اللهجة القوية يعطي النداء قوة وأهمية، فهناك اجتماع مرتقب وقمة قادمة، ينبههم على وجه الخصوص بالخروج بصفة عملية لا قولية بالأمة من هذه الأزمة ووضع حد صارم لليهود المحتلين.

ويمكن تبيان الحجاج في المقطع السابق على النحو الآتي:

المقدمة: نداء موجه إلى قادة المسلمين، الذين تمكنوا من الأرض والعباد.

الحجة: القدس والأقصى أمانة في أعناق الشعوب الإسلامية.

النتيجة: وجوب إيجاد موقف عملي حازم لإنقاذ المسلمين المستضعفين في فلسطين.

ومن النداءات اللافتة في كوكبة الخطب:

" فيا إخوة الإيمان، ويا أيها المسؤولون معاقد الآمال، ويا أيها المصلحون حماة الذمار، هل تفلح أمة تبطحت أمام مستنقعات الفجرات، وأدمنت العبَّ من قنوات الشهوات؟؟ لا إله إلا الله!! رباه رباه!! واخجلتاه!! مما أصابنا من ضمور الغيرة واخجلتاه!! ألا فالتنثنوا - يا رعاكم الله - في همة بدرية كاسحة، وحمية إسلامية ماسحة، دون تلك الخلاعات والدنايا صفا، وجمعا ملتفا؛ لدحر تلك الويلات ساعدا

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وكفا، ودفعا لأعاصير السفور وكفا."(١)

جاء النداء في المثال السابق بغية توصيل دعوى مهمة عن طريق استدعاء أهل الاختصاص، فكان اختيار أسلوب التأثير النفسي لتوصيل الرسالة إلى كل مختص، ولتحقيق الهدف الإنجازي المراد من النداء، وقد تعاضد في المقطع الخطابي السابق مجموعة من الأساليب النظمية التي تخدم الحجاج على الدعوة المراد تحقيقها يمكننا توضيحها على النحو الآتي:

نداء عام (إخوة الإيمان)+ نداء خاص (المسؤولون)+ (المصلحون- حماة الذمار) استفهام + نداء تعجبي (رباه) + ندبة (واخجلتاه) **النتيجة** (أسلوب عرض) ألا فلتتثنوا...

إن لفت الانتباه بالنداء -أولا- ثم إثارة موضوع في غاية الأهمية وهو: انتشار القنوات والتبطح أمام هذه الشاشات. يلاحظ أنه يحمل إثارة لهذه القضية بغية تضخيم هذا الموضوع، وجعله محورحديثه، فانتفاء الغيرة عن أمة الإسلام يعد كارثة في وجهة نظر المرسل، وطرحها بصيغة الاستفهام يفيد الإنكار، أي لا تفلح أمة تبطحت أمام الشاشات.

فلقد استغل الخطيب خاصية الحمل على الإقرار على إنكار فلاح الأمة - وهذا حالها -ليؤكد صحة دعواه، ليتحقق لديهم معاني النصح والإرشاد، التي تحرك مستمعيه صوب السلوك المرغوب. وتكرار الندبة (رباه. رباه!!) يزيد من القوة الإنجازية والإحساس بهول القضية، وهذا ما يريد الشيخ الوصول إليه، من إثارة الغيرة في قلوب المستمعين والانتباه لهذه القضية التي تساهل فيها كثير من الناس.

أما على المستوى اللفظي فقد تخير الشيخ ألفاظا تتناسب مع سياق التفخيم للموقف والتحقير لتلك القنوات. فـ(تبطحت) تعطي قوة إنجازية تتمثل في كثرة الجلوس

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٢٨٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أمام القنوات الفضائية، واختيار لفظ التبطح فيه من دلالة الكسل والعجز ومشابهة المخلوقات التي لا يُستفاد منها، كذلك لفظ (مستنقعات الفجرات)، حيث شبه تلك القنوات الخليعة بالمستنقع الذي يجمع كل ما هو قذر يبعد الإنسان عن الفضيلة ويقربه من الرذيلة، واستخدام معاني التحقير والضلال تدفع المتلقين إلى مراجعة أنفسهم، وإعادة النظر في أحوالهم وما أصبحوا عليه.

أما على مستوى البديع فإننا نجد أن الشيخ نوع في قوافي الفواصل، التي قربت الخطبة من نسق النظم، لزيادة وقع التأثير في نفس سامعه بقوله:

(في همة بدرية **كاسحة**، وحمية إسلامية **ماسحة**،دون تلك الخلاعات والدنايا **صفا**، وجمعا **ملتفا**؛ لدحر تلك الويلات ساعدا و**كفا**، ودفعا لأعاصير السفور **وكفا**).

مما أكسب النص حيوية، وإضفاء حركة في كلمتي (**كاسحة** و**ماسحة**) للدلالة على وجوب مسح كل تلك القنوات الفاضحة.

كما نجد الجناس التام بين كلمتي (كفا، وكفا). حيث إن المقصود من دلالة الأولى هو الإشارة إلى كف اليد، أما المقصود من دلالة الثانية فهو عرض فعل الكف، وتوازن الكلام وترتيبه بهذه الهيئة يكاد يكون حجة على صدقه، يجعل من السهولة حفظه ومن ثم العمل على تطبيقه. ويمكن بيان الحجج في المثال السابق على النحو الآتي:

النـــــداء

- **المقدمة**: يا إخوة الإيمان، يا أيها المسلمون معاقد الآمال، ويا أيها المصلحون حماة الذمار..
- **الحجة الأولى**: لا تفلح أمة تبطحت أمام مستنقعات الفجرات..
- **الحجة الثانية**: رباه رباه!! وخجلتاه مما أصابنا من ضمور الغيرة.
  - تضخيم الحدث، والمبالغة في انتشار الدعوى التي يجب حلها.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ـــــــ **النتيجة:** ألا فلتنثنوا في همة عالية لمسح كل تلك القنوات، والوقوف صفا واحدا ضد تلك القنوات التي تنشر الرذيلة وتروج للسفور.

وهكذا نجد الشيخ اعتمد كثيرا في خطابه على نظمية النداء بشكل لافت ؛وذلك لأن الخطابة تمثل شبكة لغوية وإشارية تربط جسر التواصل بين الشخصيات التي يجب تفاعلها وتتوحد معها منظومة الخطاب بقوانينها وشفراتها ومدلولاتها المتعددة(١)

فالخطيب ينشئ الخطاب وفي ذهنه المتلقي المعين الذي يشارك المتكلم في توجيه الخطابي الوجهة التي تخدم العملية التواصلية، لذلك دائما ما يركز في خطابه على نداءات معينة تخدم القضية التي هو بصددها مثل "عباد الله "، و"معاشر المسلمين"، و"يا أهل الإسلام"، و"إخوة العقيدة"...و غيرها من النداءات، التي تذكر المستمعين بانتمائهم للدين الإسلامي. "فمن شروط نجاح الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار شخصية مخاطبه اللغوية، وإذا ما عمل الخطاب على أن يخاطب مخاطبه عن طريق لغته، التي تدل على انتمائه الاجتماعي، فإن حظوظ نجاحه تكون أكبر وأقوى."(٢) كذلك فإن نداء المتلقي يتعدد بتعدد القضايا، وتختلف الأساليب الحجاجية تبعا لذلك، وتجدر الإشارة إلى أن المستعمل من أحرف النداء في خطب الكوكبة ("يا" و"أي") مضاف إليه (ها) التنبيه، لسعة النداء وانتشاره، ولأن الغرض من النداء في الخطب يُؤتى به لتنفيذ أفعال سلوكية أو التحذير من أمر ما، لذلك فهو يؤدي أغراضا إنجازية.

❖ ٣. الإطناب والطاقات الإقناعية:

إن ما يميز التراكيب النظيمة في خطب السديس هو عدولها - في الغالب- عما يسميه السكاكي وهو يتحدث عن درجات الكلام البليغ (متعارف الأوساط). وهو

(١) يُنظر: البلاغة والخطاب، محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص١٦١.

(٢) دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي، حسن المودن، كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته"، ج١، ص٢٣٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

"كلامهم على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم، ولابد من الاعتراف بذلك مقيسًا عليه؛ لكون الإيجاز والإطناب نسبيين، لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي."(١) والإطناب في الخطاب أداؤه بأكثر من عباراتهم المتعارف عليها.(٢)

ويأتي الإطناب مكملا لنظم الخطاب، مانحًا إياه نمطا فنيا مثيرا، يدركه المتلقي ويذعن لتفصيلاته في باب الحجاج، ليس من باب "ما يزاد الكلام فيه لشرح ما هو معروف فيظن السامع أنه زيادة لا حاجة إليه، بل لأن ما زيد في هذا الصدد يقال في كل شيء يعظم مناله، ويعز الوصول إليه، فيؤكد الأمر فيه على هذا الوجه."(٣)

وسواء كان العدول عن (متعارف الأوساط) في الدلالة بالزيادة أو كان بالنقصان فإنه"ليس عدولاً بالنسبة للمقام، وإنما هو على العكس من ذلك علامة على مطابقة الكلام للمقام أومحاولة التأثير في المقام بفضل ما تنتجه خصيصة العدول تلك من طاقة حجاجية."(٤) وللإطناب قيمة حجاجية كبيرة، إذ إن بعض الموضوعات يستلزم فيها الإطناب وبسط العبارات وتأكيد الكلمات؛ وكل ذلك مرتبط بسياق الخطاب، وأهمية الموضوع المطروح لسامعه.

ومن الأمثلة على الإطناب في خطب الكوكبة:

" إخوة الإيمان، في تاريخ الإسلام علماء ربانيون، وأعلام عاملون، وأئمة مهديون هم من منة الله على هذه الأمة،قاموا بالإسلام وللإسلام، يُحيون بكتاب الله الموتى... والناشئة المعاصرة:بسلفهم من العلماء الأفذاذ ينتفعون بسيرتهم،

(١) مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص٢٧٦.

(٢) يُنظر: السابق نفس الصفحة.

(٣) المثل السائر، لابن الأثير، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م، ج٢، ص٣٤٦.

(٤) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه، عبد الله صولة، ص٢٤٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ويسيرون على منهجهم، ويقتبسون من نور علمهم وفضلهم - لهو من أهم الأمور التي ينبغي أن نعنى بها دائما وأبدًا، لاسيما العلماء وطلاب العلم، والدعاة إلى الله، ورجال الحسبة والإصلاح، كيف لا، ونحن نعيش في أعقاب الزمن، حيث كثُرت الفتن، وطمت المحن، واستحكمت الأزمات، وعمت الخلافات، واشتدت التحديات والمؤامرات، وملا مُخلص منها إلا الاعتصام بالكتاب والسنة، والسير على منهج علماء سلف الأمة، الذين يعدون أمثلة حية، ونماذج فريدة، تمثل التطبيق الحي السليم..."(١).

يعرض الخطيب للمخاطبين قدوة، ويمهد لتلك القدوة بمقدمة طويلة، ذكر فيها منهجهم، وطريقتهم في الدعوة، وقد أطنب في ذكر صفاتهم، لينتقل إلى حجة أخرى أنه في أعقاب الزمن الذي كثرت فتنه وأزماته ليصل بنا إلى نتيجتين حتميتين من هذه الحجج وهي: أن الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه، واتخاذ القدوة الحسنة والسير على منهاجهم هو الخلاص من تلك الفتن والمشكلات، ويمكن عرض الحجج وفق المخطط الآتي:

الحجة الأولى: (في تاريخ الإسلام علماء ربانيون، وأعلام عاملون، وأئمة مهديون، هم من منة الله على هذه الأمة، قاموا بالإسلام وللإسلام، يُحيون بكتاب الله الموتى)

الحجة الثانية:نحن نعيش في أعقاب الزمن،حيث كثُرت الفتن..

النتيجة: اقتداء الناشئة بسلفهم من العلماء، خاصة طلاب العلم والدعاة إلى الله، والاعتصام بالقرآن والسنة.

ولكي يؤكد الشيخ أهمية القدوة الإسلامية الصحيحة لجأ إلى الإطناب؛ ليكون وسيلته للوصول إلى الإقناع، لذلك نلحظ أن الحُجج مفسرة لبعضها، وموضحة لما

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٥٨٨-٥٨٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

سبقها، ومجيئها لمزيد توكيد للسامع. ومن أمثلة الإطناب في خطب الكوكبة قوله: **"إخوة الإيمان: الفواحش سبب كل بلاء، وطريق كل عناء، ووسيل كل تعاسة وشقاء، ماحلت في ديار إلا أهلكتها، ولا مجتمعات إلا دمرتها، ولا امم إلا أزالتها وبددتها، ومن أعظم تلك الفواحش فاحشة يضيق بها الفضاء، وتعج لها السماء، ويحل بها الدمار والبلاء: فساد حال، وسوء مآل، وقبح فِعال، وداء عضال، تموت بها الفضيلة، وتحيى بها الرذيلة، ويدنس بها العرض، وتموج لها الأرض، ويُسلب الشرف، وتوأد الكرامة، وتتُمزق المروءة، وتداس القيم والمثل، وتقشعر منها الأبدان، وتتفتت منا الأكباد، تلكم هي: فاحشة الزنا والعياذ بالله!"**(١)

عندما تناول الشيخ قضية (الزنا وعاقبتها)، حاول بيان عظم أمرها، وأثرها في المجتمع، فاستدعى ذلك الإطناب لأهميته في مثل هذه المواضع، وأثره الإقناعي الذي لا يخفى في مثل هذه الخطبة. والحجج جاءت طريقا لتبصير المستمعين بآثار هذه الفاحشة العظيمة، لذلك نجد الفكرة الأساس تطفو على الحجاج كلها للوصول إلى النتيجة النهاية:

المقدمة: الفواحش سبب كل بلاء، وطريق كل عناء، ووسيلة كل تعاسة وشقاء..

الحجة الأولى: أعظم تلك الفواحش فاحشة يضيق بها الفضاء، ويحل بها الدمار والبلاء.

الحجة الثانية: فساد حال، وسوء مآل، وقبح فِعال، وداء عضال...

الحجة الثالثة: تحيى بها الرذيلة، ويدنس بها العرض...

النتيجة: فاحشة الزنا، أفظع الفواحش وأقبحها.

إن كثرة المعطوفات والتكرار المعنوي لبعض التراكيب النظمية في الفقرة نابعة من إرادة الخطيب وقصده.وهذا التكرار وسيلة حجاجية لتعضيد أطروحته وتقوية

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٦٥٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

حجته، ولبيان خطورة هذه الفاحشة، عن طريق تكرار للمضمون في الخطبة في أكثر من جملة مثل: (**تموت بها الفضيلة، وتحيى بها الرذيلة**).

فتكرار الجملة بنفيها أو بذكر ضدها كم في المثال السابق، أو تكرار للمعنى نفسه مع اختلاف درجة التأثير مثل: (**ويُسلب الشرف، وتوأد الكرامة، وتُمزق المروءة**). كذلك لا يغفل حسن توظيف توالي السجع بين جمل الفقرة (الفضاء، السماء، البلاء) (مآل، فِعال،عضال) حتى يشبع الحجة ويجعلها أكثر تمكنًا ورسوخا في ذهن السامع، فكل الوسائل البلاغية "تتضافر لإقناع المتلقي، كما تتظافر أكثر من وسيلة في قول حجاجي واحد فتزيد طاقته الحجاجية وقوته التأثيرية."(١)

إن الوظيفة الإقناعية للإطناب في كوكبة الخطب المُنيفة- عموما- تكمن في تعميق المعنى في نفس المتلقي وترسيخه، حتى لا تَمرّ المعاني سراعا، فلا تأخذ الوقت الكافي لتنبيه السامع الذي يتأثر بها فيغير قناعاته وسلوكياته. وقد وُظِف الإطناب في أغلب التراكيب النظمية لإثارة المتلقي وجذب انتباهه، وتوجيهه نحو النتيجة المبتغاة.

ومن الملاحظ من استقراء خطب الكوكبة أن الخطيب السديس قد أقل من توظيف الإيجاز، ووظف الإطناب، حتى نستطيع أن نقول إنه غدا خاصية أسلوبية مميزة لتلك الخطب، وقد مزج بها أساليب عديدة لعل أظهرها وأكثرها هيمنة هو أسلوب الاستفهام، إن اعتماد السديس على أسلوب الاستفهام والإطناب بعدِّه"الوسيلة الأكثر استخداما في أية مواجهة إقناعية، تجري بين طرفين، وأداة المطارحة الكفيلة بمساءلة اعتقادات الآخر واستجواب قناعته."(٢)

(١) خطاب الحجاج والتداولية: دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، ص٣٠٥.

(٢) بلاغة الإقناع في المناظرة، عبداللطيف عادل، ص٢٠٧ .

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

❖ ٤. التوكيد موجهًا إقناعيا:

يعد التوكيد من الأساليب الحجاجية اللغوية التي يستعملها المتكلم في إقناع السامع. والتوكيد"معنى مُستفاد من صيغ وأساليب لغوية معينة معروفة في العربية، وغرض تواصلي يستخدمه المتكلم لتثبيت الشيء في نفس المخاطب."(١) وللتوكيد مع خصوصية دلالة في التركيب اللغوي عامة؛ فإن له أغراض تداولية كثيرة منها: إعلام المتكلم المخاطب بأنه يقول كلامه جازما وقاصدا، حتى يطرد كل شك أو ظن،"ويكمن الغرض من التوكيد في ثلاثة أمور:

أحدها: أن يمنع المتكلم غفلة السامع عنه.

ثانيها: أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط. فإذا قصد المتكلم هذين الأمرين فلابد أن يكرر اللفظ الذي ظن غفلة السامع عنه، أو ظن السامع به الغلط فيه.

الثالث: أن يدفع عن نفسه ظن السامع به تجوزا."(٢)

إن التوكيد بأن مع اللام، وبالقصر لهما وظيفتها الحجاجية من جهة الاقتضاء الذي يُكسبه التوكيد للجملة، فهو يؤكد المنطوق توكيدًا مضاعفًا، فيؤخر لحظة اعتراض السامع على القضية التي يطرحها هذا المنطوق، فالقضية بعد توكيدها تحولت إلى مقتضى يصعب استئنافها أو التعقيب عليها أو الاعتراض عليها.(٣)

أ. التوكيد بالقسم:

يأتي القسم من أبرز أشكال التأكيد، الرامية إلى هدم معتقد المتلقي هدما لا رجعة

---

(١) التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربي اللساني، مسعود صحرواي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢) شرح الرضي في النحو لابن الحاجب، تحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي ويحيى بشير مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧ هـ، جزء ٢، ص١٠٤٩.

(٣) يُنظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه، عبد الله صولة، ص٣٠٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

فيه؛ وذلك لما يتميز به التأكيد بالقسم الداخل على جمل مؤكدة بأنَّ من طول وإطناب وعلو في درجة الإثبات، ودحض ما يعاكس فكرة المتكلم.(١) فالمتكلم بالقسم "إذ يُثبت القضية ويوجهها ويقيم في الوقت -نفسه- الحجة على المخاطب ويلزمه بها."(٢) فلا يبقى للمخاطب إلا التسليم بالقضية المطروحة. ويلاحظ كذلك أن "المقسم به وإن كان من الناحية النحوية زائدًا أو كالزائد لتمام المعنى بدونه، فإنه ليس كذلك من الناحية الحجاجية لكونه ضروريًّا جدًّا لإنتاج الإقناع أو لاحتمال حصول على الأقل."(٣)

إن تأكيد الملفوظ بالقسم يهدف إلى تقرير الكلام وتمكينه وتثبيته، وهو أقوى من التأكيد بـ(أن)؛ لأنه يكتسب قوته من حمولته التداولية التي تُزيل كل شك المستمع وتؤسس لثقته في الكلام الموجه إليه، بالإضافة إلى الصيغة اللغوية؛ لأن القسم لا يكون إلا بما هو مُعَظَّم تداوليًّا. فهو استعانة "الحالف بقوة أعظم من قوته،تدفع بالمخاطب إلى تصديق الكلام، فقبل القسم كان أمر الحالف إلى نفسه إن صدق أو كذب، أما بعد أن حلف فقد صار الأمر إلى الله، إن حلف صادقًا غنم، وإن حلف كاذبًا غرم، ومن هنا يثق المخاطب في الكلام المحلوف عليه."(٤)

ومن أمثلته في كوكبة الخطب: **"والله يا -إخوة الإسلام -إنَّ للجهاد في سبيل الله أثرا في رفع هامة الأمة الإسلامية، واستعلائها على ألوان الكبر على الحق والبطر على الخلق ؛ كما أنَّ فيه إعلاء لكلمة الله - عز وجل - ودحرا للظلم والباطل."**(٥)

جاء الخبر في هذا المثال من الضرب الإنكاري؛ لدفع الإنكار وإحلال اليقين

(١) يُنظر: السابق، ص٢٢٦.

(٢) السابق، ص٣٢٠.

(٣) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه، عبد الله صولة، ص٣٢٢.

(٤) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص١٤٥.

(٥) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٩٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

القاطع بـأن الجهاد في سبيل الله يرفع الأمة الإسلامية وفيه إعلاء لكلمـة الله.فهـذا الخبـر المؤكد يُذهب كل شك في الجهاد في سبيل الله ؛لأنه قد يشك شاك في أمر الجهاد،خاصـة أن هناك من يشكك فيه ويـراه تطرفـًا أو إرهابـًا. والشـيخ لا يقصـد إلـى ذلـك الهـدم أو الخراب والدمار،بل يقصد دفع الظلم والباطل والعدوان.أنه جهاد القلم واللسـان، وجهـاد السيف والسنان لنصرة دين الحق لا اعتداء ولا ظلم، ونجـد أن التوكيـد جـاء بـأكثر مـن أداة، فالقسم و"إنَّ" المكررة لتميكن الفكرة في أذهان السامعين.

ويمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة: إن للجهاد أثرا في رفع هامة الـدين الإسـلامي وعلوهـا، كمـا أنـه السـبيل لإعلاء كلمة الله تعالى.

النتيجة: إن الجهاد في سبيل الله ماض إلى يوم القيامـة، ويجـب أن يكـون المسـلم مجاهدا في سبيل الله.

ومن أمثلة القسم قوله: **"أمة الإسلام إنه لما طـال بالنـاس الأمـد، وقسـت قلـوبهم وأسـاؤوا فهـم شـعائر الإسـلام، أصـبحت تـرى مـن يُـخِلُّ بـبعض الشـروط والأركـان والواجبات، فلم تعمل الصلاة عملها في قلوب الناس، ولم تؤثر في حياتهم،فهنـاك مـن يؤديهـا، ولكـن لا تنهـاه عـن الفحشـاء والمنكر...هـل أولئـك قـد أقـاموا الصـلاة وأدوا حقها؟ والله لو فعلوا ذلك لانتـهوا عن كل محرم، وأقلـعوا عن كل ما يُخـالف شرع الله، ولكنه إضاعة جوهر الصلاة."**(١)

يؤكد أن روح الصلاة وجوهرهـا هـو الخشـوع، فـإذا ذهـب الخشـوع منهـا ذهـب عملها وهو نهيها عن الفحشاء والمنكر. لقد أدت جملة القسم وظيفة تأكيدية تنبيهية لأمـر غفل عنه كثير من الناس، لذلك أنزل المخاطب - هنا - منزلة الشاك الجاحد، لاعتبارات ضمنية في ذهن المخاطب، فقد يقول المخاطب في نفسه: إنه يؤدي الصلاة، ويؤديها في

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص١٩٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أوقاتها، لكنه غفل عن أمر مهم وهو الخشوع فيها، ليأتي القسم هادما ذلك بأن الصلاة لو فُعلت بكل شروطها وأركانها وواجباتها لانتهى كل مصلٍ عن المحرمات.

وتبيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة: إن الصلاة إذا أديت بكامل شروطها وأركانها وبخشوع تام تنهى عن الفحشاء والمنكر.

النتيجة: وجوب أداء الصلاة كما أداها النبي، صلى الله عليه وسلم.

ومن الأمثلة -أيضا- مخاطبًا مجاهدي أرض فلسطين:

"أيها الإخوة المرابطون على أرض فلسطين المجاهدة الصامدة، أرض العز والشموخ والفداء، والتضحية والجهاد والإباء، لكم نخاطبكم من المكان الذي يمثل حلقة الوصل، **فوالذي لا إله غيره إنه ليرمضنا، ويُقِضُّ مضاجعنا أن أقصانا أسير بأيدي البُغاة الطُّغاة**."(١)

ورد الخبر في هذه الفقرة إنكاريا ؛ لأنه موجه إلى المجاهدين المرابطين في بلاد فلسطين، لما يعانون خاصة - وحدهم- مواجهة هؤلاء الطغاة اليهود.وهم -وحدهم-من يصطلي بنارهم، فجاءهم الخبر على قدر إنكارهم له.ونلاحظ في هذه الفقرة امتزاج الحجة "الإيتوسية" بالقسم المؤكِد، إذ يتمثل الخطيب بسمة أخلاقية، وهي: الإنسانية والتضامن الإسلامي للمجاهدين في فلسطين. فالخطيب يشاطر أولئك المجاهدين همهم، ويحترق كما يحترقون، ويُقض مضجعه أمر الأقصى الأسير بأيدي الطغاة والبغاة، أراد الخطيب في هذه الحجة أن يكشف لمخاطبيه البعد الإنساني في شخصيته، فقد جمع حديثه بـ(نا) الدالة على الفاعلين مما يعني أنه داخل في هذه المشاعر والعواطف، فالصورة الذاتية التي رسمها الخطيب لنفسه يستنتجها المتلقي من علامات الخطاب المختلفة، وهذا ما نراه في هذه الفقرة من الخطبة حيث شكل الإيتوس تشكيلاً لغويًّا

(١) السابق، ص٥٣٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

خطابيًّا.[١]

ولما كان الخطاب الحجاجي يروم التأثير، فإن صورة الذات شكلاً مهمًّا من أشكال الإقناع والتأثير... والخطاب يعتمد في معظم قوته الإقناعية من أخلاق الخطيب؛ لذلك تغدو مصداقية المتكلم الوسيلة الأكبر للتأثير الذي يُحدثه في خطابه.[٢] و هذه السمات الشخصية كُشفت لنا - هنا - بطريقة ضمنية عن طريق التلفظ، إذ نجده في ذات الفقرة يقول: **"فما نذكر الأقصى إلا وتعتصر قلوبنا حسرة وأسى؛ على ما جرى له ويجري من هؤلاء الأقزام الأنذال، فقضيتكم قضيتنا، وهزة انتفاضتكم هزة قلوبنا، ومصابكم مصابنا."**[٣]

إن الشيخ يدخل ذاته في عمق قضية فلسطين، فيجعل ما أصابهم واقع به، واختياره للفظ (تعتصر قلوبنا) و(هزة قلوبنا) أقوى دليل على الحجة الإيتوسية، فالمتكلم يعيش في الفضاء الاجتماعي، وتتكون له تمثلات وصور نمطية يتفاعل معها الخطيب فلا يستطيع الانفكاك عنها."[٤]

لقد استطاع السديس أن يُوصل إلينا تعاطفه الإنساني مع المجاهدين عن طريق لغته"بوساطة الطريقة التي يمارس بها نشاطه الخطابي،... بإيقاع الكلام والتنغيم الدافئ والصارم، واختيار الألفاظ والحجج. فالإتوس مرتبط بالمتكلم بعدِّه مصدر التلفظ."[٥]

لقد ولّدت الحجة الإتوسية في هذا المقام طاقة حجاجية كبيرة من دلالات خاصة وردت في سياق الخطبة، ما كانت لتأتي لولا إظهار المتكلم لذاته، واعتماد الخطيب

(١) يُنظر: في بلاغة الحجاج، محمد مشبال، ص١٨٦.

(٢) يُنظر: السابق، ص١٧٧.

(٣) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٥٣٧.

(٤) في بلاغة الحجاج، محمد مشبال، ص١٨١.

(٥) في بلاغة الحجاج، محمد مشبال، ص١٧٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

على (نـا) الفاعلين الدالـة علـى المـتكلم والمخاطـب فيـه حضـور لفئـة مـن المتلقين هـم المجاهدون، واستحضـارهم فيـه دلالـة علـى مشـاركتهم للظـروف التـي يعيشـها هـؤلاء المجاهدون، واختياره للفظ "القلب" وفعل كل من الاعتصار والهزة، كلهـا تؤكـد فداحـة ما يعانيه هؤلاء المسلمون من قبل فئة ظالمة وقاسية أفعالها مـردودة. إن هـذا الحضـور يقرب الجمهور من المرسل ويزيل الكثير من الحواجز بينهما.

ويمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة:إن المسلمين جميعهم يتعبهم وجود الأقسى بأيدي اليهود الطغاة.

النتيجة: دعوة هؤلاء المجاهدين إلى التمسك بالصبر والاحتساب، والمضـي فـي الانتفاضة قدما، والجهاد في سبيل الله.

ومن شواهد القسم في كوكبة الخطب قوله متحدثا عن صفة الغضب:

"كما أبرز هذا الواقع الحياتي الملتهب، خُلة رزية، وعُرَّة سبُعيَّة، لكنهـا ـ وأيـم الحـق– ظـاهرة عالميـة، خُلَّـة هـي زنـاد للـدمار، ومصـدر للبـوار، آثارهـا جـدُّ أليمـة، وعواقبها رباه كم هي وخيمة...إنها ويا للعجب خِصلة الغضـب، قسـيم اللهـب الـمُورد بصاحبه موارد العطب."(١)

فيؤكد الشيخ في هذا الخطبة انتشـار صـفة ذميمـة، مقسـما باسـم الحـق لله تعـالى؛ ليؤكد أن هذه حقيقة لا شك فيها. وقد خص سياق الجملة بذكر "اسـم الحـق"-دون غيـره من أسمائه الحسنى- دعما لحقيقة انتشار الغضب وعالميته فلا يتنصـل منـه امـرؤ. وقـد نـزل المخاطـب - هنـا - منزلـة المنكـر، لأنـه موضـوع نـزاع واخـتلاف، إذ قـد يظـن المخاطب أن الغضب موجود لكنه لـيس منتشـرا، لـذلك جـاء القسـم - هنـا - ليؤكـد هـذه الحقيقة. وافتراض الانكـار يفـرض زيـادة المؤكـدات، التـي تزيـد بتوظيفهـا فـي الطاقـة

(١) كوكبـة الخطـب المنيفـة مـن منبـر الكعبـة الشـريفة، الشـيخ: عبـد الـرحمن السـديس، السـفر الثالـث، ص٢٦٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجاجية للقول. وانتشار هذه الصفة الذميمة لا يعني أنها حميدة، بل هي خصلة أفرزها الواقع المعاصر. فلذلك على الإنسان الصبر والتحمل في عصر كثرت فيه وسائل الراحة والرفاهية.

ويمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو اللآتي:

الحجة:انتشار صفة الغضب، الذي سبب كثير من الخصومات والمشكلات الاجتماعية.

النتيجة: التحذير من الوقوع في هذه الصفة الذميمة، وكظم الغيظ عند حدوث أمر ما، والتحلي بصفة الحلم والأناة.

ب. التوكيد بـ"أنّ" و"اللام":

إن التوكيد بأن المشددة من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها[١] و"اللام" تحقيقا لذلك، والمتكلم يستعملها ليؤكد حججه التي يضمنها أحكام مخالفة لما يعتقده المتلقي.

ومن الشواهد على ذلك قول الشيخ:

"و إنَّ ظاهرة الغلو في التكفير والاعتساف، لهي من أخطر ما بُليت به الأمة فحولها إلى إسراف في أطراف."[٢]

فالسديس يسعى من هذا التأكيد إلى إقناع المتلقي بأن ظاهرة التكفير ظاهرة خطيرة على المجتمع الإسلامي، وأنها غلو في الدين، فليس للإنسان مهما يكن أن يعطي نفسه الحق في التكفير وإصدار الأحكام على الناس. فالتوكيد -هنا- يزيل الشك والتردد عند المتلقي، خاصة ذلك المتلقي الذي يظن أن كل من ارتكب إثما أو حراما أصبح في عداد هؤلاء الكافرين.

---

(١) يُنظر: المثل السائر، لابن الأثير، ج٢، ص٢٣٤.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٤٦٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

الحجة: إن التكفير لهو أعظم ابتلاء تعاني منه الأمة الإسلامية، وهو إسراف وتطرف.

النتيجة: البعد عن التكفير، وتحذير المسلمين من الوقوع فيه.

ومن الأمثلة على التوكيد قوله:

"يا أمة محمد ﷺ إن لكم في الحوادث لعبرا، وفي الواقع مزدجرا ومدَّكرا،لابد من اللَّجأ إلى الله، والفزع إليه، فلا يكشف السوء إلا هو سبحانه"(١)

إن حرف التوكيد (إنَّ) يُكسب الجملة التي بعده حُكما بالإثبات والتوكيد. فأدرج الحجة (في الحوادث عبرة) مع توكيدها بمؤكدين (إنَّ واللام) و(في الواقع مزدجرا ومدكرا) حيث تدعم النتيجة النهائية، التي صرح بها، والمتمثلة في دعوته إلى اللجوء والفزع إلى الله -تعالى- ثم دعم هذه النتيجة بأسلوب القصر: **فلا يكشف السوء إلا هو سبحانه**. مؤكدة النتيجة السابقة وهو وجوب اللجوء إلى الله تعالى.فـ(إنَّ) لها وظيفية حجاجية استخدمها الشيخ مؤكدا بها **نتيجة**: أن الملجأ إلى الله فلا يكشف السوء إلا هو، مما يجعل الحجة أكثر يقينية، وأكثر إقناعا، ليعمل على اللجوء إلى الله والفزع إليه.ويمكن بيان الحجة وفق الآتي:

الحجة: إن الواقع ملئ بالأحداث والوقائع التي تدعو الإنسان للعظة والاعتبار، والتاريخ شاهد على تلك الوقائع، وإن قضاء الله نافذ ومقدر لا مفر منه.

النتيجة: اللجوء إلى الله والفزع إليه؛ لأنه لا يكشف السوء إلا هو.

ومن الأمثلة على التوكيد بـ"أنّ" و"اللام" قوله:

"إنَّ دين الإسلام الذي هدانا الله إليه، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لهو المنة الكبرى والنعمة العظمى، هو دين الخير والعدل والرحمة والمحبة...مما يتطلب

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٥١٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الجد في مجال العمل للإسلام، والنهوض بمستوى الدعوة إلى الله تعالى."[1]

يؤكد الشيخ السديس في خطابه- هنا - أن أعظم نعمة أنعم الله ﷻ بها على أمة الإسلام هي نعمة الاهتداء إلى الدين القويم، التي قد يرى بعضـًا من المسلمين أن هذا الدين قد يمنع بعض صور الحضارة الوهمية أو يكون عقبة أمام تقدم زائف، تلك الحضارة التي يجملها الغرب، لذلك عندما أرد دحض هذا الافتراء وتقديم حجته على ذلك أكد هذه الحجة بمؤكدين، ثم أكد أن الإسلام هداية من الله ﷻ وحده، ليصل إلى نتيجة صرح بها وهي النهوض بواجب الدعوة الصحيحة للإسلام، والتحذير من فرقة المسلمين، وأن الإسلام دين حضارة لا ينافي العلم ولا ينافي استغلال الفرص للأعمال والازدهار لكل ماهو خير وصلاح للإنسان.

فالحجة: عظم نعمة الإسلام الذي هو دين الخير والصلاة.

النتيجة: الجد في مجال العمل للإسلام، والنهوض بمستوى الدعوة إلى الله تعالى، واستغلال مصادر الرزق في بلاد المسلمين.

ج. التوكيد بـ"إنَّ":

تفيد (إنَّ) تأكيد النسبة بين اسمها وخبرها، وهو تأكيد يسعى إلى إزالة الشك في ذهن المتلقي، وإنهاء حالة التردد لديه فيما يوجه إليه من كلام، ونجد كوكبة الخطب المنيفة قد حفلت بمثل هذا التوكيد في مختلف الموضوعات من الأمثلة قوله: **"إنَّ المُصلي حقا هو الذي يقيم الصلاة كاملة الفرائض والأركان،** مستوفية الشروط والواجبات والآداب؛ يستغرق فيها القلب، ويتفاعل خلالها الوجدان، ويحافظ عليها محافظة تامة قدر الطاقة، يبعثه على ذلك قلب يقظ، وشعور صادق، وإحساس مرهف وضمير حي، فينصرف بكليته إلى الصلاة، لأن الخشوع فيها إنما يحصل لمن فرغ قلبه

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٥٠٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها."[1]

فلما كان الشيخ يدعو إلى الخشوع في الصلاة استدعى الرابط الحجاجي (إنَّ) لرسم حججه بطريقة متدرجة، متمثلاً ذلك في الآتي:

الحجة الأولى: (أيها الإخوة المصلُّون. إن المصلي–حقا-هو الذي يقيم الصلاة كاملة الفرائض والأركان). ونلاحظ استخدام لفظة (حقا) ليؤكد على أن الصلاة الحقيقة المُجازى عنها هي الصلاة كاملة الفروض والأركان.

و**الحجة الثانية** متمثلة في: (مستوفية الشروط والواجبات والآداب).

و**الثالثة**: (يستغرق فيها القلب، ويتفاعل عن طريقها الوجدان).

والرابعة: (ويحافظ عليها محافظة تامة قدر الطاقة).

والخامسة: (يبعثه على ذلك قلب يقظ، وشعور صادق، وإحساس مرهف وضمير حي).

والسادسة: (فينصرف بكليته إلى الصلاة).

كل تلك الحجج السابقة تؤكد بحجة أقوى تتمثل في بيان سبب ذلك الخشوع بأسلوب القصر بإنما، وهي قوله: (لأن الخشوع فيها إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها). فالصلاة الحقيقة لا تكون إلا بالخشوع، والخشوع لا يكون إلا لمن أفرغ قلبه للصلاة، واشتغل بها - وحدها- دون غيرها، فإذا حضرت العلاقة السببية تأكدت الوحدة بين الحجتين الدالة على تلك العلاقة، لاسيما إذا حضرت الروابط الدالة على تلك العلاقة. و(لأن) رابط مدرج للنتائج، والأسلوب -هنا- أدعى إلى الإقناع وإلى استمالة المتلقي. ويمكن إيضاح الحجج على النحو الآتي:

المقدمة: أيها الإخوة المصلُّون.

الحجة الأولى: ←—— المصلي -حقا- هو الذي يقيم الصلاة كاملة الفرائض

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١٩٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والأركان.

الحجة الثانية: ⟵ مستوفية الشروط والواجبات والآداب.

الحجة الثالثة: ⟵ يستغرق فيها القلب، ويتفاعل عن طريقها الوجدان.

الحجة الرابعة: ⟵ ويحافظ عليها محافظة تامة قدر الطاقة.

الحجة الخامسة: ⟵ يبعثه على المحافظة عليها قلب وشعور وإحساس

الحجة السادسة: ⟵ فينصرف بكليته إلى الصلاة.

النتيجة: ⟵ لأن الخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها.

ومن الأمثلة على (إنَّ) الحجاجية: **"معاشر المسلمين: إن الإسلام هو الدين الخالد على مر القرون، هو عنصر الحياة ونماؤها، كتب الله بقاءه، وضمن حفظه، وجعله صالحًا لكل الأعصار والأمصار، إنه دين الحق والعدل والسلام، ودين المحبة والسماحة والوئام، إنه دين المحاسن والمكارم والفضائل، يبني كيان الأمة ولا يهدم، ويجمع أبناءها ولا يفرق، يسعى إلى التشييد والإعمار، لا إلى الخراب والفساد والدمار،جاء بقطع دابر الجريمة، واجتثاث أسباب الشر والفساد، واستئصال شأفة العنف والإرهاب."**[1]

في هذه الفقرة من الخطبة عبارة عن حجج مترابطة ترابطا متدرجا بواسطة الرابط (إنّ)

الذي يُكسب الجملة بعده حكما بالإثبات والتوكيد. فأدرج الشيخ الحجة الأولى: (إن الإسلام هو الدين الخالد على مر القرون، هو عنصر الحياة ونماؤها، كتب الله بقاءه، وضمن حفظه، وجعله صالحًا لكل الأعصار والأمصار). فعلى الرغم من أن المسلمين -كلهم- يعلمون ذلك، فإن دين الله خالد، وهذه حقيقة يقينية لا يُشك فيها، جعلها

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٥١١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مقدمة لما قد يُشك فيه، حيث أدرج الحجة الثانية ثم كرر الرابط (إنّ): (إنه دين الحق والعدل والسلام، ودين المحبة والسماحة والوئام.)

هذه الحجة تدعم النتيجة التي يريد:(**إنه دين المحاسن والمكارم والفضائل**، يبني كيان الأمة ولا يهدم، ويجمع أبناءها ولا فرق، يسعى إلى التشييد والإعمار، لا إلى الخراب والفساد والدمار، جاء بقطع دابر الجريمة، واجتثاث أسباب الشر والفساد، واستئصال شأفة العنف والإرهاب.)

فلما اتهم الدين الإسلامي بالإرهاب، وعندما ألصق به أعداؤه تهمة التخريب والدمار كان لزاما على كل مسلم نفي تلك التهمة عنه. وكان منبر خطب المسجد الحرام أولى تلك الجهات المُنكرة لتلك التهمة، لذلك فهو يمضي في هذه الخطبة إلى تفنيد هذه التهمة وإثبات أن الإسلام دين عمارة لا هدم ولا تخريب، دين يدعو إلى السلام والإصلاح لا يدعو إلى الحرب والدمار.

الحجة الأولى: ⟵ إن الإسلام هو الدين الخالد على مر القرون، هو عنصر الحياة ونماؤها، كتب الله بقاءه.

الحجة الثانية: ⟵ إنه دين الحق والعدل والسلام، ودين المحبة والسماحة والوئام.

الحجة الثالثة: ⟵ إنه دين المحاسن والمكارم والفضائل، ثم أدرج بعد هذه الحجة عددا من الحجج تؤيدها وتدعمها. ونلاحظ أنها جاءت بأسلوب خبري، كل واحدة منها تدعم الأخرى ليؤكد النتيجة.

ويمكن بيان تلك النتيجة على النحو الآتي:

الحجة الرابعة: ⟵ يبني كيان الأمة ولا يهدم، ويجمع أبناءها ولا يفرق، يسعى إلى التشييد والإعمار، لا إلى الخراب والفساد والدمار...

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

النـتيجـة: ـــــــ← الإسلام دين تسامح ومحبة، لا دين إرهاب.

ومن أمثلة التوكيد بـ"إنَّ" قوله: "**إنَّ الأسرة أساس المجتمع، واللبنة الأولـى فـي بناء كيان الأمة،** والنواة الكبرى في تشييد حضارتها، بنجاحها تُقاس سعادة المجتمع، وبفشلها وسيرها في مزالق الضياع وهاوي الردى."(١)

في هذا النص عرض لعدد من الحجج، التي قدمها الشيخ للمستمعين مؤكدة بإن، فالأسرة أساس المجتمع والخبر جاء -هنا- طلبيا الذي يفيد رفع الشك، ودفع التردد، وعلى هذا يكون المعنى: لاشك في كون الأسرة أساس المجتمع، ولا شك في كونها اللبنة الأولى في بناء الأمة.

فـ(إنَّ) في المثال حجاجية استخدمها المخاطِب مؤكدة للمقدمة التي بدأ بها، وجعلها أكثر يقينية، مما جعلها أكثر إقناعا في ذهن المتلقي، ثم عضد تلك المقدمة بأن الأسرة اللبنة الأولى والأساس في تحقيق سعادة المجتمع، ثم دعم ذلك بأن نجاح الأسرة ينجح المجتمع بأكمله، وفي فشلها يقع المجتمع بأكمله في مهاوي الردى.كل هذه حجج داعمة للأولى. ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

الحجة الأولى: إنَّ الأسرة أساس المجتمع، واللبنة الأولى في بناء كيان الأمة، والنواة الكبرى في تشييد حضارتها.

الحجة الثانية: بنجاحها تُقاس سعادة المجتمع، وبفشلها وسيرها في مزالق الضياع ومهاوي الردى.

النتيجة:بناء الأسرة المسلمة وحفظ جوها الصافي، والبعد عن عوامل الشقاق والشحناء.

ومن استقراء خطب الكوكبة المُنيفة نلاحظ كثرة ورود التوكيد بـ (إنّ) وجاء هذا التوكيد من قبيل التذكير والتوجيه للمخاطب، وهو من الأساليب اللغوية التي يستعملها

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٢٨٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الخطيب في إقناع السامع واستمالته.

د. التوكيد بالقصر:

يُعد القصر آلية حجاجية تظهر كثيرا في خطب الكوكبة المُنيفة. يكتسب القصر أهميته في تنوعه، فبه يتنوع الحجاج بتنوع المقصود وحصره على كيان دون آخر. وتكمن وظيفته الحجاجية في التأكيد، وفي"تمكين الكلام وتقريره في الذهن؛ لدفع ما فيه إنكار أو شك."(١) و يقوم القصر - أساسًا- على تحديد موقف السامع مما يتلقاه، وتغيير ما يعتقده إذا كان مخالفًا للحكم. وهو - بهذا الحكم- يشترك مع مجالات اللسانيات التداولية،التي تتناول ما يرتبط بالسامع في دراستها للغة.(٢) و فيما يلي نتناول أهم صور القصر الحجاجية ودلالتها وأكثرها استخداما في الخطب:

١.د. إنَّمـــا:

يستخدم الخطيب القصر بواسطة (إنما) ليحقق غرض الإقناع وتأكيد المعنى فـ"إنما تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه"(٣). ويرى عبدالقاهر الجرجاني أن (إنما) تجيء لخبر لا يجهله المخاطَب ولا يدفع صحته أو لما ينـزَّل هذه المنزلة. تفسير ذلك أنك تقول للرجل: إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويُقرُّ به، إلاّ أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب."(٤)

ومن أمثلة القصر بإنما في خطب الكوكبة جاء قول السديس: "**إنَّ الرفعة**

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ج٢، ص٢٢١.

(٢) يُنظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، منشورات الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص١٨٧.

(٣) إستراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري، ص٥٢٠.

(٤) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص٣٣٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والقيادة، والكرامة والريادة، والعزة والسيادة، في هذه الدنيا وفي الآخرة إنما هي لحملة كتاب الله العاملين به."(١)

فلما أراد الخطيب بيان أثر القرآن الكريم ووظيفته في تغيير حياة الإنسان في الدنيا والآخره قصر الرفعة والقيادة والعزة والسيادة على حفاظ كتاب الله، والعاملين بما جاء فيه من أحكام. وذلك بالعامل الحجاجي (إنما) الذي يقوم بوظيفة حجاجية، تتمثل في إثبات الرفعة والعزة لصاحب القرآن قولا وعملا. وقد ساعد على تأكيد المعنى وتثبيته هو الإتيان بحرف(إنَّ)، حيث أنزل المخاطبين منزلة المنكرين للخبر.

إن التوكيد بالقصر يتعمده المتكلم ليجعل المخاطب يسير في الاتجاه الذي يرسمه للمتلقي، حيث ركز المتلقي انتباهه في ماذا تكون العزة والرفعة، وطول العبارة يؤدي به إلى التشوق لمعرفة المستثنى الذي جاء في ختام الجملة، كما في قوله: (هي لحملة كتاب الله العاملين به).

ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

الحجة: الرفعة والقيادة، والكرامة والريادة لحملة كتاب الله.

النتيجة:اتخاذ القرآن الكريم منهاجا للحياة، والعمل بما فيه، والعمل على تعليمه للناشئة.

ومن أمثلة القصر بإنما قول الشيخ السديس:

"أيها المسلمون: سر بقاء الأمم، وسبب فخار الشعوب، وأساس بناء الأمجاد، وإشادة الحضارات، إنما يرتكز على قواعد المبادئ والثوابت، ويكمن في ظِلال المُثل وضفاف القيم."(٢)

هذا التركيب اللغوي يقدمه الخطيب في صورة مشوقة للمخاطب ليؤكد أمرا

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٤٥.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٦١٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مهما، وهو الاهتمام بالثوابت والمبادئ. ونلاحظ- هنا -ابتداء عبارته بقوله (**سِرّ**) ليزيد في تنبيه المخاطب، حيث جعل الثوابت والقيم سر بقاء الأمم وبناء الأمجاد، ليخدم نتيجته الضمنية وهي: (المحافظة على القيم الإسلامية والمثل الدينية التي جاء بها النبي محمد ﷺ).

والعامل الحجاجي (إنما) يقوي من الفعل (يرتكز) حيث لو ألقي الخبر بدونها - فلو قال -على وجه التمثيل- يرتكز بقاء الأمم وفخار الشعوب على قواعد المبادئ والثوابت- لكانت أقل حجاجية، ولكانت أقل في الإقناع والحث على الحفاظ على تلك القيم والمبادئ، فغاية ما أحدثه العامل الحجاجي هو شحن المضمون الخبري وتقويته؛ ليؤدي وظيفته الإقناعية المرجوة.

ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

المقدمة: سر بقاء الأمم، وسبب فخار الشعوب، وأساس بناء الأمجاد، وإشادة الحضارات.

الحجة: يرتكز على قواعد المبادئ والثوابت، ويكمن في ظِلال الـمُثل وضفاف القيم.

النتيجة: المحافظة على القيم والمبادئ الإسلامية، فهي مصدر حضارة الأمة الإسلامية، وسر بقائها.

٢.د. التوكيد بالنفي والاستثناء:

وتكمن وظيفة النفي في الرد على "الرأي المعاكس الذي صاغه المستقبل صياغة إثباتية."[١] و"النفي عامل حجاجي يحقق به البَّاث وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في

(١) العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م ص٥٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

إذعان المستقبل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة."[١] أما الاستثناء فهو" إخراج ما بعد (إلا) أو إحدى أخواتها من أدوات الاستثناء، من حكم ما قبله."[٢]

واستخدام أداة النفي مع الاستثناء بوصفهما عاملين حجاجيين يكون بقصر أحد الطرفين على الآخر. فيكون القصر مؤسس على تقديم التدعيم والنتيجة: "حيث يمثل القصر في اللغة العربية صورة من صور التراكيب التي تأتي للإثبات، ويزيد القصر على قيمة الإثبات بالتخصيص."[٣] أي أنه يخصص صفة معينة بموصوف معين.

وتُعد الأداتان (لا وإلاّ) من "التراكيب التي تترتب فيها الحجج وفق الدرجة الحجاجية لكل منهما،... وتكون عاملا يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض، وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه"[٤] فالقصر باستخدام أداة النفي والاستثناء، يُشكل وجهة الحجاج بنفي النتائج التي تُذكر أولا، ويكون الكلام بعد (إلاَّ) على شكل حجج لمزيد تقرير وتوكيد.[٥]

ومن أمثلة ذلك قول الشيخ السديس: **"يا أمة محمد ﷺ، يا خير أمة أُخرجت للناس، إنه لا سبيل إلى مواجهة التحديات، والوقوف أمام المؤامرات، إلاَّ بالتمسك بالثوابت واليقينيات، والمبادئ والمقومات، التي يترتب عليها عز هذه الأمة...وجامع هذه الثوابت هو القيام بهذه الشعيرة العظيمة."**[٦]

ففي هذا المنجز اللغوي قدم لنا الشيخ فكرته المتمثلة في)أن التمسك بالثوابت

---

(١) السابق، ص٤٧.

(٢) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجة، المكتبة العصرية، بيروت، ج٣، ص١٢٧.

(٣) إستراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري، ص٥١٩-١٢٠.

(٤) السابق، ص٥٢٠.

(٥) يُنظر: خطاب الحجاج والتداولية: دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، ص٢٢٤.

(٦) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٠٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

واليقينيات والمبادئ الإسلامية ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقي الأمة من التحديات والمؤامرات التي تُحاك ضد الإسلام والمسلمين) لينتزع منها حجته، ويدعم النتيجة النهائية: (عز الإسلام يترتب على إقامة الحسبة).

ونلاحظ أن الشيخ بدأ بمقدمة ندائية متمثلة بامتداح أمة النبي محمد ﷺ بأنها خير أمة أُخرجت للناس، وما كانت كذلك إلا لأنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. فالمقدمة جاءت متناسبة مع الحجة المطروحة على السامع. ووجود النفي والاستثناء- بوصفهما عاملين حجاجيين- ساق إلى نتيجة حتمية، فما بعد (لا) هو المنفي وهو: سبيل مواجهة التحديات والوقوف أمام المؤامرات، وما بعد (إلا) هو الإثبات والحجة، وتتمثل في: بالتمسك بالثوابت واليقينيات، والمبادئ والمقومات). ومعنى ذلك أن الشيخ قصر مواجهة التحديات والوقوف في وجه المؤامرات على التمسك بالثوابت الشرعية والمبادئ الدينية، ومنها أمر الحسبة، ليصل إلى نتيجة مفادها: أن ذلك-كله-يترتب عليه عزة أمة محمد (ﷺ).

ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

المقدمة: يا أمة محمد ﷺ.يا خير أمة أخرجت للناس.

الحجة: لا سبيل لمواجهة التحديات إلا بالتمسك بالثوابت الدينية واليقينيات العقدية، والمبادئ والمقومات.

النتيجة: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتمسك بالمبادئ الدينية وأولها الحسبة.

وكذلك قول الشيخ السديس في القصد نفسه:

"ولن يُخرج الأمة - من وهدتها وينقذها من جديد صراعاتها - إلا عودتها الجادة لتصحيح مفاهيمها في أنفسها أولا، ثم عند غيرها ثانيا، مستثمرة وسائل

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

العصر وتقناته في تحقيق ذلك."(١)

فقد عرض الشيخ فكرته المتضمنة معنى: (أن الأمة الإسلامية في صراعات جديدة، وستخرج منها بالعودة إلى تصحيح المفاهيم الإسلامية الصحيحة وأخذها من مصدرها الصحيح، وهو"القرآن والسنة الصحيحة". وتصحيح المفاهيم المغلوطة عند غيرها من الأمم)؛ لتكون حجته ودليله موجه إلى أهمية تصحيح المفاهيم وتأصيلها والعودة بها إلى منابعها الأصلية. ووجود النفي والاستثناء أدى وظيفة حجاجية، حيث حصر قيام الأمة الإسلامية وخروجها مما تعانيه في الحاضر من اتهامها بالباطل بالعودة الجادة إلى تصحيح المفاهيم عند أبنائها، ثم بتصحيحها عند غيرها من الأمم.

ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

المقدمة: خروج الأمة من وهدتها وإنقاذها من الصراعات المحيطة بها.

الحجة: ولن يُخرج الأمة من أزمتها إلا عودتها الجادة لتصحيح مفاهيمها.

النتيجة: التحري الدقيق في فهم الإسلام الصحيح من منابعه الصحيحة لا من وسائل الإعلام ودعاة الحرية، واستغلال وسائل العصر في الدعوة إلى الإسلام الصحيح.

ومن أمثلة القصر بالنفي والاستثناء قوله:

"وما دعوة التوحيد والإصلاح، التي انبثقت من هذه الربا والبطاح، في أرض الحرمين- حرسها الله - حينما تعانق سلطان العلم مع سلطان الحكم، في ملحمة فريدة ومنظومة متآلفة، ونسيج مُتميز، إلا مِنة من الله - سبحانه- لا على أهل الجزيرة فحسب، وإنما على أهل البسيطة عامة، مما أثمر أُكلاً مأتيا، وبساطا أمنيا، وتلاحما قياديا، وجهدا إسلاميا، وعملا إنسانيا.."(٢)

---

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٤٠٦.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، =⇦

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

في هذه الفقرة من الخطبة يؤكد الشيخ أثر دعوة الشيخ: محمد بن عبدالوهاب، ويعرض فكرته بأسلوب النفي والاستثناء، وهذه الفكرة تتمثل في:(دعوة الإصلاح والتوحيد التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب منة أمتن الله بها على المسلمين جميعهم، وليس على أهل الجزيرة). فهذه حجته على صحة هذه الدعوة ونقاء منبعها؛ لأنها أعادت المسلمين إلى أصل العقيدة الصحيحة والتوحيد القويم. ويؤكد أهميتها وسطوع نورها، خاصة عندما لقيت دعما من القيادة والحكام في ذلك الوقت.

وقد جاءت هذه الفقرة في سياق الدفاع عن الإسلام وعن قيمه الثابتة، ودفع تهمة الإرهاب التي ألصقوها به.فيؤكد الشيخ أن دعوة محمد بن عبدالوهاب أيقظت الغافلين، وعادت بهم إلى دينهم الصحيح المستمد من القرآن والسنة، وعادت بهم إلى التوحيد الحق، فهو منة عظيمة أمتن الله بها على المسلمين، ليؤدي إلى نتيجة صرح بها وهي: أن هذه الدعوة أثمرت، فأصبح بين أمة المسلمين تلاحم بين القيادة والشعب، وأصبحت صرحا حضاريا، كما دحرت هذه الدعوة الإرهاب بحزم وقوة.

ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

المقدمة:دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ç وانبثاقها من أرض الحرمين، وتأييد القيادة لها.

الحجة: هذه الدعوة الإصلاحية منة الله على أمة المسلمين جميعا في كل البسيطة، أثمرت التلاحم بين المسلمين، ودحرت الإرهاب بكل أشكاله.

النتيجة: وجوب التمسك بمنهج السلف الصالح، والعودة في أخذ الدين الصحيح من كتاب الله وسنة نبيه محمد (ﷺ).

ومن الأمثلة على حجاجية النفي والاستثناء قوله:

"وأنبل حضارة وأزهاها، عرفها التاريخ البشري، هي حضارتنا الإسلامية، فما

= ص٥٢٤-٥٢٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحضارة الغربية اليوم إلا نتاج اتصالها بحضارتنا الإسلامية في الأندلس وغيرها، بيد أن سبب إفلاسها الروحي، اعتمادها على النظرة المادية الصرفة، في منأى عن الدين والأخلاق، مما كان سببا في شقاء الإنسانية، وما كثرت حوادث الانتحار والاضطرابات النفسية، والانحرافات الخُلُقية، إلا انحدار سحيق، وتردٍّ عميق في هوة فنائية كبرى."(١)

جاء القصر - هنا - ليقرر أن أصل الحضارة ومنبعها هو الدين الإسلامي، ومحاجة للشاك فيمن يشك في ذلك. ونلاحظ استخدامه لفعل التفضيل (أنبل، أزهى) ليؤكد صفة الحضارة النبيلة السامية شكلا ومضمونا لتلك الأمة الإسلامية التي اهتمت بالروح قبل المادة، ثم يؤكد هذه المقدمة بحجة قائمة على نظم القصر والتخصيص لمزيد من التأكيد. حيث نفى أن تكون حضارة الغرب اليوم هي حضارة أصيلة فيها، بل هي حضارة مستمدة من حضارة المسلمين، وخص الأندلس بذكرها لما عُرف عنها من حضارة شاملة لكل مناحي الحياة، لكن حضارة المسلمين حضارة تعمد على الدين والخلق والقيم فيها، بينما حضارة الغرب معتمدة على الناحية المادية لا غير، لذلك كانت حضارتهم سبب لشقاء الإنسانية، وتعاسة لمجتمعها.

ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

المقدمة: أنبل حضارة وأزهاها، عرفها التاريخ البشري،هي حضارتنا الإسلامية.

الحجة الأولى: أن الحضارة الغربية - اليوم- هي نتاج اتصالها بحضارتنا الإسلامية في الأندلس وغيرها.

الحجة الثانية: كثرت حوادث الانتحار والاضطرابات النفسية، والانحرافات الخُلُقية في حضارة الغرب المادية؛ لأنها أهملت القيم والاعتناء الروحي لأفراد

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٦٣٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مجتمعها.

النتيجة: وجوب التمسك بقيم الدين الإسلامي والقيم الخُلُقية الرفيعة، فهي سبب بقاء كل حضارة وازدهارها وسر نمائها.

ومن أمثلة التوكيد بالقصر:

"وإنه ليجب علينا - أمة الإسلام - أن نزداد قوة في التمسك بديننا مع مرور الأعصار، وشعور أنه لامنقذ للبشرية ولامصلح لأحوال الإنسانية إلا العمل بالإسلام، وتطبيق شرعه، وإن أول من يضطلع بهذه المهمة العظيمة هم قادة المسلمين وولاة الأمر فيهم، ومن جعلهم الله ورثة للأنبياء من أهل العلم وقادة الفكر، والمسؤولين عن تربية النشء وتوجيه الأجيال، والقائمين على وضع مناهج التعليم، والمسؤولين عن معاقل التربية ووسائل التعليم."(١)

اجتمع في هذا الشاهد مؤكدان ("إنّ" و"الـلام") ثم (النفي والاستثناء) لسوق حجاجه في بنية تأكيدية إلى المتلقي لتحصل الاستجابة المرجوة منه. فلما تحدث الشيخ عن الإرهاب والتطرف وبين حقيقتهما، طالب المخاطبين بضرورة التمسك بالدين الإسلامي، خاصة مع مرور هذه الأعصار والتهم الباطلة، التي أُلصقت به. كما حصر صلاح أحوال الإنسانية والبشرية في العمل بالإسلام وتطبيق شرعه. فالتمسك بالإسلام عقيدة وتشريعا ينقذ البشر ويصلح أحوالهم. ونلاحظ -هنا - استخدام الشيخ لفظتي (البشرية والإنسانية) بلفظ العموم؛ لأن الخطاب موجه لكافة أفراد المجتمع الإسلامي دون تحديد، ثم جاءت النتيجة التي تحقق تلك العمومية في لفظ خاص على (قادة المسلمين وولاة الأمر فيهم، والعلماء والمفكرين والمعلمين) فإذا طبقوا الشريعة- وهم جزء من كل- ستنطبق على جميع أطياف المجتمع، لأنهم القدوة، ولأن هذا العمل مُنوط بهم. وقد أفاد أسلوب القصر هذه الحجة عن طريق إثبات فضل التمسك بالإسلام على عموم المسلمين بكل فئاتهم.

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٤٣٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ويمكن توضيح الحجة على النحو الآتي:

الحجة: منقذ البشرية ومصلح الأحوال الإنسانية: الإسلام وتطبيق شرعه وأحكامه.

النتيجة: وجوب تطبيق الشريعة واعتقادها الاعتقاد الصحيح، وإن أولى من يقوم بذلك هم ولاة الأمر وقادة الدول والشعوب.

و من أمثلة القصر الحجاجي قوله:

"إنَّ المرحلة الحرجة التي يمر بها العالم اليوم لتتطلب جهودا عملاقة في عرض الإسلام الصحيح، لا منقذ منها إلاّ الاستمساك بحبل الله، فلن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، يجب أن يعرض الإسلام عرضا صحيحا على منهج سلف هذه الأمة، بلا غلو ولا جفاء"(١)

إن البينة الحجاجية القائمة على أسلوب القصر بـ ("لا" و"إلا")جاءت في المثال لتؤكد نتيجة واحدة لا ثاني لها، وهي أن التمسك بحبل الله والالتزام بالدين الصحيح هو ما يُنقذ المسلمين اليوم وفي هذا الوقت الحرج خاصة. فقد رُمي هذا الدين وهذه العقيدة السمحة بالإرهاب. ثم يقيس نتيجة التمسك هذه بما سبق في تاريخ الأمة الإسلامية، وكيف كان أمرها صالحا وشأنها عاليا لتمسكها بالدين القويم، ثم يصرح بالنتيجة التي يُريد الوصول إليها، وهي: أن الإسلام يجب أن يُطبق بلا غلو ولا جفاء؛ لأن هذا الغلو هو الذي سبب رمي هذه العقيدة بتلك التُهم.

ويمكن بيان الحجج على النحو الآتي:

الحجة: منقذ المسلمين في هذه المرحلة الحرجة الاستمساك بحبل الله، وصلاح أمر آخر هذه الأمة هو بما صلُحت به أولها، وهو دين الإسلام.

النتيجة: يجب أن يعرض الإسلام عرضا صحيحا على منهج سلف هذه الأمة،

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٤٤٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

بلا غلو ولا جفاء.

ويظهر جليًّا أن أسلوب القصر ينهض بوظيفة مهمة في توجيه الخطاب نحو وجهته الإقناعية، التي يرمي إليها المتكلم، و"تتحدد حجاجية القصر في دخول النتائج في حيز النفي، وأنها لا تتحقق إلا بعد ذكر الاستثناء بحيث يحمل النتائج محققة وإدخالها في حيز الإثبات بتقديم الحجة والدليل، وهذا مما يوجب الإثبات كله والخروج من النفي، وهذا كله حجاج وتأثير، لا يجعل المتلقي يراجع ما تلقاه بل يمضي به إلى حيز الإقناع والتصديق"(١).

وهكذا نجد الشيخ السديس يستخدم هذا الأسلوب -الذي كان حاضرا- بشكل مكثف، ليسوق قضايا التمسك بالدين الإسلامي، والعودة إلى منابعه الأصيلة، بالاستعانة بأسلوب النفي والاستثناء، إذ نجد له حضورا قويا في مثل هذه القضايا.

❖ ٥. عوامل الشرط وأثرها الحجاجي:

يمثل الشرط بنية حجاجية مبنية على قضية معينة، وما يُمكن أن ينتج عنها. تمثل في أساسها حجة بليغة تفيد النفي الضمني،"والأصل في هذا القانون الحجاجي هو قاعدة تخاطبية مقتضاها أن المتكلم يُخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من الفائدة، فيصير هذا الأخير إلى حمل قوله على إفادة أن العلاقة بين المقدم والتالي علاقة شرط، طردا وعكسا، لاطردا فحسب."(٢)

ومن أمثلة الشرط الحجاجي قول الشيخ:

" لو وقفت الأمة تحت راية القرآن، وتفيأت ظلال دوحة الفرقان، لسمت سماء المجد، وتبوأت مكانة العزة والشرف والقوة، ولو أنها حافظت عليه، وعملت بما فيه، أضاءت لها المسالك، وتفتحت لها المدارك، ولو تدبر المسلمون كتاب الله، ووقفوا

(١) خطاب الحجاج والتداولية - دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، ص٢٢٦.

(٢) اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، ص٣٩٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

عند آياته، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، لحققوا السعادة عاجلاً وآجلاً."(١)

تمثل (لو) الشرطية - التي هي حرف امتناع لامتناع، أي امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط(٢)- عاملا حجاجيا مهما، لما تحمله من تحويل الملفوظ إلى طاقة إنجازية تتمثل في انتفاء الجواب لانتفاء الشرط، والشيخ - هنا - يبرر دعوته للقرآن الكريم مُبديا أسباب انتفاء المجد والرفعة والقوة عن الأمة لعدم وقوفهم تحت راية القرآن. ونجده يعضد هذه الحجة بحجج أخرى ليؤكد نتيجة واحدة وهي: أن سعادة البشر وعز المسلمين يتوقف على اتباعهم كتاب الله تعالى.

ويمكننا بيان الحجج في المثال على النحو الآتي:

الحجة الأولى: انتفاء وقوف الأمة تحت راية القرآن، فانتفى العز والمجد والشرف والقوة عنهم.

الحجة الثانية:انتفاء المحافظة على القرآن وانتفاء العمل به، فأظلمت المسالك، وتغلقت المدارك.

الحجة الثالثة: انتفاء تدبر المسلمين للقرآن، وعدم وقوفهم على آياته، فانتفت السعادة عنهم، وحلت التعاسة في دنياهم.

النتيجة: إن سعادة البشرية وعز الإنسانية وصلاح البلاد والعباد مرهون باتباع كتاب الله عز وجل.

ومن أمثلة عوامل الشرط الحجاجي قول الشيخ:

"وأيم الله يا أمة النور المبين، إن استعصمتم بكتاب ربكم، واتخذتموه منهاجا في الحكم والحياة، ونبراسا منيرا في دروب المعضلات، ومنجاة من الفتن والمُضلات

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٤٩.

(٢) يُنظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠م، ج٤، ص٨٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ورقيبا مهيمنا في الظواهر والخفيات، بلغتم - بإذن الله- مراسي النصر، والعزة، والخيرية في العالمين."(١)

لقد وظف الشيخ حرف الشرط (إن) الذي يشترط وقوع الفعل الأول لوقوع الفعل الثاني. فإذا وجد فعل الشرط حدث الجزاء. وفائدة (إن) الشرطية أن الخطيب يضع احتمالين أمام المخاطبين، الاعتصام بالقرآن أو عدمه، ولهم الاختيار بما يحقق لهم المصلحة التي ساقها في ثنايا حجاجه.

وفي هذا السياق تعاضدت كثير من وسائل التوكيد التي تدعم حجته التي يقيمها للدعوى، فالقسم والنداء الذي اختص بأمة النور المبين، الذي مصدره القرآن الكريم، كلها حجاج تدعم النتيجة التي يريد الوصول إليها، وقد أطال الشيخ في بيان فعل الشرط وأطنب فيه ليشمل الاعتصام بالقرآن جميع مناحي الحياة، كما حقق جذبا لانتباه السامع لمعرفة النتيجة.

و يمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة:أن الاعتصام بالقرآن منجاة من الفتن، ونبراس منير في المعضلات، ورقيب على الإنسان وأفعاله.

النتيجة:وجوب التمسك بالقرآن، والالتزام بما فيه من أحكام.

تدعيم النتيجة: القسم(وأيم الله) النداء (يا امة النور المبين).

ومن عوامل الشرط التي استعملها الخطيب (إذا) يقول:

"إذا أدركت الأمة فقه الاجتهاد، وأتقنت آداب الاختلاف، وأيقنت أن ذلك من الأمور الطبيعية والسنن الكونية، لقوله -تعالى-: (پ پ پ)(٢) **توّجت صوب ذلك بتثبيت الوحدة الأخوية الإيمانية والآصرة الجماعية، ضنًّا بها عن التصدع**

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٢٥.

(٢) سورة هود، آية ١١٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والاندثار."[1]

فالمقام الذي وردت فيه البنية الشرطية هو مقام الحث والتوجيه للإقرار بفقه الاجتهاد، ليقرر أن من نتائج هذا الإقرار والاعتراف يحقق الوحدة الخوية واللحمة الإسلامية بين أفراد المجتمع الإنساني.فإذا ما تحقق فعل الشرط تحقق الجواب. واختيار حرف (إذا) الشرطي جعل الملفوظات تحمل قوة حجاجية في اليقين عن إمكان الوقوع.[2] فإذا آمنت الأمة بوجود (فقه الاجتهاد) وآمنت بوجود (الاختلاف)، وأن ذلك من السنن الكونية والطبيعية فسيتحقق السلام والتلاحم بين المسلمين، ويدعم حجة بالاستدلال من القرآن الكريم، وهي حجة أقوى من سابقتها.

و يمكن بيان الحجاج على النحو الآتي:

الحجة الأولى: أن الاختلاف من الأمور الطبيعية والسنن الكونية.

الحجة الثانية: (پ پ پ).

الحجة الثالثة: أن الإيمان بذلك الاختلاف يحقق الوحدة الأخوية والآصرة الاجتماعية.

النتيجة: وجوب إدارك فقه الاجتهاد، والإيمان بوجود الاختلاف بين الناس وإتقان آدابه.

ومن عوامل الشرط (لما) قوله: **"لمَّا كانت المسكرات والمخدرات، تقضي على المدارك، بل تقضي على الفرد في أعز ما يملك وهو عقله، وبالتالي تقضي على دينه وصحته وسلوكه، وتقضي على المجتمعات بالإخلال بأمنها... ولما للمسكرات والمخدرات من عواقب وخيمة وأضرار خطيرة، وشرور مستطيرة على الأفراد**

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٤١٨.

(٢) يُنظر: الاستدلال البلاغي، شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م، ص١٤٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والمجتمعات على الدين والصحة والعقل والمال والسلوك، جاء تحريمها في كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)"[1]

جاء هذا القول في سياق التبرير وذكر الأسباب تحريم القرآن الكريم والسنة النبوية تعاطي المخدرات، وسوق أضرارها على مختلف المستويات الدينية والاجتماعية والصحية، وكذلك الأمنية. فلجأ لتحقيق إقناع المخاطبين بالحكمة الإسلامية في تحريمها، فهي سبب ذهاب العقل والقضاء على الدين، وجلب الفساد وتفكك الأسرة...فوجود الحجة الأولى وثبوتها أدى إلى ثبوت الحجة الثانية.

ويمكن رصد الحجج على النحو الآتي:

الحجة الأولى: المخدرات تذهب العقل، وتقضي على دينه وأخلاقه...

الحجة الثانية: تحريم الإسلام لها نابع من أضرارها.

النتيجة: وجوب الابتعاد عن المخدرات، والالتزام بتعاليم ديننا الحنيف.

والملاحظ تنوع أدوات الشرط المختلفة، وانتشارها في خطب الكوكبة، وقد قامت هذه العوامل الشرطية بأثر واضح في الربط الدلالي بين الحجج والنتائج، مما ساعد المرسل في إقناع المتلقي بالدعاوى المطروحة وقبولها.

❖ ٦. طاقات الأمر والنهي الإقناعية:

إن صيغة الأمر والنهي تضفيان بعدا حجاجيا يستلزم الإنجاز، وشيوعهما في خطب الكوكبة المُنيفة لأجل التوجيه والوعظ. إذ إن لهما وظيفة تربوية تعزز من وظيفتهما الإقناعية. فالشيخ يعمل على حث المخاطب بتبني جملة من الضوابط والقواعد الدينية، والأمر والنهي في الحجاج لا يقتصر على إثارة المشاعر، بل إن المتكلم عندما يثبت ويدحض، ويقرر وينفي، ويسأل ويجيب، ويأمر وينهى، يمارس

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص٣٥٠-٣٥١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجاج بوصفه فعلا كلاميا، وكلها أفعال كلامية حجاجية يتشكل في ضوئها الخطاب، ويتقدم ويتنامى.(١) ويستمد الأمر والنهي طاقتهما الحجاجية من شخص الآمر أو الناهي؛ لأن حجاجيتهما لا تبع من اللفظ، بل من مكانة المتكلم كما يقول بيرلمان وتيتكاه.(٢)

ولعل الظاهرة الأبرز في كوكبة الخطب هي الحضور الكثيف لصيغة الطلب (افعل) و(لا تفعل). ودائما ما يقترن هذان الأسلوبان ببيان السبب وذكر العلة. وهذا أدعى في الإقناع وإقامة الحجة. فالإجابة عن الأسئلة المفترضة من المخاطبين تجعل فرصة تقبله للدعوى أكبر، ومن ثم العمل بمقتضاها. كما تتضمن ذلك قوله:

" فأفيقوا أيها المسلمون من الغفلة عن هذه القضايا المهمة، وقووا يقينكم بالله -عز وجل - وحققوا التوكل عليه سبحانه، واحذروا التطير والتشاؤم؛ فإن البعد عن ذلك سبب دخول الجنة."(٣)

في هذه الحجة تواترت أفعال التوجيه (أفيقوا، وقووا، حققوا، واحذروا). هذه الأوامر تبني جملة من القيم الدينية، التي يريد تحويلها إلى أفعال تخدم المتلقي بالدرجة الأولى. فالتوكل على الله وتقوية الإيمان والحذر من التطير والتشاؤم سبب في دخول الجنة، فهو يكون مسًارا حجاجيا تبريريا، ليجيب عن تساؤل قد يرد في ذهن المخاطَب. فالطلب ربط بين الحجة ونتيجتها.

ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

الحجة: إن التوكل على الله وتقوية اليقين به -تعالى- يحقق دخول الجنة.

النتيجة: وجوب الحذر من التطير والتشاؤم والتعلق بالله -تعالى- والتوكل عليه.

---

(١) يُنظر: الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية: مقاربة تداولية، عبد الهادي الشهري، ص٢٧٥.

(٢) يُنظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الأمين، ص١١٦.

(٣) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص١١٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

و من أمثلة الأمر الذي اتخذ مسارا تبريريًّا قوله:

"أيها الأصحاء: احمدوا الله -تعالى- واشكروه على نعمة الصحة والعافية... زوروا المستشفيات؛ لتدركوا عظم نعمة الله عليكم بالصحة والعافية، انظروا في مختلف الأقسام، وتأملوا أحوال الراقدين على الأسرة البيضاء."(١)

بدأ الفقرة بنداء خاص للأصحاء، ولفت انتباههم لنعمة قد غفلوا عنها، وهي نعمة (الصحة والعافية)، ثم أمرهم بالحمد والثناء على الله - تعالى- لتمتعهم بها، ثم أمرهم بزيارة المستشفيات، وتأمل أحوال المرضى في مختلف الأقسام، ليدركوا عظم هذه النعمة، وفضل الله ﷻ عليهم بها.

ويمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة:أن نعمة الصحة والعافية أعظم نعمة بعد نعمة الإيمان.

النتيجة: وجوب شكر الله - تعالى- على هذه النعم المحيطة بالإنسان.

ومن أمثلة تعاضد الحجة بالأمر والنهي قوله:

"اتقوا الله -ياحجاج بيت الله- واجتهدوا في الطاعات والقُرُبات، فأنتم في أفضل مكان تُضاعف فيه الحسنات، فاعرفوا لهذا المكان حرمته، ولهذا الحرم قداسته، لا تدنسوه بالمعاصي والمنكرات وعظموا شعائر ربكم وحرماته."(٢)

فقد قدم الطلب في هذا المثال عن الحجة، وقد نوع بين الأمر والنهي، بيَّن فيها سبب ذلك الأمر والنهي في الاجتهاد في الطاعات؛ لأن الأجر مضاعف، ونهاهم عن ارتكاب المعاصي في الحرم الشريف لقداسته؛ لأن الله - تعالى- أمر بتعظيم هذه المقدسات. وفي هذه الحجة حدد نوعية المتلقي المراد، وهم الحجاج، حيث خصص النداء لهم، لتنبيههم على أن الأمر خاص بهم.

---

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٥٨٤.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٢٥٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ويمكن بيان الحجة في المثال على النحو الآتي:

الحجة: قداسة أرض الحرم، ومضاعفة الأجور فيها من الله تعالى.

النتيجة:وجوب الانتهاء عن كل معصية، والتقرب إلى الله بالطاعات.

ومن أمثلة النهي قول الشيخ السديس:

"والعلماء والمفتون عليهم أن يحاذروا الهوى، فلا يحلوا حراما ولا يحرموا حلالا، والقضاة الذين يحكمون في دماء الناس وأموالهم وأعراضهم، يجب عليهم أن يحكموا بالعدل، فلا يحملهم الهوى على الجور في الأحكام والتغيير والتبديل في القضايا."(١)

فقد حملت التراكيب النظمية الإنشائية في الفقرة السابقة معنى التوجيه والنصح والإرشاد. حيث يحذر كل مسؤول ذو منصب وذو عمل مهم من أن يتبع الهوى، فلا يضل أو يُضل. فالمرسل يتواصل مع المخاطبين عن طريق طاقة ترك الفعل المنهي، وإنجاز الفعل الآخر يناقضه. ولكي يكون النهي مؤثرا، ويعمق هذا الفعل الإنجاز تعمد توجيه هذا النهي للفئة المخصوصة. كذلك تحديد القضاة بصفات معينة بعد الموصول"الذين": (يحكمون في دماء الناس وأموالهم وأعراضهم) فلما كان الأمر يتعلق بدماء الناس وأعراضهم وجب عليهم الحكم بالعدل، ومجانبة الهوى في الأحكام، مما أدى إلى تعميق فكرة الكف للنتيجة الحتمية التي يدعو إليها.

ويمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة الأولى: لا يحلوا حراما ولا يحرموا حراما.

الحجة الثانية: على القضاة ألا يحملهم الهوى على الجور في الأحكام.

النتيجة: وجوب الحذر من هوى النفس، ومجاراتها في عمل ما يخالف الشريعة الإسلامية.

---

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٣١٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وبذلك تبين قدرة الأفعال على معاضدة الحجاج ومساندة الخطيب في سعيه للإقناع والحمل على الإذعان كبقية الأساليب الإنشائية؛ لأن أسلوبي الأمر والنهي نابضان بالإثارة، قادران على تحريك الوجدان، وإحداث ما ينشد المتكلم تحقيقه في المتلقي.(١)

❖ ٧. الأبعاد الحجاجية لأسلوب التعجب:

يعد التعجب من الأساليب الحجاجية التي ظهرت بشكل كثيف في كوكبة الخطب المُنيفة. فعندما يعبر المخاطِب عن ذاتيته أو موقفه تجاه أمر معين أو عرض انفعاله الخاص بالحدث أو الموقف في صورة أسلوب التعجب فهذا بيان يكشف توظيف هذا الأسلوب فعلا كلاميا، فيُحدث وظيفة تداولية حجاجية بما يحمله هذا التركيب من الاستغراب أو التعظيم أو التهويل أو غيرها من الانفعالات.

ومن أهم الوظائف التي يضطلع بها التعجب بوصفه أسلوبا إقناعيا هو دلالة التعظيم ومن أمثلة تلك الوظيفة التعجبية قول الشيخ السديس:

" إن من أهم خصائص يوم الجمعة أن الله -سبحانه- شرع لنا فيه اجتماعا عظيما، لأداء صلاة الجمعة، فحضور هذه الصلاة فرض عين على كل مسلم توفرت فيه الشروط، وانتفت عنه الموانع، ويالله من اجتماع ما أروعه في هذا اليوم المبارك!! لما يتجلى فيه من إظهار العبودية لله وحده، ولما له من الآثار في حياة المسلمين وعلى المجتمع الإسلامي بعامة"(٢)

في هذا السياق تتجلى قيمة يوم الجمعة، بأن الله شرع فيه اجتماعا للمسلمين، ويعضد المسار الحجاجي الذي قصده الخطيب بالاستدلال بالتعليل لأهمية هذا اليوم العظيم، فافتراض سؤال ضمنيا يعارضه أدعى في الإقناع وأذهب في الاحتجاج

(١) يُنظر: الحجاج في الشعر العربي القديم، سامية الدريدي، ص١٣٥.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٠٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

للدعوى المطروحة، إذ تتحقق فيه مظاهر العبودية لله تعالى. ولأن هذا اليوم يتلقى فيه المسلمون خطبا، توجههم وتحثهم إلى ما فيه صلاح دنياهم وأخراهم، فسار الحجاج متعاضدا مع المسار الاستدلالي التعليلي الذي يقوي من الحجة ويثبتها في الأذهان بأسلوب تعجبي، أظهر فيه عظم شأن هذا اليوم.

ويمكننا بيان الحجة في الأسلوب التعجبي على النحو الآتي :

الحجة الأولى: عظمة يوم الجمعة، وتميزه عن سائر أيام الأسبوع.

الحجة الثانية: عظمة هذا اليوم آتية من اجتماع المسلمين لأداء صلاة الجمعة.

الحجة الثالثة (سببية): ظهور مظهر العبودية لله -تعالى - بالالتزام بأداء الصلاة.

الحجة الرابعة (سببية):الآثار الإيجابية التي يتركها هذا الاجتماع في المجتمع الإسلامي.

النتيجة: وجوب أداة صلاة الجمعة مع الجماعة، والاستماع للخطبة، والإكثار من الذكر والعبادة في هذا اليوم.

ومن أمثلة التعجب- أيضا- ما ساقه الشيخ للتعظيم في قوله:

" الجيل أمانة والتعليم والتربية أمانة، وأي ضرب من التهاون أو التقاعس في أداء هذه الأمانة، فإنه لون من ألوان الخيانة، والله- عز وجل- يقول: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)[1].

و يالله! ما أعظم هذه الأمانة! وما أخطر التفريط فيها! لاسيما في هذه الأعصار المتأخرة، حيث التحديات الخطرة، والمستجدات المتلاحقة، والمتغيرات المتسارعة والأزمات المتتابعة."[2]

---

(١) سورة الأنفال، آية ٢٧.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٥٨- ⇦=

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

في هذا السياق التعظيمي تضافرت مجموعة من الأساليب التي جذبت انتباه السامع، ووجهته إلى الوجهة التي يريدها الخطيب.إذ بدأ المسار الحجاجي بأسلوب خبري إثباتي، يؤكد فيه أن الجيل أمانة وتعليمهم وتربيتهم أمانة، والإخلال بهذه الأمانة يعد لونا من ألوان الخيانة، وعضد ذلك بالاستدلال القرآني، ثم يعظم من شأن هذه الأمانة بأسلوب التعجب، ويستدعي الرابط الحجاجي (سيما) الذي يدل على اشتراك الحجة الثانية مع الحجة الأولى، لكن يزداد قيمتها وأهميتها مع هذا العصر الذي كثرت فيه التحديات والأزمات. ويمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

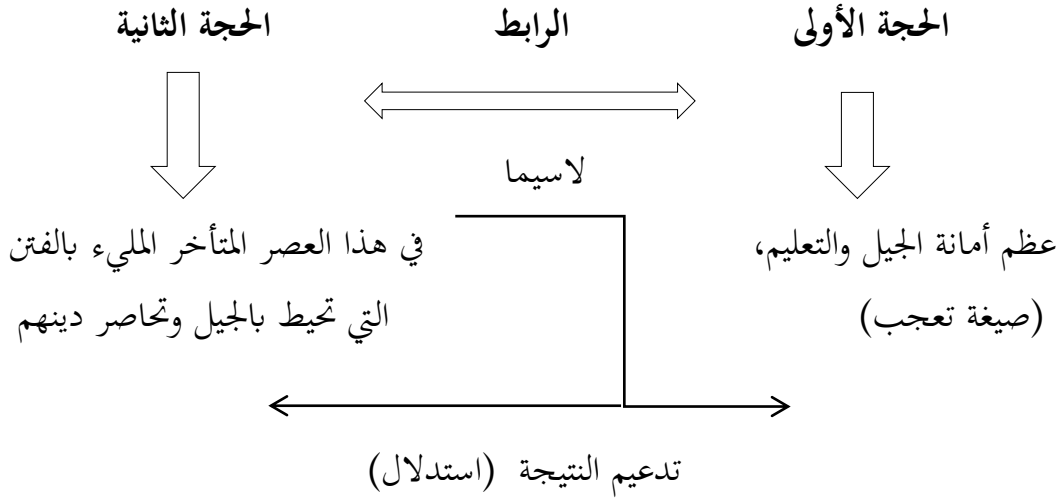

النتيجة: أداء هذه الأمانة على وجهها وعدم التهاون أو التقاعس في أداءها الصحيح: (ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ڤ ڤ ڤ ڤ).

كذلك من أمثلة التعجب قول الشيخ السديس:

"هيهات أن تطيب لنا حياة، وأنى نؤمل نصرا أو نجاة، ولم نقتحم لنصرة الهادي الحبيب لجة ولا فلاة!! يا لبَهْتَة وعظيم الفرية!! أين الأعراف الدولية؟! أين العالم بهيئاته ومنظماته حيال هذه الجريمة النكراء والفعلة الشنعاء أين عقلاء العالم ومنصفو الإنسانية حيال هذا الاستهزاء؟! أين المواثيق العالمية التي تصد هذا

= ٥٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

البهتان والافتراء؟! فيا أمة المليار ماذا قدمت لنصرة المصطفى المختار."(١)

في هذا الخطبة يثير الشيخ قضية النصرة للرسول (ﷺ)، ويستدعي في هذه الحجة "الباتوس"؛ لإثارة الحمية الدينية. فوجود الأسلوب التعجبي (يا للفرية)، وتوالي الاستفهامات التعجبية وتكثيفها؛ ليدرك المخاطَب حجم الكارثة التي فعلها أولئك المسيؤون. ووصف جريمتهم بالشنعاء والنكراء يثير الحمية الدينية في المسلم، فيتحرك نحو الهدف الموجه إليه، وبعد هذه التهيئة النفسية للمتلقي المسلم الغيور على دينه، وجهه الخطيب إلى النتيجة المراد الوصول إليها بأسلوب بديعي رائع: (فيا أمة المليار ماذا قدمت لنصرة المصطفى المختار).

و يمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة الأولى: عدم طيب الحياة وعدم تحقيق النجاح إلا بنصرة النبي (ﷺ).

الحجة الثانية: غياب المنظمات العالمية وتقاعسها إزاء قضية التي تمس الدين الإسلامي.

النتيجة: على كل مسلم أن يهب لنصرة النبي ﷺ، وصد هذا البهتان وهذا الافتراء.

لقد نهض الأسلوب التعجبي بكل صيغه وأشكاله بوظائف دعمت الموقف الحجاجي وساندت الحجة في تحقيق النتيجة التي يرجوها المخاطِب.كان أبرزها الدلالة على عظم الأمر المتعجب منه إن كان ثوابا أو جريمة، أو أمرا دينيا.

إن الوظيفة اللغوية والبلاغية للتأثير في المتلقي في خطب الكوكبة كانت حاضرة بقوة، وكانت العامل الفاعل في تقبل هذه الحجج والاقتناع بها كانت الغاية الأولى للحث والتحريض على الفعل. وصانع الخطاب عليه واجبات وله وظائف كما للمتلقي، هذه المهام تسهم في نجاح العملية التواصلية الإقناعية وتحسن توجيهها. إن السمات

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٧٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الأسلوبية المهيمنة في خطاب السديس حققت وظيفة حجاجية، تنبع من اتساق هذا الخطاب وتكرار هذه الأساليب بما تحمله من مقتضيات تركيبة متناسقة ضمن وحدة الخطاب وتماسكه، كما حققت هذه الأساليب النظمية الانسجام والتنامي في القضية الذي يتطلبه الحجاج.

لقد تمكن الشيخ السديس بما امتلكه من تقنيات أسلوبية وبديعية فريدة وخاصة من أن يبرهن على تفوقه البارز في البيان وحسن التعبير عن قضايا الإسلام، وما يشغل عقول أبناء الأمة الإسلامية من هموم وأثقال وما يعانيه المجتمع الإسلامي من محاولات بث الفتن والقلاقل إضعافا له وهدما للبناته. وقد وجد البراء والعلاج الناجع من كل هذا في جميع المحن بالتمسك بكتاب الله ﷻ تمسكا حقيقا، والدفاع عن السنة النبوية دفاعا عمليا بتقديمها فعلا سويا لا مجرد قول لفظي. وقد استعان في تقديم حجاجه بأسلوب يندر توافره في عصرنا الحاضر، ولما كان ممسكا بزمام الخطاب مكنه ذلك من الاسترسال في الخطاب والشرح، واستيفاء كل أجزاء الدعوى وأبعادها.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المبحث الرابع

الطاقات الحجاجية للصور البيانية وأبعادها الإقناعية

لقد اكتسى أسلوب الشيخ السديس في خطبه المنيفة بحُلة بلاغية،تتنوع فيها أشكال الخطاب الحجاجي ومعانيه، ومن ثم صور الحجج وثرائها، وحضورها في مظاهر بلاغية مختلفة، تشبع مشاعر المتلقي، وتكسب قناعته، وتحقق تأييده. وقد جاءت الدعاوى والحجج في صور وأساليب بلاغية وإبلاغية متعددة، تصنف بأنها تقنيات حجاجية متصلة بالمضمون، وتظهر وظيفة الأساليب البيانية في كونها طرائق"يتفاوض بها المُلقي لتحقيق أقصى إمكانيات التبليغ، فيؤدي إلى انتهاض المتلقي بالعمل والتغيير. وأي تغير فيها هو تغير في قوة الإنجاز والتأثير، وهي أكثر قدرة من غيرها على أن تلهب عقل المرء حماسا به للسمو به إلى الفضيلة، لهذا كانت كما عدَّها الناس أداة لإقناع الجمهور."(١)

إن طريق الوصول إلى القصد عبر إثارة الفكر وتدرجه من ظاهر اللفظ إلى المعنى ثم الوصول إلى معنى المعنى يثير لدى المتلقي عددا من الصور التي يتدرج معها، وهذا ما أشار إليه عبدالقاهر الجرجاني في عرضه البيان ووظيفته في الوصول إلى "معنى المعنى". فالمفهوم من ظاهر اللفظ هو المعنى، والمفهوم الذي يدل اللفظ عليه، لكنه يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، فاللفظ هو كالحلية أو الكسوة الرائقة،فإذا

(١) المقولات البلاغية دراسة مقامي براغماتية، منال النجار، ضمن كتاب "التداوليات علم استعمال اللغة"، "تنسيق. حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث. الأردن، الطبعة الثانية، ١٠١٤م ص٥٧٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مثل وكنى واستعار ثم أحسن في ذلك وأصاب به شاكلته، فإن المتكلم يعطي أغراضه فيها من طريق معنى المعنى.(١)

والوصول إلى قصد المتكلم -إذن- يتأتى بتتبع مرور المعنى في طرق مختلفة، يكون في الدلالات العقلية بسبب علاقة بينهما،كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ظهر أن البيان يعد الملازمات بين المعاني.(٢) فالمتلقي يتتبع المعنى المضمر في خطاب المرسل، ويستدل عليه، ثم يقتنع به.

ولقد انطلق بيرلمان في بناء تصوره للصورة من إثبات أنها ليست عوامل لتزيين الأسلوب، بل هي تجليات حجاجية، وبرهن على ذلك بتحليل تعريف لصورة من صور الأسلوب، يفيد هذا التعريف بأن الوصف المؤثر هو عرض الأشياء، وكأنها تجري أمام الأعين، مستنتجا من هذا التعريف يقوم على إظهار البعد الحجاجي للصورة؛ فلا يمكن إنكار وظيفتها البارزة بعدِّها عاملا في الإقناع.(٣)

وهذا التصور الإقناعي للصور لا يعني إلغاء وظيفتها الجمالية الأولى، فالصورة تخاطب الإنسان في كليته ؛ تخاطب عقله وعينه وقلبه وذاكرته ونوازعه، إنها ترسم للعين ألوان، وتحرك المشاعر وتمتع النفس، وتقوي الذاكرة، فوظيفة الإمتاع والإقناع متداخلتان، ومزية البلاغة في عدم تمييزها بين الشعور والإدراك؛ لذلك كانت الصورة من أقوى الحجج التي تكثفها(٤)

والمرسل يختار من أساليب البيان والتصوير ما يناسب الوفاء بمقصده، من حيث الوضوح أو التلميح حسب ما يقتضيه المقام ؛لأن إطلاق الكلام على حقيقته قد لا

(١) يُنظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص٢٣٦.

(٢) يُنظر: مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي ص٣٣٠.

(٣) يُنظر: في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، محمد مشبال، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٤) يُنظر: السابق، ص٣١٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

يوصل إلى الإفهام، فتظهر الحاجة ماسة إلى استعمال أسلوب تصويري بياني يطابق أحوال السامعين، وليؤدي إلى الإفهام المراد، وعلى ذلك سننطلق في هذا المبحث إلى دراسة حجاجية هذه الصور البيانية وسياقاتها الإقناعية، وتقصي وظائفها المختلفة:

❖ أولاً: الطاقة الحجاجية للاستعارة:

تعد الاستعارة من أقوى الأساليب البيانية الحجاجية. حيث يرى أرسطو أن "الأسلوب- وحده- الذي لا يمكن أن يستفيد المرء من غيره، وهو آية الموهبة، فإن إحكام الاستعارة معناه البصر بوجوه التشابه."(١) و تقوم الاستعارة على"الجمع بين شيئين أو فكرتين انطلاقا من العلاقة التشبيهية؛ من أجل تقديم صورة جديدة، أو مخترعة تتدخل فيها عملية التخييل والإبداع، وتكون أجمل وأبدع حين تثير انتباه الآخرين، وتلامس مشاعرهم، عن طريق الجمع بين المختلفين والمتباعدين في لوحة ساحرة."(٢)

والاستعارة من منظور الجرجاني هي انتقال اللفظ من أصله اللغوي وجريانه على ما يُوضع له، وعليه فكل صورة هي عبارة عن حجة، بفرض أن الاستعارة عند الجرجاني هي حجة. فالاستعارة المفيدة عند عبدالقاهر هي التي تنجح في الحجج بطرقها الخاصة بين قطبين أساسيين في كل إقناع: العقل والنفس، فهي تمتع العقل وتصيب الفؤاد.(٣)

والاستعارة الحجاجية "مجاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، أو هي تشبيه سُكت عن أحد طرفيه، وذُكر فيه الطرف

---

(١) كتاب الشعر، أرسطوطاليس، ترجمة: محمد شكري عياد، الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٢٨.

(٢) عندما نتواصل نغير، عبدالسلام عشير، ص١١٣-١١٤.

(٣) يُنظر: حجاجية الاستعارة والمجاز، حسن المودن، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج١، ص٧٢٥-٧٢٦.

reply_W30xG ١٤٤١/٠٨/٠١ Ali Fattani

الآخر،فالمتكلم يستعير لفظ المشبه به ليستعمله للدلالة على المشبه ثم يرجعه إلى مجاله الأصلي."[١] ولابد من النظر إلى الاستعارة- بوجه خاصة- في بعدها الحجاجي عن طريق الربط بين المعنى الأول والثاني، ففي المجاز" تتخذ دلالة اللفظ الموضوع للمعنى في اللغة دليلا على المعنى المراد بحكم ما في الاستعارة من الادَعاء."[٢]

فالجديد في الاستعارة "أنك تدّعي حدوث شيء من الجنس المذكور إلا أنه اختص بصفة غريبة وخاصية بديعة،لم يكن يُتوهم جوازها على ذلك الجنس."[٣] والادعاء يعني"أن المشبه يدخل في المشبه به ويساويه في الصفة المشتركة بينهما."[٤] إذن فالاستعارة ليست حركة في الألفاظ، وإنما حركة في المعاني والدلالات، كما أنها ليست بديعا في الكلام، بل هي طريقة من طرق الإثبات الذي يقوم على الادعاء.[٥] إن هذا الأثر الفعال للاستعارة جعل البلاغيين الجدد يعدُّونها من أخطر الوسائل الحجاجية، لما لها من طاقة وقدرة على استمالة المتلقي وإقناعه، وقد احتلت مكانا مرموقا لا يُستغنى عنه في مجال الإنسانيات.[٦]

وبالنظر إلى كوكبة الخطب المُنيفة نجد أن الخطيب قد تنبه لأهمية الاستعارة وتأثير الكبير في المتلقي وإقناعه بالدعوى المراد إقناعه بها، والملاحظ أن الشيخ السديس يلجأ إلى الاستعارات ليبين فكرته ويوضح أبعاد قضيته، ولعل هذا يعود إلى

(١) دروس في البلاغة العربية: نحو رؤية جديدة، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص٥٩-٦٠.

(٢) الاستدلال البلاغي، شكري المبخوت، ص٣١.

(٣) أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، ص٣٣٢.

(٤) أساليب الحجاج في البلاغة العربية، محمد الواسطي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، عدد (١٢) السنة ٢٠٠١م، ص٥٣.

(٥) يُنظر: الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، طه عبدالرحمن، مجلة المناظرة المغرب، ع (٤١)سنة ١٩٩١م، ص٧٠.

(٦) يُنظر: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الولي، ص٤٥٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وعيه بأهميتها في الإقناع بالفكرة ؛ لمخاطبتها الفكر والعقل في المتلقين، كذلك للتفاعل الذي تشكله الاستعارة في العقول بمحاولة الربط بين أجزاء التشبيه فيها، ونقل الحجة من المجرد إلى المحسوس، وإضفاء روح المتعة إلى المتلقي، مما يكسبها نفاذا إقناعيا أقوى من غيره.

وتمتلك التراكيب البيانية الاستعارية طاقات تعبيرية لها تأثيراتها البالغة في المتلقي. ويتخير الخطيب من المواد والمعاني المحيطة ما يتلاءم مع قصده من التخويف أو التحقير أو الذم أوالمديح وفق المقام المقتضى لينقل ذلك كله إلى المخاطب، ومن أمثلة ذلك قوله: **"أمة الإسلام، وما البدع المحدثة في دين الله التي كثُر انتشارها ورواجها اليوم - بل وضربت أطنابها - في أقطار كثيرة جدا من العالم الإسلامي."**(١)

فقد استعار الشيخ لفظ (الأطناب)، التي هي من المعاني الطبيعية المحيطة بحياة الإنسان ومعناها:ما يُشد به البيت. والطُّنْبُ حَبْلٌ طَوِيلٌ يُشَدُّ بِهِ البيتُ والسُّرادقُ، بَيْنَ الأَرض وَالطرائق، والجمع أطناب(٢). فاستقرار الكثير من الأفكار والبدع المخالفة لسنة النبي محمد -ﷺ- في عقول وقلوب الناس أمر عقلي مجرد، شبهه باستقرار وثبات البيت الذي تُضرب أطنابه فيستقر ويثبت، فهي (استعارة مكنية)(٣)، لأن إثبات شيء من لوازم البيت وهو الطنب وإلصاقه بالأفكار والبدع الضالة جاء على سبيل الاستعارة المكنية. وباستعارة (الأطناب) والتعبير عنها بـ(الضرب) كان أبلغ وأكثر إقناعا في تصوير تسلط هذه البدع وثباتها عندهم، بمعنى أنها استحكمت واتخذت في قلوب المسلمين مكان الاستقرار والإيمان بها، فيذهب في خطبته هذه ينافح عن العقيدة

(١) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول ص١٦٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (طُنب) ج١، ص٥٦٢.

(٣) "وهي ذكر المشبه به بواسطة قرينة، فتنسب إليه شيئا من اللوازم العادية للمشبه به." يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج١، ص٩٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الصحيحة والسنة الإسلامية التي جاء بها النبي محمد ﷺ، ويؤكد مدى ارتباط كثير من المسلمين بالبدع منها المناسبات الدينية مثل الاحتفال بالمولد النبوي. فينفي ارتباط ذلك بعقيدة الاسلام باستعراض كثير من الأدلة الشرعية المعضدة لذلك.ويمكن تبيان الحجة على النحو الآتي:

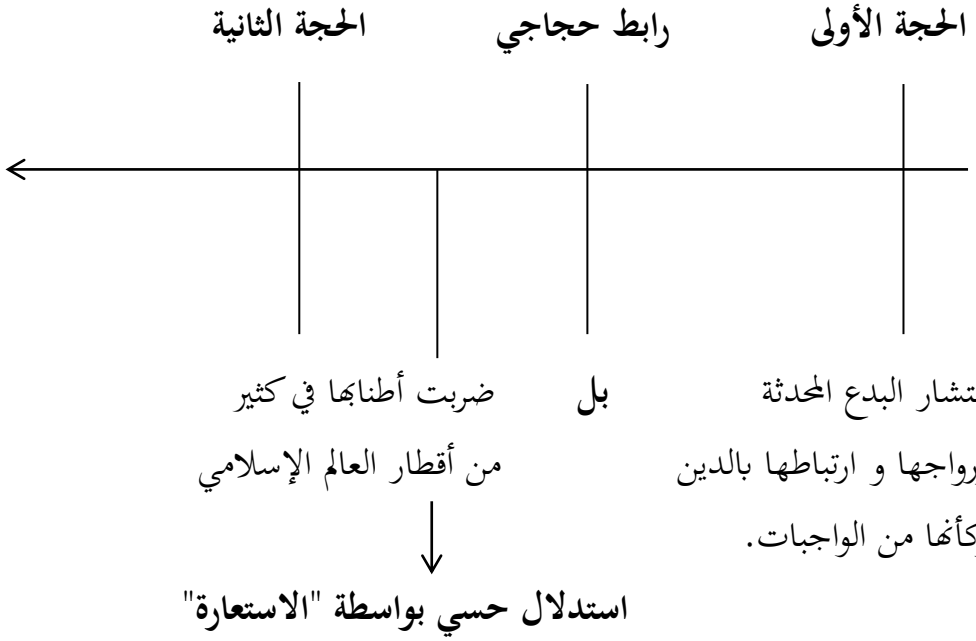

نتيجة: حرمة هذه البدع والأفكار الدينية حتى مع انتشارها وكثرتها وتأكيد مخالفتها السنة النبوية.

ومن الأمثلة الاستعارات الحجاجية التي دعمت السياق الإقناعي قوله:

"أما هذا الزخم الهائل من المناظر السيئة، والمظاهر المحرمة، يوجد في كثير من المجتمعات وحدث ولا حرج عما تبثه الفضائيات، وتزج به شبكات المعلومات، مما يعلي راية الرذيلة، وتبكي له الفضيلة، مع التساهل في القيام بواجب الدعوة إلى الله، والحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو قوام هذا الدين"[1]

بدأ الشيخ هذا المقطع الحجاجي من الخطبة بمقدمات انتقل بها إلى الأمر الرباني

(١) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول ص٦٥٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والدعوى التي يريد إثباتها من ظهور المظاهر المحرمة وانتشار الفساد والمحرمات على مرأى ومسمع الناس؛ ليصل إلى القضية التي يؤكد وجوب الالتزام بها، وهي:واجب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانطلق المسار الحجاجي بأسلوب استعاري يجسد حال الأمة التي وصلت إليها من انتشار الرذيلة؛ حيث صور لنا الفضيلة في صور إنسان تنهمر دموعه ويبكي لحال تلك الأمة التي ضاعت وراء شهواتها، ولم تحافظ على أمر الحسبة، وأبرز التضاد جمال الأسلوب الاستعاري، حيث طابق بين أمرين:

الأول: راية الرذيلة مرفوعة، والآخر: بكاء الفضيلة. وجاء هذا التعبير ليزيد من درجة الإقناع، فإثبات صفة(البكاء) التي هي من خصائص الإنسان للفضيلة على سبيل الادعاء وتشخيص الفضيلة وهي أمر معنوي بهيئة الإنسان الباكي دلالة على الذل لها وانحطاطها في مقابل الرذيلة التي ذاعت وانتشرت.وفي هذه الاستعارة يدفع المتكلم بالمتلقي إلى الانفعال بإحساسه، ومن ثم تخيل هيئة تلك الفضيلة التي باتت منحسرة كسيفة، وهذا يعزز المسار الحجاجي، الذي يهدف إلى توجيه المستمعين إلى الانتباه لأمر الحسبة، ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي :

الحجة: انتشار المظاهر المحرمة والتساهل في القيام بالدعوة إلى الله، وإهمال أمر الحسبة.

استدلال حسي بواسطة الاستعارة ⟵ الفضيلة تبكي لكثرة انتشار الرذيلة.

النتيجة: وجوب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي مقطع آخر يظهر لنا نلتمس فيه القيمة الإقناعية حيث يقول:

"إخوة الإيمان: ولم تكن حاجة الأمة في عصر إلى معرفة السيرة العطرة معرفة اهتداء واقتداء، أشد إليها من هذا العصر، هذا العصر الذي تقاذفت فيه الأمة أمواج المحن، وتشابكت فيه حلقات الفتن، وغلبت فيه الأهواء...ويوالي مسيرتهم الحاقدون من دعاة التثليث وأهل الصليب، ويشد أزرهم، المفتنون بهم والمتأثرون

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

بصديد أفكارهم وثقافاتهم، من أهل العلمنة ودعاة التغريب."(١)

اختار الخطيب التعبير عن أفكار أعداء الإسلام وكل من يواليهم من الصليبيين بقوله: **"صديد أفكارهم وثقافاتهم"**. ولقد اشتمل هذا المقطع في هذا الخطاب على عدد من الحجج تفيد نتيجة واحدة، وهي: أن الحاجة إلى معرفة سيرة النبي ﷺ في هذا الوقت بالذات حاجة ملحة، لكثرة الأفكار المسمومة، ولكثرة الغزو الفكري الذي يغزو عقول الناشئة من المسلمين. وعمَّق الشيخ هذه الحاجة بذكره صنفين من هذه الأفكار الداخلة، صنف قادم من الخارج من أعداء الإسلام والصليبيين واليهود وغيرهم، وصنف قادم من الداخل ممن تأثر بأفكار هؤلاء الأعداء من أهل العلمنة والتغريب.

وصور الشيخ السديس - هنا - هذه الأفكار الباطلة بالجرح الذي له صديد، فيقيح لطول أثره وسوء حالته. وفي هذا استعارة حجاجية تعضد المسار الإقناعي، وتعلن موقف الخطيب من هذه الأفكار الخداعة، لتربطها بهيئة تصويرية تؤدي إلى إقناع السامع واستمالته وجدانيا وسلوكيا، وإقناعه بضرورة الابتعاد عن هذه الأفكار المقززة التي يدعو إليها هؤلاء.

والحقيقة أن الاستعارة جاءت على سبيل الاستعارة المكنية حيث ذكر شيء من لوازم المشبه به وهو (الصديد) وحذف المشبه به وهو (الجرح) وأثبت صفة الصديد للأفكار على سبيل الاستدلال على قذارة تلك الثقافات، وباستعارة (الصديد) لإيصال هذا الأمر أبلغ التأثير وأجمل تصوير، وذلك لوجود عنصر التخييل للصديد الذي إذا وجد في جسم الكائن الحي أضر به وآلمه، وخروجه من الجسم علاجه. فالعلاقة الاستعارية ذات أساس حجاجي مقنع ؛ لأنها تقوم على الانتصار لفكرة الحق على الباطل، فهذه الأفكار باطلة يجب خروجها وتنحيتها عن فكر الإنسان المسلم، ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

الحجة الأولى: حاجة المسلمين إلى معرفة السيرة العطرة أشد في هذا العصر

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث ص٨٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجة الثانية: انتشار أفكار أعداء الإسلام من نصارى ويهود وغيرهم، وتأثر كثير من المسلمين بأفكارهم وأوهامهم الضالة التي تعادي الإسلام.

استدلال حسي بواسطة الاستعارة ←—— تأثر مجموعة من المسلمين بصديد أفكارهم الملوثة

النتيجة: وجوب تبليغ السنة وتعليمها، والاقتداء بهدي النبي محمد(ﷺ).

ومن أمثلة الاستعارة ما جاء في قوله:

"ومن أخطر الظواهر ضررا، وأشدها ضراوة وأثرا، ظاهرة عجيب نفوذها، كثير رعاعها، تلكم هي ظاهرة تصنيف الناس، ومرض التشكيك بالآخرين، وعدم الثقة بهم، وما تمثله من ضمائر سوداء، وافدة من كل فج، يحملها فئام ضَعُف إيمانهم، وقل ورعهم، فألقوا جلباب الحياء، وشغلوا الأمة عن كبير قضاياها، وألبسوا الجميع أثواب القدح والجرح، وتدثروا بشهوة الحكم على الناس، ونسج الأحاديث والحكايات.."(١)

يتحدث الشيخ عن قضية مهمة، وهي: قضية تصنيف الناس، سواء كان هذا التصنيف على أساس ديني أو لا ديني. وقد ورد في سياق الحجة - هنا - استعارتان، جاءتا تقريبا للمعنى وتحقيقا للإقناع، ففي قوله: **فألقوا جلباب الحياء**، استعارة مكنية حيث شبه صفة (الحياء) بالمرأة التي تلبس رداء يغطيها (جلباب) وحذف المشبه به (المرأة) وأثبت شيئا من لوازمها وهو الجلباب، على سبيل الادعاء، وهذا التجسيد يثير المتلقي ويبهره ؛لما يشعه من حركة وتمثيل لأمر معقول فالأوضاع الثابتة والعبارات ذات الدلالة الاستعارية مقبولة تلقائيا وبدون جهد ويكفي منحها تأثيرا تمثيليا؛ لنتمكن من بناء فكره وتحريك النفس بشكل ناجح(٢) فكأن هؤلاء المدعين للعلم الذي أخذوا على

(١) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث ص٣٢٠.

(٢) يُنظر: التمثيل والاستعارة بين العلم والشعر والفلسفة، شاييم بيرلمان، ترجمة: حمو النقاري، ضمن =⇦

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

عاتقهم إصدار الأحكام على الناس كأنهم ألقوا بكل ستر لهم، حتى اللباس الذي يسترهم ألقوا به، ليكشف أفكارهم الضالة والمسمومة، فاشتغلوا بقضية لا أصل لها عن قضايا أجدر وأهم أن تذكر. إنه بهذا الخطاب يلفت انتباهنا إلى فئة من الناس ادعو العلم، وشوهوا الدين بتصنيفاتهم التي لم تذكر في شريعة الإسلام. كذلك قوله: **وألبسوا الجميع أثواب القدح والجرح**، وهي من قبيل الاستعارة التصريحية.(١)

حيث شبه العلم بأحوال الناس ومن ثم الحكم عليهم بالقدح أو الجرح بالثياب التي تلبس،

فاستعار الثياب (المشبه به) للمشبه وهو (العلم بأحوال الناس) وذلك لما بينهما من وجوب الإحاطة والشمول لكل ما يقترن به. فكأنهم كاللباس في العلم والإحاطة بكل شيء؛ لأن إطلاقهم للأحكام عام، وفي هذا سخرية وتهكم من هؤلاء المدعين للعلم، الذين يعطون أنفسهم الحق في الحكم على الناس وتصنيفهم كيفما شاءوا، حتى كأن علمهم شمل وأحاط بكل شيء كما يشمل اللباس جميع أجزاء الجسد. وفي هذا غاية التقريع والتوبيخ لهم، ومما ينبغي ذكره - هنا - هو طغيان الصفات السالبة بشكل واضح، والغاية من ذلك هو إحداث التأثير الوجداني في نفوس المتلقين وتحقيق استمالتهم في الإقلاع عن تلك الصفات، أوالنصح لمن يتحلى بها. ويمكن إجراء الصورة السابقة حجاجيا على النحو الآتي:

= كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج ٢، ص٣٧٨.

(١) وهي"أن يكون الطرف المذكور من طرفيْ التشبيه, هو المشبه به." يُنظر: : مفتاح العلوم، السكاكي، ص٤٨٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

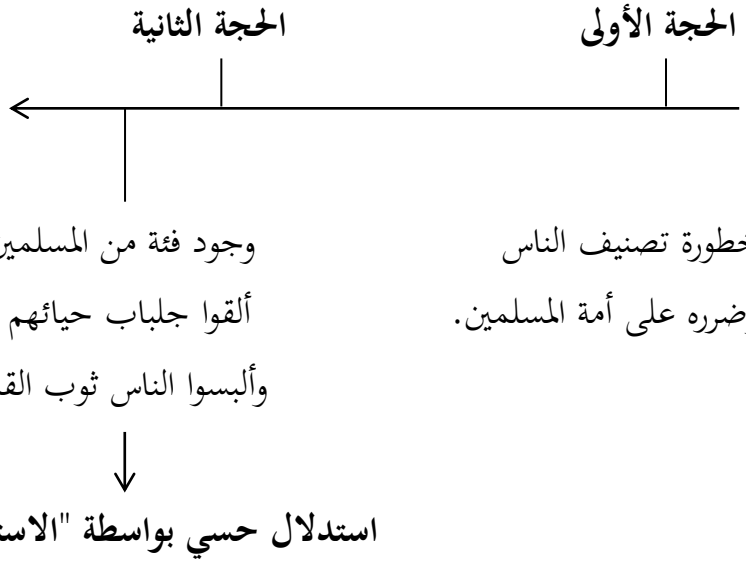

نتيجة: إن السير وراء الأحكام المضللة أمر يجب الابتعاد عنه ووجوب الانتهاء عن إصدار الأحكام على الخلق.

ومن الصور الاستعارية التي تثير المتلقي وتؤثر فيه قول الشيخ في وصف ليلة القدر:

"فيا ليت شعري أين فرسان الكلام، وحُذّاق النثار والنِّظام، يصفون لياليه الزهر الباهرة، وآلاء أيامه المتظاهرة، بل ما لا يكاد يحصى من صنوف الخير ودروب الهدى؟! ولا تسل عن غرة جبينه: ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر."(١)

فقد شخَّص الشيخ شهر رمضان في هيئة إنسان، فجعل له جبينا، وليلة القدر بمثابة الغرة في جبين ذلك الإنسان،فهو يصور لنا فضل ليلة القدر على بقية أيام شهر رمضان، وجاءت الصورة الاستعارية فيما مضى مكنية، حيث ذكر المشبه المعقول (ليلة القدر) وحذف المشبه به المحسوس (الإنسان ذو الجبين). وجمال التعبير بهذا الأسلوب البياني في السياق الحجاجي يكمن في قدرته على تقريب المعنى المراد.إن هذا التجسيد لا شك أنه يثير المتلقي؛ لأنه يبحث وراء المعطى اللغوي المباشر ؛ للوصول

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني ص٢٣٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

إلى المعنى الاستعاري، وعند الوصول إليه يتمحور قوة الخطاب الحجاجي.

وفي هذا المبحث دعوة من المتكلم إلى تأجيل الاعتراض عن الدعوى المذكورة، إلى حين بيان شبكة العلاقات بين الأطراف الاستعارية، وحينئذ يكون المتلقي وصل إلى تكوين رؤية حول المعطى الاستعاري الذي أثاره وجدانيا ومن ثم التأثر والاقتناع به. ففي هذا المقطع استعرض الشيخ فضائل رمضان، وتساءل عن الشعراء والنظام الحاذقين، الذين يريدهم أن يصفوا صنوف الخير ودروب الهوى، ثم يَنهى عن أن يسأله أحد عن فضل ليلة القدر، فيكتفي بوصفها أنها غرة جبين شهر رمضان. وفي هذا الوصف توجيه للمتلقي باستغلال الفرصة، فهو شهر تعظم فيه الأجور، يحثهم على العمل الدؤوب الذي يقربهم إلى الله تعالى، ويمكن أن نبين ذلك حجاجيا على النحو الآتي:

الحجة الأولى: رمضان شهر الخيرات والعطاء من رب العالمين.

الحجة الثانية: غرة جبين هذا الشهر هي ليلة القدر ← استدلال حسي بواسطة الاستعارة

النتيجة: رمضان فرصة لرفع الدرجات وتكفير السيئات يجب استغلال كل وقت فيه.

ومما سبق نجد أن الاستعارة تقوم بوظيفة كبيرة في إبراز الحجة وتشخيص المعنى، تعود هذه الوظيفة إلى "الالتباس التي تحملها، التي تضمن الخصوصية الدلالية للنص، وتجعل القارئ منخرطا في حركة النص الفكرية، ومشاركا المؤلف في إنتاج المعنى."(١)

❖ ثانيًا: التشبيه وطاقته الإقناعية:

يعد التشبيه من وسائل التجلية والإيضاح والإفهام، وبه يتكمن المرسل من تقريب

(١) الحجاج في درس الفلسفة، مليكة غبار وآخرون، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦م، ص٢٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المعاني إلى أذهان المخاطبين، وإلى جانب الاستعارة يسهم التشبيه -أيضًا- في عملية الإقناع،" لكن كفاءته في التأثير اقل من الاستعارة غالبا."[١] فالفائدة من التشبيه عند تمثيل الشيء بالشيء فإن القصد إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في الترغيب أو التنفير، فإذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالاً حسنا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها، وهذا لا نزاع فيه.[٢]

والتشبيه من الفنون التصويرية، يضفي بهاء وجلالاً على الأسلوب، ويزيد من القوة التأثيرية، ويضفي لمحة من الحركة والحيوية على الخطاب. وللتشبيه جمال فني وإبداع في التصوير يجعل الصورة حيَّة وضَّاءة، توقِظ الأفكار وتلهِب المشاعر، فهو ينقل ما هو معنوي إلى ما هو محسوس، يُرى ويسمع ويحس، وهذا أدعى وأذهب في تتحقَّق الغاية الإقناعية.

والتشبيه عقد صلة بين صورتين، إحداهما: أدل من الأخرى على المعنى، ليتمكن المرسل من الاحتجاج بها.[٣] و تأتي حجاجية التشبيه من استحضار صورة المشبه به، فالبحث عن موادها ثم تركيبها وتخيلها يجعل التشبيه ذا قدرة حجاجية كبيرة؛ لأن هذا الاستحضار جلب للحجة ومراعاة للتأثير.

وقد زخرت خطب الكوكبة المُنيفة بكثير من التشبيهات، التي تُستحضر فيها الصور الحسية المشاهدة أو المسموعة لإيضاح الصورة العقلية المعنوية ومن أمثلته

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، عدد (١٦٤) سنة ١٩٩٢م ص١٤٦.

(٢) يُنظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ج٢، ص١٢٣.

(٣) يُنظر: آليات الحجاج وأدواته، عبدالهادي الشهري، ضمن كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته" ج١، ص١٣٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

قوله:

"ونادت طوائف بالإسلام تحت مظلات سياسية، فانخدع بها كثيرٌ من الناس لإشباعها عناصر معينة في النفوس،... أفليس حقًّا على أهل التوحيد أن يتفطنوا، فلا يقعوا في ربقة أفكار ضالة، ولا في شِراك عقائد ملوثة تلطخت بأوضار الضلالة وكرَعت في مياه الخُرافة ؛ حتى لا ينطفئ نور إيمانهم، وتذبل زهرة توحيدهم؟!"(١)

يحذر الخطيب من الوقوع في الشرك والاهتمام بعقيدة الإسلام، والتنبه من الوقوع فيما يخالف العقيدة الإسلامية من أفكار ضالة لخدمة فئات سياسية أو للحصول على مغانم دنيوية. و(**رِبْقَة أفكار ضالة**) بكسر الراء، أي: العروة التي في حبل تُجعل في عُنق البهيمة أو يدها تمسكها، وهو الحبْلُ والحَلْقةُ تُشَدُّ بِهَا الْغَنَمُ الصِّغَارُ لِئَلَّا تَرْضَع.(٢) وتركيب (**تلَطَّخَتْ بأوْضَارِ الضِّلَالَة**) الوضر: وسَخُ الدسمِ وَ اللَّبَنِ وغُسالَةُ السِّقاء، وأوضار الضلالة أي: أدران الضلالة وأوساخها(٣)، وعبارة **(كرَعَتْ في مياه الخُرافة)**، أي: تناول الماء بفيه وأروى عطشه.(٤)

يعقد الخطيب صلة تشابه بين:

استحكام الأفكار الضالة:	وبين ←	الوقوع في حبل أفكار ضالة
العقائد المخالفة للدين والسنة:		تلوثت بأوساخ وبقايا الدسم
تشبع أهل تلك العقائد بالخرافة:		كرعوا وارتووا بمياه الخرافة

يشبه الوقوع في الأفكار الضالة التي تخدم أهدافا سياسية بالوقوع في الحبل الذي

(١) كوكبة الخطب المئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٨٩-٩٠.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، طبعة صادر، مادة (ربق) ج١٠، ص١١٢.

(٣) لسان العرب، مادة (وضر) ج٥، ٢٨٤.

(٤) لسان العرب، مادة (كرع) ج٨، ٣٠٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

يحكم رباطه حول عنق البهيمة فلا تستطيع الحراك، وهذا يعني أن الوقوع فيها استحكام لها وعدم الخروج منها، بل أن من يحرك ذلك الحبل ويتحكم فيه هم، أولئك الذين أوقعوه في تلك الأفكار.

وهنا نستحضر صورة البهيمة، التي ربطت يتحكم في حركتها من يرعى أمرها، كما شبه تلك العقائد بأنها تلطخت بأوساخ وبقايا اللبن والسقاء، أما أهلها الذين تشبعوا بها وآمنوا بها فهم كالذي شرب الماء، وأروى نفسه بتلك العقائد والخرافات الضالة، فالشيخ يستعمل التراكيب التشبيهية التي تعبر عن فظاعة اتباع الأهواء المادية والسياسة على حساب عقيدة الإسلام الناصعة النقية، ويكشف التصوير الحسي الذي خلقته هذه الألفاظ عن شناعة ما يفعله هؤلاء الناس؛ مما يحقق أبعادا إقناعية حسية، تلك التي يستحضرها المخاطَب ذهنيا.

ويمكن تبيان الحجة - هنا - على النحو الآتي:

الحجة الأولى: أن الأفكار الضالة إذا ما وقع فيها الإنسان استحكمت عليه، وشدت رباطها عليه.

الحجة الثانية: أن تلك العقائد المخالفة التي لها أهداف سياسية، التي تشبّع بها أهل الأهواء وأرووا عطشهم منها عقائد ملوثة، تلطخت بكل وسخ (ملوث).

النتيجة: التحذير من الوقوع في الأفكار الضالة، والانجراف في وحل المذاهب السياسية والتمسك القوي بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، عقيدة أهل السنة والجماعة، الثابتة بتغير الزمان والمكان.

ومن أمثلة التشبيه الاحتجاجي قوله:

"ومنزلة الخشوع من الصلاة كمنزلة الرأس من الجسد، فالذي يجعل الصلاة مرتعا للتفكير في أمور دنياه، ومحلاً للهواجس في مشاغله:قلبه في كل وادٍ، وهمه في كل مكان، يختلس الشيطان من صلاته، بكثرة التفاته، وعبثه بملابسه ويده، ورجله وجوارحه، وربما أخل بطمأنينتها ولم يعِ ما قرأ فيها، فيخشى أن تُرد عليه

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

صلاته."[1]

فقد نقلنا التشبيه إلى عالم المحسوس؛ لحضور هيئة الرأس والجسد. فالرأس هو مصدر أفعال الإنسان، هو الذي يقوده إلى كل فعل وقول. فإذا بطل الرأس فإن الجسد باطل، والصلاة أساسها الخشوع وقاعدتها الأولى، فإذا انتفى ذلك الخشوع انتفى أجر الصلاة.

إن التشبيه -كما هو واضح- قد أدى بنا إلى عملية قدح للخيال. فيؤدي بنا إلى تصور الأشياء وحضورها شاخصة، وعقد المشابهة بين الأمرين، واكتشاف أوجه التقارب بينهما، وذلك فيه مجال أوسع للإقناع. ثم إن الشيخ يبين بماذا يكون عطب الخشوع وكيف يمكن للمسلم أن يخل به، فيذكر أفعالا يفعلها المسلم ليذهب خشوعه،من تلك الأفعال: التفكير في أمور الدنيا، وكثرة الالتفات والعبث بالملابس ونحوها، كل ذلك مما يخرج الإنسان من خشوعه، ومن ثمَّ لا تجزأه تلك الصلاة.

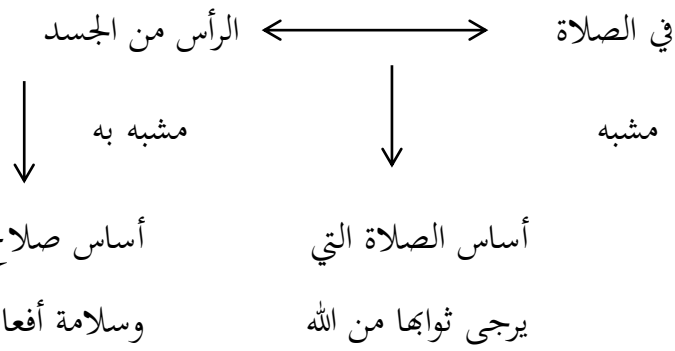

ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

الحجة:أساس الصلاة وقاعدتها الأولى الخشوع، فتنهى عن المنكر تأمر بالمعروف ويجزي الله بها عباده.

النتيجة:وجوب أداء الصلاة كاملة الأركان، وتحري الخشوع فيها وتجنب

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١٩٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الملهيات أثنائها.وينقلنا التشبيه إلى الصفة الأعلى والأسمى، ويبرز لنا صورة الأئمة والعلماء حيث يقول: "**إن أعظم أنواع الفقد على النفوس وقعا، وأشده على الأمة لوعة أثرا، فقد العلماء الربانيين، والأئمة المصلحين. ذلكم يا- عباد الله - لأن للعلماء مكانة عظمى، ومنزلة كبرى، فهم ورثة الأنبياء، وللرسل خلفاء، وعلى ميراث النبوة أمناء، وهم للناس شموس ساطعة، وكواكب لامعة، وللأمة مصابيح دجاها، وأنوار هداها. بهم حُفظ الدين، وبه حُفظوا، وبهم رُفعت منارات الملة، وبها رُفعوا.**"(١)

يريد الشيخ عبدالرحمن السديس في هذا الخطاب أن يقنع المخاطب بقضية فقد الأمة لإمام من أئمتها. أنه أشد أنواع الفقد، وأكثرها أثرا في الأمة.و هنا يتحدث بصفة خاصة عن فقد الشيخ (عبدالعزيز ابن باز ç). وينطلق من هذه النتيجة إلى الحجة، التي يبين فيها سبب تلك النتيجة، ويفصل فيها، فهم حفظوا الدين، ورفعوا منارات الملة. وهم ورثة الأنبياء وخلفاء للرسل. ثم يلجأ للتشبيه ليقنعهم بهذه الحجة، فهم كالشمس والكواكب والمصابيح، التي تنير دروب الهدى.

وبما أن عظم موت العلماء وانتهاء علمهم بانقضاء أعمارهم من الموضوعات العامة التي تقبل التأويل والبحث والنقاشات، فكان يجب تثبيتها. وهذه غاية الحجة السببية التي أتى بها الشيخ هنا،حيث جعل إرثهم للأنبياء وحفظهم للعلم وهدايتهم للناس للطريق الإسلامي الصحيح سببا لفظاعة موتهم، وبهذا يلزم المتلقي بما قد يتنافى مع فكره، إذا ما تم إقناعة بالسبب التي جعلته يقول بتلك النتيجة.

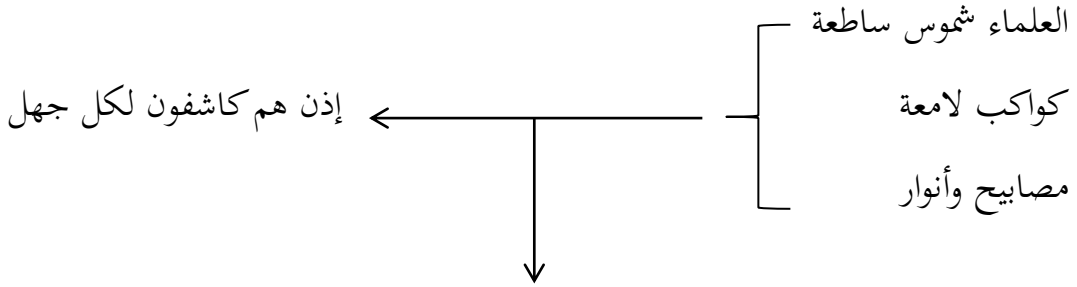

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٣٦-٣٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أن كل ضوء يكشف ظلاما

ويمكن بيان الحجة في الخطاب السابق على النحو الآتي :

الحجة (سببية): العلماء ورثة الأنبياء، حفظوا الدين، ورفعوا منارات الملة.

استدلال حسي بواسطة الشبيه: ⟵ هم للناس شموس ساطعة، كواكب لامعة، وللأمة مصابيح دجاها، وأنوار هداها.

النتيجة عظم فقد العلماء بعامة، وعظم فقد الشيخ عبد العزيز ابن باز ç.

ومن التشبيهات اللافتة التي وردت في خطبة من خطبه قوله:

"أن السفر في حدود بلاد الإسلام المُحافِظة، إما أن يكون إلى بقاع موبوءة، ومستنقعات محمومة، وأماكن مشبوهة. فلا، مالم يكن ثمة ضرورة، مع المحافظة على شعائر الإسلام، وهل يُلقى بالحمل الوديع في غابات الوحوش الكاسرة والسباع الضارية.؟!"(١)

إن هذا الخطاب يجمع أساليب متعددة للوصل إلى النتيجة، حيث ينطلق الخطاب من النتيجة إلى الحجة، فتلك الأماكن المحرم زيارتها أماكن موبوءة ومستنقعات للمحرمات، يشبه البلاد التي تكثر فيها المعاصي بالبقاع، التي مُلئت بالأمراض والأوباء، وبالمستنقعات التي جمعت كل وسخ وحمم، ثم يشبه صورة الإنسان المستقيم على دين الله ﷻ بالحمل الوديع، ويستفهم مستنكرا: هل يمكن أن يلقى بهذا الحمل الصغير في غابات الوحوش الكاسرة والسباع الضارية؟ التي يقصد بها بلاد الكفر والمحرمات.

الحجة الأولى: أن البلاد التي تبيح المحرمات بقاع مملوءة بالأوباء والأمراض، تحمل داخلها أوساخ وحمم قذرة.

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثاني، ص٣٦٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجة الثانية: أن الإنسان المسلم سليم الفطرة، وصحيح العقيدة لا يلقي بنفسه في تلك البلاد، التي بلغت نهاية الفسق والفجور.

استدلال حسي بواسطة التشبيه: صورة الحمل الوديع الذي يُلقى به في غابة مليئة بالوحوش الكاسرة والسباع الضارية.

النتيجة: حرمة السفر إلى بلاد الكفر والمحرمات.

ومن أمثلة التشبيهات التي تنقلنا من المعقول إلى المحسوس قول الشيخ متحدثا عن قضية الإرهاب وخطرها:

"من تفطن لآثار ذلك الفكر النشاز استشعر أهمية العناية بالجيل، وتربية النشء على منهج الوسطية والاعتدال، واستئصال شأفة الإرهاب، وتجفيف منابعة، وتلك مسؤولية مهمة عظيمة مشتركة بين كافة شرائح المجتمع وقنوات التوجيه، كالمسجد والأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام."(١)

بعد أن عدد الخطيب الكثير من الأثار السلبية الناجمة عن الفكر الإرهابي المتطرف من عنف وزعزعة الأمن والانتحار إلى غير ذلك من الآثار، يطرح المعطى الحجاجي الذي يتمثل في العمل على القضاء على هذا الفكر، ويجعل ذلك في صورة تشبيهية بديعة عن طريق تصوير ذلك الفكر الضال بالمرض العضال الذي يجب استئصاله لكي يُشفى المجتمع منه، كما يجعل ذلك العمل قاضيا على كل مفكر أو أصل لهذا الفكر بالقضاء عليه، ويشبه ذلك الأصل بالينبوع، الذي يجب تجفيفه وإنهاء ما فيه من أفكار.

الإرهاب ⟵ مرض عضال ⟵ يجب استئصاله و قطعه

قائد الفكر الإرهابي ⟵ ينبوع لا زال يظهر أفكاره ⟵ يجب تجفيفه والقضاء عليه.

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص١٤٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ويمكن بيان ذلك حجاجيا على النحو الآتي :

الحجة: الإرهاب فكر منحرف، له نتائجه الخطيرة على الدين وعلى المجتمع.

النتيجة: وجوب تكاتف المجتمع في القضاء على الفكر الإرهابي الضال.

ومن التشبيهات قول الشيخ السديس: **"أيها المستشارون: تحلو بالصدق والنزاهة، واحذروا خيانة الدين والمجتمع؛ لأمور شخصية وأوطار نفعية، وكونوا من رباني سفينة الأمة؛ لترسوا بها على شواطئ العز والمجد والفضيلة."**(١)

ينطلق المرسل في خطابه السابق من النتيجة إلى الحجة، فالنتيجة - التي يبتغيها من كل من يتلقي خطابه هذا - وجوب التحلي بالصدق والنزاهة في أمور الشورى؛ لأن ذلك يرفع من شأن الأمة وعزتها. وعند استحضار هيئة هؤلاء المستشارين شبههم بربان السفينة (المجتمع) وقائدوه، حتى يقفوا بالأمة الإسلامية على المجد والعزة والرفعة في كل شؤونها.

إن استحضار هذه الصورة أبرزت لنا قوة تأثير هؤلاء المستشارون وسلطتهم التي أُعطيت لهم، كتحكم ذلك الربان في سفينته التي يرسو بها أين ما شاء. إن الصورة الذهنية يحكمها نظام التداول في مثل هذا التعبير، وهو أن عمل قائد السفينة، يترتب على السفينة ومن فيها. فإذا كان عمله صائبا سيكون الوصول ناجحا حيث الوجهة المبتغاة، وإن كان غير ذلك فإن ما يمكن أن يحدث نتيجة خطأ قد يسبب كارثة لتلك السفينة، والأمر ينطبق على مجلس الشورى وقائديه، كل ذلك أملاه التشبيه، وأعطى حجة بارزة، أدعى للإذعان وأذهب في الإقناع.

ويمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

الحجة: المشورة أمانة، والرأي مسؤولية، فالمجتمع كله يتطلع إلى آراء

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص٤٩٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الشورى وما ينتج عنها.

استدلال حسي بواسطة التشبيه: المستشارون في مجالس الشورى ومهامهم تجاه المجتمع كربان السفينة الذي يحركها ويرسو بها على الشاطئ.

النتيجة: وجوب التحلي بالصدق والنزاهة والحذر من الخيانة في الدين والأمة والمجتمع، وعدم اتخاذ قرارات لأجل المنفعة الشخصية.

ومما سبق يمكن تأكيد صلة التشبيه بالحجاج. أنك لا تصل إليه -كما يذكر عبدالقاهر الجرجاني - إلا بعد جملة من الكلام أو أكثر، حتى إن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر.(١)

فالتشبيه لا يحمل طاقة إخبارية إعلامية، بل يحمل طاقة حجاجية تأويلية. فعندما تُعقد المشابهة بين أطراف مختلفة تتساوى أو تتقارب في أوجه الشبه، فإن هذا التقارب بينها يعطيها قوة حجاجية، إذ إن هذا التقارب لا يمكن حمله على الحقيقة، خاصة بين (العقلي والمحسوس) لذلك يجب البحث عن الدلالة الثانية. هذا البحث يجعل التشبيه ذا قدرة حجاجية كبيرة؛ لأن فيه استحضارًا للأشياء المكونة لعناصر التشبيه واستدعاءها ذهنيا.

إن استخدام المخاطِب لأساليب التشبيه المختلفة ساعد على النفاذ إلى ذهن المتلقي واستمالته إلى ما يريد، وإقناعه بما يُطرح عليه من آراء وأفكار. فعقد الصلة بين الصورتين تمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه.(٢) فالشيخ عبدالرحمن السديس يسعى عن طريق تشبيهاته والتنويع فيها-كما ظهر جليا-إلى شحن ذهن المتلقي لخطابه، وجذب انتباهه، ودفعه إلى التأمل والتفكير فيما بين المشبه والمشبه به من أوجه متفقة ونواح مختلفة، وهو ما يجعل المتلقي يربط الأسباب بمسبباتها، والنتائج بمقدماتها.فالتشبيهات الواردة في كوكبة الخطب المنيفة - عامة -لا يجد المستمع

(١) يُنظر: أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، ص٩٢.

(٢) يُنظر: إستراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، ص٤٩٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

صعوبة في فهمها وإدراك ما يقصده الشيخ منها.

❖ ثالثًا: الكناية وطاقتها الإقناعية:

تعد الكناية من وسائل التفنن القولي في إثبات المعاني الحجاجية. وهي: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد، يريدون طول القامة، وكثير رماد القدر، بعنون كثير القرى."[١] وهذا مما يثبت حجاجية الكناية؛ لأن مراد المتكلم منها إثبات معنى من المعاني بذكر ما يجاوره كدليل عليه. فحجاجية الكناية تبرز عن طريق النظر التي تتمر على الذهن للوصول إلى المعنى الكنائي المراد. فهناك دال أول ليس المراد، وإنما المراد هو الدال الثاني، ويكون الدال الأول دليلا على المدلول المراد.

إن وظيفة الكناية بالنسبة إلى الحجاج لا يكون في إيجاد الادعاء، ومن ثم تأجيل الاعتراض، بسبب استدعاء العلاقات بين المشبهات، وإنما تكون وظيفة الكناية في (التبئير)، الذي يجعل من المعنى الكنائي بؤرة للاهتمام، ويقوم المرسل بتسليط الضوء عليه؛ لأنه أهم معلومة يريد إيصالها إلى المتلقي.[٢]

وقد أفاد الشيخ السديس من هذه الآلية. فعلى الرغم من أنه في خطابه العام وقضايا المعروضة وسمه الوضوح في الأفكار والإفصاح عن المقاصد؛ فإنه ينزع إلى الإضمار والتكنية في معظم الأحيان لغايات حجاجية وهدف إقناعي يرغب عن طريقهما في تعليق السامع بالفكرة والتوصل إليها، فيتقاسم المتلقي مع المرسل الفكرة، ومن ثم حصول الإقناع الذي يقصده. ومن أمثلة ذلك قوله:

---

(١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص٦٦.

(٢) يُنظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو (الحجاج)، عبدالله صولة، ضمن "الحجاج مفهومه ومجالاته"، ج١، ص٤٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

" إخوة الإسلام، كم تَرْتَعِدُ الفَرَائِص، وتَوْجَلُ القُلُوْبُ، وتُـرَى قَسَمَاتُ الاِسْـتِنْكَارِ فِي الوُجُوْهِ؛ إذَا حُذِّرَ المـسْلِمُوْن مـن الشِّـرك والقتْـل، والرِّبـا والزِّنـى...إذ هـي ذُنُـوْبٌ تَوَعَّد الله عليها وعيدا شديدا في الدنيا والآخرة... إذا كان ذلك كـذلك يـا عبـاد الله فهـل تعلمون ما هو أخطر من ذلك كله، بـل مـا هـو أصـل للشـرك والكفـران وأسـاس البـدع والعصيان.... ذلكـم هو: القول على الله بغير علـم."(١)

والفَرِيصـةُ الـمُضْغةُ القليلة، تكون في الجنب تُرْعَد من الدابة إذا فَزِعَت، وقيل - أَيضـًا-: هي اللحمة التي بين الجَنْب والكتف التي لا تزال تُرْعَد من الدابة، وقيل: جمعها فَرِيصٌ وفَرائِصُ، والفَرِيصةُ: اللحمُ الذي بين الكتـف والصـدر ؛ ومنـه الحـديث: فجـيءَ بهما تُرْعَدُ فرائِصُهما أي تَرْجُفُ.(٢)

فالخطيب يتحدث عن عظم أمر الافتاء بغير علم ولا دراية. فـإذا كانـت الفـرائص ترتعد، ويستنكر المسلمون الشرك والقتل، والزنـا والربـا، وغيرهـا مـن الكبـائر، فـإن هناك ما هو أخطر شأنا، وأعظم جللاً ألا وهـو: القـول علـى الله بغيـر علـم. حيـث عـدد الشيخ كثيرا من الكبائر والموبقات، ثم أتـى بصـيغة التفضـيل **(أخطـر)** ليبـين خطـورة الإفتاء بغير علم. إذ إن تكمن وظيفة صيغة (أفعـل) الحجاجيـة فـي أنها"تتضـمن صيغـًا تمكن المرسل من إيجاد العلاقة بين أطراف ليس بينها أي علاقة بطبعها، كما تمكّنه مـن ترتيب الأشـياء ترتيبـًا معينـًا. فبـدون اسـتعماله مـا كـان لهـا أن تترتـب، لـذلك يصـنفه (بيرلمان) في حجاج التعدية.(٣)"

فبنيـة اللفـظ **(أخطـر)** ذات طاقـة حجاجيـة أقنعـت المتلقـي بـأن كـل تلـك الـذنوب

(١) كوكبة الخطب االمُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول ص٧١-٧٢.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة (فرص) ج٧ ص٦٣.

(٣) "التعدية: هي ترتيب الأشياء في سلم، بعقد علاقـة بينهـا، رغـم عـدم وجـود هـذه العلاقـة قبـل التلفظ بالخطاب." إستراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري، ص٥٢٦، ص٥٢٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والكبائر أقل خطرًا من القول على الله بغير علم. فالخطيب يستعرضها على عظم ذنبها إلا أنه في آخر الفقرة يبين أن الإفتاء والقول على الله بغير علم أعظم وأشد فظاعة من تلك الذنوب كلها؛ لأن الكبائر تخص صاحبها فقط، كما أنها تنتهي في وقتها بانتهاء العمل بها، أما الإفتاء والتقوُّل على الله بغير علم فخطره يمتد لزمن آخر بعد زمن الفتوى، فكانت صيغة التفضيل رافدًا حجاجيًّا، مهما أسهم في إثبات التفاوت والتفاضل بني الطرفين. وهنا نجد التأثير الكبير للغة والتمكن من استخدامها بذكاء بهدف وصول الرسالة الإقناعية بشكل متكامل إلى آخر الفقرة.

والكناية في قوله:**(ترتعد الفرائص)** كناية عن الخوف والفزع، وتوزيعها على النحو الآتي:

اللفظ المنطوق (كناية) ⟵ الدال الأول ⟵ الدال الثاني

ترتعد الفرائص ⟵ ارتجاف مضغة في الكتف ⟵ الفزع و الخوف

↓

دليل على الفزع والخوف

ومما سبق يمكن بيان الحجج والنتائج على النحو الآتي:

الحجة:عظم الافتاء بغير علم وخطورته، وأن أكبر الكبائر أقل خطرا من القول على بغير علم.

النتيجة:الانتهاء عن الإفتاء بغير علم، والعمل على طلب العلم العقدي والديني من منابعه وأصوله المعلومة.

ومن الكنايات الموظفة في خطاب الشيخ عبدالرحمن السديس قوله: **"ما الذي دهانا معشر المسلمين؟! وما الذي أصاب أمتنا فذلت وهانت؟! ما الدواعي والعوامل التي أوصلتها إلى حضيض الغبراء بعد أن كانت في ذرا العلياء؟! ما الذي جرها إلى**

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

هذا المنحدر العميق، وطوَّح بها في أعماق هذا الواقع السحيق؟!"[1]

فقد استهل الشيخ هذا المقطع الخطابي باستفهام تعجبي إنكاري،حيث يستعجب من وصول الأمة الإسلامية لحال مزرٍ متردٍ، يتداعى عليها الأعداء من كل مكان، بعد أن كانت قائدة ورائدة على كل الأمم،ثم يردف بالإجابة عن ذلك التساؤل بقوله: **"والجواب -الذي لا يختلف فيه اثنان- هو: أن سبب ذلك كله في الوقوع في الذنوب والمعاصي"**[2]

فالشيخ يريد إقناعنا بدعوى: أن الذنوب والمعاصي سبب لكل ما يحصل للأمة الإسلامية من هوان وذلة؛ لأن لا عزة لها إلا بالإسلام الصحيح، الذي يطاع فيه الله ورسوله.

وقد جاءت الكناية في صورتين:

الأولى: ذرا العلياء ← **كناية عن** عزة ورفعة الإسلام.

الثانية: حضيض الغبراء ← **كناية عن** الذل والهوان الذي تعانيه الأمة.

أما العملية الحجاجية؛فكانت غاية في الدقة في تصوير الحالين المتضادتين للأمة الإسلامية. فلو عبر بغير الكناية لما كانت بهذه القوة في التأثير والإقناع، فإننا نتصور المفارقة والبون الشاسع بين حالي الأمة عندما نقلها الإسلام إلى عالي القمم، وأصبحت ذات سيادة ورفعة بين كل الأمم، لها ثقلها وصيتها بينهم. ولما تهاون المسلمون في أداء واجباتهم واستهانوا بالمحرمات ذلت وهانت عزيمتهم. إن هذه التباين بين الحالين يؤدي وظيفة في الخطاب الحجاجي من حيث هو انحراف لغوي ومن حيث هو تضاد حيث يخلق دلالات عديدة يتحرك خلالها المتلقي. وقد عضد السياق بصيغة الاستفهام

(١) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٥٧٤.

(٢) السابق، نفس الصفحة.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الذي يضيف معنى الإنكار والتعجب، ثم التعليل لسبب عودة الأمة إلى ذل وهوان هو كثرة ذنوبهم ومعاصيهم. ومما سبق يمكن بيان الحجج والنتائج على النحو الآتي:

الحجة: إن المسلمين لن ينالوا عزة ولا مجدا ولا رفعة إلا بالإسلام الصحيح البعيد عن الذنوب والآثام.

النتيجة: تقويم النفس، وتطهيرها من ارتكاب الذنوب والمعاصي وتربية النشء على ترك المنكرات وحب الخيرات.

ومن الكنايات الحجاجية قوله:

"كلما اتسعت رقعة الشائعات الباطلات والأراجيف الذائعات، التي يروجها ذو قحة وغِلالة صفيقة،كان إثمه عند الله أعظم."(١)

إن عبارة (ذو قحة وغلالة صفيقة) كناية عن قلة حياء الناشر للإشاعات، ومعنى (ذو قحة): قليل الحياء، من الوقاحة.(٢) و (غِلالةُ): لباس يلبس تحت الثوب أو تحت الدرع.(٣) فما شأن هذا الشخص إلا نشر الشائعات، فهو يرتدي لباسا قصيرا يصدر الأصوات يتنبه لها كل من يسمعه فثيابه صفيقة. إن التبئير- هنا - يبرز تلك الأصوات الصادرة من ثياب ذلك الذي لا يستحي في نشر الإشاعات، ويستثمر أسلوب الكناية لإبراز سعة انتشار تلك الشائعات التي تتحرك معه أينما ذهب. فهنا يستدل على سعة الانتشار بسعة اصوات ثيابه وتصفيقها. فهذه الكناية تحمل في ثقلها الثقافي لدى المسلم العربي صورة ترسخت لديه، تتمثل في صور الرجل الذي لا يتحلى بصفة الحياء وثيابه صفيقة،غاية في التحقير، مما يجعلها تؤدي وظيفتها الحجاجية والعبور عن طريق هذه الصورة المستحقرة؛ ومن ثم حصول الاقتناع الذي به يرجى به الانتهاء عن

(١) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٤٧٩.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة (وقح)، ج٢، ص٦٣٧.

(٣) لسان العرب، مادة (غلل)، ج١١، ص٣٦٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

فعل هذا السلوك الغير حضاري.

ذو قـحة **كنـاية عن** : الرجـل قلـيل الحياء

ذو غلال صفيقة **كنـاية عن** : سعة انتشار شـائعاته

ويمكن استبيان النتائج والحجة على النحو الآتي:

الحجة: عظم إثم ناشر الشائعات بين المسلمين.

النتيجة: الحذر من تناقل الشائعات وتـداولها.

ولا تتوقـف الوظيفـة الحجاجيـة للكنايـة فـي خطـاب الشـيخ السـديس - هنـا- بـل يتجاوزه إلى إبراز نوع من التلميح، الذي يعطي الحجاج قدرا كبيـرا، ويسـهم فـي جذب المتلقي والتأثير فيه حيث يقول في إحدى الخطب: **"و بينما العالم مستغرق في هجعتـه، ومدلج في ظلمته، إذا بصوت الإمام المصلح الشهير، والمجدد الكبير– نور الله مثواه، وأعلى في الجنة مأواه- يدوي من قِبل الصحراء؛ لإيقاظ الأمة من سباتها العميق حتى تبدت تباشير الإصلاح..."**(١)

ففـي (الإمـام المصـلح الشهـير- المجـدد الكبيـر) كنايـة عـن الشـيخ: محمـد بـن عبدالوهاب، وهي كناية تلمح إلى صحة العقيدة التي جـاء بهـا، وخلوهـا مـن كـل البـدع والخرافات التي أُلحقت بهذه الدعوة. هذا التلميح يؤدي إلى دلالات عديـدة يتنقـل خلالهـا المتلقي. فالمجدد يعني أنه لم يأتي بجديد، وإنما جدد مـا جـاء بـه النبـي محمـد صـلى الله عليه وسلم. وبعد تأمل المستمع تبرز له النتيجة التي يريد المرسل إيصالها وهـي: اتبـاع عقيدة التوحيد الخالصة، التي جددها وأعادها للنور الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وقد عضد السياق - هنا - بصـورة كليـة، تمثلـت فـي نـوم وسـبات أهـل الإسـلام، وغرقهم في وحل البدع والخرافا، ليـأتي صـوته مـن عمـق الصـحراء، مـدويا ليبشـرهم

(١) كوكبـة الخطـب االمـُنيفة مـن منبـر الكعبـة الشـريفة، الشـيخ: عبـدالـرحمن السـديس، السـفر الثـاني، ص٦٢٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

بدعوة تعود بهم إلى منبع عقيدتهم الصحيحة.

ومما سبق يمكن تبيين الحجة على النحو الآتي :

الحجة: عظم نعمة إظهار الحق، وبيان العقيدة الصحيحة على يد المجدد الشيخ: محمد بن عبد الوهاب ç.

النتيجة: الالتزام بمنهج السلف الصالح، وتربية النشء على أصول الإسلام الصحيحة، والسير على خطى النبي- صلى الله عليه وسلم -وسلامة المعتقد، وصفاء العقيدة.

ويستثمر الشيخ السديس الكناية لإبراز قوة الحدث أوالقضية التي يتحدث عنها:

"معاشر المسلمين في كل الأصقاع، إخوة العقيدة في كل البقاع، يُذّكر بذلك أيها المحبون في هذه الآونة الأخيرة، التي غشى الكون فيها ليل ثقيل، ولفه صمت مكدود عليل، وتصدع فجر المسلمين عن فاجعة تاريخية سفعاء، حيث نعبت أصوات بالإفك والبهتان، وجرت أقلام في أودية الزور والضلال والعصيان برسومات حاقدة ماكرة، تنهد لها القامة، وتتزلزل له الهامة...استهزأ عفكل عرموط برسول العالمين، ورحمة الله للخلائق أجمعين."(١)

بدأ بالنداء العام لكل المسلمين في كل البقاع والأصقاع، وهذا النداء يوحي بعظم الأمر المنادى له، ثم يذكر بالحدث العظيم الذي وقع في تلك الأيام بشكل تصويري لحال الأمة بعد ذلك الحدث الشنيع حيث غشى الليل الثقيل هذا الليل يلفه صمت عليل، ليظهر الفجر بفاجعة في تاريخ المسلمين، لأن ذلك العفكل العرموط الذي يسخر من نبي الرحمة.

ولنا أن تخيل ذلك الحدث الشنيع من تلك الصور التي رسمها لنا الخطيب ففي ليلة الحدث كان ليلا ثقيلا عمه الصمت، ليظهر فجر المسلمين على فاجعة الانتهاك

(١) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٦٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

للجناب النبوي، حيث جرت في أودية الضلال والطغيان كما يجري السيل في الوديان، فرسمت أقلامهم زورا وضلالا وعصيانًا وحقدا ومكرا رسومات هازئة. هذا الحدث يصوره في صورة قاتمة تشمئز منها النفس العادلة الفطنة.

وقد جاءت الكناية - هنا - خادمة للسياق في قوله: **"عفكل عرموط"**، ومعناها: الأحمق الصعلوك.(١) وهذا فيه سخرية لاذعة، تعمد الخطيب استخدام اللفظين لتكرار حرف العين، وتكراره على هذه الصورة جاء منبعثا من المثير النفسي للمتكلم، يفضي بهذا التأثير والأثر في نفس المخاطَب.

وهذا التعبير يشعل شعور المخاطب، ويوقظ عاطفته تجاه هذه الشخصية، التي أصبحت عدوا لكل مسلم غيور على دينه. ونلاحظ المنظومة المقطعية تشع بالأساليب التصويرية التي تعد من أنجع الوسائل الحجاجية الجمالية، وشدة التعبير والإحساس المؤلم الذي يشعر به الشيخ يصل بالمخاطب إلى حد القناعة والاقتناع بمدى رقاعة وحماقة ذلك الرجل، الذي لم يرع حرمة الحديث في نبي الرحمة. شخص مجهول لا قيمة له يتحدث عن أعظم شخصية ومخلوق عرفه التاريخ. كذلك يلفت انتباهنا - هنا - كثرة السجع والمؤثرات الصوتية، التي وقعت في قوله (**عليل وثقيل**)، معبرة عن الحزن والأسى، وبين (**هامة، وقامة**) معبرة عن شناعة هذا الفعل. فهذا البعد الإيقاعي في كثير من السياقات كان سببا في تفجير طاقات حجاجية عن طريق شد الانتباه والانفعال بما ينفعل به المتكلم.

و يمكن بيان الحجة والنتيجة على النحو الآتي:

الحجة: عظم وشناعة فعل المستهزئ بالنبي، محمد صلى الله عليه وسلم.

النتيجة: وجوب الانتصار له (ﷺ)، والعمل على نشر سيرته العطرة، التي لوثها الحاقدون على دين الإسلام.

---

(١) لسان العرب مادة (عفكل، عرمط).

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

إن الكناية وسيلة أبلغ من الإفصاح والتصريح، فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية، لا يكون للتصريح أن كل عاقل يعلم -إذا رجع إلى نفسه-أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها أوكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا.(١)

كذلك نجد أن سياق الخطاب الديني لا يقدم مقاصده بأسلوب صريح، يقرر فيه قضيته، بل يعمد إلى توظيف الصور البلاغية على تعددها واختلافها، لما فيها من طاقة حجاجية نابعة من طريقة ربطها بالواقع المشاهد والمحسوس،مما يجعله ممتنعة للرفض أو النقض.

وختاما... نجد أن الخطاب الديني الحجاجي بنية مركبة تتأثر بالأنماط الثقافية والسياقية واللغوية المحيطة. حيث يعد "ممارسة لفظية اجتماعية عقلية، تهدف إلى تقديم نقد معقول حول مقبولية الموقف بصياغة مجموعة تراكمية من القضايا، التي تبرز الدعوى المعبر عنها في الموقف أو تدحضها."(٢)

وقد تنوعت الحجج التي لجأ إليها السديس في خطابه الإقناعي تنوعا وفق طبيعة الحجاج المتمثل في كونه "وسيلة يتحقق بها التخاطب. فإنه لا يقدم بصورة واحدة، بل يكون بطرق مختلفة، ويتلون بصور ووجوه متنوعة."(٣) كما أن قضايا خطابه اقتضت - بطبيعتها وموقف المستمعين منها- أنوعا مختلفة من الحجاج.

ويتميز الأسلوب الخطابي- عامة- لدى الشيخ عبدالرحمن السديس بالمزج بين الأدلة التي تكفل الإقناع، والإثارة التي تحقق الاستمالة، فهو يثبت الحقائق ويقررها، فيتجه إلى الأذهان والعقول، كما يثير العواطف ليحقق التأثير والاستمالة عن طريق الوجدان. وقدم الخطاب الديني الوعظي للشيخ السديس نموذجا متكاملا لمتانة الأسلوب

(١) يُنظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص٧٢.

(٢) آليات الحجاج وأدواته، عبدالهادي الشهري، ضمن كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته" ج١، ص٧٧.

(٣) الاستدلال الحجاجي التداولي، رضوان الرقبي، ص٧٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الخطابي الذي يجب أن يُتبع ويحتذى به في كل الخطابات الدينية، بداية من ألفاظه المعجمية الجزلة والفصيحة، التي لوحظ أنها مستوحاة من المعجم الديني غالبا، مرورا بالأساليب البلاغية المتنوعة كالاستفهام والنهي والإطناب والتوكيد...، وانتهاء بالصور البلاغية بتشبيهاتها واستعاراتها وكنايتها المبتكرة.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الفصل الثالث

الخطاب الإقناعي وطرق الاستدلال

وفيه مدخل ومباحث خمسة:

- المبحث الأول: القيـاس.
- المبحث الثاني: التقــابل.
- المبحث الثالث: الـتناقض.
- المبحث الرابع: السبر والتقسيم.
- المبحث الخامس: التضمين والاقتباس.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مدخـــــــل

يتخذ الخطاب الوعظي جملة من الأدوات الحجاجية التي تدفع بالمتلقي إلى التأثر والإقناع، ومن ثم التسليم والعمل بمقتضى ذلك الاقناع. ولتفعيل هذه الكفاءة التواصلية التي تروم تحقيق نتائجها نجد أن آليات الخطاب الحجاجي تتنوع، ويعد الاستدلال من آليات الحجاج الأكثر امتدادا واتساعا.

والاستدلال يضرب بجذوره في علم المنطق، فهو"استنتاج قضية من قضية أو عدة قضايا أخرى، أو هو الوصول إلى حكم جديد مغاير للأحكام التي استنتج منها، ولكنه -في الوقت نفسه -لازم لها، متوقف عليها، وهو عملية عقلية تُتخذ فيها قضية واحدة، أو أكثر- مسلم بها- دليلا للأخذ بصدق قضية أخرى، بوساطة التفكير وحده."(١) كما يمثل الاستدلال "كل قضية ضمنية يمكن استخلاصها من قول أو استخلاص نتيجة من محتواها الحرفي بالتأليف بين معطيات متنوعة من داخل القول ومن خارجه."(٢) و يُعرف بأنه" طلب للدليل يفترض معطيات ثلاثة على الأقل هي: الدليل المطلوب، والنتيجة– بما أن حد الدليل هو ما يلزم من العلم بشيء آخر - وعملية الاستدلال، التي تمثل العلاقة الرابطة بين الدليل والنتيجة."(٣)

إن الأقوال التي يتكون منها استدلال ما مستقلة بعضها عن بعض، بحيث أن كل قول منها يعبر عن قضية ما؛ ليصف حالة ما أو وضعا ما، بوصفه وضعا واقعيا أو متخيلا؛ ولهذا فإن تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسسا على الأقوال نفسها، ولكنه

(١) طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين، يعقوب عبد الوهاب الباحسين، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، ص٢٠١.

(٢) التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، آن ربول وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباتي، دار الطليعة بيروت، الطبعة الولى، ٢٠٠٣، ص٢٦٢.

(٣) الاستدلال البلاغي، شكري المبخوت، ص١٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مؤسس على القضايا المتضمنة فيها.(١)

ويرتبط الاستدلال بالحجاج من حيث أنه يمثل "سياقه العقلي أي تطوره المنطقي. ذلك أن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة، فيكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي.و تهدف إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس. فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صوره وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية، ترتيبا يستجيب لنية الإقناع."(٢) فالاستدلال يتبلور في كل خطاب حجاجي، بل أنه ضرورة يتطلبها السياق الثقافي والاجتماعي. وأن الوظيفة - التي يؤديه الاستدلال المنطقي في توجيه المتلقي الوجهة، التي يريدها المرسل، وذلك بعرض مجموعة من المسلمات المنطقية المؤدية إلى التسليم والإذعان، أو زيادة في درجة ذلك التسليم - وظيفة لا يُشك فيها.

ومن الواضح أن بنية الاستدلال -التي يستعملها متكلم اللغة- ليست تماما كبنية القياس الصوري، ذلك أن مستعملي اللغة لا يستدلون بالمعنى الشكلي، بل يستدلون بمقدمات يختارون إظهارها وفق ما تقتضيه مقدمات القول أو عدم إظهارها اعتمادا على ذكاء المتلقي أو لاعتبارات تداولية أخرى، فقد يسخرون بعض المقدمات أو النتائج ولا يأبهون بها. إنهم يستدلون بصفة سليمة في كثير من الأحيان دون أن يستعملوا لهذا الغرض قواعد المنطق الشكلي؛ لانطلاقهم– مثلا-من مقدمات احتمالية مقبولة. وذلك إما لأنها واضحة، وهو قليل أو لأنها قبل أن تكون مقبولة كانت موضوع حجاج.(٣) وهذا مما يميز الاستدلال الحجاجي الذي يحتوي على مقدمات "لا يشترط التصريح بها كاملة، كما لا يمكن صياغتها وفق نموذج علمي صارم، وهي مقدمات ظنية افتراضية

(١) يُنظر: اللغة والحجاج، أبو بكر الغزاوي، ص٢٢.

(٢) الحجاج في الشعر العربي القديم، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص٢٧.

(٣) يُنظر: عندما نتواصل نغير، عبد السلام عشير، ص٩٢-٩٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

قابلة للمناقشة."[1]

ولقد سلك الشيخ السديس سبلا استدلالية حجاجية متنوعة،مزج فيها بين الاستدلالات المنطقية والآليات الإسلامية. ولم يكن صارما عند اتخاذه الآليات المنطقية الاستدلالية، وإنما اعتمد على قوانين منطقية، تظهر الدليل وتبرزه،كما طرح مجموعة من الاستدلالات في خطابه التي يدعمها العقل، وتقبلها الفطرة السليمة. واستند في صياغة الخطابات على الاستدلال مراعيا بذلك المعطيات العقلية التي تتكون في ذهن المتلقي؛ لاستمالته والتأثير فيه لتحصل القناعة الكافية المؤسسة على تلك المعطيات التداولية.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١) الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، حبيب إعراب، مجلة عالم الفكر، عدد١، مجلد ٣٠، الكويت، ٢٠١١م ص٩٧.

المبحث الأول

القيـــــــــــــاس

يعد القياس من التقنيات الحجاجية التي تحقق الإقناع ؛ لأن "القياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان."[١] لذا فالقياس بنية حجاجية أساسية في كل خطاب حجاجي، فهو: "أحد طرق الاستدلال غير المباشر وأقومها إنتاجا."[٢] فالاستدلال القياسي"يحتوي الآليات التي يتوالد بها كل خطاب طبيعي، وتتكاثر بها أجزاؤه، وتتماسك فيما بينها."[٣]

ويُعرف القياس بأنه: "آلية أساسية من آليات الذهن البشري، تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما، للوصول إلى استنتاج ما بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك؛ بناء على أن القياس يقوم على التجربة، التي ينطلق منها المتكلم لتشكيل صورة استدلالية."[٤]

وتكمن أهمية القياس في الحجاج في أن مستخدمه لا يصدر حكما من عنده، لا يبتدئه، وإنما يمدد حكم الأصل إلى الفرع إثباتًا أو نفيًا، اعتمادا على ما يجده هو من شبه بينهما يبرز القياس[٥]؛ مما يزيد من القوة الإقناعية لخطاب المتكلم، ومن ثم يمكن

(١) أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، ص٢٠.

(٢) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م، ص٢٢٧.

(٣) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، ص١١٥.

(٤) عندما نتواصل نغير، عبدالسلام عشير، ص٩١.

(٥) بنية العقل العربي، محمد عابد الجبري، ص١٣٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

للمحاجج أن يعتمد على القياس كآلية حجاجية تستخدم في إقناع الآخرين. ولقد تنوعت أنواع الأقيسة وفقا لتنوع الخطابات الحجاجية، التي تتضمنها بنيتها، فنجد عدة صور، منها ما يأتي:

❖ ١. القياس المنطقي:

يُعَرَّف القياس المنطقي عن العلماء بأنه: "صيغة شكلية لإثبات حقائق سبق العلم بها، ولكن حصلت الغفلة عن جوانب منها، إذ يأتي القياس المنطقي منبـها عليها، أو مُلْزما الخصم بها إذا هو أنكرها."(٢) ولا يختلف مفهوم القياس المنطقي عن المفهوم العام للقياس. فلا يجب القياس إلا عن قول يتقدم يكون القياس نتيجته، وربما كان ذلك في اللسان العربي مقدمة أو مقدمتين أو أكثر على قدر ما يتجه من إفهام المخاطب، غير أن أصحاب المنطق يقولون: إنه لا يجب قياس إلا عن مقدمتين لإحداهما بالأخرى تعلق"[١] في ضوء ما سبق بيانه عن طبيعة القياس المنطقي وشروط تحققه الرئيسة أن ماهيته ترتكز على لزوم نتيجة من مقدمتين بينهما تعلق دلالي.

فلابد لبناء قياسي منطقي من وجود تعلق دلالي منطقي بين ثلاثة أقوال: الأول المقدمة المنطقية الكبرى والثاني المقدمة المنطقية الصغرى والثالث النتيجة، وذلك بأن تكون المقدمة الصغرى منضوية تحت الطبقة أو المفهوم الذي تقدمه المقدمة الكبرى، ويتم استخلاص النتيجة من المقدمتين.[٢]

ويمثل القياس المنطقي بنية أساسية في كل خطاب حجاجي، حيث تكمن وظيفته في الخطاب الحجاجي في الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب - أي المقدمة الكبرى- إلى ما هو مشكل ؛ أي إلى النتيجة[٣]. ولا يشترط في الخطاب الحجاجي أن يعرض

(١) يُنظر: البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، تحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر، ١٩٦٩م، ص٦٨.

(٢) يُنظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، ص١٦٩، ١٧٠.

(٣) يُنظر: التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، ص١٨١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المحاجج أقواله دائمًا بنفس الصياغة والترتيب المباشرين للنموذج القياسي التقليدي، بل كثيرًا ما يخالف في الترتيب ويزيد في العبارة بأحد الأقوال، وربما توزعت أقوال القياس على مساحات شتى من النص.(١).

ومن أمثلة القياس في كوكبة الخطب قول الشيخ: **"الصراع بين قوى الخير والشر: سنة جارية، وشرعة ماضية، تؤكدها شواهد التاريخ وشهادات الواقع، غير أن النهاية الحتمية -تأكيدا لوعد الله الذي لا يختلف، وسنته التي لا تتغير ولا تتبدل - هي إحقاق الحق، وإبطال الباطل ولو كره المجرمون؛** (ئه ئو ئو ئۇئۇ ئۆ ئۈ ئۇ ئې ئې ئىئى)(٢). **ومن فضل الله ولطفه ورحمته بعباده: أن هيأ لهذه الأمة في كل زمان ومكان من يضيء لها معالم الدروب...منَّ الله على هذه الأمة ببعثة النبي المصطفى ﷺ."**(٣)

في الخطاب السابق تتعلق المقدمة الثانية- (غير أن النهاية الحتمية هي إحقاق الحق، وإبطال الباطل ولو كره المجرمون)- دلاليا بالمقدمة الأولى (الصراع بين قوى الخير والشر:سنة جارية، وشرعة ماضية، تؤكدها شواهد التاريخ وشهادات الواقع). كما أنها تسند النتيجة - التي تمثل الهدف الذي يسعى إليه الشيخ - إلى إقناع المتلقي به، وهو أن النبي محمد ﷺ منة الله على عباده بعد أن علا طوفان الجاهلية، وطغى الشرك والوثنية. ويدعم الشيخ المسار الحجاجي في هذا الخطاب بآية من القرآن تؤكد ما يذهب إليه في إحقاق الحق وإبطال الباطل. فالحق هو الماء الذي ينتفع الناس منه، والباطل هو الزبد الذي يذهب جفاء، ويمكن توضيح القياس الحجاجي على النحو الآتي:

المقدمة الكبرى:الصراع بين قوى الخير والشر:سنة جارية، وشرعة ماضية،تؤكدها شواهد التاريخ وشهادات الواقع.

---

(١) يُنظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، ص١٦٨- ١٧٠.

(٢) سورة الرعد: آية ١٧.

(٣) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٦٠٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المقدمة الصغرى: أن النهاية الحتمية هي إحقاق الحق، وإبطال الباطل ولو كره المجرمون.

النتيجة: من فضل الله ولطفه ورحمته بعباده أن هيأ لهذه الأمة في كل زمان ومكان من يضيء لها معالم الدروب حيث منَّ الله على هذه الأمة ببعثة النبي المصطفى (ﷺ). ومن أمثلة القياس الاستدلالي قوله: **"أيها المسلمون: صناعة الأمجاد وبقاء الأمم يكمن في خلود الحضارات، وسر بقاء أمجاد الشعوب، وخلود حضارات الأمم يكمن في مجموعة عناصر رئيسة، تأتي في طليعتها: عقيدة إيمانية، ومثل وقيم أخلاقية."**(١)

و هنا يعمد الشيخ إلى توجيه ضروري لقضية الدين والأخلاق والقيم مستندا إلى القياس المنطقي لإيصال فكرته والوصول إلى غرضه، ولذا خدمت المقدمة الأولى (صناعة الأمجاد وبقاء الأمم يكمن في خلود الحضارات) المقدمة الثانية: (وخلود حضارات الأمم يكمن في مجموعة عناصر رئيسة) وكلتا المقدمتين ساعدتا في توكيد المسار الحجاجي وتحديده نحو النتيجة المبتغاة وهي:) العقيدة الإيمانية والمثل والقيم الأخلاقية سر بقاء الأمم وخلود الحضارات) ويمكن تمثيل ذلك حجاجيا على النحو الآتي :

المقدمة الكبرى: صناعة الأمجاد وبقاء الأمم يكمن في خلود الحضارات.

المقدمة الصغرى: سر بقاء أمجاد الشعوب، وخلود حضارات الأمم يكمن في مجموعة عناصر رئيسة.

النتيجة: أهم العناصر التي تقف وراء بقاء أمجاد الشعوب، حضارات الأمم هي: عقيدة إيمانية، ومثل وقيم أخلاقية.

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني ص٦٣٢-٦٣٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ومن نماذج القياس قول الشيخ السديس: **"عباد الله: خلق الله الإنسان فأبدع ما صنع، ركب فيه متطلبات الروح والجسد، فالإنسان بمعناه الحقيقي روح تنشد ذرا العلياء، ونفس تحلق في قمم السماء، وهمة تعانق الجوزاء، والناس على الحقيقة مجموعة من المشاعر الفياضة، والأحاسيس المرهفة، والضمائر الحية، والقلوب اليقظة، تتعانق بينهم الرحمات، وتتلاقى عندهم العزمات، وتحسن بينهم النوايا والإرادات."**(١)

حين تحدث الشيخ عن قضية (التراحم بين الناس) جاء بالمقدمة المنطقية الكبرى، المتمثلة في أن (الله ركب في الإنسان متطلبات الروح والجسد). وجاءت المقدمة الصغرى- (الإنسان بمعناه الحقيقي روح تنشد ذرا العليا)- خادمة للمقدمة الكبرى ومفسرة لمضمونها وموضحة لها، وكلتا المقدمتين توصلان إلى نتيجة واضحة تساعد على بلوغ المتلقي للفهم والاقتناع ويمكن بيان القياس على النحو الآتي:

المقدمة الكبرى: خلق الله الإنسان فأبدع ما صنع، ركب فيه متطلبات الروح والجسد.

المقدمة الصغرى: فالإنسان بمعناه الحقيقي روح تنشد ذرا العلياء.

النتيجة: الناس على الحقيقة تتعانق بينهم الرحمات، وتتلاقى عندهم العزمات.

لقد أدى القياس في الخطب وظيفة مهمة، واستخدمه المرسل لهدف الوصول إلى نتيجة أقرب إلى الصحة وتسليم المتلقي وإذعانه بنتائجها.

❖ ٢. القياس المتدرج:

يعد القياس المتدرج شكلاً من أشكال تحديد العلاقات المنطقية الدلالية بين الأقوال وما تعبر عنه من قضايا شأنه شأن القياس المنطقي، إلا أن القياس المتدرج فيه يُبنَى القول اللاحق على جزء من القول السابق، حتى ينتهي القياس المتدرج إلى نتيجته. أما

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص٢١٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

في القياس المنطقي التقليدي فتنتمي المقدمة الصغرى إلى الطبقة الأعلى في المقدمة الصغرى، وهذا تمييز واضح بين النوعيين.(١) و القياس المتدرج يعد امتدادا معقدا للتعليل القائم على القياس المنطقي، ذلك أنه تتصل بعض مجموعات القياسات المنطقية ببعض حتى تؤدي إلى نتيجة هي المقدمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة.(٢)

ومن أمثلة القياس المتدرج عند الشيخ السديس قوله:

"لقد جاء الإسلام دينا كاملا، ونظاما شاملا، عم بإصلاحه البلاد والعباد،...لقد أقام الإسلام نظامه الاقتصادي على قاعدة الإيمان وأساس العقيدة،...لقد جاء الإسلام في نظرته الاقتصادية وسطا بين النظم، وعدلا بين المبادئ الرأسمالية والاشتراكية،...أيها المسلمون، ومن أهم ملامح النظام الاقتصادي الإسلامي ومحاسنه تحريمه للربا، وتشنيعه للمرابين."(٣)

المقدمة الأولى: لقد جاء الإسلام دينا كاملا، ونظاما شاملا، عم بإصلاحه البلاد والعباد.

المقدمة الثانية: أقام الإسلام نظامه الاقتصادي على قاعدة الإيمان وأساس العقيدة.

النتيجة الأولى:جاء الإسلام في نظرته الاقتصادية وسطا بين النظم، وعدلا بين المبادئ الرأسمالية والاشتراكية.

النتيجة الثانية: تحريم الإسلام للربا، وتشنيعه للمرابين.

ونلاحظ فيما سبق أن المقدمتين الأولى والثانية تقودان إلى النتيجة: (وسطية

(١) يُنظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، ص١٧٤ -١٧٧.

(٢) يُنظر: النص العربي الحجاجي: دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، ج٢، ص٣٠.

(٣) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٦١٠-٦١١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الإسلام بين جميع النظم الرأسمالية والاشتراكية) وهذه النتيجة مع المقدمتين تؤدي إلى النتيجة التي يهدف الخطيب إلى إقناع المتلقي بها، وهي: (تحريم الإسلام للربا).

ومن نماذج القياس المتدرج قول الخطيب:

" أيها الأخوة في الله: رسالة الإسلام رسالة خير وبر وسلام، ومبادئه مبادئ عدل وحب ووئام... من قواعده: رفع الحرج، ومن منهجه: إصلاح العوج،...يجزر أبناءه عن العنف والقسوة والجفاء والغلظة،...ولهذا كان المجتمع الإسلامي مجتمع محبة وصفاء ومودة وإخاء... وإذا كان السعي لإصلاح ما تفاقم من أحوال الأمة، وما تصدع من بنيان المجتمعات مطلب كل غيور على دينه فإن هناك مبدأ عظيم...هو:مبدأ الرفق في الأمور، في الأقوال والأفعال، في السلوك والمعاملات..."(١)

المقدمة الأولى: رسالة الإسلام رسالة خير وبرٍّ وسلام، ومبادئه مبادئ عدل وحب ووئام.

المقدمة الثانية: من قواعد الإسلام: رفع الحرج، ومن منهجه: إصلاح العوج.

النتيجة الأولى:الإسلام يجزر أبناءه عن العنف والقسوة والجفاء والغلظة؛ ولذلك كان المجتمع الإسلامي مجتمع محبة وصفاء ومودة وإخاء.

النتيجة الثانية: مبدأ الرفق في الأمور، في الأقوال والأفعال، في السلوك والمعاملات مطلب ديني ومبدأ إسلامي عظيم.

نلاحظ في النص السابق أن المقدمتين الأوليتين اللتين قدم بهما النص تقودان إلى نتيجة واحدة، وهي أن: (الإسلام يجزر أبناءه عن العنف والقسوة والجفاء والغلظة)؛ ولذلك من الطبعي أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمع محبة وصفاء، وهذه النتيجة مع المسلمات الأولى الأساسية تقود إلى نتيجة أخرى، هدف إليها المرسل في التدرج،

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٢٨٢-٢٨٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وهي: أن الرفق مبدأ إسلامي قويم ومطلب ديني عظيم في الأقوال والأفعال، وهكذا نجد القياس المتدرج يمتد إلى أقوال متعددة تخدم نتيجة واحدة، وهذا أدعى وأمعن في الإقناع وجذب المتلقي لقبول ما يعرض عليه.

ومن نماذج القياس المتدرج:

"لا يخفى على شريف علمكم أن الأصل الشرعي تحريم النيل من أعراض المسلمين، والأصل بناء حال المسلم على السلامة والستر، وحسن الظن...و المسلم الحق لا يكون معبرا تُمرَّر عليه الواردات والمختلقات، ولا يطيِّر الأخبار كل مطار بلا تثبت ولا روية، ثم ينشر بلسانه بلا وعي ولا تعقل...فالله الله في التزام الإنصاف والعدل حتى مع المخالف، والحذر الحذر من الفتانين المُتجَّنين على أعراض المسلمين، ممن سيماهم توظيف النصوص في غير مجالها!"(١)

المقدمة الأولى: لا يخفى على شريف علمكم أن الأصل الشرعي تحريم النيل من أعراض المسلمين.

المقدمة الثانية: المسلم الحق لا يكون معبرا تُمرَّر عليه الواردات والمختلقات، ولا يطيِّر الأخبار كل مطار بلا تثبت ولا روية.

النتيجة الأولى: الله. الله. في التزام الإنصاف والعدل حتى مع المخالف.

النتيجة الثانية: الحذر الحذر من الفتانين المُتجَّنين على أعراض المسلمين، ممن سيماهم توظيف النصوص في غير مجالها.

عندما تناول الشيخ قضية من القضايا الشائكة في المجتمع الإسلامي تتمثل هذه القضية في (التشكيك بالناس، وعدم الثقة بالعلماء وتصنيف الناس) اعتمد القياس المتدرج وسيلة حجاجية لإيصال فكرته وتحقيق غايته؛ لذلك بدأ بالمقدمة الأولى التي

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص٣٢٩-٣٣٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

لفت بها انتباه المستمعين، وهي التذكير بحكم شرعي أصيل في الشريعة الإسلامية وهو: حرمة النيل من أعراض المسلمين، كانت هذه المقدمة مع المقدمة الثانية تقود إلى نتيجة: وجوب العدل والإنصاف حتى مع من يخالفنا الرأي، ومن ثم يجب الحذر من كل فتان يجلب الفتنة، وظيفته توظيف النصوص في غير مجالها، وغايته أن ينال من أعراض المسلمين.

ومما سبق نجد ان القياس المتدرج عبارة عن عدة قياسات تترابط فيما بينها لتحقق هدفها الإقناعي عن طريق عرض كل الأفكار والقواعد التي من شأنها تحقيق النتيجة ؛ لأن اعتماد العناصر اللاحقة على العناصر السابقة فيه ترابط منطقي يستدعي الإقناع تدريجيا حتى يصل المتلقي إلى درجة قوية في الإقناع. فالقياس المتدرج "مهم جدا للحجاج، وذلك أنه يسمح للمحاجج بطرح خطوات واضحة تطبع حجاجه بطابع الهدوء، ولكنه الهدوء الذي لا يصل إلى الحركة البطيئة جدا، التي تضيع على القارئ انتباهه."(١)

❖ ٣. قياس الخُلف:

وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه(٢) وهو قياس حجاجي يراد به إقناع المتلقي بأمر ما، من غير نهي أو أوامر معروفة، وسمي هذا القياس خُلفا أي: باطلا، لا لأنه باطل في نفسه، بل لأنه ينتج الباطل، على تقدير عدم حقية المطلوب، أو لأنه يثبت المطلوب بإبطال نقيضه، فكأنه يأتي مطلوبه لا على طريق الاستقامة، بل من خلفه.(٣)

ومن آلية إبطال الشيء بإبطال نقيضه قول الشيخ السديس: **"أمة الإسلام: إن من**

---

(١) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، ص١٧٧.

(٢) يُنظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م، ص٧١٥.

(٣) المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، عوض الله حجازي، دار الطباعة المحمدية، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٩٤م، ص١٧٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

البشائر أنَّ الحضارة المعاصرة تعلن إفلاسها، وتلفظ أنفاسها؛ وذلك لأنها فرطت في أعظم مقومات البقاء؛ حيث أهدرت القيم الإنسانية، ورفضت أن يكون للدين سلطان على الحياة، ومن هذه الثغرة دخلت عليها آفات النقص، وعوامل الإفلاس، ومع أنها حققت التقدم المادي، لكنها تجاهلت الجانب الإنساني، والمصير الأخروي: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ)[1].

لقد أهملت الإنسان، وتجاهلت روحه ووجدانه، وقلبه وعقله، ولم تنسجم مع فطرته التي فطره الله عليها، بل قدمت له الشهوات البهيمية بدعوى الحرية الشخصية،... لذلك تتعالى صيحات من هنالك وهناك، منذرة بسوء مصير البشرية في ظل هذه الحضارة المادية الخاوية من مقومات الروح والإيمان"[2]

في المقطع السابق من الخطبة يتحدث الشيخ عن قضية مهمة، وهي انبهار بعض المسلمين بالحضارة المادية الغربية التي أهملت الغذاء الروحي والجانب الديني، فيقيس على هذه الحضارة المادية نقيضها وهي الحضارة الإسلامية، التي شملت كل جوانب الحياة الإنسانية والروحية ولم تغلب جانب على آخر، وهذا دليل على فساد تلك الحضارة المادية.

ويمكن تمثيل قياس الخُلف في النموذج على النحو الآتي:

المقدمة: الحضارة المعاصرة أهدرت القيم الإنسانية، ونأت بالدين عن الحياة، ومع تحقيقها التقدم المادي إلا أنها تعلن إفلاسها، وتلفظ أنفاسها.

النقيض: الحضارة المادية المعاصرة حضارة إنسانية شاملة، واتباعها يتمتعون بها ماديا وروحيا.

---

(١) سورة الروم: آية ٦، ٧.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٦١٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

النتيجة: الحضارة الإسلامية عزٌّ للمسلمين ورفعة لهم، تنسجم مع فطرة الإنسان، وتلبي رغباته المادية، والروحية، والإيمانية.

ومن ضروب قياس الخُلف القائم على إثبات الشيء بإبطال نقيضه في سياق واحد ما ورد في خطبة الشيخ السديس في قوله: **"لقد دلت الإحصاءات، وطالعتنا التقريرات: أن المجتمعات التي لا تطبق فيها هذه الشريعة، تكون الجرائم فيها بمعدل جريمة في كل دقيقة، قتل أو زنى أو سرقة أو انتحار أو اختطاف أو غيرها...ولقد استبان للعالم كله إفلاس النظم الوضعية وعجزها عن تحقيق السعادة البشرية، وهذا برهان ساطع، ودليل قاطع على أن المخلوق الضعيف لا غنى له عن تشريع الخالق القوي القادر العالم بمصالح العباد، وما يسعدهم في المعاش والمعاد."**(١)

في هذه الخطبة استدلال يستند إلى العقل باستدعاء شاهدين، هما: الإحصاءات، والتقريرات، ويبني الشيخ استدلاله بإبطال النقيض بعدم صلاحية الأنظمة الوضعية والقوانين البشرية والاحتكام إليها، فساق ما تضمنته تلك الاحصاءات من ارتفاع معدلات الجرائم المختلفة في تلك المجتمعات الوضعية، ثم يعضد دليله ويقويه بوصفه أنه برهان ساطع ودليل قاطع، وأن الإنسان الضعيف لا يمكن أن يوجد حكما وقانونا متكاملا يغنيه عن شريعة الإسلام الذي يعلم ما يخفى على هذا المخلوق. ويدعم هذه النتيجة باستفهامات يوجهها لمن فتنوا بهذه القوانين يقول: "فهل بعد هذا - ياعباد الله- تبقى دعوة مبحوحة للمتحذلقين: أهل العلمنة، المفتونين بأعداء هذه الشريعة؟!"(٢)

ويمكن تمثيل قياس الخُلف في النموذج على النحو الآتي:

المقدمة: لقد دلت الإحصاءات، وطالعتنا التقريرات: أن المجتمعات التي لا

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٧٤-٧٥.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٧٤-٧٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تطبق فيها هذه الشريعة، تكون الجرائم فيها بمعدل جريمة في كل دقيقة.

النقيض: صلاح الأنظمة الوضعية والقوانين البشرية والاحتكام إليها.

النتيجة: تطبيق الشريعة الإسلامية هو عنوان الصلاح وطريق الإصلاح، والعمل على إشاعتها في العالم الإسلامي أجمع.

ومن شواهد قياس الخلف قول الشيخ:

" إن الاستبداد بالرأي، ومصادرة الحريات، والمركزية في اتخاذ القرارات، تجر المجتمع وتدفع بالأمة إلى الخلل في نظامها والفوضى في أمورها، وثوران الأحقاد بين فئاتها."(١)

في هذا المقطع من الخطبة ينبه الشيخ إلى أهمية الشورى والعمل بها كمبدأ ديني إسلامي، أقرته الشريعة الإسلامية، واتبع في إثبات ذلك الاستدلال بإبطال النقيض، فإذا ما كانت الأمور لا تؤخذ بالتشاور؛ فإن نتيجة هذا المجتمع إلى الانحدار والتفكك والإخلال في نظامها وأمورها. وفي هذا خطاب عقلي يتصف بالحيوية،لأن فيه افتراض للنتائج وتحليل للمقدمات، وقياس الخلف يروم تقريب الصفات الحسنة للقضية المراد إثباتها، وكشف الوجه الحسن لها باستدعاء نقيضها، لإقناعه بحسنها وقبح نقيضها.

ويمكن تمثيل قياس الخُلف في النموذج على النحو الآتي:

المقدمة: إن الاستبداد بالرأي، ومصادرة الحريات...تجر المجتمع وتدفع بالأمة إلى الخلل.

النقيض: صلاح الانتخابات، والبرلمانات التي يستوي فيها الحلال والحرام والحق والباطل، وصلاح الديمقراطية التي يشترى فيها الأصوات.

---

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص٤٩٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

النتيجة: المشاورة أصل من أصول الدين، وسنة الله في العالمين، وهي حق على عامة الخليقة، وسنة نبوية.

إن هذا النوع من القياس يوجه للمستمعين فيتطلب منهم إعمالا ذهنيا؛ لأن المخاطَب يتخيل الحال التي يتحدث عنها المخاطِب ويقارنها بالحال التي يريد إثباتها، فالشي يتضح أكثر بوضعه مواجها لنقيضه، ولذلك يكون قياس الخلف وسيلة حجاجية غايتها إقناعية.

❖ ٤. قياس التمثيل:

يعد التمثيل برهانا يقوم على الاستدلال، الذي يُبنى على التأمل. فهو قياس مُوضِّح وبرهان مصاحب، ويجيء به من قبل الخطيب أو صاحب النص بعد تمام المعاني؛ لإيضاحها وتقريرها، فيُشبه بالبرهان الذي تُثبت به الدعوى، كما أنه يبعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مُؤيدا بالبرهان.(١)

وهو - كذلك- قياس يقرب الحقائق للمتلقي، ويلبس المعاني توضيحا بمشاهد حسية، ويعرف بأنه: "إلحاق أحد الشيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو بدهي لا تنكره العقول، ويبين الجهة الجامعة بينهما."(٢) وهو عملية فكرية تقوم على تشبيه أمر بأمر آخر في العلة التي كانت هي السبب في حدوث ظاهرة من ظواهره، وعدُّ هذا الشبه كافيا لقياس أمر على آخر.(٣) هو من الحجج القائمة على الاتصال المؤسس لبنية الواقع عند بيرلمان.(٤) وهي الحجج التي تسمح بإقامة قاعدة عامة، أوحكم أو نموذج مثالي حول الواقع أو الموضوعات

(١) يُنظر: علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، المكتبة العصرية، لبنان، ١٤٣٢ه ص١٩٠.

(٢) مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر الألمعي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣هـ، ص٩٦.

(٣) يُنظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص٢٨٩.

(٤) يُنظر: في نظرية الحجاج -دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة ٥٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

انطلاقا من مثال أو حالة خاصة.(١)

وفي هذا القياس محاولة لاستجلاء طريقة الاستدلال بالتمثيل، الذي يعد دليلا يدعم الدعوى التي يتحدث عنها المرسل. فالتمثيل القياسي يختلف عن التشبيه- الذي سبق بيانه في الفصل السابق- من حيث أنه قياس. فيسمى عند علماء أصول الفقه (القياس) ويسمى عند المتكلمين– وهم علماء العقيدة الإسلامية - (الاستدلال بالشاهد على الغائب)،أو رد الغائب إلى الشاهد، وإن كان علماء أصول الفقه هم أعظم من اعتنى بوضع ضوابطه وتحديد شروطه، وبيان كل ما يتعلق به.(٢) ومن ثم يمكن عدُّه أحد أنواع القياس المنطقي من حيث قياس ما هو معلوم عند المخاطَب عن القضية الغائبة التي يدعيها المرسل.

و للتمثيل أركان، هي:

الركن الأول: الأصل، وهو الممثل به، أو المشبه به، أو المقيس عليه.

الركن الثاني: الفرع، وهو الممَثل، أو المشبه.

الركن الثالث: العلة الجامعة التي هي سبب التمثيل.

الركن الرابع: الظاهرة، أو الحكم الذي في الأصل، ويعمم على الفرع بدليل التمثيل(٣)

ومن شواهده في كوكبة الخطب المُنيفة: "**إن شأن المسلم الواعي ألا يقبل أي قول يصل إلى مسمعه دون التثبت والتحري ؛ فقد يكون المخبر مغرضا، أو يجر إليه مغنما،أو يدفع عنه مغرما،أو ينال مكانة وحظوة، وإذا كان في دنيا النبات طُفيليات تلتف حول النباتات الصالحة؛ لتفسد نموها -فإن في البشر من هم كذلك، وأعني:من**

(١) يُنظر: تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، وجيل جوتييه، ص٥٢.

(٢) يُنظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص٢٨٩.

(٣) يُنظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص٢٩١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

يلتفون حول أفراد المجتمع،فيوغرون الصدور، ويبعثون الشرور، فتحدث القطيعة والشحناء."(١)

استعان الشيخ بهذا النوع من القياس بدقة متناهية وصياغة محكمة، بهدف التقريب بين النميمة ونتائجها الوخيمة في تفكك المجتمع الإسلامي. فأمر النميمة التي إذا ما تفشت في مجتمع من المجتمعات أحدثت الفساد والفرقة بين أفراد فيضعف أفراد ذلك المجتمع وينهار أمر غائب عن أذهان المتلقين قاسه على دنيا النباتات، فكما هو معروف أن النبتة الصالحة يلتف حولها مجموعة من النباتات الفاسدة، فتأخذ من غذائها ومن ثم تفسد نموها.

ولم يقف الشيخ السديس عند هذا الحد، بل لمزيد من الإقناع يبين الشيخ تفصيل هذا التمثيل.و يلاحظ- هنا -حضور الذات المتكلمة، بوصفها المسؤول عن الملفوظ كما يقول (ديكرو).(٢) وتبيينه لمقصديته من التمثيل نحو ما ورد في قوله: (من يلتفون حول أفراد المجتمع، فيوغرون الصدور، ويبعثون الشرور، فتحدث القطيعة والشحناء). وهذا تقرير للقياس الذي تعمده الشيخ، مما زاد الملفوظ حجية أقوى.

ويمكن بيان القياس التمثيلي على النحو الآتي:

الأصل (الحاضر) أو الممثل به: في دنيا النبات طُفيليات تلتف حول النباتات الصالحة؛ لتفسد نموها.

الفرع (الغائب) أو المقيس: من الناس من يلتف حول أفراد المجتمع، فيوغرون الصدور ويبعثون الشرور بالنميمة والغيبة، ومن ثم يفسد المجتمع وتحدث القطيعة بين أفراده.

---

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٤١٣.

(٢) يُنظر: المظاهر اللغوية للحجاج، رشيد الراضي، ص١٥٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

العلة الجامعة: الفساد الحادث من الطفيليات (النبات والبشر).

الظاهرة: النميمة تورث الفساد في المجتمعات كما تورث الطفيليات الفساد في النبات.

ومما يُدلل على هذا القياس التمثيلي الذي يقرب المعنى المراد بالتجسيد وتشخيص الأشياء المعنوية قوله:

"أرأيتم لو أن فردا أصيب بمرض عُضال في جزء من جسمه، فأهمله؛ أوليس يستشري المرض في جسده كله،فيعسر علاجه، ويتعذر شفاؤه؟! فكذلك المنكر - يا عباد الله- إذا ظهر وتُرك فلم يُغيَّر، فإنه لا يلبث أن يألفه الناس ويستمرئوه، وعندئذ يصبح من العسير تغييره وإزالته، فتعم المنكرات، وتنتشر الفواحش، وتغرق سفينة الأمة"(١)

استند الشيخ على القياس التمثيلي ورد الغائب على الشاهد ليبين حال الأمة الإسلامية عند غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يستدل على انتشار الفواحش والمنكرات في المجتمع المسلم واستمرائها ومن ثَمَّ يعسر تغيير المنكرات وإزالتها، حيث قاس انتشار المنكرات وصعوبة تغييرها بعد انتشارها وتعود الناس عليها على انتشار المرض الفتاك في جسم الإنسان ومدى صعوبة علاجه والتحكم فيه بعد انتشاره. وهذه الصورة الاستدلالية يمكن إدراكها بسهوله دون تكلف، تختصر كثيرا من الكلام، وتقيم الحجة المرادة، وتؤدي النتيجة المرجوة.

ومما يلفت النظر في هذه العبارات هو تآزر الاستدلال بالقياس التمثيلي مع السؤال الإنكاري الذي يؤدي وظيفة حجاجية، وهي إثبات عسر علاج المرض بعد انتشاره،فالسؤال يسير في اتجاه إثبات التحكم بالمرض ومن ثم استخراج التقرير والإثبات من المتلقي نفسه.

---

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٠٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ويمكن بيان أركان قياس التمثيل على النحو الآتي:

الأصل (الحاضر) أو الممثل به: صعوبة علاج المرض العُضال بعد انتشاره واستشرائه في جسم الإنسان.

الفرع (الغائب) أو المقيس:صعوبة القضاء على المنكرات والفواحش وتغييرها بعد انتشارها في المجتمع وتعود الناس عليها، وائتلافهم لها.

العلة الجامعة:وجوب القضاء على كل مرض ومنكر.

الظاهرة:النهي عن المنكر واجب كما أن علاج المرض واجب.

وقياس التمثيل يؤدي تجسيدا لأمور معنوية ومن ذلك قوله:

"إخوة الإسلام:لا تخفى على كل مسلم -بحمد الله -مكانة الصلاة في دين الله، ومنزلتها في شرع الله،فهي عمود الإسلام، والفاصل بين الكفر والإيمان، ومنزلتها في الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد،فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له،فكذلك لادين لمن لا صلاة له، ونصوص الشرع في ذلك متضافرة بحمد الله."(١)

إن الوظيفة الحجاجية لقياس التمثيل- هنا- تتمثل في تجسيد الصلاة، وتؤكد أن الصلاة هي روح المؤمن وأساسه، وهي بالنسبة للإسلام بمنزلة الرأس الذي هو أساس جسد الإنسان. فكما لا يمكن للكائن الحي يمشي بلا رأس، فكذلك المسلم لا يكون مسلما بدون صلاة. إن هذا التخيل الذهني فيه استحضار للأشياء ومحاولة عقد الصلة بين المقِيس والمقيس عليه، وهذا الاستحضار جلب للحجة ومدعاة للتأثير في السامع.

ويمكن بيان أركان قياس التمثيل على النحو الآتي:

الأصل (الحاضر) أو الممثل به: رأس الكائن الحي هو أساس حياته.

الفرع (الغائب) أو المقيس: الصلاة روح الإسلام وقائمته وعمود الدين.

---

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص١٨٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

العلة الجامعة: حياة الكائن تتمثل في رأسه ودين الإنسان الحقيقي في صلاته.

الظاهرة: أهمية الصلاة في دين الإسلام، فهي قاعدته وأساسه.

❖ ٥. قياس الأولى:

ويعرف بأنه "الذي يكون الفرع فيه أولى بالحكم من الأصل؛ وذلك لقوة العلة وجلائها في الفرع. ويسميه بعض الأصوليين بمصطلح الموافقة،كما يسميه آخرون دلالة النص."(١)

ومن أمثلته قول الشيخ: "**ألا فليعلم كل دَعِيٍّ مأفون، سلك مسلك الإجرام لا سيما في لشهر الكريم، والبلد الحرام- الذي يأمن فيه كل شيء حتى الطير والحيوان والشجر والنبات والجماد، فكيف بالمسلم. إن الله -سبحانه- فاضحه لا محالة، وحافظ هذه الديار المباركة من الكائدين المفسدين.**

(ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ)(٢) **وهيهات أن يكون إصلاح مرتجى، بإثارة الشغب والفوضى، وسلوك مسالك العنف، وحمل السلاح وزعزعة الأمن والانتحار بأخرةٍ**"(٣).

يطرح الشيخ السديس قضية مهمة جدا، تتمثل في إرهاب الآمنين في بلد الله الحرام. فقد فضح الله المجرمين الذين كانوا ينوون القيام بعمل إرهابي في الشهر الكريم، فكشف الله -تعالى- نواياهم ودمر خططهم. ويستعين الشيخ بقياس الأولى فكل من سلك مسلك الإجرام في بلد الله الحرام الذي يأمن فيه كل شيء حتى الطير والحيوان

---

(١) معجم مصطلحات أصول الفقه، قطب سانو، دار الفكر المعاصر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص٣٤٥.

(٢) سورة الحج، آية ٢٥.

(٣) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٢٢٣- ٢٢٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والشجر والنبات، فإنه من الأولى أن يأمن فيه الإنسان المسلم الذي يؤمن بالله تعالى، ومن الأولى أن تزداد حرمة دمه في هذا المكان وفي هذا الزمان بوجه أخص.

إن هذا القياس أقوى دلالة على صدق الدعوى التي يستدل عليها الشيخ وهي: أن الله فاضح كل إرهابي يروم زعزعة أمن البلد الحرام. فإذا كان الإجرام والعنف والإرهاب أمورا محرمة في شتى بقاع الأرض فإنهما محرمة وبشدة في البلد الحرام وفي الشهر الحرام. هذا الطريق القياسي الذي سلكه الشيخ يحمل المتلقي على استشعار الحكم وشدته في هذا المكان، ومن ثم تدفعه إلى امتثال الأمر الذي سيقت لأجله هذه المقدمات، من الانتهاء عن تغذية هذا الفكر المنحرف، أو دعمه، وتربية الأجيال القادمة على الوسطية والاعتدال.

ومن الاستدلال القياسي بالأولى قوله: "**ومما ينبغي التأكيد عليه: أن هذه الصلاة لابد أن تكون في بيوت الله، مع جماعة المسلمين؛ لقوله- تعالى-:** (ں ڻ ڻ)[1] **ولقوله -سبحانه-:** (ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ)[2]، **فأوجب سبحانه الصلاة في جماعة في حال الحرب والقتال، فكيف بحال السلم والأمن؟ ولو كان أحد يعذر في تلك الصلاة في جماعة؛ لكان الصافون للعدو، والمهددون بهجومه عليهم، المشاركون في معارك القتال، أولى بأن يسمح لهم، فكيف بحال من هو آمن صحيح معافى؟**"[3]

في هذا المقطع الخطابي يقرر الشيخ وجوب صلاة الجماعة، ويستشهد بقوله -تعالى-: (ں ڻ ڻ) ثم ليقيم الحجة على من تساهل بأمر صلاة الجماعة يستشهد بآية صلاة الخوف: (ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ)، ثم يقيم قياس الأولى عليها، فإذا كان هناك من يعُذر من صلاة الجماعة كان أولى أن يكون ذلك فيمن هو على خط النار المهددون

(١) سورة البقرة، آية ٤٣.

(٢) سورة النساء، آية ١٠٢.

(٣) كوكبة الخطب المئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث، ص١١٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

بالموت، يقاتلون العدو، ومع ذلك لم يسمح لهم بترك الجماعة، بل أمرهم بالصلاة مع النبي ﷺ. فاستعمل الشيخ قياس الأولى للاستدلال على وجوب صلاة الجماعة. صاغ ذلك في أسلوب استفهامي تقريري: فكيف بحال من هو آمن صحيح معافى؟!

هذا الاستفهام يذكر المتلقي بنعمة الصحة والأمن، ويقره على وجوب صلاة الجماعة وإلزامه بها. إن عدم المباشرة في الاستفهام التقريري تجعله يحمل قوة حجاجية تتمثل في أن المخاطِب يمرر عن طريقه الأحكام الشرعية، فينتقل الخطاب من صيغته الاستفهامية إلى معنى الإلزام، وهذا ما يقصد إليه الشيخ.

ومن أمثلة قياس الأولى قوله: **"عباد الله: لقد جعل الله خلقه موردا للتكليف، ومحلا للأمر والنهي، وأعطاهم مواد العلم والعمل من القلب والسمع والبصر والجوارح، نعمة منه وفضلا، ولما كان القلب ملك هذه الأعضاء، بصلاحه تصلح، وبفساده تفسد؛ كان الاهتمام به والعناية بسلامته من أولى ما اجتهد فيه المشمرون."**(١)

في هذا المقطع الخطابي يشير إشارة مهمة إلى حديث رسول الله ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»(٢). والتعبير بصلاح القلب أقوى حجاجيا من التعبير بصلاح الإنسان في كافة جوارحه، لأن بصلاح القلب تصلح الجوارح وتزكو الأعمال وتتهذب الألفاظ، فيظهر ذلك الصلاح الباطني على كل جوارح الإنسان. فكانت العناية بصلاحه وخلوصه من الفساد، والاهتمام بسلامته أولى من أي شيء آخر، فقاس صلاح الأعمال الظاهرة على أعضاء الإنسان،بصلاح القلب لأنه مَلِك هذه الأعضاء ومستودعها.

(١) كوكبة الخطب المئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث ص٤٥٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ١/ ٢٨ [٥٢]، ومسلم في كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/ ١٢١٩ [١٥٩٩].

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وهكذا نجد أن القياس بجميع أنواعه وتشكلاته ركيزة رئيسية من ركائز الخطاب الديني، وكثيرا ما استعان الشيخ بهذا النوع من الاستدلال، الذي عكس تحكمه في منظومة الحجج وعلاقاتها ببعضها بعضا. فالخطاب الديني حجة كلية مترابطة، لا يمكن لمتلقي الحجة التفاعل معها إلا بحمل بعضها على بعض، وملاحظة الترابط النصي بينها، وهذا المنظور التراتبي أكثر وضوحا في تشكيل القياس.

كذلك يمكن القول إن القياس الذي نقصده هو القياس الطبيعي؛"لأنه أغنى وأكثر إجرائية في اللغة من المقياس الصوري البرهاني، وإنه لا يوجد في الخطاب الطبيعي، الذي يصبح أكثر ملائمة للاستدلال اللغوي. وبه-إذن- يتماسك الخطاب، وتتركب القضايا فيما بينها لتنشئ قطعا خطابية موحدة."(١)

ويمكن تلخيص فائدة اعتماد القياس في الخطاب الحجاجي في أن الخطيب "لا يصدر حكما من عنده، لا يبتدئه، بل يمدد حكم الأصل إلى الفرع، إثباتا أو نفيا اعتمادا على ما يجده هو من شبه بينهما يبرر القياس."(٢) و يمكن القول إن كل أنواع القياسات ينتقل فيها المتلقي من مقدمات إلى نتائج، وهذا الانتقال يتطلب الهدوء والتركيز، "وغاية القياس إلقاء المتلقي في القضية المعلنة؛ للزج به في صدق النتائج إذ ما يوفره القياس من إمكانيات وحجج (مقدمة صغرى) ونتائج تجعل المتلقي يقتنع بنفسه حينما يتوصل بنفسه إلى نتائج القياس المتعمد."(٣)

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص٢٩٠.

(٢) بنية العقل العربي، محمد الجابري، ص١٣٩.

(٣) خطاب الحجاج والتداولية: دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني ص١٩٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المبحث الثاني

التقابـــــــــــــل

تأخذ التقابلات في الخطاب الديني الوعظي موقعا كبيرا في نظرية الحجاج. وهي من أهم مواضع القياس الاستدلالي، وتقوم بوظيفتها الإقناعية عن طريق أخذ الحجة بواسطة التضاد بين الأشياء،كالسلم والحرب، والنفع والضرر.(١)

إن التقابل - فضلا عن كونه حجاجيا عن طريق كشفه للضد بإظهار ضده- فإنه حجاجي كذلك بما "يحققه من إيضاح للمعنى وإظهاره، وتأكيده وتقويته عن طريق المقارنة بين الضدين...وتصور أحدهما بتصور الآخر."(٢) و التقابل يسكن النصوص والإنسان والعلم من حولنا، إذ لا تقال المعاني ولا تُكتب إلا بعد عرضها بشكل تقابلي على المستوى الذهني. فالخطابات تُنتج أصلا بكيفية متقابلة عن طريق عرض الأشياء على ما يقابلها، أو يماثلها، أو يضادها، إضافة على عملية الاختيارات الدلالية عن طريق الأدوات اللفظية المؤدية للمعنى المراد، ولذلك كان التقابل الوسيلة الأنجع للعودة بالمعنى إلى أصوله المتقابلة بشتى أنواع العلاقات والمقصديات.(٣)

ومسألة معرفة الضد بضده، وجعل الضد دليلا على ضده ومرشدا إليه مسألة تنبه إليها العرب منذ القديم. فابن رشد يذكر: "أن جميع المدح والذم إنما يكون بالمقايسة بمن سلف من المحمودين والمذمومين. وقد ينبغي للمادح والذامّ أن يعلم بحضرة من

(١) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، ص١٠٧.

(٢) دراسات منهجية في علم البديع، الشحات محمد أبو ستيت، دار خفاجي للنشر والتوزيع، قيلوبة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص٥١.

(٣) يُنظر: تقابلات النص وبلاغة الخطاب: نحو تأويل تقابلي، محمد البازي، الدار العربية للعلوم، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه ص١٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

يكون المدح أو الذم...وهو يبين ما ذُكر من حدود هذه الأشياء تعرف حدود أضدادها، إذ كان الضد يعرف من ضده. وإذا كانت هذه معروفة من أضدادها، وكان الذم إنما يكون بأضداد تلك، فهو بيّن أنّا قد عرفنا من هذا القول ليس الأشياء التي يكون بها المدح فقط، بل والأشياء التي يكون بها الذم...كما نعرف الأخلاق الرديئة من معرفة أضدادها، وهي الفضائل."(١)

ويُعرف الاستدلال بالتقابل بأنه "مقارنة بين قضيتين، أو موازنة بين شيئين؛ لمعرفة أيهما المؤثر في الآخر، إذا كان الأمر يتعلق بالمحتج، أو المحتج إليه، أو أيهما على حق، إذا كان الموضوع يرتبط بتحديد موقع كل منهما، من حيث بعده أو قربه من الصواب أو الخطأ."(٢) والقضايا المتقابلة عند الأصوليين: "هي التي يكون الموضوع والمحمول فيها واحدا، ولكنها تختلف فيما بينها بالكم، أو الكيف،أو في الكيف والكم معا، ومن هذا الاختلاف نستطيع إذا فرضنا صدق قضية متقابلة، أو كذبها، أن نستنتج صدق أو كذب القضايا الباقية استنتاجا ضروريًّا، يعتمد على قانون الذاتية والتناقض."(٣)

إن هذه الفعالية الحجاجية التي يحققها التقابل،فضلا عما تحدثه من جماليات لفظية، جعلت الشيخ السديس يوظفه توظيفا مهيمنا في خطبه، ويتبين أثر السياق في دعم التقابل الذي يرتكز على توجيه المخاطَب نحو التسليم والإذعان، كما في قوله:

" لقد انغمست الأمة في الوثنية بأبشع أشكالها، وتلطخت بلوثات الجاهلية بأوسع مدلولاتها؛ أوثان وأصنام خيالات وأوهام خزعبلات وإجرام،كهانة وتنجيم...فجاء الإسلام وأنقذ الله به هذه الأمة من حضيض الغبراء إلى ذرا العلياء،

(١) تلخيص الخطابة، ابن رشد، ص١٦٢-١٦٣.

(٢) مناهج الاستدلال في القرآن الكريم، شوقي إبراهيم علي، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، ١٩٩٢م، ص٥٧.

(٣) طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين، يعقوب عبد الوهاب الباحسين، ص٢١٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وانتشلها من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وحولهم من رعاة الإبل والغنم،إلى قادة شعوب وساسة أمم ؛ليقودوا زمام هذه الأمة إلى بر الأمان، وشاطئ السلام، وإلى ظِلال هذا الدين الكامل الشامل، الذي يربط الخلق بخالقهم جل وعلا، مالك النفع والضُّر، والحياة والموت، والخلق والنشور، والرزق والشفاء، عالم الغيب والشهادة، المالك المتصرف في الكون وحده،فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن."(١)

يقدم الشيخ مشهدين للإنسانية، يتمثلان في حياة أفرادها قبل الإسلام وحياتهم بعده. فمشهد الانغماس في الضلال والمعبودات الباطلة والخزعبلات والأوهام الضالة والحياة المظلمة التي يعيشها الإنسان ذلك الوقت مقابل لمشهد الحياة الإنسانية الراقية، التي رفعتهم من الحضيض إلى العلياء ومن الضيق إلى السعة ومن الجور إلى العدل،كل ذلك إشارة إلى البون الشاسع بين الحياتين، لتأكيد أن القدر مرتبط بالله الخالق -وحده- لا سواه، لا يتعلق بطير أو يوم أو مخلوق. إن هذه النقلة النوعية التي أحدثها الإسلام في حياة الإنسان البدوي الفقير جعلته يقود الأمم ويؤسس لحضارة لم تكن إلا بالإسلام؛ فكيف يتعلق بطير أو مخلوق يتشاءم منه؟! فهذا الدين الشامل ربطهم بخالقهم الذي بيده كل شيء.إن هذا التقابل بعرضه المضمون والمعنى المراد بدقة متناهية وتفصيل دقيق عن طريق عرض الحالين للإنسان قبل الإسلام وبعده جعلنا نحدد بدقة كبيرة عناصرها في الذهن، فكأنها عناصر مُشاهدة نراها رأي العين، وبالنتيجة يحصل الترسيخ ومن ثم الاقتناع التام، بل والإذعان لفضل هذا الدين على الأمة الإسلامية.

إن الاستدلال بالتقابل -هنا - ألجأ أهل الضلال من المتطيرين إلى تصحيح اعتقادهم، بما قرره الخطيب بالاستدلالات العقلية على عظمة الله- تعالى- وقدرته وألوهيته، وبملكيته تعالى للنفع والضر والحياة والموت... التي تقود المتلقي إلى فساد

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص١١٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المعتقدات الباطلة التي لا تمت للإسلام بصلة. وقد تعاضدت الحجة - هنا- مع الأسلوب البلاغي المصور المتمثل في قوله (انغمست، وتلطخت) ليجيء الإسلام وينقذهم من هذا الانغماس في خطاب نافذ إلى العقل والروح مرسخا للمعنى المقصود.

ويمكن بيان الحجة في النموذج السابق على النحو الآتي :

الحجة: أن الله رفع الإنسان وأعزه بالإسلام، وربطه بخالقه، ورباهم على التوحيد وصحة العقيدة، وابتعد بهم عن الأوهام والظنون التي تعبث بعقولهم، ونهى عن كل ما يخدش سلامة العقيدة لديهم من تشاؤم وتطير.

النتيجة: التوكل على الله وحده، وتفويض جميع أمور المسلم إليه، والاعتقاد الجازم أنه يملك النفع والضر دون سواه، والبعد عن التطير والتشاؤم.

ومن الاستدلالات التقابلية البديعة قول الخطيب:

"استسمحكم -إخوة العقيدة- أن انتقل بكم نقلة شعورية من مهبط الوحي ومنبع الرسالة؛ حيث تنعمون بالأمن لِتحسوا بمدى نعمة الله عليكم - إلى هناك، وما أدراك ماهناك؟! بلاد تقع في سفوح جبال الهملايا وتعد من أجمل بلاد العالم؛ إذ تبدو قطعة من الجمال الطبيعي الخلاب، تحيط بها الحدائق والغابات، وتفترقها الأنهار والبحيرات، وتتلألأ بها الثلوج الناصعة فوق قمم جبالها الشاهقة، وتكسوها الخضرة البديعة، لكن معالم هذا المشهد الأخاذ اختفت، وملامحه المشهورة تغيرت، وتبدلت فرحتها أتراحا، وبهجتها جراحا، وانقلبت سراؤها ضراء،كانت بالأمس وردة ضاحكة، لكنها اليوم تذرف الدموع باكية، وكيف لا تبكي؟! وكيف لا يحق لنا معها البكاء؟! وقد قتل رجالها، وعذب شبابها، ورملت نساؤها، ويُتِّم أطفالها؟! وانتهكت أعراضها، وأحرقت أنعامها...بعد ذلك - يا رعاكم الله- لا شك أنكم أدركتم بلاد المأساة، إنها حيث يذبح الضمير على ثرى بلاد الإسلام والجهاد في كشمير."[1]

(١) كوكبة الخطب المئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٥٣٢-٥٣٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

بدأ هذا المقطع الخطابي بحضور واضح للذات المتكلمة والمتلقي في الوقت نفسه **(استسمحكم)**. وهذا مما يزيد الملفوظ حجة أقوى، فطلبَ الإذن من المتلقين تنبيها لهم بإعمال عقولهم وبتصورهم لتلك النقلة الشعورية؛ ثم يبين لهم سبب تلك النقلة الذهنية ليستشعروا نعمة الأمن الذي اعتادوا عليه، ثم يُبهم في بادئ الأمر المكان الذي يريد الحديث عنه وفي هذا مزيد تنبيه وتأثير: (**إلى هناك، وما إدراك ماهناك؟!**) ثم يسترسل في ذكر محاسنها عن طريق رسم لوحة فنية بذكر طبيعتها من جبال وأنهار وبحيرات وثلوج وخضرة وغير ذلك، مما يجعل المتلقي يتخيل لوحة فنية بديعة، تشع بالجمال الطبيعي الأخاذ، لينقلب الحال إلى الضد، فتتبدل الأفراح إلى الأتراح والبهجة إلى جراح، والسرور إلى ضرر، والضحك إلى البكاء، ثم يستعين الخطيب بالحجة الباتوسية ويستدعي الأطفال والنساء ومشاهد قتل الرجال.

ولقد رام الخطيب في ملفوظه -هنا - إثارة الشعور بالأسف في نفوس المخاطبين، ويستثير المرسل وجدان المتلقي بطريقة مباشرة، حيث يحثه على البكاء: (**وكيف لا تبكي؟! وكيف لا يحق لنا معها البكاء؟!**) وهذا فيه حثٌّ على الأسف. فالبكاء- هنا -نابع من الحزن والأسى لما آلت إليه تلك المناظر الخلابة، ويثير الاستفهام التعجبي الإنكاري، فنجد الوسائل اللغوية والخطابية تبني الموعظة العاطفية التي من شأنها أن تؤدي بالمتلقي إلى الاقتناع والإذعان.

لقد جاءت المقابلة - هنا - محملة بدلالات وإيحاءات ذات أبعاد حجاجية ما كان يؤديها أي أسلوب آخر. فالطباق يجعل العقل البشري يتصور المتناقضات ويتخيل الأحداث والحركة المتناقضة بين صورتين: إحداهما تشع نضارة وبهجة وحيوية، مفعمة بالحياة بكل مظاهرها، والأخرى قاتمة مظلمة، لا صوت إلا للقتل والسلب، وأصوات البكاء وآهات الحزن تعلو. جاء الخطيب ليذكر بهذه القضية التي تكاد أن تُنسى، ليثير الحمية في قلوب المسلمين على بلدان إخوتهم، والنصرة لهم. ويمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة: معاناة الإخوة المسلمين في كشمير، واضطراب الأمن وانتهاك حقوق

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الإنسان، وارتكاب جرائم في حق الإنسان المسلم على أرضه ووطنه، فقلبوا حالها من السلم والأمان والاطمئنان إلى حرب وخوف وحرمان.

النتيجة: إن الوضع في كشمير يتطلب حلولاً عاجلة، وجهودا فردية من الهيئات العالمية، والحكومات الإسلامية والمنظمات الإغاثية، والوقفة الجادة من كافة المسلمين مع الإخوان المجاهدين، وإمدادهم بالدعاء والمال.

ومن النماذج التي يتعانق فيها التضاد مع الاستدلال قوله: **"في الوقت الذي تُصعَّد الأمة المكلومة زفراتها اللهيفة على ما آل إليه حالها، تتعرض الأمة في ـ صفحة أخرى من مآسيها ـ لنكبة أخلاقية، ونكسة قيمية خطيرة، تمثل قاع دركات الانحطاط الأخلاقي المتمثل في إفرازات إعلامية، عبر فضائية غير مسؤولة، تعمد لإقصاء الفضيلة، وإعلاء الرذيلة، في مشاهد من التبذل والعري الفاضح، الذي لا يقره أهل النفوس السليمة، والفطرة المستقيمة، والذوق الرفيع، فضلا عن أهل الديانة والعفة والحياء والحشمة، تحت مسميات وستار من المهازل على الرذيلة سواء، وعلى طريق العفن معا، في نوع من أنواع الحرب على قيم الأمة وفضائلها وشبابها وفتياتها.. ويفرز آثارا اجتماعية خطيرة، في التمرد على القيم والانفلات من الأخلاق والمثل."**(١)

إن التقابل ـ هنا ـ جاء بين (الفضيلة والرذيلة) فالشيخ يحذر من خطر القنوات الفضائية، ويضع المخاطبين في موقع المطلع على أبعاد القضية المطروحة، ويرسم لهم مسارا استدلاليا ليشاهدوا حال المجتمع الإسلامي إذا خلا من الفضيلة، واستعلت فيه الرذيلة فيختاروا ما يوافق قناعاته. ومن أجل الترغيب للمسلمين اتبع التقابل بعيدًا عن الأمر والنهي أساليب الترغيب والحث المعتادة، ليستنتج المتلقي كلا الحالين أيهما أفضل وأحق أن يُتبع، فيحدث الإقناع الدامغ الذي يترتب عليه العمل.

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٥٥٦-٥٥٧.

reply_W30xG ١٤٤١/٠٨/٠١ Ali Fattani

ويمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي :

الحجة: إن إقصاء الفضيلة وإعلاء راية الرذيلة نكبة أخلاقية، ونكسة قيمية خطيرة، تمثل قاع الانحطاط الأخلاقي، فالقنوات الفضائية تنشر الذيلة وتبث سموم التبذل والعري لتفتن شباب الإسلام وفتياته.

النتيجة: التنبه للجيل الجديد والحفاظ على النشء من موجات الانفتاح والتغيير، ومطالبة مسؤولي القنوات الفاضحة بالكف عن إشاعة الفاحشة في المؤمنين، وإيقاف برامجهم المخزية.

ولتبيان خصائص الأمة الإسلامية ومميزاتها يستعين الشيخ بأسلوب التقابل؛ ليضفر بفعالية حجاجية تستقطب ذهن المتلقي، يقول:

"لقد جاء منهج هذا الدين في تربية الشخصية الإسلامية منهجا قويما وطريقا واضحا، وسبيلا محكما، فقد حدد معالم شخصية المسلم على ضوء الكتاب الله وسنة رسوله ﷺ... نورت البصائر والأبصار، وسلكت بالناس الطريق المستقيم، فعزوا بعد ذُل، وانتصروا بعد هزيمة، وقووا بعد ضعف. أعاد لهم شخصيتهم المفقودة، وأثبت كرامتهم المنشودة، وهكذا يريد الإسلام من أبنائه أن يعتزوا بدينهم، ويتمسكوا بمبادئهم، ويثبتوا شخصيتهم أمام المتغيرات،فلا انفتاح ولا تنازلات، ولا انبهار ولا مجاملات، ولا تبعية ولا تقليد لأعداء الإسلام والمسلمين."(١)

إن ذكر العز مقابل الذل، والغنى مقابل الفقر، والانتصار مقابل الهزيمة، والقوة مقابل الضعف، يجعل المتلقي أكثر تمحيصا للفكرة التي يسعى الشيخ إلى إثباتها، وبذلك يقدم الحجة ويقيمها عليه بتوظيف التقابل الذي يفتح منافذ الثنائيات الضدية، التي من شأنها إبراز المعنى، وبناء تصورين متقابلين، وبذلك تكون هذه العملية أشكالاً ذهنية متناسقة تحمل تأثيرا في متلقيها.

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص٣٠٠-٣٠١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والتضاد يتحول إلى بناء استدلالي ضمن إطار التنافي، فلا وجود للذل بوجود العزة ولا وجود للفقر بوجود الغنى وهكذا، وهذا الانتفاء ما كان لولا وجود الإسلام الذي أعز المسلمين ورفعهم وأغناهم ونصرهم، وقواهم، وأعاد لهم كرامتهم. وقد أدت هذه المتضادات إلى نتيجة حتمية أرادها الشيخ، وتعمد تأخيرها ليتبين المتلقي صدق الدعوى التي استدل عليها بضدها، فينهاهم عن الانفتاح المهلك والتبعية المدمرة، والإعراض عن كل داع لتغيير الهوية الإسلامية.

ومما سبق يمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة: جاء منهج الدين الإسلامي معززا للشخصية الإنسان المسلم، ورافعا له، مغنيا إياه بعد فقر، ومكرما له بعد ذل.

النتيجة: الاعتزاز بالدين الإسلامي، والتمسك بمبادئه، والثبات أمام التغيرات، وعدم التبعية والتقليد لمخالفين الدين والعقيدة.

ومن ما سبق عرضه من آلية لها خصوصيتها في الاستدلال في الخطاب الحجاجي يتبين لنا أن التقابل يحمل طاقة استدلالية تزيد من قدرة الحجة الإقناعية. وعلى ذلك يعد الطباق والمقابلة من وجوه البلاغة البرهانية القادرة على تحقيق الاستمالة والتأثير في كل من عقل المتلقي ثم في قناعته، بالإضافة لما تقوم به من جمال أسلوبي وتأدية للتلاحم النصي ينسجم بديعيا بما يخدم المقصدية الإقناعية.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المبحث الثالث

التنـاقـــــــــض

أصل النقض في اللغة الحل، وقد نُقل إلى معنى الإفساد والإبطال، ولما كان كل من النقيضين يبطل حكم الآخر،أُطلق على ما بينهما التناقض، على صيغة التفاعل. فالتناقض إثبات الشيء ورفعه،سواء كان بين مفردتين؛ كزيد ولا زيد، أو قضيتين.(١)

والتناقض في القضايا معناه أن صدق إحدى القضيتين ينقض احتمال صدق الأخرى، ويجعلها كاذبة حتما، وأن كذب إحداهما ينقض احتمال كذب الأخرى، ويجعلها صادقة حتما. فهما لا يصدقان معا، ولا يكذبان معا بحال من الأحوال.(٢)

لقد تنوعت الحجج التي لجأ إليها الشيخ السديس في خطابه الحجاجي، وكان هذا التنوع نابعا من تنوع طبيعة الحجاج الذي يتمثل في كونه "وسيلة يتحقق بها التخاطب، فإنه لا يقدم بصورة واحدة، بل يكون بطرق مختلفة، ويتلون بصور ووجوه متنوعة."(٣) وفي هذا المبحث سنحاول أن نكشف نقض الشيخ السديس لدعوات وشبهات، ارتبطت بالإقناع البرهاني عن طريق عرضها ونقضها واحدة تلو أخرى، ومن نماذجه:

"وليست الزكاة ضريبة تؤخذ من الجيوب؛ بل هي غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة؛ يسمو بها المجتمع إلى مستوى أفضل،

(١) يُنظر: طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين، يعقوب عبدالوهاب الباحسين، ص٢١٥.

(٢) يُنظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: عبدالرحمن حنبكة الميداني، ص١٥٦.

(٣) الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، رضوان الرقبي، ص٧٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ومقصد أنبل."[١]

القضية (سالبة)	**يناقضها (موجبة)**
ليست الزكاة ضريبة تؤخذ من الجيوب	الزكاة ضريبة تؤخذ من الجيوب

فالأولى سالبة، وهي صادقة حتما؛ لأن الشيخ استدل على صدقها وكذب مناقضتها الموجبة، لأن الزكاة غرس لمشاعر الحنان والرأفة بين المسلمين، وتوطيد لعلاقاتهم، ويدعم هذا الاستدلال بمقارنة النظام الإسلامي الذي كفل الحقوق بغيره من الأنظمة الوضعية حيث يقول في المقطع نفسه: **"و هكذا أظهرت هذه الفريضة محاسن هذا الدين، وعنايته بشئون أبنائه، وتفوقه على النظم المخالفة من شيوعية ورأسمالية وغيرها، التي يزعم أهلها -زورا وبهتانا- أنهم كفلوا الحقوق، وأشاعوا العدل والإنصاف بين الشعوب، وهل يسمى ظلم الناس عدلا؟! وبخسهم حقوقهم، وإلغاء ملكيتهم، وشاعة الطبقية بينهم إنصافا؟!"**[٢]

يذهب الشيخ ليدلل على صدق دعواه، وهي أن الزكاة ليست ضريبة تؤخذ، وليست هضما لحق الغني. ويستعين بحجة المقارنة[٣] ليؤكد صحة ما ذهب إليه، فيضع النظام الإسلامي الذي يفرض الزكاة تحقيقا للتكافل الاجتماعي بإزاء النظم الشيوعية والرأسمالية، تلك التي أشاعت الظلم بأخذهم أملاك الناس ظلما وزورا، ثم يستفهم منكرا أيكون ظلم الناس عدلا؟ فيجمع بين المتناقضين ليثبت أن تلك الأنظمة ظالمة

(١) كوكبة الخطب المئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٢١٨.

(٢) كوكبة الخطب االمئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٢١٨.

(٣) حجة المقارنة حجة شبه منطقية، وهي مقارنة دقيقة تقابل بين مصطلح وآخر، وليست بداية تشبه، وذلك بغرض تقديم حجة على حكم ما، يُنظر: حجاجية الشروح البلاغية، وأبعادها التداولية، فضيلة قوتال، ص١٧٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

لحق الإنسان وإلغاء الملكية الفردية ليس إنصافا.

لقد خدمت المقارنة بين النظام الإسلامي والنظم الوضعية (الرأسمالية والشيوعية) الهدف الذي سعى الشيخ إلى تحقيقه، حيث عظمت الهوة بينهما. فعلى الرغم من تباعدهما فإنه بوضعهما في مسار حجاجي مقارن كان أمرا دقيقا، يبين الفرق الكبير والبون الشاسع بين مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء والأنظمة الوضعية الظالمة. وقد صاغ المرسل هذه النتيجة وهذا الفرق في صورة استفهامية تستنطق الحكم، وتُخرجه من المتلقي. إن هذه الاستفهامات تعد طريقا للوصول إلى نتيجة يريدها الخطيب من ترابط أجزاء خطابه، وهي التنبيه إلى عدل الشريعة الإسلامية، التي تعطي للفقير حقا من مال الغني.إن منظومة الإقناع السابقة انطلقت من مقدمة (ليست الزكاة ضريبة تؤخذ من الجيوب) ليؤكد بعدها بمجموعة دلائل وحجج صدق مقدمته التي ناقض بها نظيرتها.

ومن أمثلة الاحتجاج بالتناقض قول الشيخ: "**إخوة الإسلام:إن ضرورتنا للتربية الإسلامية من أعلى الضرورات، وحاجتنا إليها أشد إلحاحا من كل الحاجات؛ فما قيمة الأجساد والأبدان بلا قيم ولا أديان، وما قيمة الصور والأشباح بلا عقول ولا أرواح؟! وهل تُغني القوالب إذا فسدت القلوب؟! في الأجساد تشترك كل الكائنات، وفي البحث عن الطعام والشراب تُشارك الإنسان فصائل الحيوانات، وفي الحاجة إلى الغذاء والهواء يشترك المؤمنون والكفار، والأبرار والفجار، والأخيار والأشرار،لكن بالمبادئ والقيم، بالتربية والتعليم، بالعقيدة والإيمان: يستقل أهل الإسلام.**"[1]

القضية (موجبة)	**يناقضها (سالبة)**
ضرورة التربية الإسلامية وشدة الحاجة إليها	لا حاجة لتربية الجيل على الدين

فالدعوى التي يدعو إليها الشيخ موجبة وهي صادقة، ويؤكد أن الإنسان نقيض

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٤٨١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحيوان؛ لأنه ينفصل عنه بالروح والعقل. فمن اختزل التربية في تحقيق مطالب الجسد كان كمن ساوى بين الإنسان والحيوان وجمع بينهما، وهو محال، لذلك وجب أن تكون التربية مبنية على المطالب التي تميز الإنسان، وهي المبادئ والقيم، فتباعا هي الضامن الوحيد الذي يؤسس لتربية منسجمة مع ماهية الإنسان.

ويمضي الشيخ في هذه المقطوعة ليدلل على صدق دعواه وانتفاء نقيضها، فيجعل ذلك في صياغة استفهامية مفتوحة تقريرية، فقوله: (فما قيمة الأجساد والأبدان بلا قيم ولا أديان، وما قيمة الصور والأشباح بلا عقول ولا أرواح؟!) فتكون الإجابة ضمنية: لا قيمة للإنسان جسدا بلا روح، ليطرح السؤال الآتي مغلقا:(وهل تُغني القوالب إذا فسدت القلوب؟!) ليؤكد التقرير السابق، ثم يقيس الإنسان بالكائنات الأخرى قياسا عقليًّا منطقيًّا، ليدفنا بحجته صوب أهمية التربية، وأنها ليست أمرا ثانويًّا. إن هذه الحجج والأدلة توجه الخطاب إلى النتيجة مباشرة، وتتيح للمرسل السيطرة على الموقف، وتحقيق ما يريده من التأثير في المتلقي وإلزامه، فلا يستطيع أن يتملص من أي الإجابتين، مما يتيح قدرا كبيرا من الإقناع والتأثير.(١)

ومن أمثلة الاستدلال بالتناقض قول الشيخ:

"ولقد ضل أقوام اتخذوا طريق العنف منهاجا للدعوة والإصلاح، وأي إصلاح حصل جرَّاءه عبر التاريخ؟!أما سطر في تاريخ الأمة، من جرب هذه المسالك؟ فهل جنت منها الأمة إلا شيوع القتل، وسفك الدماء، وإثارة الخوف والرعب، وفتح السجون والمعتقلات؟! أفلا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم، ويراجعوا أنفسهم، ويستبينوا طرق الإصلاح من علماء الشريعة ذوي النظر السديد، والمنهج الرشيد، والتجربة المتئدة الطويلة؟ لقد صح واستقام لدى العقلاء،أن العنف لا يولد إلا عنفا مثله وأشد منه."(٢)

(١) يُنظر: إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ، عبد الهادي الشهري، ص٣٥٢.

(٢) كوكبة الخطب المئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثاني، =⇦

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

القضية (موجبة)	يناقضها (سالبة)
العنف وسيلة ناجحة للدعوة والإصلاح	العنف ليس وسيلة صحيحة للدعوة والإصلاح

حيث نقض الشيخ هذه الدعوى السلبية (العنف وسيلة ناجحة للدعوة والإصلاح) بطرق استدلالية عدة، جاءت على النحو الآتي:

الطريقة الأولى: أن نتائج العنف السلبية على مدى التاريخ لم تنتج إلا سفك الدماء وشيوع القتل، وكثرة السجون والمعتقلات، وإثارة الخوف والرعب.

الطريقة الثانية:حث هؤلاء الذين اتخذوا العنف منهاجا لهم بالتأمل فهي هذه النتائج، هل هي غاية لهم؟ وعليهم الرجوع إلى كل عالم صاحب تجربة طويلة ونظرة سديدة.

الطريقة الثالثة: أن العقلاء - جميعهم- اتفقوا على أن العنف لا يولد إلا عنفا مثله وأشد منه.

أظهر الشيخ في سرد مجموعة من الأسئلة التقريرية والأحداث التاريخية تناقض القضية، وأثبت فساد دعوى كل من ادَّعى أن العنف وسيلة للإصلاح أو طريقا يتخذ لنشر الدين.

ومن الخطابات الأخرى التي استعملت فيها هذه التقنية ما يأتي:

"و اعلموا عباد الله أن الرحمة أحيانا تقتضي الحزم مع من يستحقه، فالطبيب حينما يعالج المريض، والمريض يُكرَه على الدواء، والطفل عندما يُساق إلى المدرسة كل ذلك عين الرحمة...كذلك من الرحمة: إقامة حدود الله، فالقصاص رحمة، وجلد الزاني رحمة، وقطع يد السارق رحمة بالمجتمع بأسره، واستئصال لعضو مسموم

= ص٢٩٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

في المجتمع؛ حتى لا يسري بآثاره المدمرة على الجميع."[1]

القضية (موجبة) **يناقضها (سالبة)**

(إقامة الحدود الشرعية رحمة) إقامة الحدود الشرعية ليست رحمة

إن إثبات القصاص والجلد وقطع اليد رحمة يستلزم إقامة الدليل على ذلك؛ لذلك نجده في آخر المقطع الخطابي يلجأ إلى قياس التمثيل في قوله: (استئصال لعضو مسموم في المجتمع؛ حتى لا يسري بآثاره المدمرة على الجميع).

فهنا يشبه الشيخ الديس أفعال القتل والزنا والسرقة بأمراض مجتمعية، يجب استئصالها وقطعها حتى لا تسري الآثار المدمرة لهذه الأمراض على باقي أفراد المجتمع، تماما - على وجه الاستدلال- كالمرض الذي يقطع دابره؛ لكيلا يسري على باقي الجسد فيدمره ويقضي عليه.

ولقد نجح إدارج العامل (حتى) في إقرار النتيجة التي توصل إليها الخطاب آنفا (القصاص رحمة). فلا يمتلك المتلقي بعد ذلك سوى الإذعان لما يعرض عليه. وقد ساعد التعليل - هنا - في توجيه سيرورة الخطاب الحجاجي، وتوجيه المتلقي الوجهة التي يريدها المرسل نحو النتيجة المبتغاة من إقرار مقاصد الشريعة الإسلامية من إقامة الحدود. وإذا كان من مهمة العامل الحجاجي إزالة الغموض، فإن هذا ما نلاحظه في هذا النموذج؛ لأن توضيح الرحمة التي تقتضيها قطع يد السارق، والقصاص من القاتل، وجلد الزاني تمثل باستئصال المرض الذي قد ينتشر في المجتمع، وجاء بعد العامل (حتى).

وهكذا نجد أن الاستدلال بالتناقض من الحجج الدامغة التي تقود المتلقي إلى الاقتناع، فهو يقوم على إبطال الدعوى بالتناقض مقرونة بالأدلة المشهودة البينة، التي

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث ص٢٢٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تُصاغ -غالبا -على صيغة الاستفهام؛ فيحدث الإقرار من المتلقي، فيبلغ الغاية في الحجة، ويكشف زيف الادعاء.

والاستدلال بالتناقض من أقوى أساليب الدحض والتفنيد للآراء المخالفة ؛ لأن الحجج القائمة على التناقض توقع بالمتلقي وتهدم ما يبنيه بالخطاب، وتبرز العبثية في كلامه، بمفارقة الأقوال المدَّعاة لبعضها، أو مفارقتها للأحوال المعهودة عنها.(١)

(١) يُنظر: الحجاج في الشعر العربي القديم، سامية الدريدي، ص١٩٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المبحث الرابع

السبـــــر والتقسيـــــم

يقصد بالسبر في **اللغة**: اختبار الشيء واستخراج كنهه، يقال: اسبر لي ما عنده، أي: اعلمه، ومنه المسبار: آلة اختبار غور الجرح ليقتص بمثله.(١) و يقصد بالتقسيم: تجزئة الشيء بأن يُقال: الشيء إما كذا، وإما كذا.(٢)

وفي **الاصطلاح** تعددت تعريفات كل من "السبر" و"التقسيم" بسبب تعدد المجالات التي استعمل فيها هذان المصطلحان، حيث يعرفه ابن تيمية بـ"حصر أوصاف الأصل في جملة معينة، وإبطال كل ماعدا المستبقى"(٣)، و يعرفه الشريف الجرجاني بقوله: "السبر والتقسيم كلاهما واحد، وهو إيراد أوصاف الأصل، أي المقيس عليه، وإبطال بعضها؛ ليتعين الباقي للعلية"(٤)، أي (العلة والسبب). فالاستدلال بالسبر والتقسيم " يحصل من العلم بأحوال الشيء وملزومها ولوازمها. وإذا تصورته الفطرة عبرت عنه بأنواع من العبارات، وصورته في أنواع من صور الأدلة، لا يختص شيء من ذلك بصورة معينة أو طريقة محددة."(٥) فيمكن -لاإذن- الوصول إلى معنى السبر والتقسيم المتمثل في أنه حصر أوصاف قضية ما، وعللها، ثم تفنيدها

(١) لسان العرب مادة (سبر) ج٤ ص٣٤٠.

(٢) لسان العرب مادة (قسم) ج٥ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥ه، ج٩، ص١٩٨.

(٤) التعريفات، للشريف الجرجاني، ص١١٦.

(٥) الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م، ص١٧٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وإبطالها بتوضيح وكشف الصواب.

ومن ذلك ما جاء قول الشيخ: **"أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الحق يُعرف بالأدلة الشرعية، لا بفعل الناس؛ فلا تغتروا بكثرة من يُحدث البدع والاحتفالات؛ قال الله -سبحانه-:** (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ)[1]**. وقد زين الشيطان لأرباب هذه البدع شُبهات، يتبجحون بها؛ ليلبسوا على العامة وقليلي العلم، وهي في الحقيقة أوهام كنسج العنكبوت، لمخالفتها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمة.**

فمن شبهاتهم: زعمهم أن فعلهم هذا تعبير عن الحب لرسول الله (ﷺ)، والفرحة بذكرى مولده، وأن من لم يفعل ذلك فلا يحب رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وتلك حجة واهية، إن يتبع قائلوها إلا الظن وما تهوى الأنفس؛ فحب رسول الله ﷺ إنما هو باتباع شرعه، ولزوم سنته، لا بالاحتفالات البدعية المنكرة؛ قال -جل في علاه-: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)[2].

ومن شبهاتهم قولهم:(إن هذه الاحتفالات بدعةٌ حسنة"؛ وذلك قول باطل؛ فإن كل بدعة ضلالة؛ كما ثبت عن المصطفى ﷺ، ومن أين لهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن في الإسلام بدعة حسنة؟!

ومن شبهاتهم: دعواهم أن الناس تعارفوا عليها، وأصبحوا يفعلونها، من غير نكير، ويرد على ذلك: بأنّا لم نتعبد بأفعال الناس وعاداتهم المخالفة للدين؛ وإنما تعبدناه بما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن العجائب والغرائب: أن الشيطان قد زيَّن هذه المنكرات لأصحابها، وأغوى قلوبهم، فجعلهم ينشطون ويجتهدون في حضور هذه الاحتفالات، ويتعصبون لها، ويدافعون عنها، ويتهجمون على من أنكرها، وربما تركوا كثيرا من الواجبات

(١) سورة الأنعام، آية ١١٦.

(٢) سورة آل عمرن، آية ٣١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الشرعية، ولا يرفعون لذلك رأسا، ولا شك أن ذلك من قلة البصيرة في الدين، ومن الجهل المبين.

ومن ذلك: أن بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر بدعهم؛ ولهذا يقومون مُحيِّين ومرحبين؛ وهذا من أبطل الباطل، وأقبح الجهل والعياذ بالله.

أيها المسلمون في كل مكان، بهذه الأدلة الناصعة، وهذه الردود الواضحة،يتجلى لنا تهافت هذه البدعة ودحضها وتفنيدها، ويتبين لمن له أدنى بصيرة وإنصاف واتباع للحق:أنها من الخطأ في دين الله وأنها من الأمور المبتدعة، ولم يبق إلا أن ننادي المسلمين من هذه البقعة المباركة-براءة للذمة، وإبلاغا للأمة- أن يتقوا الله في أنفسهم، وان يتركوا مثل هذه الأفعال."(١)

بتأمل النص السابق نجد أن المخاطِب قد استقصى جميع الشبهات والمبررات التي جعلت المتصوفة يقيمون احتفالات المولد النبوي، ويفندها واحدة تلو الأخرى بأسلوب حجاجي مقنع بديع، حيث يبدأ فقرته بإثبات أن الحق يُعرف بالأدلة الشرعية، وليس بكثرة من يفعل الفعل، ويعضد هذه الحجة بالاستشهاد القرآني الذي يؤكد أن الضلال عن سبيل الله من البشر: (ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ)، ثم يستعرض الشيخ شبهات المذهب الصوفي وينقضها:

أن هذا الاحتفال تعبير عن حبهم للرسول ﷺ، ومن لم يفعل ذلك فهو غير محب له، ويفند هذه الحجة بقوله: أنها حجة واهية، نابعة من الظن والهوى، ويعلل ذلك بأن حب الرسول ﷺ إنما هو باتباع شرعه والتزام سنته، ويستشهد على رأيه بقول الله -تعالى-: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ). ففي استدعاء الشيخ للشاهد القرآني مضاعفة للقوة الإقناعية. فمحبة الرسول تقتضي اتباع سنته والسير على نهجه وتعليم سيرته لكل جيل. ومن الشبهات -أيضا- أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة لكنها بدعة حسنة. فيرد

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول ص١٦٩-١٧١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الشيخ على هذه الشبهة ببطلانها؛ لأن الرسول ﷺ أثبت أن كل بدعة لم تـأتِ فـي القـرآن والسنة هي ضلالة، ولا يوجد في الاسلام بدعة حسنة أو غير حسنة، فكلها بدع، والبـدع مُضلة.

ومن شبهاتهم -أيضا- أن الناس تعارفوا عليها وأصبحوا يفعلونها مـن غيـر إنكـار أو إبطال، ويرد على ذلك بأن المسلمين لم يتعبدوا إلى الله بأفعال الناس، وإنما بمـا جـاء في الكتاب والسنة.

ثم يتعجب الشيخ من أفعال بعض الناس ومبالغتهم فـي الاحتفـال بالمولـد النبـوي، فيحضرون هذه الاحتفـالات ويتعصـبون لهـا ويـدافعون عنهـا، بـل يتهجمـون علـى مـن ينكرها، حتى ظنوا أن الرسول ﷺ يحضر هـذا الاحتفـال فيقومـون لـه مـرحبين. ويعبـر الشيخ عن بطلان ذلك بقوله "أبطل الباطل، وأقبح الجهل" بصـيغة أفعـل التفضـيل التـي تؤدي وظيفة حجاجية فعالة.

يصل الشيخ في نهاية سبره وتقسيمه إلى نهاية ونتيجة واحـدة: وهـي أن الاحتفـال بالمولـد النبـوي مـن الخطـأ فـي ديـن الله، وأنـه مـن الأمـور المبتدعـة، ويصـف أدلتـه بالناصـعة وردوده بالواضـحة، وهـذا الوصـف لـه قـوة حجاجيـة فـي مضـاعفة العمليـة الإقناعية، التي بدأت بإعلان القناعة الذاتيـة الكاملـة مـن قبـل صـاحب الخطب.كمـا أنـه سلك سبيل التفصيل الدقيق بإظهاركل عللهم في استحسانهم لأمر الاحتفال بالمولـد علـى سبيل التضييق عليهم للاعتراف بابتداع هذا الأمر، ومن ثم استخراج حكمه.

كمـا يلجـأ الشـيخ فـي معظـم الأحيـان إلـى الاسـتدلال، إذ يعتمـد طريقـة الأسـئلة البلاغيـة، التـي لا تتطلـب جوابـا مـن المتلقـي بـل تفاجئـه بـأن الجـواب يكمـن فـي ذات السؤال. يتجلى ذلك في تقسيمه واستقصائه لجميع الأنظمة السياسية ويؤكـد فسـادها كمـا جاء قوله: **"ولقد أخفقت كل المحاولات البشرية، والنظم الأرضية فـي إسـعاد الإنسـان؛ لما أقصت عن حياته مطالب الروح، وغـذاء الإيمـان، وحجبـت نـور العقيـدة أن يغمـر الفرد ببهائه... وإن أي دعـوة للإنسـان بتخطي حـدود الله، وتجـاوز شـريعة الله، إنمـا تُسِفُّ بالإنسان، وتهبط به من آفاق العزة والكرامـة إلـى حضـيض الضَّـعة والمهانـة،**

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

وتجعله سادرا في الظلام غارقا في التيه والضَّلال، تعصف به تيارات الضياع...أبعد هذا ينخدع الإنسان بالدعاوى المزركشة، والوعود الكاذبة، والمؤتمرات المشبوهة، التي يريد أصحابها تشكيك أهل الإسلام في مبادئه وقيمه، وأخلاقه ومثله، وصلاحيته لكل زمان ومكان؟! والسؤال الذي يفرض نفسه، ماذا يريد هؤلاء؟!

أيريدونها علمانية، تقصي الدين عن واقع الحياة، وعن تنظيم شئون الناس السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، ويجعل من الدين طقوسا لا أثر لها في دنيا الواقع؟!

أيريدونها إباحية تُداس فيها القيم، وتهدر من خلالها الأخلاق، وتُشاع الأمراض والجرائم؟! أيريدونها فوضوية يتسلط فيها القوي على الضعيف، ويصبح الناس فيها أشبه بوحوش كاسرة، وسباع ضارية، لا مكان فيها إلا للأقوى؟!

لقد أفلست كل هذه النظريات، ولم تعد صالحة لإسعاد البشرية، والواقع من أكبر الشواهد على ذلك، فالعجب من الأصوات الناعقة، والأقلام الحاقدة، والمؤتمرات المشبوهة، كيف تجرؤ على محادة الله ورسوله، ومصادمة شرعه؟! والعجب العجاب من ذلك الإنسان الضعيف! كيف يعدو قدره، ويتجاوز حده، ويشمخ بأنفه، ويعتد بقوته، ويتباهى بسطوته، ويمتليء غرورا وكبرياء وغطرسة؟!"[1]

إن هذه الجرأة في خطاب الشيخ السديس تجعلنا ندرك كيف استطاع الاستدلال الحجاجي على إقرار المتلقي بفساد تلك الأنظمة، وحمله على الإدراك الواسع وفهم آفاق أوسع من ملفوظات الخطاب ليصل إلى المقصد، وإضافة معلومات ربما غفل عنها المتلقي عن تلك الأنظمة، فكل سؤال يثير انتباه المتلقي ويملأ فراغا معلوماتيا من قبله، فكل نظام بشري قام بذكره (علمانية، إباحية، فوضوية) هي أنظمة غير مقبولة في أذهان المتلقين، لكن ذكر صفاتها وحقيقتها التي ربما غفل عنها المتلقي في صورة

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٦٢١-٦٢٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تشبيهية بارعة. فالقيم تُداس، والناس أشبه بوحوش كاسرة وضباع ضارية، ولا شك أن للصور التشبيهية فعاليتها في توصيل المعنى وتحريك المتلقي بشحذ ذهنه، ووضعه أمام فكر أعمق من القشرة السطحية أو الأسماء المزخرفة لتلك الأنظمة الفاسدة، ليثبت إفلاسها وخير شاهد على ذلك واقعنا الذي نعيشه، ثم يتعجب من المؤيدين لتلك الأنظمة، ويدعم غرضه الحجاجي، الذي يسعى إلى بيان حقيقة هؤلاء المؤيدين بالتنبيه على أهدافهم عن طريق وصفهم بصفات مجازية:

فالأصوات الناعقة والأقلام الحاقدة والمؤتمرات المشبوهة، هذه الصيغ التشبيهية موسومة بحمولة حجاجية؛ لما تكتسبه تلك الصيغ من قدرة على إثارة خيال المخاطَب وحمله على الاقتناع بمضمونها.

فالتصوير -هنا- يتوخى قوة حجاجية يستلزم من المخاطب المشاركة في التخيل واستخلاص النتيجة المتمثلة في فساد هذه الجماعة التي تنادي بتلك الأنظمة الفاسدة، وهذا له قوة حجاجية أكثر بكثير لو عبر عنهم بصفاتهم بأنهم فاسدون مفسدون أو أشرار، بل وصف أصواتهم بالنعيق وأقلامهم بالحقد ومؤتمراتهم مشبوهة. وهنا يجعل المتلقي يُشارك في استنتاج المعنى بإدراك أوجه المشابهة، وهذا أذهب في الإقناع.

لقد اتبع الشيخ طريقة السبر في هذا الموضع لبيان فساد تلك الأنظمة وأبطلها جميعا، بذكر تفاصيلها القبيحة، ليؤكد فساد ما قيل في (مؤتمر السكان والتنمية)، الذي خرج بإقرار تحديد النسل، وأن هذا القول يعاكس الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، ويخالف النصوص الشرعية في الحث على تكثير النسل وحفظه وتنميته.

وهكذا باتت الحقيقة واضحة، والقضية ناصعة، وهي إرادة تشكيك المسلمين في عقيدتهم ودينهم، ومحاولة جرهم من دينهم الصحيح الصالح لكل زمان ومكان إلى اعتناق أفكار تناقض تلك العقيدة.

ومن أمثلة السبر والتقسيم قوله:

" إخوة الإسلام: لما كانت المسكرات والمخدرات، تقضي على المدارك، بل

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تقضي على الفرد في أعز ما يملك وهو عقله، وبالتالي تقضي على دينه، وصحته وسلوكه، وتقضي على المجتمعات بالإخلال بأمنها، وجلب الفساد والفوضى إليها، وتدهور اقتصادها، وإعاقة تنميتها، وتفكك أُسرها، وتفاقم الجرائم فيها، واتشار العنف والإرهاب بين أبنائها؛ فهم بين سكير عربيد، وثَمِل مجرم عنيف عنيد،لا يعرف الله حقا، ولا لمجتمعه وزنا، ولا للفضائل والقيم طريقا؛ لذلك كله؛ ولما للمسكرات والمخدرات من عواقب وخيمة وأضرار خطيرة، وشرور مستطيرة على الأفراد والمجتمعات على الدين والصحة والعقل والمال والسلوك، جاء تحريمها في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ)"[1][2].

فيمتزج هذا الاستدلال بالتعليل والسبر والتقسيم، حيث قسم العلل وأظهر نتائجها. فالعلة التي جعلت المخدرات والمسكرات محرمة هي قضاؤها على العقل ومدارك الإنسان ووعيه، وما ينتج عن ذلك حيث مضى يقسم كل النتائج المترتبة على فقدان العقل، إذ هو قوام كل الأفعال والمسؤول عنها. فالإخلال بالأمن وجلب الفساد، وتدهور الاقتصاد، وتفكك الأسر في تلك المجتمعات، ومن ثم تكاثر تلك الجرائم وظهور العنف والإرهاب..إلخ. كل ذلك أمور باطله لا يقرها عقل ولا دين، فكان التحريم جالبا لمنافع كثيرة، دافعا لكل مساوئ فقدان العقل.

واستدل الشيخ السديس على تحريمها استدلالا تتابعيا يحمل تقسيما للعلل والحجج لإحداث توازن بينها لدحضها جميعا. إن تتبع السبب تتبعا عقليا بذكر ذهاب العقل ثم تقسيم ما يترتب على ذهاب هذا العقل إلى عدة أقسام، يمثل حجة قوية قادرة على إقناع المتلقي العاقل، الذي يربط الأمور ويستنتج النتائج.

(١) سورة المائدة، آية ٩٠.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثاني ص٣٥٠-٣٥١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المبحث الخامس

التضميـــن و الاقتبـــاس

على الرغم من الاختلاف حول اتفاق كلا المصطلحين سواء بكونهما يشيران إلى سلوك لغوي واحد أو وجود فوارق دقيقة بينهما، فإن نهج الدراسة ينحو صوب عدهما آلية واحدة للاستدلال الحجاجي الذي انتهجه الشيخ السديس في خطابه الإقناعي؛ لتوظيف النص الآخر، سواء أكان نصا مقدسا نحو (القرآن الكريم) أو (الحديث الشريف) أم نصا تراثيا أم غير ذلك. وهذا التوظيف كان مهما في طريقة التدليل والإقناع على المقصود والمطروح. فالنص الديني يحمل سلطة معنوية، وينتهجه المرسل طريقة لدفع المتلقي إلى التأثُّر والاقتناع، بل إن الاقتباس يزيد من "قوة الفعل الحجاجي باعتباره حجة تدعم القول الحجاجي؛ لأنه من كلام مقدس،... والاقتباس محسن لفظي يمنح الحجاج قوة ومصداقية؛ نظرا لمصدر الاقتباس "القرآن" و"الحديث الشريف".(١)

والاقتباس يدل على قدرة المقتبس في الربط بين كلامه والكلام المقتبس مما يزيد في قوته، ويرفد طاقته الحجاجية، ويوجه المتلقي إلى غايته التي يقصدها. وقد كان للاقتباس حضوره الخاص في خطب الشيخ السديس، بل يكاد أن يكون ركنا أساسيا من أركانها، لا تخلو خطبة من آية كريمة أو حديث شريف.كما نلاحظ حضور كثير من الأمثال العربية في خطبه. وسنتبين توظيفها الحجاجي الذي يجعلها موجهة عن قصد إلى المتلقي لدفعه إلى فعل أو تركه، ولتغيير قناعته وسلوكه ومواقفه الدينية تجاه بعض القضايا.

(١) يُنظر: خطاب الحجاج والتداولية - دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، ص٣١٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ولم تتوقف حجة الاقتباس والتضمين عند حجية الدليل أو الاستشهاد لدعم قضية ما، بل تجاوز ذلك إلى حجة السلطة عندما يقدمها أشخاص يحملون ثقلا سلطويا، فيؤيد المرسل قضيته بالدليل والسلطة، خاصة إذا كان هذا الدليل صادرا عمن يضمن صحته.(١)

و إذا كان التضمين بالنصوص المقدسة، فإنه يمنح الخطاب حجة أقوى تأثيرا وسلطة أكبر على المتلقي، وكثيرا ما جمع الشيخ السديس بين حجة الدليل وحجة السلطة كما سنبين.

❖ أ. الاقتباس من القرآن الكريم:

مما لا ريب فيه أن القرآن الكريم "حجة الحجج" وأقوى الأدلة على الإطلاق؛ لما يمثله القرآن الكريم من سلطة وحجية. وزاد ومؤونة كافية من الأدلة والحجج. والمحتج على قضية ما يكفيه النص مؤونة حمل القول على بناء الأدلة واستنباط الحجة.(٢) والشيخ السديس استثمر تأثير القرآن الكريم في كل خطبه، مستفيدا من "إمكانيات النص القرآني التأثيرية والإيقاعية والبيانية والمعجمية في خلق جو من الإغراب مهيأ للمستمع."(٣)

كذلك فإن اقتباس الشاهد القرآني يجعله منصهرا مع نص الخطبة فيحافظ على الانسجام بين أجزاء الكلام، فيجعل الآية جزءا من معاني الخطبة، فيكسبها معنى جديدا يرتبط بالسياق الخاص بالخطبة. ومن أمثلة ذلك قوله: **"أيها المسلمون، أيها الأخوة المجاهدون، إن علينا أن نهبَّ لنصرة الحق، ودفع الباطل. هذه بلاد المسلمين يهددها**

---

(١) يُنظر: الحجاج، كرستيان بلانتان، ترجمة: عبد القاهر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م، ص١٥٣.

(٢) يُنظر: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، حمادي صمود، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، ص٢٦.

(٣) في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، ص٩٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

أعداء الإسلام، يريدون أن يتحكموا في مقدراتها ومقدساتها، يريدون أن ينالوا من أهلها وخيراتها، يريدون أن يفسدوا في الأرض: (ذ ذ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک)[1].

فعليكم -أيها الأخوة المسلمون- أن تعدوا أنفسكم للجهاد في سبيل الله، وليس غريبا -يا أمة الإسلام- أن تُصاب هذه الأمة في بعض أدوارها بألوان من الكوارث، وأنواع من المصائب والرزايا والحوادث، ولكن الغريب كل الغرابة أن تضعف وتستكن، أو تذِل وتهون. وقد كتب الله لها العزة والنصرة: (ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ ﷺ ﷺ)[2]"[3].

لما كان فحوى الخطبة النصرة للإسلام والمسلمين والجهاد في سبيل رفع هامة الأمة الإسلامية ناسب الحديث ذكر أهداف أعداء الإسلام ومكائدهم في النيل من المسلمين والاستيلاء على مقدراتهم وثروات بلادهم، وباستخدام الاقتباس وسيلة حجاجية لتأكيد الفكرة، جاء تعضيد المسار الاحتجاجي للدعوة إلى الجهاد في سلاسة تامة، ثم ليشحذ الهمم يذكرنا بنهي الله عز وجل عن الذل والهوان بين الناس. إنه بهذه الاقتباسات يتخذ فيها منحى عاطفيا يركز فيه على إثارة الانفعالات عند المتلقي. فبعد تقريره النتيجة المبتغاة (الاستعداد للجهاد في سبيل الله) اتخذ النص القرآني منبها، يخرج السامع من دائرة الضعف والهون إلى دائرة العزة والرفعة؛ لأن الله -ﷻ- قال عنهم بأنهم الأعلون؛ مما يثير الحماسة في نفوسهم ليحققوا الهدف المبتغى ويمكن بيان الحجج فيما سبق على النحو الآتي:

الاقتباس: - (ذ ذ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک)

- (ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ ﷺ ﷺ)

الحجة الأولى: أهداف أعداء الإسلام في الاستيلاء على خيرات المسلمين

(١) سورة الصف: آية ٨.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٣٩.

(٣) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٢٩١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ومقدراتهم ومقدساتهم.

الحجة الثانية: أن الله ﷻ نهى المسلمين عن الذل والهوان والاستكانة والضعف، وكتب لهذه الأمة العزة والرفعة والنصر على أعدائها.

النتيجة: نصرة الحق ودفع الباطل والاستعداد التام للجهاد في سبيل الله.

ومن الاقتباسات في قول الشيخ السديس: **"معاشر المسلمين:و لقد شهدت الجزيرة العربية أحقابا عجافا، أتى عليها حين من الدهر لم تكن شيئا مذكورا إلا بالظلم والنهب، والجعل والسلب، وشيوع القتل والفوضى، حيث كانت مسرحا للجرائم، ومثلا في انعدام الأمن وكثرة المخاوف، حتى:**

(البسيط)

ضجَّ الحجاز وضجَّ البيتُ واستصرخت ربها في مكَّةَ

حين انفرط عقدها، ذهبت ريحها، وتسلط عليها أعداؤها، ولم تزل في هذا الوضع المتردي، حتى قيض الله لها أئمة الدعوة الإصلاحية المباركة، فعانق سلطان الحكم سلطان العِلم، وفي زمن كثر فيه الجهل والخوف، وعم فيه التخلف والاضطراب، ووهنت صلة الناس بعقيدتهم، وانعدم توثقهم بشريعته. فأجرى الله على أيديهم من الخير للبلاد والعباد ما يشهد به المنصفون، ويشرق به الحاقدون، فأعليت راية التوحيد ووئدت الخرافة، وأُبطل التنديد؛ فتحا من المجيد، وتيسيرا من العزيز الحميد، حتى قرت عيون الموحدين بانتشاره، ورسوخ أصوله وقواعده، وإشعاع نور العلم، وكشف الشبهات وتبدد سحب الجهالة."(٢)

ينصهر الشاهد الديني في هذا المقطع من الخطبة بشكل سلس ومنسجم. وهو-

(١) ديوان أحمد شوقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ج١، ص٢١١.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٦١٨-٦١٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

هنا-يبرز حال الأمة الإسلامية في زمن من الأزمنة. حيث جاء عليها زمن طغى عليها الجهل والظلم والفوضى، حتى أنار الله بصيرتها على يدي أئمة من الدعاة الاصلاحيين، فعاد للإسلام مجده. والملاحظ- هنا- تآزر مجموعة من الحجج؛ لتؤدي إلى نتيجة واحدة، وهي أن الجزيرة العربية بعد الدعوة الإصلاحية شكلت وحدة إسلامية، وأن هذه الدعوة كانت خير سلف في تمثل العقيدة الإسلامية.

وقد ضمن الشيخ - هنا - بيتا شعريًّا بالإضافة إلى الآية الكريمة؛ لبيان حال الأمة الإسلامية قبل هذه الدعوة الإصلاحية، وليبين حالها بعد هذه الدعوة في صورة استعارية بديعة، جسَّمت قوة الانسجام بين الحكم والعلم، عندما استعار صورة إنسانية يتعانق فيها العلم بالحكم.

إن هذا التجسيد لهذا التلاحم بين الحاكم والعالم يؤدي وظيفة حجاجية في كشف أهمية العلم مع الحكم. وعندما يجعلهما سلطانان (سلطان العلم وسلطان الحكم) فإنه يؤكد وظيفتهما في الحياة؛ لأن اتحادهما وانسجامهما أجرى الخير على يديهما، فتبدد الجهل وظهر الحق، وتحققت الوحدة والأخوة بين أبناء الأمة الإسلامية.

الاقتباس: وأتى عليها حين من الدهر لم تكن شيئا مذكورا[1]

الحجة:حال الأمة الإسلامية قبل الدعوة السلفية الإصلاحية، وحالها بعد الدعوة وانسجام العلم الشرعي الإسلامي الصحيح مع الحكم القوي المنيع.

النتيجة: سيادة الأمة الإسلامية بالدين الإسلامي وبالعقيدة الصحيحة الخالصة، التي يجب التمسك بها، والحذر من كل دعوة تخالف ثوابتها ومنهجها الصحيح، الذي يدعو إلى الوسطية والاعتدال.

ومن بديع اقتباساته قوله: **"أمة الدعوة والاحتساب: ما يتعلق بمناط الدين**

(١) من قوله ﷻ: (ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ) سورة الإنسان: أية ١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الأعظم، وقطبه الأفخم (ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ)[1] **فالمؤمن كالغيث الهنيء أينما وقع، أصاب ونفع، وأينما ارتحل، أمر بالخير وعليه دل، فطوبى لمن سره المعروف ودعا إليه واهتز، وساءه المنكر فنهى عنه واشمأز، بحكمة شرعية وآداب مرعية."**[2]

يتحدث الشيخ -هنا- عن عظم أمر الحسبة، ويعبر عن ذلك باسم التفضيل (الأعظم والأفخم) ليؤكد أن أمر الحسبة أمر عظيم في هذا الدين، ثم يضمن كلامه عنها بآية من القرآن، التي تتضمن الحكم بالخيرية على أمة الإسلام؛ لقيامها بأمر الحسبة، فيصور المؤمن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالغيث الذي يصفه بالهنيء، ويكشف عن وجه التمثيل بأنه أينما وقع نفع، ودل على الخير. هذا التشبيه الذي يثير النفس، وينقلنا إلى عالم محسوس أدى بنا إلى تخيل هيئة المؤمن وهو ينفع الناس بنهيه وأمره. إن هذا حجة مبطنة للتأثير في المتلقي بخيرية الحسبة وعظم أمرها للأمة. فالغيث يبعث السرور في نفوس الناس فهو لا يأتي إلا بالخير، وكذلك أمر المؤمن، ثم يختم فقرته بالدعاء لكل مؤمن اهتم بأمر الحسبة، وعمل عليها بكل الآداب والأحكام الشرعية، ولهذا الدعاء قوة إنجازية. إذ عدل عن أسلوب الأمر المعتاد في توجيه المتلقي إلى أسلوب الاقتباس والتمثيل والدعاء، ليخدم النتيجة المضمرة، وهي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويمكن بيان الحجة في المثال على النحو الآتي:

الاقتباس: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ)

الحجة الأولى: خيرية الأمة الإسلامية، بأمرها للمعروف ونهيها عن المنكر.

الحجة الثانية: أن المؤمن نافع في كل مكان ينزل فيه، يأمر بالخير ويدل عليه.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١١٠.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ عبدالرحمن السديس، السفرالثالث، ص٣١٤-٣١٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجة الثالثة: الدعاء للمؤمن الذي يشمئز من المنكر ويسره المعروف، الذي يقوم بأمر الحسبة بكل الآداب والأحكام الوسطية.

النتيجة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم. والمسلم أينما حل أو ارتحل يجب عليه القيام بأمر الحسبة.

وهكذا أفاد الشيخ السديس من الاستدلال القرآني فعضد به المعاني والأفكار التي يهدف إليها في أسلوب بديع، كما مرر عبرهكثيرا من الأحكام الشرعية الصادرة من الله تعالى؛ ليذكر بها المتلقي بأسلوب مقنع مؤثر، يمتزج مع حديثه تارة بأسلوب تضميني كما رأينا، وتارة أخرى يظهرها على هيئة دليل قاطع، وحجة برهانية لا تقبل الجدال بوصفها سلطة دينية يذعن لها المخاطبون. ومن أمثلة الاستدلال بالقرآن العظيم قوله:

"الربا من أكبر الذنوب عند الله، وأعظم الفواحش، محرم في جميع الشرائع السماوية. قال ﷻ: (ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ)[1]. **أكلة الربا مُتَوَعدُون بالوعيد الشديد في الدنيا والآخرة، مُهددون بالعذاب في النار وبئس القرار، المُرابون مُحاربون لله ورسوله.**

يقول الحق -تبارك وتعالى-: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ)[2]. **وهل يجرؤُ على محاربة الجبار- الواحد القهار، القوي المتين الذي بيده ملكوت السموات والأرض- من له أدنى مُسكة عقل، أو ذرةٌ من إيمان؟! من بارز الله بالمحاربة، فهو الخاسر المهزوم، فرحماك إلهنا رُحماك، واللهم سلم سلم."**[3]

يستدل الشيخ بالآية القرآنية ليعضد به كلامه عن عظم ذنب مرتكب (الربا) فيدعم بهذه الآيات القرآنية النتيجة التي يهدف إليها الشيخ. فالشيخ يذكر بحرمة الربا،

(١) سورة النساء: آية ١٦٠-١٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٣١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ويقيم الشاهد المقدس على صحة ما يقول حتى يتسنى له إقناع المتلقي والتأثير فيه، وحمله على الكف عن الربا أو التعامل مع المرابين، ثم يعلن الحرب على هؤلاء المرابين بإذاعته لآية سورة البقرة" **فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**". فالحرب معلنة ضدهم من الله ومن رسوله، ثم يرفد هذه الحجج النقلية الدامغة بحجة استفهامية تقريرية إنكارية يعترضها بجملة اعتراضية، يذكر فيها صفات الله -تعالى- وأسماءه الدالة على عظمته وقوته، وهذا فيه إعلان يقيني من الشيخ بالله تعالى، والغاية منها توجيه المتلقي إلى تقرير عظمة الله سبحانه وتعالى، وأسلوب الاستفهام - هنا - لا يخلو من سخرية تهكمية ممن يجرؤ على مبارزة الله تعالى عن ذلك.

ويمكن بيان الحجة في المثال على النحو الآتي:

الاقتباس: ١- (ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ)

٢- (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ)

الحجة: حرمة الربا وعظم ذنبه على الإنسان، وحرمة التعامل مع المرابين.

النتيجة: الواجب على من أراد النجاة يوم العرض أن يحذر الربا غاية الحذر، ولا يغره المتساهلون الذين غرهم حب المال.

والقرآن بما يمثله من مكانة روحية في قلوب المسلمين ولما له من سلطة دينية في تصورات الناس، وبناء مفاهيم اجتماعية يضطلع الاحتجاج به بوظيفة تأكيدية للدعوى المصاحبة له والمستشهد به عليها، التي تؤدي إلى اليقين القاطع بصحتها. فـ" الشاهد القرآني سلطة غير شخصية لأنه العقيدة والكتاب المقدس لعموم المسلمين لذلك يشكل محط إجماع عام دون كل الحجج."[١]

ومن وجوه الاستدلال به في قضية التكفير قوله:

(١) بلاغة الإقناع في المناظرة، عادل عبد اللطيف، ص٢٣٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

"إخوة الإيمان: ولهول هذه القاصمة، جاءت النصوص الزاجرة عن هذا المرتع الوخيم، والمسلك المشين، يقول -سبحانه-: (ﮪ ے ۓ ۓ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ)[1] **وفي الصحيحين من حديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه.»**[2][3]

ولا يتوقف الشيخ السديس عند هذا الحد من الاستدلال، بل يستدل بكثير من الأحاديث وأقوال التابعين؛ ليبرهن على صحة دعواه وصدقها، ويعلق على هذه الاستدلالات بقوله:

"الله أكبر! ذلكم هو ورع السلف في هذا الباب، فكيف يسوغ بعد هذه النقول كلها، لمن لم يبلغ في مقدار علمهم وفضلهم نقيرا ولا قطميرا، وكان همه التدليس والتلبيس، أن يتجاسر بإطلاق الحكم بالكفر الصُّراح في حق إخوانه المسلمين، جملة وتفصيلا - عياذا بالله عياذا!"[4]

يعظم الشيخ خطورة أمر التكفير فيصفه بالمرتع الوخيم والمسلك المشين، وقد اتخذ الاستدلال - هنا- شكلا من أشكال الدمج القوي داخل الخطاب. فيستدل بالقرآن والحديث وبأقوال السلف الصالح ليخدم دعواه، وليعضد حججه، ثم لا يكتف الشيخ بعرضها مجردة، بل يتعجب من المكفرين الذين انتهجوا التكفير واتخذوه وسيلة يحاربون بها، على الرغم من أن السلف الصالح كانوا أعلى منهم علما وأعلى قدرا ومكانه، ومع ذلك لم يتجاسروا بإطلاق الحكم بالكفر الصريح على إخوانهم المسلمين، وبهذا يكون الاستدلال الحجاجي في هذا المقطع توافرت فيه مجموعة من أساليب

(١) سورة النساء: آية ٩٤.

(٢) أخرجه البخاري حديث (٦١٠٤) ومسلم حديث (٦٠).

(٣) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٤٥٣.

(٤) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٤٥٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجاج المهمة، متمثلة في عمليتين متكاملتين:

- الاستشهاد بالقرآن والحديث وأقوال السلف الصالح.

- الاستفهام الإنكاري الذي به يدعم تلك الأدلة المنقولة، وبذلك تتضاعف القوة الحجاجية، نظرا لسير الاستشهادات المتوالية والاستفهام في اتجاه واحد.

ويمكن بيان الحجج في المثال السابق على النحو الآتي:

الاقتباس (الحجة الأولى): ١. (ﮪ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ)

٢. "أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه."

الاستفهام (الحجة الثانية): كيف يسوغ بعد هذه النقول كلها لمن لم يبلغ مقدار علمهم.. أن يتجاسر بإطلاق الحكم بالكفر الصُّراح في حق إخوته المسلمين؟!

النتيجة: عدم التسرع في التكفير، ولا يُكفَّرُ إلا من أجمع أهل الإسلام على تكفيره.

ومن استدلالاته القرآنية في حديثه عن الحضارة الغربية وفسادها قوله:

"ومن نكبات هذه الحروب وإفسادتها، وعقابيلها وويلاتها التي خرقت الأعراف الدولية، والمواثيق العالمية، والقيمية، التطاول على بيوت الله ﷻ والإضرار بالمساجد ودور العبادة، وانتهاك حرمتها، وترويع الساجدين الآمنين: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ)[١].

ويحهم!!أي حضارة للإنسانية والإعمار زعموا؟! قاتل الله الإفساد الجالب للخزي والبوار!! ولحا النكث للمواثيق وكل عرف وقرار!! يقول المنتقم الجبار: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ)[٢].

(١) سورة البقرة: آية ١١٤.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٤-٢٠٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الله أكبر! ها هو القرآن غضا نديا، ينبئنا من أخبارهم فأين المتنكرون؟"[1]

في هذا الخطاب يتقاطع حديثه مع نصوص قرآنية كريمة،بوصف ذلك نوعا من الاستدلال المدعم لما يطرح من أفكار. هذا التدعيم القرآني يُكسب الخطاب سلطة تجعل المتلقي يذعن لما يريد المرسل. فالشيخ يتحدث عن الحضارة الغربية المادية التي نالت إعجاب كثير من المسلمين. فيؤكد أن هذه الحضارة المفلسة تطاولت على بيوت الله ودور العبادة، فيستدل على إطلاق حكم الظلم عليهم بآية القرآن الكريم. هذه الآية التي نزلت في أمر المنافقين في زمن الرسول ﷺ خرج بها عن دلالاتها وسياق نزولها في ذلك الزمن لتخدم سياق خطبته ليبين فساد هذه الحضارة، ثم يستفهم عن هذه الحضارة الإنسانية التي تدّعي الإعمار والبناء والازدهار، ثم يستدعي شاهدا قرآنيا آخر؛ ليبين فساد هذه الحضارة التي تظهر جمالا، وفي باطنها كل الخبث. فيوظف هذه الآية الكريمة التي نزلت في المنافقين لتخدم مقصده الحجاجي، فيوجه أنظارنا إلى قبح مخبرهم وفساد دواخلهم، ثم يدعم هذه الحجج بأسلوب استفهامي إنكاري تعجبي: أين المتنكرون والمعجبون لهذه الحضارة؟! فها هو القرآن يسوق لنا من أخبارهم. فأين إعجابهم؟

لقد تآزر الاستدلال بالقرآن مع السؤال التعجبي الإنكاري الذي يؤدي وظيفة حجاجية، فبعد أن ساق القرآن شيئا من أخبار هؤلاء المفلسين الداعين للحضارة ظاهرا، يتعجب من المتنكرين الذين انبهروا بها، وهم على علم بالقرآن.

ويمكن أن نبين الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الاقتباس: (ڤ ڤ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک).

الحجة:فساد الحضارة الغربية التي ترفع شعارات التطور، والحرب على

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث: ص٢٥٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الإرهاب، وهم حملة رايات التطور والإعمار والازدهار، تناقضها أفعالهم بتطاولهم على بيوت الله والإضرار بها، وترويع الآمنين في حرماتها.

النتيجة: لن تقوم حضارة إنسانية ونهضة عمرانية والعالم يلتوي بالشعارات المفلسة. فيجب على قادة العالم الإسلامي من دعاة ومصلحين وإعلاميين أن يقووا المجتمعات ويصلحوها ويقوموا ما فسد منها.

وهكذا يلاحظ أن الشيخ لم يعتمد على هذه النصوص المقدسة لتدعيم الحجة فحسب، بل جعل منها قطبا رئيسا يقوم عليه الخبر. فوظف الآيات لتمرير مجموعة من الوظائف التداولية، ليوجه المتلقين بالحكم الشرعي، ويخدم احتجاجه ليوجه المتلقي نحو تأويل يتعلق بسياق الخطبة لا بالسياق القرآني، وقد تآزر التضمين والاقتباس بحجة السلطة، وقد استكثر الشيخ من الشواهد القرآنية، ولذلك ما يبرره فـ" للخطاب القرآني سلطة لغوية عليا، تعلل الارتكاز القوي للتمثيل منها في الخطابات العربية وبخاصة الدينية منها."(١)

❖ ب. الاقتباس من الحديث الشريف:

تتبوأ السنة النبوية الشريفة منزلة رفيعة في التشريع الإسلامي بوصفها المصدر الثاني له، وكثيرا ما يستدعي الشيخ الحديث الشريف في خطبه ليعضد حكما أو رأيا أو لتفنيد آخر، أو ليوضح حكما عقديا ويبينه، ينحاز إليه ويدافع عنه، فيستشهد بالحديث موضحا راويه والمخبر به، يدمج ذلك الاستشهاد بكلامه لتصبح حجة دامغة على كل معترض أو شاك في القضية.

ومن ذلك تنبيهه لعقوبة المغتابين حيث يقول:

"أيها الأخوة في الله، أتدرون ما عقوبة المغتابين؟! اسمعوا،يامن تظنون أن الأمر يسير؛ روى أبو داود، عن أنس I قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرج بي،

(١) حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، فضيلة قوتال، ص١٧٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مررت بقوم لهم أظفارٌ من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»[1]**، ولما قالت عائشة ؓ للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا -تعني أنها قصيرة- قال -عليه الصلاة والسلام-: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر، لمزجته!»**[2] **أي أنتنته وغيرت ريحه.**

فاسمعوا - يامن تقعون في أعراض عباد الله تخطئة وتجريحا، ثلما وتنقيصا وتقبيحا."[3]

لقد مثل الحديث الشريف في هذا المقطع من الخطبة المحور الذي قام عليه الخبر، حيث نبه المستمعين بالاستفهام: أتدرون ما عقوبة المغتابين؟! وفي هذا تنبيه لعظم عقوبة هذا الاثم الذي تساهل فيه كثير من الناس، ثم ينبههم ويأمرهم بالسماع، ويسوق الحديث على سبيل الاستشهاد على عقوبة المغتاب، ولا يكتف بحديث واحد بل يسوق الخبر الذي كان بينه ﷺ وبين عائشة ؓ، وهذه الأحاديث اتخذها حجاجا لدعم النتيجة المطلوبة، فليس بعد كلام الله وكلام رسوله ﷺ حجة.[4]

ويمكن بيان الاحتجاج في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة الأولى: «لما عُرج بي، مررت بقوم لهم أظفارٌ من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم. »

الحجة الثانية: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر، لمزجته!»

---

(١) سنن أبي داوود، حديث رقم (٤٨٧٨).

(٢) رواه أحمد، (١٨٩/٦) وأبو داود، (٤٨٧٥)، والترمذي، (٢٥٠٢).

(٣) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٤٠٠.

(٤) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص٣٩٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

النتيجة: وجوب رعاية حقوق عباد الله، والخوف من عقاب الله تعالى، وعدم التساهل في أعراض الناس، والحديث عنها في كل مجلس ومجتمع.

ويسترفد الشيخ بالحديث النبوي الشريف من أجل التوضيح والبيان لفكرة من الأفكار. وهذا دأبه في الاستدلال. فعندما يتحدث عن عدالة الإسلام ووسطيته يقول:

" استمعوا -يا رعاكم الله- للحبيب المصطفى، الذي أرسله الله رحمة للعالمين- بأبي هو وأمي- وهو يؤصل منهج الإصلاح للأمة، فيقول في حالة الحرب - فما بالكم بحالة السلْم؟ -: «اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا»[1]**...أين هذه التعاليم والصفوة من المفاهيم؟ من أقوام أيا كانوا لا يؤمنون إلا بالعنف مسلكا والتخريب منهجا، وسفك الدماء لتغيير والإصلاح طريقا، زعموا!! ثم لا تسأل عن أخطارها البالغة، وآثارها وأبعادها الدامغة، على مستقبل الإسلام والمسلمين، لاسيما الجاليات والأقليات المسلمة في أنحاء العالم."**[2]

يسوق الشيخ الحديث الشريف ليستدل على عدالة ووسطية الدين الإسلامي، وقبل ذلك ينبه المستمعين بقوله (استمعوا) فالخطاب - هنا - يدعم الالتزام بالاعتدال والابتعاد عن العنف، فجاء نص الحديث ليؤكد أن رسول السلام ﷺ في حال الحرب والنزاع يضع حدودا للقتال،لا مجال للعنف فيها، والقتال لا يقام إلا على من كفر بالله، فلا للغدر ولا لقتل الأبرياء. ثم يسوق بعد حجته هذه حججا استفهامية تزيد من القوة الإقناعية، فيتساءل متعجبا من حال المتطرفين، الذين اتخذوا العنف مسلكا لهم وسفك الدماء طريقا للإصلاح المزعوم، وهو بحديث النبي ﷺ يوضح منهج الإسلام الصحيح في نشر الدين الإسلامي ومبادئه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١).

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثاني: ص٥١٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ويمكن توضيح الحجج في المثال السابق على النحو الآتي :

الحجة الأولى: «اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا ن ولا تقتلوا وليدا».

الحجة الثانية: آثار العنف وأخطاره البالغة في الإسلام والمسلمين، خاصة في الجاليات والأقليات المسلمة.

النتيجة:أن أعمال التخريب ومسلك العنف والاعتداءات والتفجيرات وترويع الآمنين منهج يرفضه الله ورسوله. وعلى أهل الإيمان الصحيح أن يوجهوا كل متطرف إلى المسلك الصحيح المتزن. فالإرهاب مرفوض بكل أشكاله، بعيد كل البعد عن المقاصد الإسلامية السوية القويمة.

ومن الاستدلالات النبوية قول الشيخ السديس: **"إخوة الإيمان: نعم! وهذه التوسعة العملاقة كذلك منوطة بالمصالح المهمة، والمقاصد الجليلة الجمة، حيث استجابت للمصلحة القطعية ولبَّت، واحتسبت المثوبة وما تأبَّت، استجابت لنداء التيسير ورفع العنت والحرج وحفظ النفوس والمهج.**

«إن خير دينكم أيسره»[1] **أخرجه الإمام أحمد، وفي الصحيحين من حديث عائشة ﷺ قالت: (ما خُيَّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما)**[2] **وهو سعي موفق مبرور، وقرار مسدد مأجور، مستحق -بإذن الله - لأجري الاجتهاد ودعاء العباد."**[3]

يستدعي الشيخ الحديث الشريف في هذا الموضع: «إن خير دينكم أيسره» ليستدل على يسر الدين، لأن توسعة المسجد الحرام من قبيل التيسير على المسلمين،

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٥٩٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٧).

(٣) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث: ص٤٢١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

والتوسعة عليهم من الزحام والضيق بين المعتمرين والحجاج. فالأمر فيه سعة، ولم يصدر حكم الإجازة بالتوسعة إلا بعد الاجتهاد والاستقصاء الدقيق من قبل العلماء الشرعيين، ولكي يؤكد على ذلك استدعى الحديث لتكون حجة على ما يقول، ولم يكتف به بل استدعى شاهدا دينيا آخر من أقوال عائشة ϑ في حديثها عن الرسول، أنه كان يتخير من الأمور أيسرها، فالخطاب يدمج حديثين، يدعم كلاهما -معا- دعوى الشيخ السديس.

ولا ريب أن تركيز الأحاديث واستخدمها في هذه السياقات بما يخدم القضية المطروحة له وظيفة حجاجية، تنحو إلى إقناع المتلقي بالحدث، الذي هو بصدد الحديث عنه، نحو قضية (توسعة الحرم المكي). فنص الحديث تضمن مقاصد موجهة إلى المتلقي لتحريك طاقته الذهنية. فعلاقة يسر الدين، وأن النبي ﷺ يتخير من الأمور أيسرها.جاء دليلا على جواز التوسعة التي قررت للحرم المكي، فذلك من باب التيسير على المسلمين لأداء مناسكهم، وفي هذا تفاعل متحقق بين أجزاء النص، يؤدي وظيفة تداولية عن طريق ربط تلك النصوص ببعضها بعضا، ومحاولة استخراج وجه الاستدلال من قبل المستمع.

ومما سبق يمكن أن نبين الحجج في المثال السابق:

الحجة الأولى: هذه التوسعة منوطة بالمصالح القطعية، وتلبية للحاجة الملحة والمقاصد الجمة، واستجابة لنداء التيسير، ورفع المشقة عن عباد الله المسلمين.

الحجة الثانية: قول النبي ﷺ: «إن خير دينكم أيسره».

الحجة الثالثة: (ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما...)

النتيجة:جواز توسعة الحرم المكي الشريف، وأن التوسعة واقعة في المشاعر ما بين الصفاء والمروة، بإثبات المختصين والجغرافيين ودعمهم لذلك.

لقد شكل السند في خطب الشيخ السديس جسرا حجاجيا في النصوص النبوية،

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

حيث استطاع ربطه في المسار الحجاجي عبر التفاعل المتحقق فيه، فإذا ما ألقي الخبر- ذاكرا فيه السند -كان أمعن في الإقناع. ولقد أبدى الشيخ عناية واضحة بهذا المعلم الحجاجي، مركزا عليه تركيزا، يقل نظيره عند غيره من الخطباء.

وبشكل عام فإن الاستشهاد بالنصوص الدينية قرآنا كانت أم حديثا يقوم بوظيفتين: **أولاهما**: وظيفة حجاجية، تصبغ الخبر صبغة إقناعية، وتزيد من مصداقيته لدى المخاطب، **والأخرى**: وظيفة جمالية، تضيء الخطبة، وتضفي عليها طابعا جماليا.

فالغاية المقصودة من توظيف الشاهد القرآني والنبوي الخروج من ربقة المنطق الصارم الذي يقتل نسق الحياة في الخطاب، واللعب على ملكات المتلقي الضامرة في كيانه. والقرآن والحديث ليس إلا لطائف تقوي في الإنسان المنزع إلى التسليم والإذعان؛ لأن القلب منبعه، والوجد مأتاه؛ فيلبي النداء مطأطئ الرأس لهذه اللطائف التي تدب في جوانحه دبيبا خفيا.(١)

❖ جـ. الاقتباس الشعري:

لقد مثلت نصوص الشعر العربي مقوما حجاجيا ظاهرا بقوة في خطب الشيخ السديس. ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة هذا الجنس الأدبي الذي يجمع بين الإمتاع والإقناع اللذين يرومان التأثير في نفس المتلقي. فالنص الشعري "ليس لعبا بالألفاظ فقط، وليس نقل تجربة ذاتية فحسب، إنه يهدف كذلك إلى الحث والتحريض والإقناع والحجاج، وهو يسعى إلى تغيير أفكار المتلقي ومعتقداته، وإلى دفعه إلى تغيير وضعيته وسلوكه ومواقفه."(٢)

لقد كان السديس يؤمن بالقوة التأثيرية التي ينطوي عليه الشعر العربي؛ لذلك حشد نصوصا شعرية عدة، تخدم حججه وتعضد المسار الإقناعي في الخطبة. وهو

(١) يُنظر: لغة التخاطب الحجاجي: دراسة في آليات التناظر عند ابن حزم، مصطفى العطار، كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٨ه، ص٣٠٩.

(٢) الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص٣٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

عندما يستعين بالحجج الشعرية لا يعبر عن الموقف، الذي هو بصدده فحسب، بل يعكس الروح الأدبية التي يتمتع بها الشيخ، وارتباطه بالموروث الثقافي العربي الزاخر بالشعر. وتماهيًا مع هذه الحجة الإبلاغية الإبداعية يتوسل بها المرسل لتقديم أفكاره، متخذا من النظم الشعري أداة لشد انتباه السامعين.

ومن أمثلة الاستدلال بالشعر قوله الشيخ السديس:

"معاشر المسلمين، الحسد جمرة تتقد، ونار تضطرم، وصاحبه سيء النية، خبيث الطوية، معاقب في الدنيا قبل الآخرة؛ قال أبو الليث السمرقندي: (يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود: غم لا ينقطع، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومذمة لا يُحمد عليها، وسخط الرب، وغلق باب التوفيق)[١] عياذا بالله.

(الكامل التام**)**

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالكل أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغيا إنه لدميم

وترى اللبيب مُحسَّدا لم يجترم شتم الرجال وعرضه مشتوم[٢]

الحاسد: لا يجلب إلا ضررا، ولا يورث إلا خطرا، ولا ينظر إلا شزرا[٣]، ولا يُضمر إلا غدرا"[٤].

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة لثالثة، ١٤٢١ هـ، ص١٧٧-١٧٨.

(٢) الأبيات لأبي الأسود الدؤلي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ، ج٨، ص٥٦٧.

(٣) النظر الشزر: نظر في إعراض؛كنظر المعادي المُبغض، لسان العرب لابن منظور مادة (شزر).

(٤) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول: ص٣٨٨.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

لقد استدعى الشيخ في هذا المقطع الخطابي شاهدين لتصوير فساد خلق الحاسد، فصاحب هذا الخلق معاقب في الدنيا قبل الآخر، ويرسخ هذا الخبر بقول أبي الليث السمرقندي، ليكون شاهدا على مصداقية هذه العقوبة التي تنتظر هذا الحاسد، وتساند الأبيات الشعرية الحجج السابقة على فساد خلق الحاسد. فالحاسدون لم ينالوا سعي المحسود فعادوه، يشبههم بالضرائر للمرأة الحسناء الجميلة، التي قلن عنها: إنها ذميمة حسدا منهن؛ إذ لم ينلن حسنها وجمالها، وكذا اللبيب المحسود،الذي لم يشتم الرجال، وهو مشتوم من الحاسدين.

تسهم هذه الأبيات التي استحضرها الشيخ في بناء عنصر التخييل الذي امتزج بمعاني الإقناع بقبح هذا الخلق وسوء صاحبه. فنجد التصوير الحسي الذي يشد المتلقي، فيمتزج الاقناع بالخيال الذهني لصورة المضمنة في الأبيات. وبناء على ما سبق يمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

الحجة الأولى:سوء خلق الحسد، وصاحب هذا الخُلُق سيء النية،معاقب في الدنيا قبل الآخرة.

الحجة الثانية: يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود: غمٌّ لا ينقطع، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومذمة لا يُحمد عليها، وسخط الرب، وغلق باب التوفيق.

النتيجة: نبذ الحسد، ونبذ الغل، والدعوة إلى التسامح والتصافح.

والخطاب الحجاجي عند الشيخ السديس لا يكتفي بالاستشهاد الشعري بهذه الأبيات، بل يدعم ذلك بآليات أُخر، مثل الأسئلة التي تسير نحو النتيجة المبتغاة، وكذلك الاحتجاج بالمقارنة، التي تتعلق بفحص التشابهات أو الاختلافات في الوقت نفسه. إنها عمل المتلقي الذي يسمع ويعلم ويرى. فعند المقارنة نكشف للمتلقي عن شيء آخر، ونفتح حقل استثمارته، ونخرجه من العالم بنظرة ضيقة جدا، يتم حصره بين قطبين

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

اثنين، وهما المقارن والمقارن به، فيقتنع بمعرفتنا الجديدة بموضوع الحجاج.(١) ومن ذلك قوله بعد سرد مبادئ الإسلام الحضارية في مجال العلم والبناء والحرب والسلام: **"هذه حضارتنا في روائعها، فماهي حضارتهم في شنائعها وفظائعها؟ وما يوم حليمة بسر.**(٢)

(الطويل)

حكمنا فكان العفو منا سجية فلما حكمتم سال بالدم أبطح

وما عجبٌ هذا التفاوت بيننا فكل إناء بالّذي فيه ينضح(٣)

لقد شهد التاريخ المعاصر وحشية القوم وإرهابهم،على الرغم من الشعارات البراقة التي تُمتهن عمليا في كل لحظة، ورغم العود الدولية، والمواثيق العالمية التي تنادي بحقوق الإنسان في مواثيق موهومة ومزعومة، تخرقها جرائم بشعة أمام سمع العالم وبصره، ولا يُغفل التاريخ المخازي النكراء في التعصب ضد المسلمين في الحروب الصليبية، وفي الأندلس، وفي الواقع المعاصر."(٤)

لقد توافرت في هذا النص الخطابي مجموعة من الأساليب الاستدلالية المهمة متمثلة في: المقارنة والتضمين الشعري وضرب المثل، والاستفهام الإنكاري، وبذلك تتضاعف القوة الحجاجية، لقد جاء النص الشعري داعما للمقارنة التي عقدها الشيخ بين

(١) حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، فضيلة قوتال، ص١٧٩.

(٢) يضرب مثلا لكل أمر متعالم مشهور.ينظر في مجمع المثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، التعاونية الثقافية، إيران، ج٢/ ص٤٥.

(٣) البيتان لابن الصيفي، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي. تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، ج٣، ص١٣٥٥.

(٤) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني: ص٦٤١-٦٤٢.

reply_W30xG ١٤٤١/٠٨/٠١ Ali Fattani

حضارة الغرب وحضارة الإسلام، وقد ارتكز الخطاب على أمر المقارنة بين الحضارتين، ومحاولة التقريب بينهما تسهل على الخطيب الاختزال في الكلام والشروح.(١) والمقارنة تسعى إلى توضيح الفرق بين الحضارتين، وتفضيل أحداهما على الأخرى، فالشيخ يُظهر محاسن حضارة الإسلام ويفضلها باستعراض أدلة شرعية تبين سماحة الدين الإسلامي ورقي مبادئه.

إن الدمج القوي بين مجموعة من الاستدلالات جعلت النص المنقول منسجما مع الخطاب، فلا يمكن فصله عنه. فقد ألقى الشيخ هنا- الحدود الفاصلة بين النصوص التي ضمنها خطبته، ففتح الخطبة على تلك النصوص يجعلها متماهية داخل الخطاب ومُذابة فيه، فتفتح آفاقًا ودلالات، يجعل الخطاب ملتقى أكثر من زمن، وأكثر من حدث وأكثر من دلالة.(٢)

إن هذا الاستدلال المنسجم والجامع لاستدلالات عده أوسع وأغنى من بنيات البراهين الضيقة حيث يُفهم من قوله أمورا لم ينطق بها،كأنه يسوق الدليل على قضية بديهية أو مشهورة هي في غنى عن الدليل، كل ذلك لأن هذا النوع من الاستدلال يأخذ بمقتضيات الحال من معارف مشتركة ومعتقدات موجهة وأغراض عملية.(٣)

إن لهذا الاستدلال الشعري قيمة حجاجية؛ لاعتماده على شواهد وحقائق عن سماحة الإسلام وعدالته، واستدعاء الحاضر الراهن الذي يقوم على الغطرسة والاستعمار الغربي، والهيمنة الظالمة، وهذا لدليل على البون الشاسع بين الحضارتين.

ومما سبق يمكن بيان الحجج في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة الأولى: الحضارة الإسلامية حضارة شاملة، لها آثارا خالدة في مختلف

(١) يُنظر: حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، فضيلة قوتال، ص١٧٩.

(٢) يُنظر: وظيفة التناص والتأثير به في مقامات الحريري، علي عبدالنبي فرحان، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته) ج٢، ص٣١١.

(٣) يُنظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، ص٤٦.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

النواحي العلمية والخلقية، وفي مجال الحروب فالإسلام يتمثل أسمى الأخلاق.

الحجة الثانية: الحضارة الغربية معلومة ومعروفة فما يوم حليمة بسر، فالكل يعلم المخازي النكراء والتعصب ضد المسلمين.

الحجة الثالثة: المقارنة بين حضارة الإسلام منذ بعثة النبي ﷺ وحتى وقتنا الحاضر، وبين حضارة العرب الحديثة والقديمة.

النتيجة: تعظيم الهوة والفرق بين حضارتي الإسلام والغرب، وتفضيل حضارة المسلمين، الداعية إلى السلام ونبذ الفرقة والعصبية.

وبتتبع الخطب للشيخ السديس نجد أنه يسخر النصوص الشعرية التي بثها في ثنايا خطبه لإحداث الإقناع ارتكازا على التأثير النفسي والوجداني الذي تحدثه تلك الاستشهادات في متلقيها. ومن ذلك قوله- أيضا-:

"وانظروا -رحمكم الله - إلى من تربوا على مشكاة النبوة من الرعيل الأول، كيف رفع الله بهم البلاد والعباد؟وكيف كسبوا التاريخ وحققوا الأمجاد؟ وعليكم أيها الآباء -وفقكم الله وأعانكم- عليكم بحسن التوجيه والتربية ومتابعة أبنائكم، تابعوهم وجهوهم وربوهم، وانظروا أثر الأسرة: المصلية،التالية، الذاكرة، المؤمنة، وتصوروا لوكان في بيت يعاقر الفساد، ويواقع الشر والباطل، ماذا ستكون حاله؟

(الوافر التام)

ولـيس النبت ينبت فـي جنـان كمثـل النبـت ينبـت فـي فـلاة

وهـل يُرجـى لأطفـال كمـال إذا ارتضـعوا ثـدي الناقصـات[1]

والأب الراعي هو القدوة لأبنائه، والطفل صورة عن بيئته وأسرته، وقديما قيل:

(١) ديوان معروف الرصافي، مراجعة مصطفى الغيلاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافية، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ج٢/ ص٥٢٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(الوافر التام)

وينشـــأ ناشـــئ الفتيـــان منـــا علـــى مـــا كـــان عـــوده أبـــوه

ومـــا دان الفتـــى بحجـــا ولكـــن يُعلمـــه التـــدين أقربـــوه[1]"[2]

لقد تآزر الاستدلال بالشعر- هنا- مع حجاج الاستفهام، الذي يكشف بعدا اجتماعيًّا وثقافيًّا لدى المتلقي. فقضية القدوة الحسنة للناشئة من الشباب والأطفال قضية اجتماعية، تهم كل متلقٍ يستمع إلى الخطبة. لذلك يثير الشيخ استفهامات تقريرية، فيها استدعاء تاريخي لأمجاد الأمة الإسلامية، هذه الأمجاد التي بناها جيل تربى على مشكاة النبوة، وبهذه التساؤلات المُثارة يستدعي المتلقي اللحظات الأولى لهذا الطفل، وكيف رباه، هل كان قدوة صالحة له، ودالا للخير بأفعاله؟ هذا جانب متميز في تعانق الألفاظ الدالة على الأفعال، فقوله:(المصلية، التالية، الذاكرة، المؤمنة) تشير إلى استمرار الفعل وجعله نهجا للحياة، في حين يصف الأسرة الأخرى المقارفة للفساد والمواقعة للشر والباطل سيكون طفلهم كذلك، باستفهامه:كيف ستكون حاله؟ تقريرا من المتلقي بأن حاله لا يخالف حال أبويه. إن هذا ما يميز الاستدلال الحجاجي الذي يستجيب"لاعتبارات داخلية محضة مرتبطة بطبيعة الملفوظات ومعناها ذاته، أي أن المحتوى يؤدي وظيفة حاسمة في الانتقال بين الوحدات في العملية الحجاجية، وهذا المحتوى يتميز بكونه شديد التعقيد، تدخل في تكوينه أبعاد دلالية وتداولية، ووقائع نفسية واجتماعية وثقافية متشعبة بقدر تشعب الحياة الإنسانية."[3]

وأبيات معروف الرصافي فيها تمثيل. ومعلوم أن التمثيل فيه استحضار للأشياء

(١) البيتان لأبي العلاء المعري، ديوان اللزوميات، حققه وعلق عليه: عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان، ج١، ص٤٢٨.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثالث، ص٢٩٢-٢٩٣.

(٣) الحجاج والبرهان، رشيد الراضي، ضمن كتاب (الحجاج مفهومة ومجالاته) ج١، ص١٨١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

واستدعاء لها ذهنيا، وهذا أقوى في الإقناع. فصورة النبات الذي ينبت في الدوحة الجميلة المليئة بالنباتات، التي نراها جنانًا خضراء، ليست كصورة النبات الذي زُرع في صحراء قاحلة. ثم نتخيل الصورتين المتقابلة للنبات لنطبقها ذهنيا على صورتي الطفل، الصورة المثلى للطفل في مقابل صورة مقيتة لذلك الطفل الذي نشأ في أحضان امرأة ناقصة. فالطفل الناشئ لا يُرجى منه كمالاً ولا أخلاقا، فتنشئته دالة على ذلك، ثم يستدعي نصًّا شعريًّا آخر؛ ليؤكد أهمية القدوة الأبوية ببيتي أبي العلاء المعري ليدعم فكرته، ويعاضد نتيجته، ليسلم بها المتلقي ويقبلها عن اقتناع تام.

ومما سبق يمكن بيان الحجج في المثال السابق على النحو الآتي :

الحجة الأولى: إن تحقيق الأمجاد، ورفع البلاد في الأمة الإسلامية كان على يد جيل اتخذ النبي محمد ﷺ قدوة له.

الحجة الثانية: أثر الأسرة والأبوين في تربية الأجيال، فالأسرة الصالحة تُخرج جيلا صالحا، والعكس صحيح.

النتيجة: على كل مسلم ومسلمة أن يعرف ما عليه ويقوم بواجبه في صلاح الأسر والأجيال، وإبعاد الفساد عنهم، وأن يكون كل منهما قدوة خيرة لأبنائهما.

ومما سبق نلاحظ أن التضمين الشعري اتخذا أشكالا عدة في الخطاب، منها الدمج في ثنايا حديثه، وطريقا آخر غير مدمج، وهذا يُكسب الخطاب حجة تقوم على الاستدلال التضميني، وهو أسلوب يثري الخطاب الحجاجي.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

❖ د. تضمين الأمثال:

لقد لاحظنا بشكل لافت حضور الحكم والأمثال في خطب الشيخ والمثال هو " اللفظ الدال على المعنى المجرد في الذهن عن كل ما من شأنه أن يقترن به، فهو النموذج أو الجزئي الذي يذكر؛ لإيضاح القاعدة."(١) وإدراج المثل في الخطاب يستهدف سد جزئيات معينة قابلة للتعميم على الواقع المعاش أو الخبر الذي ساقه الخطيب، فيعقد نوعا من التعانق الجمالي الذي يقوم على الذاكرة والخيال، ولهذه العناصر وظيفة عظيمة في تحقيق الإقناع.

ولكي تؤدي الحجة التي تقوم على المثال نجاعتها الحجاجية يؤكد بيرلمان على ضرورة تمتع المثال بكونه حدثا على الأقل مؤقتا، ومن ثم يضمن انخراط المتلقي واندماجه في الخطاب الذي يصبح ذا نفوذ يتحصل معه فعل الإقناع والتيقن ؛لأنه يستند على مرجعية يرفده ويقويه، ومن ثم يخرج عن صياغته عالم جديد لها اعتباره ومصداقيته.(٢)

والأمثال تحمل الكثير من المعاني وتمثل عصارة الفكري البشري عبر امتداد تاريخه، فتداولها بين الناس وسيرورتها زادتها حجية، ويتم استدعاء المثل والاستشهاد به بوصفه مسلمة استدلالية منطقية حجاجية كما هو الشأن في المبادئ الحجاجية التي تعد مجموعة من الأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد المجتمع.(٣)

ومن وظائف الأمثال تقريب صورة الممثل إلى ذهن المخاطب، من ذلك قوله:

"والحق أن كل النظريات التربوية التي هي في معزل عن هدي القرآن والسنة

---

(١) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد قاسم الأنصاري السجلماسي، تحقيق: علال غازي، مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ص١٦٨.

(٢) يُنظر: لغة التخاطب الحجاجي -دراسة في آليات التناظر عند ابن حزم، مصطفى العطار، ص٣٠٥.

(٣) يُنظر: الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، زكريا السرتي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص١٦٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

النبوية، إنها إفلاس ما بعده إفلاس، فماذا قدمت للبشرية إلا الضياع والدمار، حين استجارت من الرمضاء بالنار؟! ولا منقذ لأجيال العالم إلا بالتربية على الإسلام،حيث الهدف السامي، وهو تحقيق العبودية لله الواحد القهار، وتسخير كافة الجوانب لخدمة هذا الأصل الأصيل ؛وكذا تربية الأجيال على انهم حملة عقيدة، وأرباب هدف وغاية"(١)

إن دعوى الشيخ - هنا - هي بيان فساد كل نظريات التربية التي تعزل تربية القرآن الكريم وتنشئة الجيل عليها، ويستدل على فسادها وإفلاسها بأنها لم تقدم للبشرية إلا الدمار والضياع، فهي استبعدت القرآن واستجارت بنظم تربية حديثة لكنها استجارت في الحقيقية من الرمضاء بالنار، وهذا مثل من أمثال العرب، وأصله بيت نسب لكليب وائل وهو قوله:

(البسيط التام)

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء

جاء الاستدلال بالمثل متضمنا داخل الكلام دون مقدمات أو تمهيد، لينصهر في معاني الخطبة وألفاظها، فيقوي دعواها، ومما يزيد القوة الإقناعية في المسار الحجاجي - هنا - هو آتيان المثل على صورة تشبيهية، وكأننا نرى شخصا قد استجار من الرمضاء(٣) بالنار. يصنع الشيخ بهذا المثل مفارقة عجيبة، فالنظريات الحديثة القائمة على الفلسفة في شأن التربية أثبتت فشلها، وحاولوا الابتعاد عن المنهج الإسلامي الذي يعدُّونه في نظرهم رمضاء، ليلجأوا إلى النار، فلم يحصل لهم البديل الذي يريدونه.

---

(١) كوكبة الخطب المئنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الأول، ص٤٨٣.

(٢) ويضرب هذا المثل لمن يعدل عن أمر إلى أمر آخر يظن أن الثاني يصلح أن يكون بديلا عن الأول، فإذا به قد وقع في أمر أشد من سابقه، مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني، ج٢/ ص٩٥.

(٣) الرمضاء: هي شدة حرارة الحجارة من شدة حرارة الشمس، لسان العرب مادة (رمض).

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ومما سبق يمكن توضيح الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة الأولى: فساد النظريات الحديثة التي نأت عن هدي القرآن والسنة، ولجأت إلى فلسفات معقدة وأفكار ملوثة فكأنها استجارت من الرمضاء بالنار.

الحجة الثانية: أن هذه النظريات لم تقدم على أرض الواقع إلا الضياع والدمار.

النتيجة: تربية أجيال العالم على الإسلام لتحقيق الهدف السامي وهو: تحقيق العبودية لله، ولأجل أن يحملوا العقيدة الصحيحة، ومن ثم يتمثلون أخلاقها في أقوالهم وأفعالهم.

ومن بديع تضمينه لأمثال شعرية قوله: **"أيها الإخوة في الله: في الوقت الذي رُفعت فيه بعض المنظمات المشبوهة، والقنوات المفضوحة عقيرتها ضد بلاد الحرمين الشريفين - حرسها الله-في وقوفها الحق من حقوق الإنسان المنبثقة من تعاليم الإسلام، وتعالت -ولله الحمد- صيحات الاستنكار الإسلامية، وقرارات الإنصاف العالمية؛ لما يمثله الافتراء عليها من طعنة في جوهر الإسلام، وتلك شنشنة معروفة من أخزم، فلن تؤثر -بإذن الله- على تمسكنا بثوابتنا، واعتزازنا بإسلامنا،مهما حاول خفافيش الظلام،إسدال الستار على عقول البعض، فلن تحجب نور الشمس كفُّ دعيٍّ مأفون:** (ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ)[1]"[2].

تنطلق الدعوى - هنا - من إثبات صلاحية العقيدة الإسلامية، فهو سلاح مضاء قادر على تجاوز كل الأزمات السياسية والاقتصادية، لكي يثبت هذه الدعوى وصدقها يستعرض موقف المنظمات المشبوهة ضد بلاد الحرمين التي افترت على المسلمين بالطعن في جوهر عقيدتهم. وهذه الصيحات المناقضة ليست بغريبة عنهم، ولا

(١) سورة يوسف: آية ٢١.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص١٠٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

مستحدثة عندهم فتلك شنشنة معروفة من أخزم[1] لكنها لن تؤثر في مبادئ المسلمين وثوابتهم.

وقد آزرت الصورة الاستعارية (خفافيش الظلام) من القوة التأثيرية لموقف هؤلاء الأعداء الذين نشروا أفكارا كاذبة عن عقيدة الإسلام عبر وسائل الإعلام الخادعة محاولة بذلك تضليل الحق، وتشويش العقول،كما صور هؤلاء بصورة الشخص الذي يحاول أن يحب نور الشمس بكفه، لكن هيهات لهم تضليل المتمسكين بالعقيدة الصحيحة. فالله -تعالى- غالب على أمره، والله ناصر المؤمنين. ومما سبق يمكن بيان الحجة على النحو الآتي:

الحجة الأولى: وقوف بلاد الحرمين الموقف الحق فيما يتعلق بحقوق الإنسان، التي تنبثق من تعاليم الدين الإسلامي.

الحجة الثانية:هناك دعوات مغرضة ومنظمات تحاول تشويه صورة العقيدة الإسلامية، والافتراء عليها.

الحجة الثالثة: الحق ظاهر -بإذن الله- ومنتصر لا محالة، فلا يمكن أن يختفي نور الشمس بكف رجل منهم.

النتيجة: تحقيق العقيدة الصحيحة، والمنهج السليم، وتفويض الأمور - كلها - لله رب العالمين، وعدم الاستسلام للأفاكين والمغرضين، الذين همهم تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

---

(١) وهذا مثل معروف يضرب فيمن يأتي بفعل مشين أو سيء وقد ورثه عن أهله، وقصته فيما يروى عن ابن الكلبي: إن الشعر لأبي أخزم الطائي، وهو جد أبي حاتم أو جد جده، وكان له ابن يقال له أخزم، وقيل كان عاقاً، فمات وترك بنين فوثبوا يوماً على جدهم أي أخزم فأدموه فقال:

أن بني ضرجوني بالدم .:. شنشنة أعرفها من أخزم

يعني أن هؤلاء أشبهوا أباهم في العقوق. والشنشنة، الطبيعة والعادة. مجمع الأمثال للميداني، ج١/٣٧٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ومن جماليات تضمين الأمثال لخدمة وظائف حجاجية قول الشيخ السديس: **"معاشر المسلمين: ها قد برح الخفاء، وأغنى العِيَان عن البيان، فكان في هذه البوائق إخطارٌ بأن وراء الأكمة ما وراءها، وأن البُغاث بأرضنا يستنسر!**(١) **وفي هذا المنعرج الحرج، تُوجه الدعوة بإلحاح إلى إيلاء قضايا الشباب عناية، إذ هم في الأمة محط انظارها، ومعقد أملها، هم مشاعل الحاضر وبناة المستقبل - بحول الله- هم ذخر الأوطان ، وغيثها المبارك الهتان، فيجب- ونحن أمة ثرية بحمد الله بدينها وقيمها- أن ننشئ جيلا يحمل مشعل الإيمان والعقيدة، ونور العقل والبصيرة، وبرْدَ الثَّقة واليقين، وسداد الفكر والرأي، واتقاد الذهن والضمير، وصفاء السيرة والسريرة؛ ليكون -بإذن الله- خير من يغار على دينه وأمته، وبلاده ومقدراتها."**(٢)

شكل المثل- هنا -سياقا جديدا، وجعل له فضاء مختلفا، حيث نجد أن المثل: (**إن البغاث بأرضنا يستنسر**) جاء لغاية توكيدية توضيحية، ليظهر لنا أن هناك أعداء يلبسون أقنعة وأكمة. يتمثلون الإسلام ويحرضون الشباب على القتل والدمار، فهم دخلاء في أرض الإسلام، واستنسروا في أرضهم وبلادهم. لقد حمل المثل -هنا- دلالة نابضة بالمعنى المراد، جاءت في سياق الخطاب التوجيهي. فالمثل جزء لا يتجزأ عنه، فأغناه وزاد من حيويته. والشيخ يوجه الدعوة- هنا - إلى الاهتمام بفئة الشباب، فهم معاقد الآمال وذخر الأوطان.

وتنبعث قوة الحجاج -هنا- من اختيار المثل الملائم للمعنى المراد، ودمجه بالانفعال الواضح من المرسل وصدق عاطفته، ثم انتقال هذه الشعور مباشرة إلى

(١) "مثل يضرب في اللئيم يرتفع امره، ومعنى المثل إنّ الضعيف من الناس إذا حل بأرضنا ووقع في جوارنا عز بنا وتقوى، كما إنّ البغاث الذي هو ضعاف الطير إذا عاد نسرا فقد تقوى. وقيل معناه، إنّ الضعيف يستضعفنا وتظهر قوته علينا، وعلى هذا إذا أريد الافتخار قيل: إنّ البغاث في أرضنا لا يستنسر" يُنظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود نور الدين اليوسي، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٠١ه، ج١، ص١٠٢.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبد الرحمن السديس، السفر الثالث: ٣٧٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

المتلقي، وذلك عن طريق التصور والخيال لصورتي الطائرين (البغاث والنسر) ومحاولة استدعائهما. وهو بهذا يطيل من النص الخبري، إذ يمثل ذاكرة جمعية تقفز بمخيلتهم إلى الوراء من أجل استنتاج الترابط.

ومما سبق يمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة الأولى:أن هناك أعداء للإسلام والمسلمين، يخفون أمورا عظيمة، ويلبسون أقنعة تمويهية، تدلس الحق.

الحجة الثانية: أن الشباب هم آمال الأمة ومحط أنظارها، هم بناة المستقبل، ونور الحاضر.

النتيجة: وجوب تنشئة جيل يحمل إيمانا قويا وعقيدة صحيحة، يحمل الثقة واليقين، وسديد الرأي والفكر، هدفه الغيرة على دينه وأمته، والدفاع عن بلاده ومقدراتها.

ويتحول المثل إلى حجة تفرض على المخاطب قبول الفكرة اعتمادا على التماثل بين الأحداث المتشابهة، ومن ذلك قول الشيخ: **"معاشر المسلمين: لقد دأب الخصوم على رفع عقيرتهم عند تجدد كل نعمة، وتبدد كل نقمة، والفتل في الذروة على الغارب**[1] **فشنوا الحملات المغرضة وبثوا الدعايات والوشايات الكاذبة، ضد هذه الجزيرة ودعوتها الإصلاحية، فادعوها مذهبا خامسا، وخروجا على ما كان عليه المسلمون الأوائل، بدعوى الوهابية أو إلصاق تهمة الإرهاب بها، أو غير ذلك، على حد قول الأول:**

(الرجز)

(١) يضرب في الخداع والمماكرة، والغارب والذروة واحد، والذروة أعلى السنام وأصل فتل الذروة في البعير أن يخدعه صاحبه ويتلطف له بفتل أعلى سنامه حكا ليسكن إليه فيتسلق بالزمام عليه، قال الأصمعي: فتل في ذروته أي: خادعه حتى أزاله عن رأيه، يُنظر: مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد الميداني، ص١٥-١٦/ ج٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

إن بنـــــيَّ ضـــــرجوني بالـــــدم

شنشـــنة أعرفـــها مـــن أخـــزم

يرددها بعض من أرخى زمام نفسه لخصمه، وأعار عقله لغيره، جهلا وإعراضا،دون روية وتثبت، واطلاع ونظر وتبين.

وشأن المسلم الحصيف الواعي، أن ينظر بميزان النقل الصحيح، والعقل الصريح،كما أن علينا جميعا -يا رعاكم الله- الحذر من كل دعوة تخالف ثوابتنا ومنهجنا الصحيح."(١)

يوضح الشيخ في هذه الخطبة ما اعتاد عليه خصوم الإسلام والمسلمين، فمن خدعهم ومكرهم بما اعتادوا عليه من رمي التهم على شريعة الإسلام، فكلما رأوا نعمة، وتبدد نقمة شنوا هجومهم على المسلمين. ويضرب الشيخ مثلا لتلك المخادعة بالفتل في الذروة على الغارب، وهو مثل معروف مشهور.ويرد الشيخ السديس على هذا المطعن الذي رُميت به الدعوة الإصلاحية بأنها مذهب خامس، وإلصاق تهمة الإرهاب بها، بقوله: إن هذا أمر معتاد عنهم، فشنشنة معروفة، ومعهودة منهم، هذه الدعوى المرفوضة يرددها من أرخى نفسه لخصومه وأعار عقله لغيره جهلا وإعراضا.

لقد لجأ الشيخ إلى الاسترفاد بضرب مثلين اثنين في مسار حجاجي واحد، وتضمينه في بنية خطابه لإدراكه كثافة القوة الإيحائية لهذه الأمثال، فضلا عن طاقتها البلاغية المؤثرة. ولقد طعن الشيخ في هذه الدعوى، ووجه المسلم الواعي إلى أن ينظر بميزان العقل، فهذه الدعوة تستقي أصولها من كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ).

ومما سبق يمكن بيان الحجة في المثال السابق على النحو الآتي:

---

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني : ٦٢٣-٦٢٤.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الحجة: أعتاد الخصوم رفع أصواتهم والخداع والمماكرة عند رؤية نعمة ظاهرة على المسلمين، فالخداع والمكر طبيعة وسجية فيهم، ودعواهم شنشنة معروفة معهودة منهم.

النتيجة: الحذر من كل دعوة تخالف الثوابت والمنهج الصحيح، فالمنشود هو التوسط والاعتدال، والحفاظ على مكتسبات الحضارة وإجازات الجزيرة العربية.

ويتميز خطاب الشيخ السديس بوفرة الحجج وتنوعها، فلم يقف عند حدِّ الأقوال المأثورة أو الأمثال العربية، بل استطاع أن يضمن خطابه بعضا من الأمثلة العامية التي ظهرت مؤخرا ليكون أقرب إلى ذهن المتلقي، من ذلك قوله:

"أمة الإسلام: لقد أدب الرسول ﷺ صحابته الأدب الرفيع؛ حيث قال: «لا يُبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئا؛ فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر»[(١)].

الله أكبر! أين هذا من حال المفتونين بتتبع الزلات، وتعقب الهفوات، وإبراز السقطات؟! يوسعون الخرق، ويفضحون الخلق، ويجعلون من الحبة قبة، وينفخون في الكلمات، ويمتطون صهوة سوء الظن بإخوانهم،... ومنهج السلف ¤ التناصح المحبوب لا التفاضح المذموم"[(٢)]

هذا الخطاب يريد أن يدعم الإلزام بخلق التناصح وترك الشائعات المغرضة، فيستشهد بالحديث الشريف الذي ينهى فيه الرسول ﷺ صحابته عن الغيبة أو النميمة، ويتعجب من حال المجتمع ألا يتمثل هذا الخلق النبيل، فينتهي عن الحديث في أعراض الناس أو تتبع زلاتهم، بل أنهم يفخمون الأمور. ويستدعي الشيخ السديس مثلا شهيرا في المجتمعات الإسلامية وهو: (يجعلون من الحبة قبة)، الذي يضرب فيمن يريد

(١) رواه أبو داود(٤٨٦٠) والترمذي(٣٨٩٦) من حديث ابن مسعود I.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٤٠٢-٤٠٣.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

تضخيم الأمور وإعطاءها أكثر من حقها. إن استحضار هذا المثل يعني استحضار صورته التي يتخيلها المتلقي، وفي هذا استقباح لفعل الذين يتتبعون زلات المسلمين وبثها وتفخيمها.

ويمكن بيان الحجاج على النحو الآتي:

الحجة: أن تتبع الزلات وتعقب الهفوات ثم تضخيمها ونشرها ليست من آداب الإسلام، ولا من أخلاق المسلمين.

النتيجة: العمل على التناصح المحبوب بين المسلمين، وعدم نشر الهفوات أو السقطات.

ولكي يقترب الشيخ أكثر من المخاطب، يخاطبه بما يستوعبه ويفهمه، من أمثلة ذلك -أيضا- قوله: **"معاشر المسلمين: ما أشبه الليلة بالبارحة! فالأعداء هم الأعداء، بل ألد، والتحديات هي التحديات، بل أشد، إجرام يناسب أحوال العصر، وإرهاب يُساير تقدم الزمن، ومما زاد الطين بله: زعامات تتسلط على رقاب الشعوب المقهورة، وتحكمهم بالحديد والنار، وتجرهم إلى الهلاك والدمار، وأنظمة تتلاعب بمصائر الشعوب، وتتحكم في مقدراتهم وتدوس كرامتهم...ووسائل إعلام هي معول هدام، مأزورة غيرمأجورة، لعبت بالحرف، وأرخصت مصداقيته، وضيعت أمانة الكلمة، لا تفتأ تقلب الحقائق وتعكس المفاهيم..."**(١).

في هذا الخطاب يريد إثبات أن عدو المسلمين واحد منذ قدم التاريخ، لكن ما يزيد الأمور تعقيدا تسلط بعض الزعامات على الشعوب المقهورة. وهنا يقصد زعيم العراق إبان حرب الخليج، وكذلك وجود قنوات إعلامية فاسدة، تقلب الحقائق وتشوه الصورة الواقعية، وتنقلها عكس ماهي عليه.

فالإسلام-وبعد انتشاره-مُني بكثير من المؤامرات، وواجهته كثير من التحديات، فيستحضر الشيخ مثلا يُضرب في لغة العرب اليومية ليدل على شدة الأمر، وهو (**ومما**

(١) السابق، ص٤٩٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

زاد الطين بله)؛ ليبين أن هناك أمورا معقدة على المسلمين في كل الأصقاع، لكن مما يزيدها تعقيدا هو وجود فئة ممن ينتسبون إلى الإسلام، وُكِّل إليهم أمر المسلمين، فاستباحوا حرماتهم، وشنوا هجماتهم عليهم، ويمكن بيان الحجاج على النحو الآتي:

الحجة:أن الإسلام مستهدف عبر تاريخه الطويل، واجه كثيرا من التحديات والدسائس الداخلية والخارجية.

النتيجة:الحذر الشديد من كل من يتظاهر بالإسلام، ويرفع الشعارات البراقة، فلزم مواجهة كل تلك التحديات بقلب مؤمن وبوقفة رجل واحد.

إن هذا النوع من التمثيل نادر الوجود في خطب الشيخ، فلم يتثنى العثور إلا على هذين المثالين على ذلك. ولعل استخدام الشيخ لتلك الأمثال لعلمه بنجاعتها الحجاجية،كما أن لها أثرا في انخراط المتلقي في الخطاب؛ ليصبح خطابا ذا قوة يتحصل معه الأقناع. وهكذا نجد أن المثل في الخطابة العربية يقوم مقام الاستقراء في المنطق "فالمثل هو استقراء بلاغي، والمثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمات كل منهما، ويُراد استنتاج نهاية إحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها."[1] فتوظيف الشيخ للأمثال في الخطاب يكسبه قوة تأثيرية إقناعية، تجعل المتلقي يذعن لأطروحته؛ لما يحمله المثل من حمولة ثقافية واجتماعية وتاريخية،كما له من قوة في إصابة المعنى وحسن الشبيه،كل ذلك يجعله آلية استدلالية قوية توظف إلى جانب آلية أخرى تزيد من قوة الخطاب الإقناعية.

❖ هـ. تضمين الأقوال المأثورة:

احتج الشيخ السديس بكل قول يمكن أن يدعم رأيه ويعضد مساره الحجاجي؛ ليحقق هدفه. فاستدعى طائفة من الأقوال ينقلها عن شخصيات لا يمكن الاعتراض عليها، أو الطعن فيها؛ لأن"الكلمة تكتسب قوتها من الشخصية التي استخدمتها، وكم من

(١) بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، ص٨٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

عبارات كان لها أثرها في النفوس لم تكن لتحدث هذا الأثر لو لم تصدر عن شخصية بذاتها."[١]

إن الاقتباسات التي يتكئ عليها الخطيب في إطار دفاعه عن قضية أو رأي تنبع حجيتها من تواترها ومصادقة العقل الجمعي عليها.إذ تستمد قوتها من الشخصية التي أُثر عنها القول، بالإضافة إلى أنها تعد من "قاعدة المعتقدات والمسبقات الخاصة التي يقبلها المخاطب بدون أدنى إعمال للعقل أو الروية، بل يقبلها باعتبارها أحكاما مسبقة وعامة تؤثر في الجميع."[٢] و من المواضع التي احتج فيها السديس بأقوال السلف الصالح قوله:

"معاشر المسلمين، وقد أشاد علماء الإسلام بهذه الشعيرة العظيمة:

يقول الغزالي ç: «فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطه وأُهمل علمة وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وانتشرت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعر بالهلاك إلا يوم التناد.»[٣]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ç: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله، وهو من الدين»[٤]

ويقول الإمام النووي ç: «هو باب عظيم، به قوام الأمر وملاكه...فينبغي

---

(١) الأدب وفنونه -دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار الفكر، القاهرة، الطبعة التاسعة، ٢٠١٣م، ص١٩.

(٢) عندما نتواصل نغير - مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ، عبد السلام عشير ص١٦٩.

(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي، دار المعرفة بيروت، ج ٢ / ص٣٠٦.

(٤) مجموع الفتاوى، للشيخ ابن تيمية: ج٢٨/ص ١٢١.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

لطالب الآخرة، والساعي في تحصيل رضا الله ﷻ أن يعتني به؛ فإن نفعه عظيم»[1][2]

بعد أن استشهد الشيخ لأهمية شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من القرآن والسنة، هذه النصوص الخبرية المنقولة عن علماء لهم سلطتهم المعتبرة عند اهل السنة تنحو إلى إقناع المتلقي بوجوب هذه الشعيرة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وهذا التفاعل المتحقق بين النصوص وصبها في سياق واحد وتدرجها المتتابع والمتصل أدعى إلى الإقناع. فمحور هذه الأخبار هو (عظم شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). ونقطة إشعاعها تعزز حجيتها، كما احتمى الشيخ السديس بذكر أسماء العلماء صراحة (الغزالي، ابن تيمية، والنووي) بعدِّهم شخصيات ذات سلطة دينية، مما يقتضي ذلك الإذعان والقبول لكل مأثور عنهم.

وفضلا عن ذلك وصف الشيخ السديس - والمتلقي يعلم من هو المتحدث- لابن تيمية بـ(شيخ الإسلام) هذه الصفة التي تمنح صاحبها سلطة أقوى، فتصبغ أقواله بصبغة القبول، فهو عالم جليل معروف في تاريخ الأمة. كذلك لم يغفل الشيخ النأى بخطابه عن الخلخلة في تماسك بنيته، فيحذف من هذه الأخبار ما يمكن أن يؤدي إلى ذلك، على نحو ما نرى في المأثور عن النووي.

لقد تآزر في هذا الخطاب تضمين المأثور وحجة السلطة[3]، وهو أمر تتميز به هذه الحجة، فهي -عادة- لا تأتي وحيدة في الحجاج "و إنما تأتي مكملة لحجاج يكون

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ ه، ج٢/ص٢٤.

(٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٣) حجة السلطة: هي التي تستخدم أعمال شخص أو مجموعة أشخاص أو أحكامهم حجة على صحة أطروحة ما. يُنظر: الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته، من خلال مصنف في الحجاج، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) ص٣٣٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

غنيًّا بحجج أخرى غير حجة السلطة."[١]

وإذا تآزرت سلطة الأشخاص مع ما يورد لها من قول فإن ذلك يكون أقوى للحجة، وأقرب إلى التقبل، خاصة أن هذه الشخصيات محل قبول لدى المتلقي، واختيار الشيخ السديس لهذه الأقوال المأثورة عن علماء السنة- لينقل عنهم ما يؤيد به فكرته في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم- أدعى إلى الإقناع، ونحن عادة "نستشعر الثقة على درجة أكبر، وباستعداد أوسع بأشخاص معتبرين في كل الأمور."[٢]

وبناء على ما سبق يمكن بيان الحجة في الخطاب السابق على النحو الآتي:

الحجة الأولى: يقول الغزالي ç: فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين...

الحجة الثانية: ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ç: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله، وهو من الدين.

الحجة الثالثة: ويقول الإمام النووي ç: هو باب عظيم، به قوام الأمر وملاكه.

النتيجة: أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مقصورا على أحد من الأشخاص أو الهيئات، بل هو واجب على كل مسلم، وكل على قدر استطاعته.

كما يزدوج التضمين بحجاج السلطة في قوله:

"وكما تتأملون -يا رعاكم الله-فإن الله سبحانه شرط للتوبة التي يحصل بها دخول الجنة- برحمته سبحانه -أن تكون توبة نصوحا، ولنستمع -رحمني الله وإياكم- لما يقوله أهل العلم È في بيان هذا المعنى المهم:

يقول عمر بن الخطاب، وأُبيٌّ بن كعب Ø: «التوبة النصوح: أن يتوب من

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، ص٢٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الذنب، ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن في الضرع»(١)

وقال الحسن البصري ç: «هي: أن يكون العبد نادما على ما مضى، مجمعا على ألا يعود إليه»(٢).

وقال الكلبي: «أن تستغفر باللسان، وتندم بالقلب، وتُمسك بالبدن»(٣).

وقال محمد بن كعب: «يجمعها-أي التوبة- أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والانقطاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيء الإخوان»(٤).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير آية التحريم: «أي:توبة صادقة جازمة، تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات»(٥).

وقال العلامة ابن القيم ç: «النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء: الأول:تعميم جميع الذنوب، واستغراقها بها، والثاني: إجماع العزم والصدق بكلية عليها، والثالث: تلخيصها من الشوائب والعلل الفادحة في إخلاصها»(٦).

وبهذا تتبين لكم -يا عباد الله - شروط التوبة، وأنها عظيمة القدر ؛فهي ليست مجرد كلمات مجردة، وألفاظا معتادة تجري على الألسنة دون فهم وتحقيق لمدلولها،

---

(١) مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" للعلامة ابن القيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة السابعة، ٢٠٠٣، ج١، ص٣١٦.

(٢) مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" للعلامة ابن القيم الجوزية، ج١، ص٣١٦.

(٣) السابق نفس الصفحة.

(٤) السابق، ج١، ص٣١٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، تحقيق: محمد سامي السلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ج٨، ص١٦٨.

(٦) مدارج السالكين، لابن القيم، ج١، ص٣١٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ودون عمل وتطبيق لمقتضاها؛ بل لابد من تحقيق شروطها، وانتفاء موانعها."[1]

لقد استدعى الخطاب الحجاجي مجموعة من أقوال العلماء مستعملا لسلطة شخصياتهم، نحو الخليفة "عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب والحسن.." يمثلون سلطة دينية قوية لكونهم من صحابة رسول الله ﷺ أو من التابعين، وخطابهم يحمل ثقلا حجاجيا تأثيريا كبيرا مستمدا من قيمة شخصياتهم. فأقوالهم شواهد يجب أن تقر في الأذهان، وهم مرجع ثابت في الدين، كما أن ذكر العلماء المفسرين لمعنى التوبة النصوح وتضمين كلامهم وأخبارهم يمثل حجة قوية يدفع بها الشيخ إلى ساحة المتلقي، رغبة في التأثير والإقناع.

إن ترتيب أخبار السلف الصالح ترتيبا تاريخيا وعلميا يخدم الخطاب الحجاجي الموجه إلى المستمعين المسلمين، فذكر عمر وأبي بن كعب ٨، وتأخر ذكر السلف الصالح من العلماء، اقتضاه المقام السياقي التداولي،كما أن التنبيه الذي جاء في مقدمة المقطع في قوله:)ولنستمع -رحمني الله وإياكم- لما يقوله أهل العلم Ξ في بيان هذا المعنى المهم) يحقق تفاعلا قويا من قبل المتلقين، ثم يسير متدرجا في بيان مفهوم التوبة النصوح، حيث بدا المسار الحجاجي التركيبي -هنا- نمطا بلاغيا، مزج بين الإقناع والإمتاع، حيث أجمل في البداية شرط التوبة، التي بها يدخل المسلم الجنة، ثم فصل في بيان معناها متكئًا على أقوال أهل العلم، فيأتي الخطاب مفصلا مهما مطالبا المتلقي بالانتباه منذ البداية، ويشد انتباهه إلى المقاصد التي عبر الخطاب عنها، من حيث عدم العودة إلى الذنوب والندم الشديد على ما فات، ولزوم الاستغفار ومزاحمة السيئات بالحسنات.

إن الملاحظ أن الشيخ السديس لا يراعي في هذا التضمين قيمته الجمالية فحسب، بل يهتم بقدرته على تحقيق مقصوده في البيان والشرح وتدعيم الدعوى، والنتيجة التى

(١) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الأول : ص٥٤٨-٥٤٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ابتغى الوصول إليها ؛ لذلك نجده يلجأ إلى سرد عدد من الأقوال وعدم الاكتفاء بتضمين قول أو قولين؛ مما يحقق مصداقية الخطابكله، ويزيد من طاقته الإقناعية.

كما يلجأ إلى الحجة القائمة على مبدأ الفصل المفهومي.(١) فاستعان السديس بمثل هذه الحجج لتعديل مسار المفاهيم، وإيجاد الفصل داخلها لبيان المعنى الحقيقي الخفي. فمفهوم التوبة النصوح: فهي ليست مجرد كلمات مجردة، وألفاظا معتادة تجري على الألسنة دون فهم وتحقيق لمدلولها، ودون عمل وتطبيق لمقتضاها؛ بل لابد من تحقيق شروطها، وانتفاء موانعها.إن خطاب السديس- هنا - يفصل بين حدين في مفهوم التوبة: أحدهما بارز غير حقيقي، انخدع به كثير من الناس، والآخر خفي، وهو المقصود وهو أعمق في الدلالة والمفهوم. فمفهوم التوبة ليس كلمات مجردة وألفاظ معتادة، إنما عمل وتطبيق للتوبة، وتحقيق لشروطها وانتفاء موانعها.

ومما سبق يمكن بيان الحجاج في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة الأولى: يقول عمر بن الخطاب، وأُبيُّ بن كعب ٨: «التوبة النصوح: أن يتوب من الذنب، ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن في الضرع».

الحجة الثانية: وقال الحسن البصري ç: «هي: أن يكون العبد نادما على ما مضى، مجمعا على ألا يعود إليه».

الحجة الثالثة: وقال الكلبي: «أن تستغفر باللسان، وتندم بالقلب، وتُمسك بالبدن» وقال محمد بن كعب: «يجمعها -أي التوبة- أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والانقطاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيء الإخوان».

الحجة الرابعة: أن التوبة ليست كلمات مجردة وألفاظ معتادة، إنما عمل وتطبيق للتوبة، وتحقيقا لشروطها وانتفاء موانعها.

النتيجة: إن الله ﷻ شرط للتوبة التي يحصل بها دخول الجنة: أن تكون توبةً

(١) الحجج التي تقوم على مبدأ الفصل المفهومي بين الأقضية والتصورات، التي كان بينها وصل قبل أن يجري عليها التحويل ويمارس عليها التبديل.يُنظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص٣١٥.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

نصوحًا.

كما يقدم خطاب الشيخ السديس كثيرا من الأقوال للعلماء والسلف الصالح، يبين فيها آراءهم ومواقفهم، فيقول مثلا:

"العالم للأمة بدرها الساري، وسلسالها الجاري، لا سيما أئمة الدين وعلماء الشريعة، ومهما دبجت النعوت والمدائح في فضائلهم فلن نوفيهم حقهم؛ ولذلك كان فقدهم من أعظم الرزايا... يقول الإمام أبو بكر الآجري ç: «فما ظنكم بطريق فيه آفات كثيرة، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء، فقيض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم،فسلكوه على السلامة والعافية، ثم جاءت فئام من الناس لابد لهم من السلوك فيه، فبينما هم كذلك إذ طفئت المصابيح، فبقوا في الظلمة، فما ظنكم بهم؟! فهكذا العلماء في الناس.»"[(١)][(٢)].

إن هذا التضمين لقول الإمام أبي بكر الآجري ليس مجرد استشهاد، وليس دليلا على موقف الشيخ وتدعيما لرأيه فحسب، وإنما به يتبين موقف هذا العالم الجليل من العلم والعلماء. وتتمثل البراعة -هنا- في تدعيمه للتمثيل الذي جاء به في مقدمة خطابه، فالعالم يمثل البدر الساري للأمة والنهر الجاري، خاصة علماء الدين والشريعة. فعضد هذا التشبيه بتمثيل أبي بكر الآجري، الذي قدم لنا صورة حسية لأهمية العلماء، الذين يمثلون نورا نهتدي به. ومن المعروف ما للتصوير من وظيفة حجاجية، حيث تؤدي إلى تحريك الخيال وتصوير الأشياء وحضورها شاخصة، فيكون في ذلك مجال أوسع للتأثير والإقناع.

(١) أخلاق العلماء، أبو بكر محمد الآجري، حققه وعلق عليه: إسماعيل محمد الأنصاري وعبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٨هـ، ص٣٠.

(٢) كوكبة الخطب المُنيفة من منبر الكعبة الشريفة، الشيخ: عبدالرحمن السديس، السفر الثاني، ص٣٨-٣٩.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

ولقد ختم الشيخ تمثيله باستفهام تقريري: (فبينما هم كذلك إذ طفئت المصابيح، فبقوا في الظلمة، فما ظنكم بهم؟!) لنتخيل حال الناس، وقد انتهى من أجيالهم العلماء، ليأتي التقرير من المتلقي -ذاته- أنهم لا يهتدون إلى الطريق السليم القويم إلا بهؤلاء العلماء. فموتهم يمثل خسارة فادحة، وخطب عظيم نزل بالأمة.

لقد أضفى هذا التضمين لمحة جمالية إبداعية أضاءت الخطاب، وأكسبته نوعا من التدعيم والتعضيد. فوظيفة العلماء الشرعيين العالمين بكتاب الله وسنته مهمة لكل مسلم، وفقد أحدهم يعني فقد جزء مهم من مرجعيات الدين، وتركيزه على أثرهم في إضاءتهم للطرق والمسالك-التي يسير عليها المسلمون-نابع من علمهم الصحيح بالعقيدة الصحيحة وبفهمهم للفقه وأصوله. ومما سبق بيانه يمكن عرض الحجاج في المثال السابق على النحو الآتي:

الحجة الأولى:علماء الشريعة والدين هم مصابيح الأمة، وبدرها الوضاء،هم الهادون إلى الطريق السليم القويم.

النتيجة:إن فقد العلماء يمثل أعظم الرزايا. بفقدهم يحل الجهل ويعظم الخطب.

إن الخطاب الديني -بعدِّه خطابا تواصليًّا- تتفاعل معه مكونات السياق واللغة والمخاطب. لذلك يمكن القول إن الاستدلال في خطب الكوكبة المُنيفة لم يكن خاضعا لطرق المنطق الصارم واستدلالاته. كذلك فإن الاحتجاج العقلي ليس حجة منطقية محضة، فهو ليس بالاستدلال الأرسطي البرهاني؛ لأن الاستدلال البرهاني يقوم على قواعد صورية محدودة ومضبوطة، لا تراعي وضع المتكلم ولا المستمع، ولا تلتفت إلى ظروف المقام التي يحصل فيها التعبير.[1] خلافا للاستدلال الذي اعتمدت عليه خطب الكوكبة المنيفة، الذي لم ينفصل صورته عن مضمونه، ولم يُغيب فيه أي طرف من أطراف الخطاب، ولا من مقتضيات الحال. فجاء استدلالا يعرض الحقيقة العقلية

(١) يُنظر: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسان الباهي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٤م، ص٩٩-١٠٠.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

عرضا لغويا فكريا متماسكا مطابقا للفطرة المنطقية السليمة، آخذا بعين الاعتبار المتلقي ومقام الخطاب المطروح.

وتواكب هذا العرض العقلي إجراءات حجاجية متصلة بإنجازات لسانية وبلاغية وتداولية. ولما كانت تلك الاستدلالات لفظية- أولا- وليست صورية أو رمزية بحته، ولما كانت مادتها هي المفاهيم والمواقف الفكرية، ولما كان المتلقي يؤخذ في الحسبان، فإنه من الطبيعي أن تكون الاستدلالات المطروحة عليه استدلالات حجاجية في سياق خاص.(١)

ولقد استثمر الشيخ السديس عددا كبيرا من الاستدلالات المتنوعة مراعيا بذلك القضية الحجاجية المطروحة وما يناسبها من طرائق. فنجد أنه كلما كانت القضية ذات آراء متعددة كثف من استحضار الأدلة التي تدعم آراءه، في مقابل ذلك تقل تلك الاستدلالات بشكل لافت في القضايا العقدية المسلم بها، ويكتفي فيها بذكر شواهد قرآنية ومن السنة النبوية. كل ذلك يتسق مع بناء الخطاب العام.

كما أن الشيخ السديس لم يكتف بطرح الاستدلالات المنطقية بعيدا عن البنية اللغوية للخطاب، بل كانت استدلالاته تتخذا بعدا حجاجيا، يعتمد فيه على البناء اللغوي المشكل له. وهذا ما يميز الخطاب الديني عند الشيخ السديس، فهو يتجه نحو التحاور، واستنطاق الأحكام،إذ يستعمل مجموعة من الألفاظ والعبارات، التي تحمل قوة حجاجية تداولية، سواء أكان ذلك عن طريق بناء جملة الاستفهام أم التضمين والاقتباس أو عن طريق جملة الشرط، وغيرها من الآليات الحجاجية الأخرى كالتمثيل وبناء الصور الحسية، فكل ذلك نجده في جملة استدلالاته وخصوصية حجاجه.

(١) يُنظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي"عناصر استقصاء نظري" حبيب إعراب، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج١، ص٦٥٧.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

خاتمـة الدراسـة

Ali Fattani ١٤٤١/٠٨/٠١ reply_W30xG

خاتمـة الدراسـة

نتائـــج وتوصيـــات

الحمد لله الذي أفاض الإنعام، وله الحمد على ما أنعم به من حسن الختـام، أحمـده -سبحانه- الذي أوجدنا من العدم، وأسبغ علينـا الـنعم، وهـدانا إلـى صـراطه المستقيم، وأصلِّي وأسلِّم على البشير النذير محمد بن عبـدالله، صـلوات ربـي وسـلامه عليـه. أمَّـا بعد:

فقد تناولت هذه الدراسة بلاغة الخطاب الإقناعي في خطب الشيخ السديس، التـي أراد لها أن تكون إبلاغية إقناعيـة. استطعنا خلالهـا اكتشـاف أهـم الأسـاليب الحجاجيـة والتقنيات الإقناعية البلاغيـة، التـي وظفهـا الشـيخ عبـدالـرحمن السـديس-أجـزل الله لـه العطاء- في سبيل حصول الاقتناع عند المخاطبين، وقد خلصت الدراسة إلى جملـة مـن **النتائج** أبرزها ما يلي:

- يتمتع الشيخ السديس بكفايات إنجازية، ومهارات إلقائية يقل نظيرها عنـد كثيـر من الخطباء. كانت هذه الكفايات قادرة على استثارة المخاطبين، وحصـول الشـيخ علـى مقبولية لدى المخاطبين، مما كان له الأثر الأكبر في تقبل خطابه والاقتناع به.

- يمثل كتاب "كوكبة الخطب المُنِيفة" نصـًّا موسـوعيًّا، وزادا معرفيـًّا خطابيـًّا، يمكن لكل خطيب ناشئ الرجـوع إليـه والنهـل منـه، واقتفـاء أثـر الشـيخ، والكتابـة علـى منوال خطبه؛ لكي يكون مؤثرا في مجتمعه، مقنعا فيما يعرض من قضاياه.

- أظهرت الدراسة أن القضايا الحجاجية التي تناولهـا الشـيخ السـديس فـي خطبـه استقطبت ذواتـا أخرى تشاركه الخطاب، وهو ما كان دالا على إلى إثراء واتساع أفق.

- كـان للأبنيـة الصـرفية -علـى اختلافهـا- توظيـف إقنـاعي فعـال. فهـي أداة مـن أدوات الحجاج، يعود أثرها البارز إلى دقة اختيارها، وحسن توظيفها في السياق، الـذي

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

يستدعي صيغة دون أخرى. وقد أدت كل صيغة من الصيغ وظيفة حجاجية معينة، وأفضت إلى غاية تداولية قصد إليها الخطيب قصدًا.

- أكدت دراسة المستوى المعجمي للكلمة في خطب الشيخ السديس أن هذه الكلمات المعجمية ترتبط أشد الارتباط بواقع المتلقين ورصيدهم الفكري، والثقافي، والعقدي، والاجتماعي. وهذا ما جعلها شديدة الرسوخ في نفوس المتلقين.

- ارتبط الترتيب في خطب الكوكبة المنيفة بانسجام الخطاب، وتكامل أجزائه الكبرى (استهلال، عرض، خاتمة) واتساق أجزائه الصغرى من جمل وعبارات واستشهادات. فامتزج العرض بالاستدلال.كما كانت الحجج مبنية بطريقة تجذب السامع وتشده إلى حين الانتهاء من الخطبة.

- كشفت الدراسة ثراء الألفاظ والتأنق التركيبي في نظم الجمل، واختيار دقيق لكل ما هو ممكن لجعل العبارة قطعة فنية نابضة بالجمال مفعمة بالحيوية، مع بساطتها في التعبير، وبراءتها من التعقيد.

- تعمد الشيخ استخدام التنوع في أساليب الطلب المختلفة، خاصة أسلوب الاستفهام، الذي لم يكن خيارا جماليًّا بقدر ما هو خيار حجاجي، يؤدي إلى استنطاق وإقرار المخاطب بما يرومه الشيخ.

- كان حجاج "الأيتوس" Ethos - بما يرمز له من قيم ومبادئ فضلى- ظاهرا بشكل لافت. فالاستثارة الوجدانية العاطفية من خصائص الخطب، خاصة عند التزامها بمعايير القبول عند المخاطبين.

- أدت الصور البيانية -على اختلافها- وظيفة حجاجية بالغة الأهمية في تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي. فالشيخ السديس يستعمل الصور البيانية على أنها تقنية حجاجية تسهم في التأثير في قناعة المتلقي، كما أسهم البديع والإيقاع الصوتي بوظائف حجاجية خاصة بما لها من لفت الانتباه وجذب الأسماع.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

- ينطلق الشيخ السديس من قاعدة توالي الاستشهادات.وهي قاعدة حجاجية تؤدي بالمخاطبين إلى الاقتناع في أشد مراحله. فهو يرومها ويستدل بها، ليس لأنها زينة لفظية أو مجرد استعراض المحفوظات، بل لما لها من توظيف إقناعي استدلالي.

- تنوعت استدلالات الشيخ السديس تنوعا مبهرا، بدءا من الشواهد المقدسة، ومرورا بالنصوص الشعرية، وانتهاء بالحكم والأمثال، التي شكلت في مجملها أدلة مقنعة لإثبات القضية في أذهان المخاطبين.

- شكل مبدأ "القصدية" الحجر الأساس في الخطاب الإقناعي عند الشيخ السديس. وتوفر هذا المبدأ في خطابه يدل على إطار خطابي منطقي، تعمد السير فيه من القضية إلى الأدلة والحجج ؛حتى يصل بالمتلقي إلى الاقتناع.

- كان للمقام وظيفة كبيرة في تحديد المعنى المقصود بدقة، لذلك نجد أساليب التخاطب - خاصة في الجانب الإنجازي "الملفوظ"- تختلف من سياق إلى آخر. فخطاب التوجيه والنصح مختلف تماما عن خطاب الإلزام، وخطاب المرأة يختلف عن خطاب الرجل...إلخ.

- أن أداء الشيخ السديس للخطب اليوم - وكما وردت شواهد منها في ثنايا هذا العمل- يعد نموذجا فذًّا، يحتذى به من قبل الطامحين في اعتلاء المنابر.

و غيرها من النتائج - المرتبطة بآليات التأثير الإقناعي وتوظيف مستويات اللغة- التي تناثرت في ثنايا الدراسة وقضاياها.

التوصيات:

أما عن أهم التوصيات والمقترحات، التي ترتبط بما سعت هذه الدراسة لاستبطانه واكتشاف جدواه العلمية والعملية فجاءت على النحو الآتي:

- إعادة قراءة التراث الأدبي العربي الإسلامي في عصوره الذهبية قراءة جديدة، تستند إلى مقومات الدرس التداولي الحديث وأدواته المنهجية المختلفة.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

- إدخال الحجاج - على اختلاف مدارسه- إلى مقررات التعليم، لصقل قدرات الطلاب الحجاجية، ومحاولة إعدادهم خطباء للمستقبل، وتعليمهم بناء الحجاج والحوار على أسس سوية وخصائص إيجابية وآليات ومناهج تبتعد عن الأهواء والتوجهات السلبية.

- ربط الدراسات الحجاجية بالبلاغة، والسعي إلى عدم المبالغة في ربط الحجاج بالمنطق الذي قد يؤدي إلى جدل ومغالطات لا فائدة منها. فالقصد تشكيل نظرية حجاجية إسلامية بصبغة الاعتدال والوسطية.

- إحداث دورات تدريبية لإعداد الخطباء وتعليمهم فنون الحجاج البلاغية واللغوية، واستكشاف كل موهبة لصقلها وتنميتها لخدمة الدين الإسلامي.

والحمد لله الذي يسّر لنا هذا

وهو نعم المولى ونعم الوكيل

* وصلى الله على نبيّنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلم *

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الفهارس

- ١- فهرس المصادر والمراجع.
- ٢- فهرس الموضوعات.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم (جل منزله وعلا).

(١) آليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي الشهري، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف، حافظ إسماعيل علوي، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.

(٢) أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي، دار المعرفة، بيروت، (دون طبع وتاريخ).

(٥) أخلاق العلماء، أبو بكر محمد الآجري، حققه وعلق عليه: إسماعيل محمد الأنصاري وعبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٨هـ.

(٦) الأداء الحجاجي وبلاغته في كتاب الخطابة لابن سيناء، منتصر أمين عبد الرحيم، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجده، المملكة العربية السعودية، عدد (٣٥) محرم ١٤٣٥هـ.

(٧) الأدب وفنونه: دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار الفكر، القاهرة، الطبعة التاسعة، ٢٠١٣م.

(٨) أساس البلاغة، جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ه، ١٩٩٨م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(٩) أساليب الحجاج في البلاغة العربية، محمد الواسطي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، عدد (١٢)، السنة ٢٠٠١م.

(١٠) الاستدلال البلاغي، شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.

(١١) الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد (٣٤) المجلد (١) ٢٠٠٥ م.

(١٢) إستراتيجية الحجاج التعليمي عند الشيخ البشير الإبراهيمي: مقال الطلاق أنموذجا، (ج٢) حمدي منصور جودي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، الجزائر، عدد ١٠-١١، سنة ٢٠١١م.

(١٣) إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

(١٤) أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، قراه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجده، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

(١٥) الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، طه عبدالرحمن، مجلة المناظرة المغرب، عدد (٤١)، سنة ١٩٩١م.

(١٦) الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الوالي، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م. الاستغاثة في الرد على البكري، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دراسة وتحقيق: عبدالله بن دجين السهلي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ

(١٧) الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى ربابعة، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.

(١٨) الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١٩) إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ناصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، الطبعة السابعة، ٢٠٠٥م.

(٢٠) الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٢١) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠١م.

(٢٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله جمال الدين بن هاشم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (دون طبعة وتاريخ).

(٢٣) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، (دون تاريخ).

(٢٤) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.

(٢٥) البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن وهب، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ.

(٢٦) البرهان في وجوه البيان: أبو الحسين إسحاق بن وهب، تحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر، ١٩٦٩م.

(٢٧) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، (دون طبعة وتاريخ).

(٢٨) بلاغة الإقناع في خطاب الوعظ، سعيد جبار، ضمن كتاب "بلاغة الخطاب الديني" إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.

(٢٩) بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، دار الإيمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(٣٠) البلاغة التداولية لبلاغة حازم من خلال "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، مصطفى الغرافي، مجلة عالم الفكر، الكويت،عدد (١)، المجلد (٤٠) سبتمبر، سنة ٢٠١١م.

(٣١) بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية، الحسين بنو هاشم، تقديم: محمد العمري، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

(٣٢) بلاغة الخطبة خطب "عيون الأخبار" أنموذجا، مصطفى الغرافي، ضمن كتاب (بلاغة النص التراثي،مقاربات بلاغية حجاجية) إشراف: محمد مشبال، دار العين للنشر، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

(٣٣) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، عدد (١٦٤)، سنة ١٩٩٢م.

(٣٤) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

(٣٥) البلاغة العربية أصولها وامتدادتها، محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٣٦) البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو (الحجاج)، عبدالله صولة، ضمن " الحجاج مفهومه ومجالاته"،عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠، (ج١).

(٣٧) البلاغة والاتصال، جميل عبدالمجيد، دار غريب، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

(٣٨) البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة، ميشال مايير، محمد علي القارصي، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس، ١٩٨٨ م.

(٣٩) البلاغة والخطاب، محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(٤٠) البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، أمحمد عرابي، رسالة ماجستير غير منشورة ٢٠٠٩م، الجزائر، جامعة اللسانية، وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية.

(٤١) بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٩م.

(٤٢) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨ م.

(٤٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٩هـ.

(٤٤) تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، وجيل جوتييه، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

(٤٥) تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(٤٦) تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

(٤٧) التداولية اليوم:علم جديد في التواصل، آن ربول وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباتي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

(٤٨) التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربي اللساني، مسعود صحرواي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

(٤٩) التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للنشر والدراسة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(٥٠) تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، (دون تاريخ).

(٥١) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: دراسة دلالية مقارنة، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

(٥٢) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعةالأولى، ١٤٠٣هـ.

(٥٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، تحقيق:محمد سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

(٥٤) التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية١٩١٨م

(٥٥) تقابلات النص وبلاغة الخطاب:نحو تأويل تقابلي، محمد البازي، الدار العربية للعلوم، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه.

(٥٦) التمثيل والاستعارة بين العلم والشعر والفلسفة، شاييم بيرلمان، ترجمة: حمو النقاري، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته،ج ٢.

(٥٧) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة لثالثة، ١٤٢١ هـ.

(٥٨) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المصري المالكي شرح وتحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

(٥٩) التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، محمد غاليم، دار تويقال، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(٦٠) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، والخطابي والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله، دار المعارف مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.

(٦١) جامع الدروس العربية، مصطفى الغيلاني، تحقيق:عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ.

(٦٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد ن مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

(٦٣) الحجاج،كرستيان بلانتان، ترجمة:عبد القاهر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

(٦٤) الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف (في الحجاج - الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكا)، عبد الله صولة، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٦٥) حجاجية الاستعارة والمجاز،حسن المودن، ضمن كتاب"الحجاج مفهومه ومجالاته.

(٦٦) الحجاج بالإيتوس في الخطاب السياسي،كمال الزماني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م

(٦٧) الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، علي الشعبان، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

(٦٨) الحجاج السردي عند الجاحظ، بحث في المرجعيات والنصيات والأليات، هيثم سرحان، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، عدد (١١٥)، سنة ٢٠١١م.

(٦٩) حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، فضيلة قوتال، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(٧٠) الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي، ضمن كتاب(أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٧١) الحجاج في الامتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، حسين بلوطة، رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنه، الجزائر،٢٠١٠م.

(٧٢) الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين طلبة، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.

(٧٣) الحجاج في الحديث النبوي: دراسة تداولية، آمال المغامسي، الدار المتوسطية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

(٧٤) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، زكريا السرتي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

(٧٥) الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، رشيد الراضي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد (٣٤) المجلد (١) ٢٠٠٥ م.

(٧٦) الحجاج في درس الفلسفة، مليكة غبار وآخرون، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦م.

(٧٧) الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.

(٧٨) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

(٧٩) الحجاج في كتاب (المثل السائر) لابن الأثير، نعيمة يعمرانن، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٢ م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(٨٠) الحجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

(٨١) الحجاج في المناظرة، أحمد اتزكنرمت، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي: دراسات في البلاغة الجديدة، إشراف: حافظ علوي، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

(٨٢) الحجاج في النص القرآني: سورة الأنبياء نموذجا، إيمان دردوني، رسالة ماجستير، جامعة الحجاج لخضر، باتنة، الجزائر ٢٠١٣م.

(٨٣) الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، حبيب إعراب، مجلة عالم الفكر، عدد١، مجلد ٣٠، الكويت، ٢٠١١م.

(٨٤) الحجاج والبرهان، رشيد الراضي، ضمن كتاب (الحجاج مفهومة ومجالاته).

(٨٥) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

(٨٦) الحجاج والمعنى الحجاجي، أبو بكر العزاوي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٨٧) الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسان الباهي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٤ م.

(٨٨) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ.

(٨٩) الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٦م.

(٩٠) الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية:نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، حسن المودن،كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(٩١) الخِطَاب الإِقْنَاعِي فِي ضَوْء التَّوَاصُل اللُّغَوِي الحَجَّـاج بنُ يُوسُف الثَّقَفِي نَمُـوذَجً، عمارية حاكم، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ٢٠٠٨م.

(٩٢) الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية: مقاربة تداولية، عبد الهادي الشهري، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

(٩٣) الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٤م.

(٩٤) الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، محمد أبو زهرة، مطبعة العلوم، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م.

(٩٥) الخَطَابة، أرسطو طاليس، تحقيق: عبد الحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

(٩٦) الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، ابتسام بن خراف، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠١٠م.

(٩٧) خطاب الحجاج والتداولية: دراسة في نتاج بن باديس الأدبي، عباس حشاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م. الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

(٩٨) الخوارج: أسماؤهم وأوصافهم، نجيب جلواح، مجلة الإصلاح، المجلد التاسع، عدد (٤٦)، رجب/شعبان ١٤٣٦هـ.

(٩٩) دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، مقصود محمد عبد المقصود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

(١٠٠) دراسات منهجية في علم البديع، الشحات محمد أبو ستيت، دار خفاجي للنشر والتوزيع، القليوبية، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١٠١) دروس في البلاغة العربية: نحو رؤية جديدة، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

(١٠٢) دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.

(١٠٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤.

(١٠٤) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

(١٠٥) دلالة السياق، ردة الله الطلحي، مطابع جامعة أم القرى (سلسة الرسائل العلمية ٣٣)، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(١٠٦) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث: دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتربوية في ضوء نظرية السياق، عبد الفتاح البركاوي، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

(١٠٧) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد بني دومي، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٦.

(١٠٨) دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي، حسن المودن، ضمن كتاب ا(لحجاج مفهومه ومجالاته)، ج١.

(١٠٩) ديوان أحمد شوقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (دون تاريخ).

(١١٠) ديوان الشافعي المسمى (الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس)، محمد بن إدريس الشافعي، إعداد وتقديم وتعليق: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، (بدون طبعة وتاريخ).

(١١١) ديوان اللزوميات، حققه وعلق عليه: عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان،دون طبعة وتاريخ.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١١٢) ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

(١١٣) ديوان النابغة، شرح وتقديم: عباس عبدالستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

(١١٤) ديوان معروف الرصافي، مراجعة مصطفى الغيلاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافية، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

(١١٥) الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.

(١١٦) رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤م.

(١١٧) رسائل الجاحظ، الفصول المختارة من كتب الجاحظ اختيار الإمام عبيد الله بن حسان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، شرح وتعليق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٣ م.

(١١٨) زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود نور الدين اليوسي، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

(١١٩) سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.

(١٢٠) سورة الأنعام:دراسة تداولية لأفعال الكلام والاقتضاء التخاطبي، نور وليد، فضاءات للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

(١٢١) شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

(١٢٢) شرح الرضي في النحو لابن الحاجب، تحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي ويحيى بشير مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧ هـ.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١٢٣) الصرف والتطبيق في القرآن الكريم، محمود سليمان الياقوت، مكتبة المنارة الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(١٢٤) الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبوهلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(١٢٥) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م.

(١٢٦) طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين، يعقوب عبدالوهاب الباحسين، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.

(١٢٧) علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، (دون طبعة وتاريخ).

(١٢٨) علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، المكتبة العصرية، لبنان، ١٤٣٢هـ.

(١٢٩) عندما نتواصل نغير:مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبدالسلام عشير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

(١٣٠) العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

(١٣١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني، إخراج وترتيب: محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(١٣٢) فعل القول من الذاتية في اللغة،كاثرين أوريكوني، ترجمة:محمد نظيف، إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

(١٣٣) الفلسفة والبلاغة: مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، عمارة ناصر، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

(١٣٤) فن الخطابة، أحمد محمد الحوفي، دار النهضة للطابعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١٣٥) في الأدب الجاهلي، طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة، مصر، ٢٠١٤م.

(١٣٦) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠م.

(١٣٧) في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

(١٣٨) في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطية، دار الجاحظ للنشر، بغداد،١٩٨٣م.

(١٣٩) في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام، الرسالة الجوابية للحسن البصري على رسالة عبد الملك بن مروان نموذجا، علي الإدريسي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته، ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م.

(١٤٠) في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، منشورات الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

(١٤١) في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة؛ مكتبة مسكلياني للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

(١٤٢) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزوالد ديكرو، جان ماري سشفاير، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م

(١٤٣) قراءة جديدة للبلاغة القديمة، رولان بارت، ترجمة: عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

(١٤٤) قصة الفلسفة اليونانية، أحمد أمين وزكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٦٦م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١٤٥) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(١٤٦) قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ٧هـ، أحمد الودرني، دار العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

(١٤٧) كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، علي محمد علي سلمان، ديموبرس للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

(١٤٨) كتاب الشعر، أرسطوطاليس، ترجمة: محمد شكري عياد، الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

(١٤٩) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

(١٥٠) كوكبة الخطب المُنِيفة من منبر الكعبة الشريفة، (السفر الأول)، الشيخ عبد الرحمن السديس: مكتبة إمام الدعوة العلمية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(١٥١) كوكبة الخطب المـُنيفة من منبر الكعبة الشريفة،(السفر الثاني)، الشيخ: عبد الرحمن السديس، دار الصميعي للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

(١٥٢) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، (السفر الثالث)، الشيخ:عبد الرحمن السديس، مكتبة إمام الدعوة العلمية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى،١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

(١٥٣) لسانيات الخطاب: الأسلوبية والتلفظ والتداولية، صابر الحباشة، دار الحور للنشر، اللاذقية، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

(١٥٤) لسان العرب،محمد ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١٥٥) اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، سمير شريف أستيتيه، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(١٥٦) اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.

(١٥٧) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

(١٥٨) لغة التخاطب الحجاجي: دراسة في آليات التناظر عند ابن حزم، مصطفى العطار، كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.

(١٥٩) اللغة والحجاج، أبو بكر الغزاوي، مؤسسة الرحاب للطباعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.

(١٦٠) اللغة والخطاب، عمر أوكان، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(١٦١) المثل السائر، ابن الأثير، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.

(١٦٢) مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، التعاونية الثقافية، إيران، (دون طبعة وتاريخ).

(١٦٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.

(١٦٤) محاضرات في اللسانيات، فوزي حسين الشايب، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(١٦٥) المحاورة: مقاربة تداولية، حسن بدوح، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١٦٦) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يوسف بن الحسن الحنبلي المعروف بابن المبرد، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالمحسن الفريح، أضواء السلف للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(١٦٧) مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" للعلامة ابن القيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ٢٠٠٣م.

(١٦٨) مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، محمد الولي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد (٢)، المجلد (٤٠)، سنة ٢٠١١م.

(١٦٩) مدخل إلى الخطابة، أوليفيي روبول، ترجمة: رضوان العصبة، إفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، ٢٠١٧م.

(١٧٠) مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (دون طبعة وتاريخ).

(١٧١) مدونة الدكتور أحمد قادم، "بانت سعاد" لكعب بن زهير: مقاربة حجاجية، مقال على الشبكة:

http://ahmedcadim.blogspot.com/2016/05/1_77.html

تاريخ الاستدعاء: الأحد ٣٠/ ٦/ ١٤٤٠هـ الساعة ١٢:٣٧ مساءً

(١٧٢) المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، عوض الله حجازي، دار الطباعة المحمدية، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٩٤ م.

(١٧٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ١٩٨٦م.

(١٧٤) المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١٧٥) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

(١٧٦) المظاهر اللغوية للحجاج: مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي،الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

(١٧٧) معاني ألفاظ القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة: السور السبع الطوال أنموذجا، دراسة دلالية معجمية، سعيد فاهم، رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، ٢٠١١م.

(١٧٨) معاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي، دار عمار، عمّان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(١٧٩) معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

(١٨٠) معجم الأدباء:إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(١٨١) معجم مصطلحات أصول الفقه، قطب سانو،قدم له وراجعه: محمد وراس قلعجي،دار الفكر المعاصر، لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٠ه.

(١٨٢) مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(١٨٣) مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، شرحه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

(١٨٤) مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الأمين الطلبة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى،ج (١).

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١٨٥) مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨م.

(١٨٦) المقام الشعري والمقام الخطابي، محمد العمري، مقال منشور في مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، الدار البيضاء، العدد (٥) سنة ١٩٩١م.

(١٨٧) مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح من كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم "، حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(١٨٨) المقولات البلاغية دراسة مقامي براغماتية، منال النجار، ضمن كتاب "التداوليات علم استعمال اللغة"، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.

(١٨٩) الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

(١٩٠) مناهج الاستدلال في القرآن الكريم، شوقي إبراهيم علي، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، ١٩٩٢م.

(١٩١) مناهج البلغاء وسراج الأدباء،حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م

(١٩٢) مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر عواض الألمعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣هـ.

(١٩٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ.

(١٩٤) من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات، محمد الولي، مجلة فكر ونقد، العدد الثامن، السنة الأولى، ١٩٩٨م.

(١٩٥) من تجليات الخطاب البلاغي، حمادي صمود، دار قرطاج للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(١٩٦) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد قاسم الأنصاري السجلماسي، تحقيق: علال غازي، مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

(١٩٧) الميزان في تفسير القرآن، للعلامة: محمد حسين الطباطبائي،، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(١٩٨) النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م.

(١٩٩) نشأة الحجاج، حامد ناصر الظالمي وعايدة جدوع حنون، مجلة آداب البصرة، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد (٧٣)، سنة ٢٠١٥م.

(٢٠٠) النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ج٢.

(٢٠١) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠١٤م.

(٢٠٢) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف حمادي صمود،كلية الآداب، منونة، د.ت.

(٢٠٣) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.

(٢٠٤) نظرية النص من بنية النص إلى سيميائية الدال، حسين خمري، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

(٢٠٥) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، ١٩٥٥م.

(٢٠٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقق : طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، مكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

(٢٠٧) وظيفة التناص والتأثير به في مقامات الحريري، علي عبدالنبي فرحان، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته) ج٢.

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
ملخص الرسالة	ج
Summary	د
شكـــر و تقديـــر	هـ
المقدمـــــــــــة	١
متـن الدراسة	٦
أهمية الدراسة	٦
دوافع اختيار الدراسة	٧
أهداف الدراسة	٨
مشكلة الدراسة	٩
أسئلة الدراسة	٩
الدراسات السابقة	١٠
منهج الدراسة	١١
خطة الدراسة	١١
تمهيـــــــــــد	١٤
أولاً: الخطاب الإقناعي في المدونة البلاغية العربية والغربية	١٦
ثانيًا: الإقنـــــاع والحجـــاج	٤٩
ثالثًا: الحجاج بين البلاغة والخطابة	٥٢

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الموضـــوع	الصفحة
الفصل الأول: الخطاب الإقناعي وكفايات الخطيب	٦١
مدخـــــــــل	٦٢
المبحث الأول: كفايات الإنتاج الموسوعية	٦٥
أ. الكفايات اللغوية الأدبية	٦٦
ب. الكفايات الثقافية التداولية	٦٨
جـ. الكفايات النفسية الانفعالية	٧٣
المبحث الثاني: كفايـــــات الإنجـــــاز	٧٥
الفصل الثاني: الخطاب الإقناعي وبلاغة النص	٨٢
مدخـــــــــل	٨٣
المبحث الأول: الاختيارات اللفظية وتوظيفها الإقناعي	٨٦
١. حجاجية اللفظة على المستوى الصوتي	٨٨
٢. حجاجية اللفظة على المستوى الصرفي	١٠٠
أ ـ اسم الفاعل	١٠٢
ب ـ صيغ المبالغة	١١٠
جـ ـ الصفة المشبهة	١١٤
د ـ البعد الحجاجي للصفات التقويمية الأخلاقية	١١٩
هـ ـ صيغ الجمع	١٢٥
٣. حجاجية اللفظة على المستوى المعجمي	١٢٩
أ. كلمة الجهل	١٣٢
ب. كلمة الحق	١٣٨

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الموضـــــــــــــــــــــــــــــــــوع	الصفحة
جـ. كلمة (فتنة)	١٤٣
المبحث الثاني: ترتيب أجزاء القول و وظائفه الإقناعية	١٥١
١. الاستهلال وآليات الإقناع	١٥٢
٢. العرض والإثبات	١٦٥
٣. الاختتـــام	١٧٦
المبحث الثالث: حجاجية النظم والوظائف الإقناعية	١٨٤
١. البنية الاستفهامية ومقصدية التأثير الإقناعي	١٨٦
أ. التقرير	١٨٧
ب. الإنكار	١٩١
ج. التعجب	١٩٧
د. الإغراء والتنبيه	١٩٩
هـ. التعظيم والتهويل	٢٠١
٢. النداء ومقصدية الإقناع	٢٠٤
٣. الإطناب والطاقات الإقناعية	٢٠٩
٤. التوكيد موجهًا إقناعيا	٢١٤
أ. التوكيد بالقسم	٢١٤
ب. التوكيد بـ"أنّ" و"اللام"	٢٢٠
ج. التوكيد بـ"إنَّ"	٢٢٢
د. التوكيد بالقصر	٢٢٧
١.د. إنَّمـــا	٢٢٧

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الموضـــــــــــــــــــــــــــــوع	الصفحة
٢.د. التوكيد بالنفي والاستثناء	٢٢٩
٥. عوامل الشرط وأثرها الحجاجي	٢٣٧
٦. طاقات الأمر والنـهي الإقناعية	٢٤١
٧. الأبعاد الحجاجية لأسلوب التعجب	٢٤٥
المبحث الرابع: الطاقات الحجاجية للصور البيانية وأبعادها الإقناعية	٢٥٠
أولاً: الطاقة الحجاجية للاستعارة	٢٥٢
ثانيًا: التشبيـه وطاقته الإقناعية	٢٦١
ثالثًا: الكنايـة وطاقتها الإقناعية	٢٧١
الفصل الثالث: الخطاب الإقناعي وطرق الاستدلال	٢٨١
مدخـــــــل	٢٨٢
المبحث الأول: القيـــــــــــاس	٢٨٥
١. القياس المنطقي	٢٨٦
٢. القياس المتدرج	٢٨٩
٣. قيـاس الـخُـلف	٢٩٣
٤. قياس الـتمثيل	٢٩٧
٥. قياس الأولى	٣٠٢
المبحث الثاني: التقابـــــــــــل	٣٠٦
المبحث الثالث: التناقـــــــــض	٣١٤
المبحث الرابع: السبـــــر والتقسيـــــم	٣٢١
المبحث الخامس: التضميـــن و الاقتبـــاس	٣٢٨

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani

الموضـــوع	الصفحة
أ. الاقتباس من القرآن الكريم	٣٢٩
ب. الاقتباس من الحديث الشريف	٣٣٩
جـ. الاقتباس الشعري	٣٤٤
د. تضمـين الأمثال	٣٥٢
هـ. تضمين الأقوال المأثورة	٣٦١
خاتمـة الدراسـة	٣٧١
فهرس المصادر والمراجع	٣٧٧
فهرس الموضوعات	٣٩٨

reply_W30xG
١٤٤١/٠٨/٠١
Ali Fattani